جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية واللغات الشرقية

"الكسائي إمام النحو الكوفي"

بحث مقدم من

الطالب / سعد حسن حمودة

لنيل درجة الماجستير

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور عبده علي الراجحي
أستاذ العلوم اللغوية بآداب الإسكندرية

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

" فرحين بما أتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين "

" صدق الله العظيم "

" الإهـــــداء "

إلى مَنْ لايزال بِها القلبُ مَمْلوءاً ، والرَّبْعُ مَعْمُوراً ، والدعاءُ موصولاً

.....إلى والدتى فى جـــوارِ ربِّ كريـــــــم

وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهم إلى الجَنَّه زُمَرًا

" صدق الله العظيم "

إلى والدى ... الذى أعْطانِى كُلَّ شىء ولم يستبْقِ شَيْئا

.....أتقدّم له اليومَ ماكان ينتظرُه بالأمـــــس ،

لعَلَّه يَمْنَحُ ماقـــدَّم

مقدمة البحث

هذا بحثٌ يتناولُ شخصيةً هامةً في تاريخ الدرس النحوي ، ارتبطت حياتُهـا بدءاً بالنصِّ القرآنيِّ الكريم ، ثم بدأت بعد ذلك صلتَها بالنحو العربي على ما سنرى ذلـك مفصلاً من خلال البحث إن شاءَ الله .

نشأ الكسائيُّ ـ صاحبُ هذه الشخصية ـ في القرنِ الثاني الهجري ، ليشهـدَ فترةً خطيرةً في حياة التطورِ الملحوظِ عند المسلمين في الدولة العباسية ، وذلك لأنَّ أوائلَ العلوم ـ ما اتصل منها بالنصِّ الكريم ، وما هو منقول ـ أنشأتْ تدرج في الطورِ الأول من التكوين ، مؤثِّرةً ومتأثِّرة . والحق أن العلومَ الإسلامية في هذه النشأة ، كانـت أكثرَ تهادُلا للتأثر والتأثير ، لأنها جميعا كانت تستهم من أجل فهم النصِّ الشريف .

وقد كان النحوُ العربي ضمن هذه العلوم ، يؤدِّي دوره نحو هذا الفهم منـذ نشأته الباكرة في البصرة ، فأخذ علماؤُها يتعاقبون طوراً بعد طور ، وهم في تعاقُبهـم يقتربون من طورِ النضوج ، حتى كان سيبويه ، فأخرجَ كتابه للناس منتظما قواعدَ النحـو العربي على أساسٍ من النماذج اللغوية العاليـة .

ولم يكن ظهورُ الكتاب على صورته إلاَّ رصداً للظواهر اللُّغوية التي سجَّلها نحـاة البصرة على النحو الذي قدَّمه سيبويه ، ولم يكن إلاَّ محصلةَ اتجاهاتٍ نحويةٍ انمازت وتباينت في قليلٍ ، أو في غيرِ قليـل .

ورغم هذه الأطوار المتعاقبة في حياةِ النحو العربي في البصرة ، كانت الكوفـةُ مهبطَ القراءاتِ القرآنية أكثرَ من أي شيءٍ آخر ، فظلَّ نصيبُها من الدراسةِ النَّحْوية قليـلاً ، حتى كان الكسائيُّ فأخذ يتصل بعلماءِ النحوِ في البصرة ويتلمذُ لهم .

والحقُّ ـ أيضا ـ أن تلمذة الكسائيِّ لنُحاة البصرة لا بد أنْ يُنظر اليها نظـرةً واعيةً ، حتى نصدق القولَ فيما نحكم به على الآراءِ اللغوية عند الكسائي ، ذلـك أنَّ الاتجاهات البصرية في النحو ـ كما أسلفنا ـ قد اختلفت ، فكانت بين قياسيةٍ ، وتعليليةٍ وسماعية ؛ وسنرى كيف تلمذ الكسائيُّ لأصحابِ هذه الاتجاهات ، كما سنرى كيف قـامَ مذهب الكسائي في النحو ، وهذه الاتجاهاتُ تَرِدُه ، على أنَّ هذه الاتجاهات كانـت أكثرَ حريةً عنده . ولعل توسع هذه الاتجاهات عند الكسائي مردودٌ منه شيءٌ إليه هو نفسه باعتباره قارئاً للقرآن الكريم يعتمد على النقل ، الذي هو أصلُ للمنهج في القراءات القرآنية فمِنْ ثَمَّ كانت آراءُ الكسائي آراءً وصفيـةً تسجِّل لنا أنماطاً لُغوية متعددة ، أكثرَ انتظامـاً للسان العربي ، تعرض لنا مالم يَعْرِضْه النحو البصريُّ .

على هذا الاساس يبدأ الكسائيُّ يُقيم مذهبه فى النحو ، هو ومَنْ تلمذوا له مـــن الكوفيين غيرُ ملتزمين — تمامًا — بالأُصول البصرية ، جاطين للشـواذِ من القراءات ، ومن أشعار العرب نصيبًا لا يُهمل حسابُه هذه هم وهم يتيحون مذهبهم فى النحو .

ويبقى النحوُ الكوفىُّ بعد ذلك ، لا يَلْقى كثيرا من التأييد والدرس . نعم ، كانت مدرسةُ الكوفة فى النحو هدفا لبعض الباحثين المُحْدثين ، إلّا أنهم لم يتناولوها إلّا مِـنْ قِبَلِ أنّها لا تمثل النحو البصرىّ ، ومن ثَمَّ كان حكمهم لا يستند الى معايير دقيقةٍ — فيمـا أظن — إذْ من الضرورى أن نعرف أولا الأُصولَ التى قامت عليها هذه المدرسة ، ولا يكون ذلك — على ما أظم — إلّا بمعرفة كيفيةِ اتّصالها بالدراسة النحوية بدءًا ، ثم بعد ذلك تستطيع الحكم عليها .

والكسائى إمامُ النحو الكوفى ، لم يعرض له أحد الباحثين ليُفرد له بحثًا خاصـــا به ، باعتباره مؤسسًا لمذهب فى النحو ، فأردت أن يكون هذا أولَ بحثٍ يقدم لنا الكسائىَّ عالما من أعلام النحو — كما يجب له أنْ يكون . كل هذا كان حافزًا الى أن أتنـــاول الكسائى بالتحليل والدراسة فى هذا البحث الذى قسمته على هذا النحو :

الباب الاول ، وهو : " الكسائى وعصره " ، جعلته فى فصلين : الفصل الأول ، وهـــو " فترته الزمنية سياسيا وعقليا " فقد ركزت فيه على بيئته من الناحية السياسية ، ومن الناحيـة العقلية ، لأنهما أكثر تأثيرًا فى تكوين الفكر وصيغته ، ومن ثَمَّ فدراسة الشخصية — المؤثرة منها خاصةً — لا ينبغى أنْ تُدرس بعيدًا عن هذا المناخ البيئى ، بحركاته السياسيـــة والعقلية ، فربما يكون ذلك رافدًا من روافد التأثير عند هذه الشخصية .

وجعلت الفصل الثانى للحديث عن " النحو العربى حتى الكسائى " ، ولم أشأْ أنْ يكـــون الحديثُ سيرةً تاريخية بالصورة التى تناولها كثيرٌ من الباحثين ، بل كان الحديث ، تقسيما على أساس الاتجاه النحوى ، لنعرفَ بعد ذلك مدى تأثير هذه الاتجاهات على من تلمذوا لاصحابها ، وبذلك نكون قد انتهينا من الناحية التاريخية دَفْعةً واحدةً .

الباب الثانى ، وهو " الكسائى والقراءات " ، وقد وقع فى فصلين : أولُهما " الكسائـى أحد القراء السبعة " ذكرت فيه نبذة مختصرةً عن القراءات ، ثم نشأةِ القراءةِ فى الكوفـــة ومكانةِ ابنِ مسعودٍ فيها ، ثم كان لا بد من حديث عن القراءات السبع ومتى نشأت ، وكيـف صار الكسائىُّ من السبعة . وبعد ذلك ختمت هذا الفصل بحديث عن رواياته وطرقـه ، ليكون مدخلاً إلى الفصل الثانى .

وثانيهما " قراءات الكسائى " ، وقد رتبت المادة فيه على طريقة مبوبة ، ليسهل تناولها من قريب ، فجعلتها على النحو الآتى :

أ — قراءات تتصل بجوانب صوتية
ب — قراءات تتصل ببنية الكلمة
جـ — قراءات تتصل ببنية الجملة
د — قراءات تتصل بالألفاظ

أما الباب الثالث والاخير فهو " الكسائى والدرس اللغوى " ، وهو المقصود من هذا البحث . وقع هذا الباب فى ثلاثة فصول : أولها عن " المادة الصوتية " عند الكسائى ، وثانيها عن " المادة الصرفية " وثالثها عن " المادة النحوية " .

وبعد ، فان صعوباتٍ كثيرةً — ولا ريب — قد واجهت هذا البحث ، لعل أهمها أن التاريخ لم يحفظ لنا شيئا من مؤلفات الكسائى ، مما ذكرته لنا كتب اللغة ، ما خلا رسالةً لا تقدم لنا شيئا ذا بال ، فضلا عن تشكك بعض الباحثين فى نسبة هذه الرسالة للكسائى ، ولذلك كان علينا أن نتتبع آراءه فى كتب اللغة والنحو .

يضاف الى ذلك أن بعض المصادر تذكر آراء الكوفيين عامة ، سواء كانت خاصة بالكسائى أو بغيره ، فهى منسوبة اليهم جميعا . ثم إنّ بعضها الآخر قد يستغرق وقتا طويلا فى القراءة ، ثم لا أكاد أحصل منها بعد ذلك على رأى واحد للكسائى ، وكنت أظنها مَعِينا يُمِدّ ، مما ترتب عليه أنّ تضخم عدد المصادر والمراجع الى حد ما . ثم انهيت هذا البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التى خلصت لنا .

على أية حال ، لم تكن هذه الصعوبات لتثنينى عن العزم — إنْ شاء الله — لانى أومن أن مثلَ هذه الصعوبات ينبغى أن تواجه ، لأننا بصدد حقائق علمية ، وقد يكون ما قدّمته حقيقةً ، لكنه مع ذلك ليس فصلَ الخطاب ينتهى بعده كُلّ كلام عن الكسائى ، بل سيظل الدرس اللغوى عند الكسائىّ مجالا للدرس اللغوى عامةً ، لأننى أحسب أنّ الكسائى كان من الواجب أن يتناوله باحثان فى أولِ الأمر ، يبحث عنه قارئا ، والاخر باعتباره نحويا ، ولا ضيرَ بعد ذلك أنْ نتناوله قارئا نحويا ، فحسب هذا البحث أن يكون بَنانا يُومِئ إلى أهمية الكسائى فى مجال الدراسة العربية ، ولعل طاقةَ البشير أبلغُ من عجز المحيط .

والحمد لله أولاً وآخرا . وصلى اللهُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

الباب الاول

الكسائي ومصره

الفصل الاول : فترته الزمنية سياسيا وعقليا

الفصل الثاني : النحو العربي حتى الكسائي

الفصل الأول

فترة الزمنية سياسيا وعقليا

نحن في هذا الفصل نحدد فترة زمنية محددة ، هي تلك التي عاشها الكسائي منذ ولادته إلى أن توفي . وربما كان تحديدنا لهذه الفترة الضيقة راجعا إلى أننا نريد أن نعرف بوضوح أهم ما أحاط ببيئة الكسائي سياسيا وعقليا ، وذلك لما للبيئة من أثر في تكوين الفكر والرأي والمذهب ، فضلا عن معرفة الروافد المؤثرة التي تعين على فهم الشخصية ومنهجها العلمي .

ونبدأ بالتركيز على العناصر التالية :

١ـ اسمه وأصله ونشأته : هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم . وهو من أولاد الفرس من سواد العراق (١) ، من أهل باحمشا (٢) ، وكان يكنى أبا الحسن . ولم تقدم لنا كتب التراجم - فيما اطلعنا عليه - شيئا عن والده .. متى عاش ؟ ما صناعته ؟ وما مكانته وقيمتها ؟ لم نقف على شيء من ذلك ، فربما كان في معرفته معرفة رافد من روافد التأثير عنده . والنشأة الباكرة للكسائي لا نعلم عنها شيئا أيضا ، إلا أنه هب يقرأ القرآن على حمزة في حداثته ، وكان يختلف اليه (٣) وكانت هذه النشأة بالكوفة ، والكوفة يومئذ مشغولة بقراءة القرآن ، ورواية الحديث والأشعار ، فجعل قراءة القرآن صناعة له في بداية حياته .

وإذا كانت المصادر لم تقدم لنا شيئا عن والده وأسرته ، فإنها تشير إلى عراقة الأصل الذي انحدر منه الكسائي بطريقه غير مباشرة . فبعض المصادر يدلنا على أن الكسائي كان سليل أسرة عريقة في الملك والملم ، إذ يذكر أن هناك صلة قربى بينه وبين أردشير بن بابك من ملوك الفرس ، حيث يلتقي الكسائي والملك

---

(١) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر برجستراسر مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٣٢ م ، ١/ ٥٣٥ .
وانظر أيضا ترجمته في : أ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، مطبعة دار الرجاء ١٣٤٦ هـ ٢/ ٣ . ب ـ ابن النديم : الفهرست ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ص ٤٤ .
جـ ـ السيوطي : بغية الوعاة الطبعة الاولى ١٣٢٦ هـ ، الخانجي بمصر ص ٣٣٦ .
(٢) القفطي : انباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد ابوالفضل أبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م ـ ٢/ ٢٥٦ .
(٣) الازهري : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، مراجعة محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ـ ١/ ١٦ .

أرد شير عند "بهمن" الملك أبى دارا الأكبر . فأردَ شيرُ بنُ بابك مِنْ ولدِ بهمن (١) ، والكسائىّ من ولد بهمن أيضا .

ونحنُ بعد ذلك نعرفُ أن الكسائىَّ نشأ يقرأُ القرآنَ ، ما أُثِرَ عنه أنَ خالط سوقةَ الناسِ ، أنِفَ من كلمةٍ واحدةٍ أخطأ فيها فذهب يتعلّمُ ليصونَ لسانَه ، كما أُثِرَ عنه حبُّه قُربَ الخلفاءِ والأمراءِ ، وكأنّه يعرفُ أنَ قربَهم ليعودَ عليه ، ولا بغريبٍ . وفى رواياتِ التاريخِ أنَ أردشيرَ يقرّبُ الحكماءَ والفضلاءَ ، وينطقُ بالحكمةِ ، ويُحبُّ العدلَ وينشرُ الدِّينَ (٢) . ونحن إذ نذكر ذلك إنّما محاولةً لمعرفةِ الأصلِ الذى أنحدر منه الكسائىُّ ، وقد رأينا فى معرفةِ هذا الأصلِ ما ينمُّ عن أنَ نشأةَ الكسائىَّ ربّما يعود منها شىءٌ إلى هذا الأصلِ التليدِ ، فيه من التديُّنِ وحبِّ العلمِ ما كان ميراثاً للكسائى بعد ذلك .

وبالنسبة لتسميته بالكسائىّ ، ذكر السمعانى أنَ "الكِسائىَّ بكسرِ الكافِ وفتحِ السينِ المهملةِ وفى آخرها الياءُ آخرُ الحروفِ . هذه النسبة لجماعةٍ من المشاهيرِ ببيعِ الكسا ، أو نسجه ، أو الإشتمالِ بلبسه" (٣) ولم يكن الكسائىُّ يبيعُ الكسا أو ينسجُه ، وإنّما قيل له الكسائىّ ، لأنه دخل الكوفةَ ، وجاءَ إلى مسجدِ "السُّبَيْعِ" وكانَ حمزةُ بن حبيبٍ الزيات يقرئُ فيه ، فتقدم الكسائىّ مع آذانِ الفجرِ فجلس وهو ملتفٌّ بكساءٍ من البردِ كانَ أسودَ . فلمّا صلّى حمزةُ قال : من تقدّمَ فى الوقتِ يقرأ ؟ قيلَ له الكسائىّ أولَ من تقدّمَ ، يصونون صاحبَ الكساء (٤) . والرواياتُ بعد ذلك مختلفةٌ فى سببِ تسميته بالكسائىّ (٥) .

وفاته : يُروى أنَ الكسائىَّ — رحمه الله — مات صحبةَ الرشيد بالرَّىِّ بقريةٍ رنبويه متوجّهين إلى خراسان ، ومات معه بالمكان المذكور محمد بن الحسن القاضى صاحبُ أبى حنيفةَ ، فقال الرشيدُ : دفنّا الفقه والنحوَ بالرَّىِّ (٦) . وكانت وفاتُه على الترجح سنه تسعٍ وثمانينَ ومائه (٧) . وجاء فى غاية النهاية : "قال الحافظ أبو العلاء الهمذانى :

---

(١) ابن نهاته المصرى : سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربى ، مطبعة المدنى بالقاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٧٢ .
(٢) السابق ص ٧٣ .
(٣) السمعانى : الانساب ، نشر د . س مرجليوث ، طبعة مكتبة المثنى بالاوفست ١٩٧٠ ، ص٤٨٢ أ .
(٤) ياقوت : معجم الادباء ، الطبعة الاخيرة ، مطبعة دار المأمون ١٣/ ١٦٧ .
(٥) انظر مثلا غاية النهاية ١/ ٥٣٩ .
(٦) غاية النهاية : ١/ ٥٤٠ .
(٧) السابق والصفحة .

وبلغني أنّ الكسائيّ عاش سبعين سنة ، ورثاه أبو محمد اليزيدي مع محمد بن الحسن[1] . وعلى ذلك تكون الفترة الزمنية للكسائي ممتدة من سنة (١١٩ هـ - ١٨٩ هـ) .

٢ - فترة الزمنية وتنقسم الى :

أ - فترة عاشها من سنه (١١٩ - ١٣٢هـ) في ظل الدولة الأموية .

ب - فترة عاشها من سنة (١٣٢ - ١٨٩ هـ) في ظل الدولة العباسية .

ولعل هذا التقسيم يلفت إلى أنّ الكسائيّ نشأ حياته الأولى في ظلّ دولة عربية ، من الممكن أنّ لها مناخاً علمياً خاصاً ، يختلف عن المناخ العلميّ الدولة العربية العباسية بمناصرها الجديدة ، لذلك كانت دراسة هذه الفترة مفيدة لتتبين جوانب التأثير عند الكسائيّ وإنْ كانت حياته في ظلّ الدولة العباسية هي مصدر ثقافته ونموه ، ونتناولها من جانبين :

أ - أهم ما فيها سياسيا .

ب - الحركة العقلية فيها .

أ - وكانت المدة التي عاشها الكسائيّ في ظلّ الدولة الأموية بعد أمن عهد هشام بن عبد الملك المتوفى (١٢٥ هـ)[2] الذي قام بالأمر بعده الوليد ابن يزيد بن عبد الملك ، فكانت خلافته سنة واحدة وشهرين[3] ، ثم ابنه يزيد المعروف بالناقص المتوفى في نفس السنه التي قتل فيها أبوه (١٢٦هـ)[4] ولما آل الأمر لأخيه إبراهيم بن الوليد لم يمكث بالخلافة الا شهورا وخلع نفسه ليتولى بعده مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية[5] .

ونلاحظ الاضطراب في حياة بني أمية الأخيرة من قتل وخلع للخلفاء ، فضلا عن أنّ مدة خلافتهم كانت قصيرة ، ما خلا هشاما فقد ظل تسع عشر سنة[6] على أنّ هشاما لم يكن يسير سيرة حسنة بين الناس ، فقد كان "فظا غليظا ، يجمع الأموال ، ويحقر الأرض ، ويستجيد الخيل ..."[7] وكان ما يأتي به

---

(١) السابق والصفحة ، وانظر في هذا ايضا معجم الادباء ١٣/١٦٧ .

(٢) ابو العباس احمد القلقشندي : صبح الاعشى ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٨م ، ٣/٢٥٣ .

(٣) السابق والصفحة .

(٤) صبح الاعشى : ٣/٢٥٣ .

(٥) السابق ص ٢٥٤ .

(٦) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الرجاء للطبع والنشر بمصر ٣/١٣٩ .

(٧) السابق والصفحة .

هشام من أعمالٍ لم يُوَفَّ بها في جاهلية ولا إسلام ، حتى إن الشعراء بدأوا يذكرون ما اجتمع له من خيل وغيرها (١) . وكان استشهاد زيد بن علي بن الحسين بن علي غدراً به ، وقد نكّل به تنكيلا . ، فهو الذي بعث الوليد يوسف بن عمر الثقفي أن يصلبه عريانا ، فصلبه يوسف . وفي ذلك يقول بعض الشعراء الأمويين يخاطب آل أبي طالب :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ ... وَلَمْ أَرَ مَهْدِيًّا عَلَى الجِذْعِ يُصْلَبُ

ثم أمر هشام بإحراقه (٢) .

ولعل الكوفة في هذا الوقت كانت تميل ميلا شديدا لأهل البيت ، فكان هشام يخشى عليها من زيد ، إذ كان شديد البيان ، وكان الشيعة بالكوفة قد اجتمعوا إليه (٣) ، فكان قتله على يد يوسف الثقفي بأمر من هشام . وكان على الشيعة بعد ذلك أن يثوروا ثورة عظيمة ، فتمثل ذلك في أمرين :

١ — ظهور أمر الشيعة ، وكثرة من يأتيهم ويميلون معهم ، وخاصة في خراسان .

٢ — ظهور البدّاء بعد ، فهو خبر مقتل زيد (٤) .

وعلى ذلك اضطربت خراسان اضطرابا لكثرة من بها من الدعاة المناهضين لظلم بني أمية ، فلعل ذلك كان بدءا للنهاية التي يُعجل بها بعد ذلك الوليد بن يزيد ، حيث كان " صاحب ملاه " وقيان وإظهار للقتل والجور ، وتهاون في أمور الناس ، يشرب ويجون ... " (٥) . وكان من الأحداث الخطيرة التي واجهته ظهور يحيى بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . " بالجوزجان من بلاد خراسان " (٦) والذي قتل في عهد الوليد ، ونكّل به — أيضا — حتى إن الوليد كتب الى يوسف بن عمر " : خذ عجيل أهل العراق فأنزله من جزعه — يعني زيدا — وأحرقه بالنار ثم انسفه بالريح نسفا " (٧) حتى يُصلب يحيى ، غير أن صلب يحيى كان " بالجوزجان " وقد اجتمعت في الوليد خصال وأمور كانت سببا في قتله ؛ فقد كان مُعِنًّا للغناء والطرب متخذا للندماء بعد ما وصف له الشراب ، قوله الشعر في الشراب ، تمزيقه المصحف ورميه بالنشاب ، قال المسعودي : " فعمد بالمصحف فنصبه غرضا للنشاب " (٨) ، كما أنه

---

(١) السابق والصفحة .
(٢) السابق والصفحة .
(٣) أنظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٣٥٨ هـ ٣/٦٦ .
(٤) السابق ص ٦٦—٦٧ .
(٥) السابق ٣/٧٣ .
(٦) مروج الذهب : ٣/١٤٥ .
(٧) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ادارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٥٧ هـ ٤/٢٦٠ .
(٨) مروج الذهب ٣/١٤٦ .

أنكر نزول الوحي فهو لم يأته عن ربه "(١) .

ويتولى يزيد الخلافة ، ويخطب في الناس ذاماً الوليد ، مبيناً سبب قتله ، واعداً الناس بالسير سيرة حسنة(٢) . غير أن ابن الأثير يذكر أن السنة التي ولي فيها يزيد الأمر ، اضطرب فيها " أمر بني أمية وهاجت الفتنة ، فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتل الوليد بحمص ، وكان قد حبسه الوليد بها فخرج من الحبس وأخذ ما كان بها من الأموال وأقبل إلى دمشق وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر "(٣) وكان من مظاهر هذه الفتنة وهذا الاضطراب :

١ـ مطالبة أهل حمص بدم الوليد (٤) .

٢ـ اجتماع أهل فلسطين والأردن على قتال يزيد (٥) .

٣ـ ظهور شيعة بني العباس بخراسان (٦) .

وكان يزيد " يذهب إلى قول المعتزلة ومايذهبون إليه في الأصول الخمسة "(٧) حتى قيل إنه قتل الوليد بتدبير مع المعتزلة . وبايع يزيد لأخيه إبراهيم ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، يقول ابن الأثير : ولم تزل القدرية بيزيد حتى أمر بالبيعة لهما (٨) .

وهنا نلاحظ أن الفرق الدينية تدخل ميدان السياسة حيث عملنا الوليد يقتل بتدبير من يزيد والمعتزلة ، والقدرية يأخذون البيعة لإبراهيم وعبد العزيز ، وفي سنة (١٢٧ هـ) دخل مروان بن محمد دمشق لمحاربة إبراهيم بن الوليد ، فقتله وصلبه وبويع لمروان بالخلافة في دمشق (٩) . وفي هذه السنة ظهر عبد الله بن معاوية بن جعفر ابن أبي طالب بالكوفة ودعا إلى نفسه (١٠) . وتشتد دعوة الكرماني بخراسان ، وتدوم الحرب بينه وبين نصر بن سيار ويظهر الكرماني على نصر (١١) . إلا أنه يقتل بعد ذلك ، ويغلب أبو مسلم الخراساني على عسكره ويظهر أمره بدعوته لبني هاشم (١٢) . وكان من الفقهاء في أيام مروان : محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عمرو بن دينار ،

---

(١) السابق والصفحة
(٢) انظر الكامل لابن الاثير : ٤/ ٢٦٩ .
(٣) السابق ص ٢٧٠ .
(٤) السابق والصفحة .
(٥) السابق ص ٢٧١ .
(٦) الكامل لابن الاثير : ٤/ ٢٧٧ .
(٧) مروج الذهب : ٣/ ١٥٢ .
(٨) الكامل لابن الاثير : ٤/ ٢٧٧ .
(٩) السابق ٤/ ٢٨٣ .
(١٠) السابق ٢٨٤ .
(١١) تاريخ اليعقوبي : ٣/ ٧٨ .
(١٢) انظر السابق ص ٧٩ .

صالح بن كيسان، عبد الله بن أبي نجيح ، قيس بن سعد ، وغيرهم كثير ، في عهده ، وفي عهد الخلفاء الأمويين من قبله . غير أن هؤلاء الفقهاء — على ما يبدو — لم تكن لهم حظوة عند خلفاء بني أمية فهم يكتفون بالسخط من بعيد ، فليس لهم رأي ، لأنهم بعيدون عن الأمور . ولما كانت سنة (١٣٢ هـ) قتل مروان بن محمد ، وبويع لأبي العباس بالكوفة ، فأخذ يمضي بالولاة إلى الأقاليم ، فوجه " عمه عيسى بن علي على فارس . ووجه أخاه أبا جعفر واليا على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ، ووجه أخاه يحيى بن محمد ابن علي واليا على الموصل ، وعزل عمه داود بن علي عن الكوفة وسوادها ، وولى موضعه عيسى بن موسى (١) . وتوفي العباس سنة (١٣٦ هـ) وبويع لأخيه أبي جعفر المنصور بالخلافة (١٣٦ هـ حتى سنه ١٥٨ هـ) .

وكانت ولاية المنصور بدءا لتأسيس الدولة العباسية بحق — خاصة عند ما ابتنى مدينة بغداد ليبتعد بحاضرة دولته عن الكوفة مركز العلويين من قديم . ومن أهم الأحداث في خلافة المنصور :

١ — خروج الراوندية ، وهم قوم " من أهل خراسان ، يقولون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور " (٢) فلما أرسل المنصور إلى رؤسائهم ، فحبس منهم من حبس غضب أصحابهم وكادوا يقتلون المنصور (٣) .

٢ — غزا المنصور طبرستان لنقضها العهد ، وقتل من كان بها من المسلمين (٤) .

٣ — غزا الديلم لما اتصل به إيقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة عظيمة (٥) .

٤ — اضطراب أمر خراسان لموت أبي مسلم الخراساني ، وخاصة " الخرمية " ، وهم " القائلون بأبي مسلم وإمامته " (٦) .

٥ — بناء بغداد ، ثم نقله الخزائن والدواوين وبيوت الأموال إليها في سنة ست وأربعين ومائة " (٧) .

---

(١) الطبري : تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ م ، ٧/ ٤٥٨ .

(٢) السابق ٧/ ٥٠٥ .
(٣) انظر السابق والصفحة .
(٤) السابق ص ٥١٢ .
(٥) السابق ص ٥١٥ .
(٦) مروج الذهب ٣/ ٢٢٠ .
(٧) الجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الأولى ، مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٣٨ م ص ١٠٠ .

وكان المنصور قد بدأ يهتم بالكتاب ، فقد كان يؤدب الأحداث منهم . وبدأت ظاهرة تأديب أولاد الخلفاء والأمراء تكون من سمات خلفاء بني العباس ، حتى بدأت صلة العلماء والأدباء تقوى بهم .

ويتولى المهدي الخلافة (١٥٨ هـ) وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (١) . وعلى مايبدو أن مدة خلافته كان فيها شيء من الاستقرار ، كما بدأت مظاهر التأنق في كل شيء ، حتى إن المهدي حج سنه ١٦٠ هـ " فجرد الكعبة وكساها القباطي والخز والديباج .. " (٢) . وكان من أهم الأحداث في عهده :

١ـ ابتناؤه القصر المعروف بالحدث سنه ١٦٢ هـ " وكان فيه دفع المدة وتسديد .. " (٣) .

٢ـ اضطراب خراسان ، وخروج رجل يسمى يوسف البرم من موالي ثقيف بخارى يدعو إلى الأمر بالمعروف ، فضرب المهدي عنقه ، حيث تبعه خلق من الناس (٤) .

٣ـ وجه المهدي رسلا إلى الملوك يدعوهم إلى الطاعة ، فدخل أكثرهم في طاعته .

٤ـ قتاله الزنادقة ، حتى قتل منهم الكثير .

ويتولى الهادي الخلافة سنه بعد أبيه ، ثم يتولى الرشيد الخلافة (١٧٠هـ ـ ١٩٣ هـ) ولعل خلافة الرشيد كانت من أزهى فترات الدولة العباسية ، فقد كان " من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم ... وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ... وكان يحب الشعر والشعراء ، ويميل إلى أهل الأدب والفقه " (٥) .

وكان من الأحداث في عهده :

١ـ هياج العصبية بالشام بين اليمنية والمضرية ، والتي أطفأ نارها جعفر بن يحيى البرمكي (٦)

٢ـ الثورة الخرمية بأذربيجان ، وقضى عليهم عبدالله بن مالك (٧) .

٣ـ إذعان امبراطور بزنطة أمام تهديد الرشيد ، وتعهده بأداء الجزية (٨) .

وغير ذلك من الأحداث التي لم تؤثر على استقرار الدولة ، ولا على تقدم النهضة العلمية التي أزكى روحها الخلفاء العباسيون عامة .

وبعد ، فكيف كانت الحركة العقلية في حياة الكسائي ؟

---

(١) مروج الذهب : ٣/٢٣٣ .
(٢) تاريخ اليعقوبي : ٣/١٢٨ .
(٣) السابق ص ١٢٨ .
(٤) أنظر السابق : ٣ : ١٣٠ .
(٥) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، المطبعة الرحمانية بالقاهرة ، ص ١٤٣ .
(٦) الوزراء والملوك ص ٢٠٨ .
(٧) تاريخ الطبري : ٦/٥٢٤ .
(٨) السابق ص ٥٠٩ .

ب - الحركة العقلية فيهـــا :

الفترة التي عاشها الكسائيّ فترة خطيرة في حياة العالم الإسلامي على وجه الخصوص ذلك أنها عالم نشأت في دقائق متقاربة ، وفي ظل مناخ يجمعها ، فأخذت تتطور في داخلها وتؤثر وتتأثر ببعضها .

والآن علينا أن نعرض لهذه العلوم باختصار ، لنعرف كيف استقى الكسائيّ العلم في هذه الفترة .

أولا : القراءات القرآنيـــة :

لعل القراءات القرآنية من أقدم العلوم الاسلامية نشأة ، فقد كانت القراءة لكتاب الله العزيز أول شيء يُعنى به المسلمون . وكانت عنايتهم تتمثل في أصل القـــراءة التي وضعها لهم الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة التلقي والعرض ، ثم استمرت على هذا المنهج الموثق .

ونشأ الكسائيّ في الكوفة ، وكانت الكوفة تتميز بقراءة القرآن ، أو لعلنا نقول إنّ النزعة الدينية كانت سمة الكوفيين التي ربما ترجع إلى ميلهم لأهل البيت ، حتى إننا رأينا من قبل أنّ بعض أهل البيت الناهضين لبني أمية ، أو بني العباس كان يتخذ الكوفة مركزا له ، فضلا عن أنّ الكوفة لم تكن مركزا للفرق الدينية كما كانت البصرة مثلا . من هنا نقول : إنّ الكوفة ربما كانت أكثر اتصالا بالنص القرآني ، وإن كان هذا لا ينفي وجود القراء في الأمصار الأخرى . على أي حال نشأ الكسائيّ وشيوخ في القراءة من حوله .

فكان حمزة (ت ١٥٦ هـ) شيخ القراءة في الكوفة يُقرئ الناس فيها ، فاختلف اليه الكسائيّ - منذ النشأة - يقرأ عليه القرآن . وكان بالكوفة بعد حمزة عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ) .

وكان من القراء في البصرة عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) ، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ، ويعقوب بن اسحق الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) .

وفي المدينة كان نافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩ هـ) .

ولا شك أنه سمع بعد ذلك عن عبد الله بن كثير ، لأنه توفي بعد مولد الكسائـــيّ بسنة واحدة ، فقد توفي ابن كثير (١٢٠ هـ) وسمع كذلك عن ابن عامر المتوفـــى (١١٨ هـ) قبل مولد الكسائيّ بسنة .

ونحن نورد اسماء هؤلاء المشاهير من القراء ، لنبين أنّ الكسائيّ نشأ لا يصرف من حوله إلا هذا الجوّ المملوء بشيوخ القراءة والإقراء ، الذين وضعوا لهم منهجا موثقا ،

لأنهم يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت الأئمة في القراءة كثيرين - آنذاك - ولهم أتباع وتلاميذ ، فكان من الضروري أن يحدث خلاف ، إذ لم يكن الناس قد تواضعوا على معرفة الأئمة الذين تصح أسانيد رواتهم عن الرسول .

وقد يكون اختلاف الكسائي إلى حمزة في نشأته مما وثق قراءته فيما بعد ، لأن حمزة كان قريب عهد ممن رووا عن صحابة رسول الله ، فقد قرأ على الأعمش ، على يحيى بن وثاب ، على زر بن حبيش ، على عثمان وعلى وابن مسعود .

وكان استحضار المهدي للكسائي مما يدل على أنه كان صاحب قراءة مضبوطة ، فقد روي أن المهدي طلب في شهر رمضان قارئا يقرأ القرآن في دار أمير المؤمنين في التراويح ، فذكر له الكسائي (١) . فلما استحضره أعجب به فأقعده مؤدبا لابنيه . ولعلنا لم نعرف خليفة اتصل به الكسائي قبل المهدي ، فكان اتصاله به بدءا لحياته في تصورهم .

ودراسة مشاهير القراء وغيرهم تلفت إلى " قلة القراء العرب وكثرة الموالي ولا سيما الذين كانوا من أصل فارسي ، فليس في هؤلاء السبعة من العرب إلا ابن عامر وأبو عمرو (٢) مما يفسر لنا زيوع القراءة حتى هذا الوقت ، إذ الداخلون في الإسلام من غير العرب أنشأوا يقبلون على كل ما يتصل بالنص القرآني ، فكانت القراءات القرآنية أقدم علم ، وأول شيء يتصل بهذا النص ، فكان أول شيء يقابلهم قراءة القرآن التي كان المسجد من مدارسها ، أو هو مدرستها .

ثانيا : التفسير :

ولعل التفسير أقرب ما يكون إلى القراءات القرآنية ، إذ أحسن التفاسير هو التفسير بالمأثور ، حتى لا يقال في القرآن برأي .

ولم يكن التفسير قد دون في عصر الصحابة والتابعين ، بل كان مبدأ تدوينه في عصر التدوين الذي كان " في أواخر عهد بني أمية ، وأول عهد العباسيين " (٣) .

ولم يكن التفسير في هذا الوقت إلا بابا من أبواب الحديث ، حيث إن العلماء كانوا يطوفون بالأمصار طلبا للحديث ، فيجمعون بجوار ذلك ما روي من تفسير منسوب إلى

---

(١) تهذيب اللغة : ١٦/١ .
(٢) الدكتور صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٥ م ، دار العلم بيروت ، ص ٢٤٩ .
(٣) محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ١٩٦١ م ١٤٠/١ .

النبي صلى الله عليه وسلم ،أو إلى الصحابة ،أو إلى التابعين (١).

من هنا تشأبة التفسيرُ والقراءاتُ ، لأنهُ مُعتمِدٌ على الرواية والنقل ،وربما تمثل ذلك في الطبقة التي تحدّث عنها السيوطي في الإتقان ،إذ كانت تفاسيرهم " تجمع أقوال الصحابة والتابعين " (٢).

وقد عد منهم :

١ــ سفيانَ بنَ عُيَيْنَة (ت ١٩٨ هـ) (٣).

٢ــ وكيعَ بنَ الجراح (ت ١٩٧ هـ) (٤).

٣ــ شُعبةَ بنَ الحَجّاج (ت ١٦٠ هـ).

٤ــ اسحقَ بنَ راهويه (ت ٢٣٨ هـ) (٥)

فهو يقول عن تفاسير هؤلاء : " وكلُّها مسندةٌ إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم ،وليس فيها غيرُ ذلك" (٦).

يقول الزركشي في البرهان : " وقد أكثرَ الناسُ فيه ــ أي التفسير ــ من الموضوعات، مابين مُختصرٍ ومبسوطٍ ،وكلُّهم يقتصر على الفنّ الذي يغلب عليه ،فالزجّاج والواحدي في " البسيط" يغلب عليهما الغريبُ ،والثعلبي يغلبُ عليه القصصُ ، والزمخشري علمُ البيانِ ، والإمامُ فخرُ الدينِ علمُ الكلام وما ضمناه من العلوم العقلية" (٧).

ولعلّ هذه العبارة تلخص انا تدرّجَ التفسير في سِنيّ حياته ،فكان التفسير بالمأثور مثلاً مستندا إلى فَهم التراكيبِ اللغوية وكيف تُؤدّي ، فضلاً عن أنه كان خالياً من الصّبغة العقلية ،كما هو الحال في بعض التفاسير المتأخرة التي ربما اتصل اصحابها بالمنطق الأرسطي .

---

(١) السابق ص ١٤١.

(٢) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ،الطبعة الثانية ،١٩٣٥ م ،مطبعة المعاهد بمصر ١٩٠/٢. (٣) الفهرست ص ٣١٦.

(٤) السابق ص ٣١٧.

(٥) الأصبهاني : روضات الجنان ، مكتبة اسماعيليان ، طهران ٤/٢.

(٦) الاتقان : ١٩٠/٢.

(٧) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٧ م ، دار احياء الكتب العربية ، البابي الحلبي بالقاهرة ، ١٣/١.

ففي هذه الفترة التي نتحدث عنها ، كان أصحاب التفاسير مازالوا يعتمدون على الرواية والنقل ، وربما دخلت الإسرائيليات إلى تفسير القرآن عن طريق الرواية والنقل لوجود المسلمين من اليهود والنصارى .

شيء آخر مهم ، ذلك أن الدولة العباسية منذ بدأ حياتها صبغها الخلفاء بصبغة دينية ، فأخذ العلماء يتلقون عن أسلافهم من حديث وتفسير وغيرهما لهم النظر فيه ، فأصل ذلك مما جعل التفسير يستقل عن غيره من العلوم عند ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) فيما بعد.

ثالثا : الحديث :

وتدوين الحديث أيضا مظهر من مظاهر الفترة التي نتحدث عنها ، إذ بدأ العلماء ينتشرون في الأمصار " وكثر الأتباع من الخوارج ومنكري الأقدار " (١) فكان على العلماء أن يجمعوا أحاديث رسول الله قبل أن تتركها الأهواء ، وكان شأن الحديث في هذا شأن بقية العلوم المتصلة بالنص القرآني خاصة .

ويرى السيوطي أن أول من جمع الحديث " الربيع بن صبيح ، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما ، فكانوا يصنفون كل باب على حدة " (٢) ، وكان الربيع قد توفي " ١٦٠ هـ " ، وتوفي سعيد (١٥٦ هـ) ويبدو أن الربيع وسعيدا وغيرهما لم يكونوا الطبقة الأولى التي جمعت الحديث فعلا ، يدلنا على ذلك ما قاله ابن حجر ، يقول بعد ذكره " الربيع بن صبيح " و" سعيد بن أبي عروبة " مباشرة : " .. إلى أن تام كبار أهل الطبقة الثالثة ، فدونوا الأحكام ... " (٣).

فلعل " الربيع " و " سعيدا " ممن يكونون المرحلة الثانية في جمع الحديث ، إذ ربما تتمثل المرحلة الأولى في :

١- ابن جريج بمكة (ت ١٥٠ هـ) .

٢- محمد بن اسحق بالمدينة (ت ١٥١ هـ).

وهذا الترجيح يرجع إلى أن وفاة ابن جريج ومحمد بن اسحق كانت متقدمة على غيرهما ممن حاولوا جمع الحديث وعلى هذا فالمرحلة الثانية يمثلها :

---

(١) السيوطي : تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك وهو كتاب مناقب الإمام مالك للزواوي ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية ، ١٣٢٥ هـ ص ٤٢.

(٢) السابق والصفحة.

(٣) ابن حجر العسقلاني : هدى الساري ، مقدمة فتح الباري ، ادارة الطباعة المنيرية بمصر ، ١٣٤٧ هـ ١ / ٤ .

١- الربيع بن صبيح .
٢- سعيد بن أبي عروبة ، وغيرهما .

أمّا الثالثة فيبدو أنهم (دوّنوا الأحكام) (١) .

١- فالإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) صنّف الموطأ ، وتوخّى فيه القوي من حديث أهل الحجاز وخرّجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم (٢) .
٢- وصنف الأوزاعي (ت ١٥٦ هـ) بالشام .
٣- وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) بالكوفة .
٤- وحماد بن سلمه (ت ١٧٦ هـ) بالبصرة .
٥- وابن المبارك (ت ٢٨١ هـ) بخراسان .
٦- والليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) بمصر .

وقد كان موطأ الإمام مالك يمثّل مرحلة هامة في تدوين الحديث ، إذ ظلّ مالك " يجمع السنّة ، وينتقي الرواية ، ويفتّش عن الآثار ، ويدخلها مع التحرّي والورع ، ثم دوّن ذلك في كتابة الموطأ " (٣) . يدلنا على ذلك أن الإمام مالك رضي الله عنه وضع موطأه " وفيه أربعة آلاف حديث أو أكثر ، وهي ألف حديث وفيف ، يخلّصها عاما فعاما بتدبّر ما يرى أنه أصلح المسلمين ، وأمثل في الدين " (٤) . وأصل تشجيع الخلفاء كان وراء ذلك ، فقد قيل إن مالكا ألف موطأه بطلب أبي جعفر المنصور ليجمع الناس عليه ، ويبدو أن استجابة مالك للمنصور كان نوعا من الإعجاب والتقدير لما وجده فيه من حبّ للعلم والعلماء ، يدلنا على ذلك قول مالك : " ثم فاتحني - يعني المنصور - فيمن مضى من السلف والعلماء ، فوجدته أعلم الناس بالناس ، ثم فاتحني في العلم والفقه فوجدته أعلم الناس بما اجتمعوا عليه ، وأعرفهم بما اختلفوا فيه " (٥) .

ونحن بعد ذلك لا نستطيع أن نحكم على كلّ ما صُنّف في الحديث في هذه الفترة ، إذ لم يصل الينا سوى موطأ مالك ، ومن ثمّ فاننا نجترىء على القول بأن مالكا كان صاحب مذهب شديد التحرّي في النقل والافتاء ، لأنه كان يؤثر الحديث على ما سواه باعتبار نشأته في مدينة رسول الله ، يدلنا على هذا قوله : " ما من شيء أشدّ عليّ من أن أسأل عن

---

(١) تزيين الممالك ص ٤٢ . (٢) السابق والصفحة .
(٣) مالك بن أنس : موطأ مالك ، رواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، الباب الحلبي بمصر ، ١٩٦٢ م ، ١/ ٢ من " مقدمة الموطأ " . نقلا عن مقدمة فتح الباري .
(٤) تزيين الممالك : ٤٢-٤٣ .
(٥) نقلا عن : مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية بمصر ، ١٩٤٠ م ٢/ ١١٥ .

مسألة من الحلال والحرام ،لأنَّ هذا هو القطع في حكم الله ،ولقد أدركتُ أهلَ الملْـــم ببلدنا ،وأنَّ أحدهم اذا سُئل عن المسألة كأنَّما الموتُ أشرفَ عليه " (١).

وكان يقابل أهلَ الحجاز عامة أصحابُ الرأي بالعراق على رأسهم أبوحنيفة النعمان الذي لم يكنْ يعتدُّ بالحديث ،إذ ربَّما يرجع شيء من ذلك إلى صحابة رسول الله ممن نزلوا العراقَ وكانوا أصحابَ رأي كعلي رضي الله عنه ،وعبدالله بن مسعود ، حيث قد نـــزلا الكوفة من قبل ،وكانا أهلاً للفتيا ،ولهذا كان أبو حنيفة يقول : " علمُنا هذا رأيٌ ، وهـــو أحسنُ ماقدرْنا عليه ، فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى ،ولنا ما رأينا " (٢).

رابعا : النحـــو :

الذي يلفت النظر ـ ونحن نتحدَّث عن النحو ـ أنَّ النحاةَ كانوا من قرَّاء القرآن الكريم ، مما يدلُّ على وجود صلة بين القراءة والنحو ،بل اصله وجدت صلةٌ بين العلوم التي اشتركتْ في النشأة ،وهي :

١ـ التفسـير	٢ـ النحـــو
٣ـ البلاغـــة	٤ـ الفقـــه
٥ـ أصول الفقـه	٦ـ علم الكـلام .

والذي يهمنا هنا وجه الصلة بين النحو والقراءات ،لأن القراءات القرآنية أمـــدَّت النحوَ بصفة النقل والرواية في نشأته الأولى ، كما أمدت التفسير بهذه الصفة أيضا ،وظلت هذه الصفةُ حتى هذه الفترة . وكانت المادةُ النحوية قبلَ الفترة التي نتحدَّث عنها تتمثـــل في ملاحظات القراء النحويين للتراكيب اللغوية ، فكانوا يُخطِّئونها أو يُصوِّبونها على أساس ما ورد في النص القرآنيِّ نفسه ،ولعلَّ ذلك كان أيام أبي الأسود . ولكن ما نصل إلـــى السنة التي وُلدَ فيها الكسائيُّ (١١٩ هـ) حتى نَصِل عبدالله بنَ أبي اسحقَ (ت١١٧هـ) كان قارئاً للقرآن الكريم ،وكان صاحبَ قياسٍ في النحو، يتتبع سقطاتِ الشعراء بقياسها على النص القرآني .

ثم نرى بعد ذلك عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ) تلميذَ ابنِ أبي اسحقَ يُتابـــع ابنَ أبي اسحقَ ، فضلاً عن أنَّه من القراء أيضا .

وكان ممن اشتهر بالنحو أيضا " يُونس بن حبيب " (ت ١٨٢هـ) أخذَ يتوسَّع فـــي مذهب القياس حتى أصبحَ له منهـــجٌ خاص.

---

(١) السيوطي : تنوير الحوالك ،شرح على موطأ مالك ،البابي الحلبي بمصر ٣/ ١٦٧ .
(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ،تخريج محمد فتح العبدران ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،مطبعة مخيمر ، ص ١٨٨ .

وأهمّ من هذا " أبو عمرو بن العلاء " " ت ١٥٤ هـ " وهو من القرّاء السبعة ، ولكنه كان شديد الاعتناء بالسّماع عن العرب . ويتقدم الزمن حتى نصلَ إلى الخليل بن أحمد " ت ١٧٥ هـ " الذى أظهر التعليل فى النّحو ، وتلمذ له سيبويه والكسائىّ .

ولعلّى أقولُ بعد هذا إنّ النحو فى هذه الفترات التى أشرنا اليها سريعا كان يتأثّر بما حوله ، فالعلوم التى شاركته النشأة أخذت ترفده ببعض الصفات ، ثم إن الخلفاء فى أثناء هذه الفترة يُشجّعون العلماءَ عامةً ويجالسونهم ، ويُناظرون بينهم . وعلى الجملة لعلّ الكلام عامة قد ضبغ بصبغة عقلية لوجود الممتزلة خاصةً فى الفترة التى نشأت فيها هذه العلوم التى أشرنا اليها .

على أية حال لا نطيل الحديث عن النحو فلعلّنا نفصّل بعض التفصيل فى الحديث عن مراحل النّشأة فى الفصل التالى .

خامسا : حركة الترجمة :

لعل ما يُميز الفترةَ التى نتحدث عنها هو الاتصالُ بالثقافات الأجنبية ، وأقصد بهذه الفترة المدةَ التى عاشها الكسائىّ فى ظل الدولة العبّاسية ، إذ كانت حياةُ الكسائىّ الأولى فى ظل دولة بنى أمية ، لا تُمثّل لنا شيئا يعتدّ به فى مجال الاتصال المباشر بثقافات أجنبية ، إلّا ما كان من الداخلين فى الإسلام ، وكان المنصرُ العربىّ ما زال غالبا ، وفى ذلك تذكر الروايات أنّ " ماسرجويه " متطبّب البصرة " هو الذى نقل كتاب " أهرن بن أعين " من السريانى الى العربى ... وجده عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى خزائن الكتب ، فأمر باخراجه ، ووضعه فى مصلّاة ، واستخارَ الله فى إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به "(١) وغير ذلك مما لم يُغيّر وجه الثقافة عموما .

ولقد كان لاتصال بنى العباس بالفرس أثره على تكوين ثقافة جديدة ، فنحن نعرف أنّ خراسان كانت مركزا للدعاة العبّاسيين بادئ الأمر ، وكانت " مَرْوُ " بخراسان تهتمّ اهتماما كبيرا بالعلوم اليونانية ، فضلا عن أنّ البرامكة - عَضُدُ العبّاسيين - كان لهم اهتمام بهذه العلوم أيضا ، وهم من أسرة عريقة ثرية " آمنوا بالديانة المزدكية قبل الفتح الإسلامى بعهد غير طويل .. وعند الفتح الاسلامىّ اعتنقوا الاسلام "(٢)

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، الطبعة الأولى بالمطبعة الوهبية ١٢٩٩ هـ ١/ ١٦٣

(٢) الدكتور لاسى أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ترجمة د . وهيب كامل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٢ ص ٢٠٦-٢٠٧

وكانت مدرسةُ " جُنْدَيْسَابور " القريبةُ من بَغْداد آخذةً فى ترجمة المُصَنَّفاتِ اليونانيةِ التى كان يعرفُها السُّرْيانيون فى " جُنْديسابور " إلى العربيةِ ، فضلاً عمّا يترجمونه مِنْ لغتهم إلى العربيـة .

نحن إذَنْ أمامَ مركزَيْنِ علميـين :

١ — مـرو بخراسـان ٢ — مدرسـة جنديسابـور

فمرو أخذت ترِدُ الثقافة العربيةَ بعلوم اليونان عن طريق البرامكة ، فكان الرشيـدُ " تَحْتَ تأثير نفوذ وزيره البرمكى ، يُوالى العلماءَ الذين يدرسون كتبَ العلوم اليونانيـة ويترجمونها مساعداتٍ سخيةً . وقد أنفذ الرسلَ إلى إمبراطورية الروم ليشتروا المخطوطاتِ اليونانيةَ "(١) ، كما ترجم عبدُ اللّه بنُ المقفع (ت ١٣٩ هـ) الفارسى كليلةَ ودمنـة عن الفارسية ، وكان قد دَخَل خدمة عيسى بن على عَمّ الخليفة الأول والثانى من خلفـاء بنى العباس ، ثم اعتنقَ الإسلامَ .

ولعلّ الخليفة أبا جعفر المنصور يمثل لنا أولَ اتّصال بمدرسة " جنديسابـور " حين استقدمَ الطبيبَ النَّسْطُورى وهو جُورْجِيس بن جُبْرائيل " ت ١٥٢ هـ " رئيس هـذه المدرسة ، فقد كان أولَ من ابتدأ فى نقلِ الكُتُبِ الطبيةِ إلى اللّسان العربى (٢) .

وكان بعده مُوسَى بن إسرائيل الكوفى " ت ٢٢٢ هـ " مُتَطَبِّب إبراهيم بن المهدى، كان قليلَ العلم بالطب إذا قيس إلى مَنْ هُو فى دَهْره من مشايخ المتطببين ، إلا أنـه كان فصيحَ اللهجة ، ومعرفة بالنجوم ، وعلم بأيام الناس ، ورواية الأشعار (٣) .

وكان المنجمون والتنجيمُ قد حَظِيَا بعناية الخُلفاءِ ، وخاصةً المنصورَ ، فقد " قـرَّب المنجمين ، وعمل بأحكام النجوم ، وكان معه نُوبَخْتُ المجوسى المنجمُ وأسْلَم على يديـه ، وابراهيم الفزارى المنجم ، وعلى بن عيسى الاسطرلابى المنجم "(٤) .

وفى أيام المهدى انتشرت كتبُ مَانِى ، وابْنِ دِيصَان ، وَمَرْقِيُون مما نقله عبد اللـه ابن المقفع ، لذلك كثُر الملحِدُون فى عهده بسبب انْتِشَار هذه الكتب التى ترجمت مـن الفارسية والفهلوية إلى العربية ، كما صَنَّف ابن أبى العَرْجَاء ، وحَمَّادُ عَجْرَد ، ويَحْيَى ابن زياد ، ومطيع بن اياس فى المذاهب المانية ، فكثُر بذلك الزنادقةُ ، وبدأت آراؤهم تظهر فى الناس ، فكان المهدىُّ أولَ من أمَرَ الجد ليبيّن من المتكلمين بتصنيف الكتب علـى الملحديـن (٥) .

---

(١) علوم اليونان وسبل انتقالها ، ص ٢٠٧ .
(٢) عيون الأنباء ١/ ١٢٣ ، ٢٠٣
(٣) السابق ص : ١٦١
(٤) مروج الذهب ٤/ ٢٤١
(٥) أنظر السابق ص : ٢٤٢

ونشطت الترجمة في عهد الرشيد كذلك بانشاء دار الحكمة وتوظيف المترجمين بها ، وجلب الكتب إليها من بلاد الروم . وفي هذه الفترة نسمع عن الخليل بن أحمد يجتمع مع ابن المقفع ، ويسأل الخليل " كيف رأيت ابن المقفع قال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلا عقله أكبر من علمه "(١) .

ويروى المسعودي أيضا عن المنصور " هو أول خليفة تُرجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية منها كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب السندهند ، وترجمت له كتب أرسطاطاليس .. وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس ، وكتاب الأرثماطيقي (٢) .

وربما يعنينا في حركة الترجمة كلها خبر اجتماع الخليل بابن المقفع ، وترجمة كتب أرسطاطاليس ، وذلك من ناحيتين : الأولى : أن الخليل بن أحمد كان أستاذ الكسائي ، أو هو من أساتذته الكبار . الثانية : ترجمة كتب أرسطاطاليس في هذا الوقت الذي نتحدث عنه ، وهو وقت بدأت تتكون فيه أوائل الدراسات النحوية ، أو المنهج النحوي .

وترجع أهمية هاتين الناحيتين الى أن اجتماع الخليل بابن المقفع لم يترك لنا أثرا فيما بعد — يدل على ثقافة الخليل غير العربية ، وخاصة أن ترجمة كتب أرسطاطاليس مرتبطة باسم " ابن المقفع " . ثم إن آراء الخليل التي نقلها سيبويه لم يكن فيها مايشير إلى تأثر مباشر بالمنطق الأرسطي ، وان كان المنطق نفسه موجودا في الجو " البيئي " إن صح التعبير .

وبعد ذلك لا ينبغي أن نهمل الإشارة إلى تشكك الدكتور عبد الرحمن بدوي في نسبة ترجمة كتاب أرسطو " قاطيغوريا س وبارى أرميناس " لعبد الله بن المقفع الأديب المشهور ، حيث يرى أن هذه النسبة اقترنت بـ " ابن المقفع " لا " عبد الله بن المقفع " . ومن هنا " كان علينا أن نفترض أننا بازاء شخصين مختلفين ، ولعلهما قريبان ، سمّي كل منهما بهذا الاسم الغريب " المقفع " كما سُمّي أسلافه "(٣) .

---

(١) سرح العيون : ص ٢٦٩

(٢) مروج الذهب : ٤/ ٢٤١

(٣) الدكتور عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٦ ، ص : ١٠٥

ولكن الدكتور عبد الرحمن بدوى يُرجّحُ أنّ روايات التاريخ التى تَعْزُو ترجمة كتاب أرسطو لابن المقفع الأديب المشار إليه ، " تتعلق فى الواقع بابْنِه مُحمد لا به هُو (١) هذا فضلا عن أن الروايات تكاد تؤكّدُ أنّ ما اتصل بأعمال أرسطو " إنّما هو تلخيص موجز لشرح لها " (٢) وليس ترجمةَ ، ومن ثَمّ فقد يكون هذا التلخيصُ هو الذى قام به محمد بن عبد الله بن المقفع ، وهو الذى يَكُون قد قام بَخدْمَةِ المنصور (ت ١٥٨ هـ)

وبعد هذا ، فإن ذلك لا ينفى خبرَ اللقاء بين الخليل وابنِ المقفع ، وربما تكون مناقشاتٌ ما جرتْ بينهما ، لعل الحديثَ عن المنْطِقِ كان من بينها ، خاصة وقد أشرْنَا إلى وجود المنطق فى " الجمل " . وعلى أية حال ونحن نستعرضُ لحركة الترجمة السريعة هنا ، لم نَرَ كُتباً لغوية قد ترجمت ، إلا ما كان من أمر " كليلة ودمنة " ، وهذا شىء يجب أن يُؤْخذَ فى الاعتبار لأننا بصدد وقت تتكون فيه لبِنَةُ العلوم ، ومن ثَمّ فهى معرضة للتأثير فى وقتٍ قويتْ فيه الحركةُ العقليةُ والترجميةُ ، فضلا عن أننا نتناول شخصية كان لها دورٌ فى تأسيس مذهبٍ نحوىّ ، أو لُغَوى ، وكان لها أساتذة ربّما تعاصر بعضهم فى هذه الفترة التى تكوّن فيها النّحْوُ العربىُّ .

٣ ـ الكسائى مؤسس مدرسة :

كانت طرائقُ حصول الكسائى على العلم تُعِدُّه لأن يكونَ مؤسسَ مدرسةٍ حقّاً ، وقبل أنْ نُشير الى هذه الطرائق يحسُن بنا أنْ نُشيرَ إلى شيُوخِه ، ثم نُشير إلى طرائقِ حصوله على العلم ، ثم تلاميذه وأهميتهم ، ثم نَعْرِضُ لآثاره

أ ـ شيوخه وأهميتهم :

أولا : شيوخه فى القراءة : ١ـ يعتبر حمزة الزيات " ت ١٥٦ هـ " أكبر شيوخ الكسائى فى القراءة ، وذلك أنه عرض عليه أربع مرات (٣) ، وكانت مادة قراءته واعتماده فى اختياره عن حمزة (٤) .

وربما ترجع أهمية حمزة ـ أستاذا للكسائى ـ الى أنه كان حديث عهد بالصحابة ، فقد ولد سنة ثمانين للهجرة ، فهو مدرك لهم سنا ، ويحتمل أن يكون رأى بعضهم ، وبذلك تقترب روايته من عبد الله به مسعود الذى قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد قرأ الكسائى على الأعمش ، وابن أبى ليلى القاضى .

---

(١) السابق ص : ١٠٧

(٢) السابق والصفحة ، وأنظر أيضا الدكتور على سامى النشار : مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ، دار المعارف ١٩٦٥ ، مطبعة المصرى بالاسكندرية ص ٥ ـ ٦

(٣) غاية النهاية ١/ ٥٣٥

(٤) أبو عمرو الدانى : التيسير فى القراءات السبع ، مطبعة الدولة باستانبول ١٩٣٠ ص : ١٠

وأخذَ الأعمشُ عن يَحْيى بنِ وثاب عن زرِّ بنِ حُبَيْش ، عن ابنِ مسعودٍ رضى الله عنه (١) .
وكان حمزة بَصيرًا بالفرائض ، عارفاً بالعربية والحديث ، ولذلك قال له الإمامُ أبو حنيفة : " شيئان غَلَبْتَنا عليهما لَسْنا نُنازِعُك فيهما : القرآنُ ، والفرائضُ (٢) . وقال سُفْيانُ الثورى : " غلب حمزةُ الناسَ على القرآنِ والفرائضِ ، وقال أيضا عنه : ما قَرأ حمزةُ حرفا من كتابِ الله إلاّ بأثَرٍ " (٣) .

وهنا نلاحظ مبلغ الدقة فى الروايةِ التى أخذَ بها فى قراءته ، فهو لَمْ يقرأْ حرفـًا إلا بأثر " ، وقد قلنا إنه كان حديثَ عَهْدٍ بصحابةِ الرسول ، يعنى ما زالت الروايـة تبلغ مرتبة من الوَثاقَةِ والدِّقَّةِ ، فضلاً عن أنه أُثِر عنه علمُه بالعربية مما كان له أثرٌ ولا شك على تلاميذه ، وكان الكسائى أجلّهم .

٢ـ <u>محمد بن أبى ليلى</u> " ت ١٤٨ هـ "

قال حمزة : تعلمنا جودة القراءةِ عند ابن أبى لَيْلَى (٤) . وقال القاضى أبو يوسف : ما وَلِىَ القضاءَ أحدٌ أفقهُ فى دينِ اللهِ ، ولا أقرأُ لكتاب اللهِ ، ولا أَقْوَلُ حقًا بالله ، ولا أغَضُّ عنْ الأموالِ من ابن أبى ليلى (٥) . وقال المِجْلىُّ : كان فقيهًا صاحب سُنَّةٍ ، صَدُوقًا ، جائزَ الحديثِ ، قارئًا للقرآن عالمًا به (٦) .

وربما ترجعُ أهميةُ ابن أبى لَيْلَى إلى أنّه أخذَ القراءةَ عن أخيه عيسى بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى، وكان عيسى هذا قد عرضَ القرآنَ على أبيه عن علىّ كرم اللهُ وجْهَه (٧) . وكذلك عرض ابنُ أبى لَيْلَى على الأعمشِ ، وكان الأعمشُ قد أخذَ القراءةَ عَرْضًا عن عاصم ابن أبى النَّجُود وزرِّ بن حُبَيْش (٨) ، وعرضَ زرُّ بنُ حبيش على عبد اللهِ بن مسعودٍ ، وعثمانَ بنِ عفان ، وعلىّ بن أبى طالب (٩) ومن هنا نجد ابنَ أبى ليلى يقترب عهدًا من صحابة رسولِ الله ، وتوثقت قراءتُه مما يجعلُه أستاذًا فى قراءة القرآن .

---

(١) السابق ص : ٩
(٢) غاية النهاية : ١/ ٢٦٣
(٣) السابق : ١/ ٢٦٣
(٤) السابق : ٢/ ١٦٥
(٥) السابق والصفحة
(٦) السابق والصفحة
(٧) السابق ١/ ٦٠٩
(٨) السابق ١/ ٣١٥
(٩) السابق ص : ٢٩٤

٣- عيسى بن عمر الهمداني " ت ١٥٦ هـ "

وهو مُقرئ الكوفة بَعْدَ حمزة ، عرضَ على عاصم بن أبي النَّجود ، والأعمش ، وذكر أنه قرأ على أبي عمرو ، قال سفيان الثوري : أدركتُ الكوفة وما بها أحدٌ أقرأ من عيسى الهمداني (١) .

وقد روى الكسائيُّ الحروفَ عن :

١ - أبي بكر بن عياش " ت ١٩٣ هـ " : راوي القراءة عن عاصم ، وعرض عليه ثلاثَ مرّاتٍ ، وكان إماماً كبيراً عالماً ، وكانَ يقول أنا نِصْفُ الإسلام ، وكانَ من أئمة السُّنَّة ، لذلك رمى بالكُفْرِ مَنْ يقولُ بخَلْقِ القرآن (٢) . لما حضرته الوفاةُ بَكَتْ أخته ، فقال لها ما يُبْكيكِ ، أنظُري إلى تِلْكَ الزاوية فقد ختمتُ فيها ثَمانِ عشْرَة ألف خَتْمَةٍ (٣) فلعل قراءة القرآن كانتْ صَناعتَه الوحيدة التي يُتْقِنُها ويبرع فيها ، فضلاً عن أنه عَرَضَ على عاصم أحد القراء السبعة .

٢ - إسماعيلُ بن جعفر " ت ١٨٠ هـ " على أرجَحِ الأقوال . وهو جليلٌ ثقةٌ أيضاً في القراءة ، وربما كانت أهميَّتُه -باعتباره أستاذاً- راجعةً إلى أنه قرأ على نافع (٤)

٣ - المُفضَّلُ بن مُحَمد الضبي (" ت ١٦٨ هـ " إمامٌ مقرئٌ نَحْوِي إخباري مُوثَّقٌ ، أخذَ القراءة عَرْضاً عن عاصم بن أبي النَّجود والأعمش . وربما ترجع أهمية الضبيِّ للكسائي - أستاذاً - إلى عاملين :

أ - كَوْنُ قراءته ترجعُ إلى عاصم مباشرةً .

ب - أنَّ الضبيَّ كان نَحْوِيا لُغَوِيا إخبارِيًا ، ومعنى ذلك أن الكسائيَّ لم يأخذْ عنه القراءةَ فقط ، بل ربما أخذَ عنه النَّحْوَ واللغةَ ، وخاصةً أن المفضلَ " قَدِمَ بغداد في أيام هارون الرشيد " (٥) فربما قرَّبه إليه ، كما فعل مع الكسائي .

وعلى أية حال نحن نرجح أن الكسائيَّ ربَّما لم يتأثرْ بالضبيِّ في النحو لسببين :

الأول : أن الكسائي لم ينشأ إلاَّ قارئًا ، ولم يكن في مهدأ حياته ما يدلُّ على أنَّه عكفَ على شيء إلا القرآن .

الثاني : أنَّ الكسائيَّ لم يتعلم النحوَ إلا في سنٍّ متقدمةٍ ، وقد روى الفراءُ نفسُه سببَ تعلمه النحو (٦) وهو في هذه السن ، نُضيف الى هذا أنَّ الكسائيَّ توجه إلى البصرة عندما أرادَ أن يتعلَّم النحْو .

---

(١) السابق : ١/٦١٢ - ٦١٣ (٢) السابق ص : ٣٢٦
(٣) السابق ص : ٣٢٧ (٤) السابق ص : ١٦٣
(٥) انباه الرواه ١٩٥٥ ، ٣/٢٩٨ (٦) أنظر السابق ٢/٢٥٧

ومع ذلك فنحن لا نستبعدُ أنْ يكونَ الكسائيُّ قد أخذ بمبدأ الرِّوايةِ في الاعتمادِ على آرائه النحويةِ فيما بعد ، وفيما رُوى عن العربِ من ألفاظ كثيرةٍ ، فلعل أَخْذَه بهذا المبدأ كان فيه شيء يعودُ الى المفضل .

٤ - زائدة بن قدامة " ت ١٦١ هـ "

عرضَ القراءة على الأعمش ، كان ثقةً ، كبيرًا ، حجةً صاحبَ مسند (١) لم تروِ لنا المصادرُ عنه أكثرَ من هذا ، لتحكم على مدى أهميته ، إلا أنَّ قراءته على الأعمش - على أي حال - توثق قراءته ، وتجعله حُجَّةً .

٥ - محمد بن الحسن بن أبي سارة أبو جَعْفَر الرُّوَاسِي الكوفي النحوي

روى الحروف عن أبي عمرو ، وله اختيارٌ في القراءة يُرْوى عنه ، واختيارٌ في الوقف (٢) . والرواسيُّ هذا يُنْسَبُ إليه كتابٌ في النَّحْوِ ، ويقال إنَّ كتابه أولُ كتاب في النحو الكوفي ، بل في النحو عامة . يدل لنا على ذلك ما نُسب إلى الرواسي أنَّه قالَ : "بَعَثَ إليَّ الخليلُ بطلب كتابي ، فبعثتُ به إليه ، فقرأه ووضع كتابَه ، قال : وفي كتاب سيبويه قال الكوفيُّ ، يعني الرواسي ... زعم لعلَّ أنَّ أولَ من وضعَ من النحويين الكوفيين في النحو كتابًا الرواسيُّ ، وتوفي وله من الكتب كتابُ الفَيْصَل (٣) .

ويبدو أن تأثيرَ الرواسيِّ على الكسائي لم يكنْ شيئًا مذكورا ، هذا فيما يتعلق بالنحو ، إذْ لو كان للرواسيِّ علمٌ بالنحو يُمتَدُّ به للزمه حتى يَحْذِقَ عنه ، كما فعل مع علماءِ البصرة . وليس معنى ذلك أننا نُنكر النحوَ على الرواسي ، بل لعل الكسائيَّ نفسَه عرف منه شيئا ما عن النحو ، يدلُنا على ذلك أنَّ الفراءَ - عندما ذهب الكسائيُ إلى بغداد بعد خروجه من الكوفة - وَفَدَ عليه في بغداد ، وأخذَ يسأله عن مسائلَ من مسائل الرواسيِّ ، قال الفراء : " فأجابني بخلافِ ما عندي ، ففمزْتُ قومًا من علماء الكوفيين كانوا معي ، فقال : مالك قد أنكرتَ لعلَّك من أهلِ الكوفة (٤) وكأن الكسائي قد صرف نظرَه عمَّا عرفه من الرواسي ، إنْ كان قد وَعَى عنه شيئا . وحتى لا يكون لنا عود إلى القراءة ، نرى أن نتبع شيوخه في القراءة بتلاميذه فيها .

---

(١) غاية النهاية : ٢٨٨/١
(٢) السابق ١١٦/٢
(٣) الفهرست ص : ٩٦
(٤) السابق والصفحة

تلاميذه في القراءة :

أهمّ تلاميذ الكسائيّ في القراءة ما رَوَوْا عنه ، فكان من أنهمهم راوياه المشهوران : أبو عمر الدّوري ، وأبو الحارث ، وسنُرجئ الحديث عنهما إلى الباب الثاني إن شاء الله ، حيث يكون حديثنا عن قراءات الكسائي ورُواته وطرقه ، أمّا هُنا فنتحدث عن غيرهما :

يبلغ عدد تلاميذ الكسائي (٦٣) قارئا وهذا العدد بين مُكثر ومُقِلّ . فعدد المكثرين عنه (٤٢) قارئا ، وعدد المقلين عنه (٢١) قارئا (١) . ونشير الى أسماء أهمهم :

١ — أبو عُبيد القاسمُ بنُ سلام " ت ٢٢٤ هـ " (٢)

٢ — إبراهيمُ بنُ زازان (٣)

٣ — ميمونُ بنُ حَفْص " أبو تَوْبَة النحْوي (٤)

٤ — نُصَيرُ بن يوسف بن أبي نصر " ت ٢٤٠ هـ " (٥)

٥ — إبراهيمُ بنُ الحريش أبو اسحق (٦)

٦ — سَوْرَةُ بن المُبَارك الخراساني (٧)

٧ — أحمد بنُ أبي ذُهَل أبو ذُهَل الكوفي (٨)

ثانيا : شيوخه في اللغة والنحو :

١ — الخَليلُ بنُ أحمد " ت ١٧٥ هـ " لعل الخليلَ من أبرز أساتذة الكسائيّ ، لأنّ الكسائي أخذَ يتمثّلُ طرائقه في حُصوله على العلم ، مما يدلّ على إعجابه بعلمه . والحقُ أن كتاب سيبويه يعرض لنا مادة نَحْوية يرجعُ الكثيرُ منها الى الخليل ، حيث يتمثّل ذلك فيما ينقُله سيبويه عن أستاذه . وربما ترجع أهميةُ الخليل — أستاذاً للكسائيّ إلى أنّه كان صاحبَ مذهب في القياس والتعليل ، وبخاصة ظاهرةَ التعليل التي هي من مَعاقد الدّرسِ النحْوي ، إلا أنّ الكسائيّ قد اتسعتْ دائرةُ القياس عنده ، فانتظمت الفصيحَ وكثيراً من الشاذ . ولعلّ ما يَعْنينا هنا كيفية اتّصال الكسائيّ بالخليل وأخذه عنه . فتذكر الرواياتُ أنّ الكسائيّ بدأ يتّصل بالخليل عندما ذهب إلى البصرة يسألُ عَمَّنْ يعلّم النحو فأُرْشِد إلى الخليل ، وبدأ يحضر حلقته ومجالسَه . ويبدو أن الكسائيّ أُعجب بالخليل فأخذَ يسألُه عن طرائق علمه ، فأمره أنْ يذهبَ إلى بوادي العرب التي أخذَ عنها ، ثم بدأ الكسائيّ رحلاته إلى تلك الهوادي ، وعاد إلى البصرة مرةً ثانيةً فوجد الخليلَ قد تُوفي ، ويونسُ يجلس مكانه ، ودارت بين يُونُس والكسائيّ مناقشاتٌ ، فأقر يونسُ الكسائيّ على علمه فصدره في مجلسه وحلقته .

---

(١) أنظر غاية النهاية ١/ ٥٣٦ — ٥٣٧
(٢) السابق ٢/ ١٧ — ١٨
(٣) السابق ١/ ١٤ ، ولم تذكر سنة وفاته
(٤) السابق ٢/ ٣٢٥ ، ولم تذكر سنة الوفاه
(٥) السابق ٢/ ٣٤٠ — ٣٤١
(٦) السابق ١/ ١٠ ، ولم تذكر سنة الوفاة
(٧) السابق ١/ ٣٢١ ، ولم تذكر سنة الوفاه
(٨) السابق ص : ٥٣

٢ - يُونُسُ بنُ حَبِيبٍ " ت ١٨٢ هـ "

يونسُ بنُ حبيبٍ صاحبُ مذهبٍ كبيرٍ في النحو يمثله لنا توسُّعه في القياس الذي ينقله لنا سيبويه في الكتاب ، فيقول عند كلامه عن التصغير : " وجَميعُ ما ذكرتُ لكَ في هذا البابِ وما أذْكرُ لكَ في البابِ الذي يليه قولُ يُونُسَ " (١) . ولعل تأثُّرَ الكسائيِّ بيونسَ يتضح لنا في توسُّعِهما في القياس ، إذْ كانا لا يَهْتمان بالآثار المنقولةِ عن العربِ التي عَوَّلَ عليها المذهبُ البَصْري قدر اهتمامِهما بالقياس ، فهو عندهما مُقدَّمٌ على الأثر المنقول إذا اختلفَ القياسُ والنقلُ ، وإنْ كان النقل من النماذج العاليةِ . وقد اتصلَ الكسائيُّ بيونسَ بعد وفاةِ الخليل على ما ذكرنا ، وكان ذلك بعد أن حضرَ الكسائيُّ كثيرًا من مجالسِ يونسَ ، وبدأ يتمثَّلُ منهجَ القياسِ عنده ، حتى قال عنه يُونُسُ : " أشْهدُ أنَّ الذين رأسُوا رأسُوكَ باستحقاق (٢) " .

ومما يدل على تأثر الكسائيِّ بيونسَ في القياسِ ما كان من الكسائيِّ عندما سألَ يونسَ عن سببِ نصب " حتى " الفعلَ المستقبلَ ، فأجابه يونسُ : هذا حالها من يوم خُلقت (٣) . وقد قال الكسائي عن " أيٌّ " : هكذا خُلِقَتْ .

٣ - أبو عمرو بن العلاء " ت ١٥٤ هـ "

تشير بعض المصادر إلى أنَّ الكسائيَّ تَلْمَذَ لأبي عمرو ، ولكننا لا نعرفُ منها كيف اتصلَ الكسائيُّ بأبي عمرو . على أنَّ أهميةَ أبي عمر باعتباره أستاذًا للكسائيِّ ترجعُ إلى أنَّه كان صاحبَ مذهبٍ يقوم على السماع ، إذْ كانَ من القُرَّاء للقرآن الكريم ، بل كان من السبعة ، مما جعله يتشدَّدُ في القياسِ ، فهو يملك النصَّ الذي يجب أن يقاسَ عليه .

ونحن نعرف بعد ذلك أن أبا عمر لم يكن نَحْويًا بالمعنى الذي فَهِمْناه عند الخليل ويونسَ ، لذلك لم نَرَ سيبويه ينقل عنه إلَّا اليسيرَ ، فضلاً عن أنَّ الكسائيَّ لم يعتمد في آرائه النحوية على أبي عمرو ، ولكنَّ الشيءَ الذي ربَّما تأثرَ به الكسائيُّ في أخذه عن أبي عمر هو الاعتناءُ بالسَّماع ، غير أنَّ الكسائي توسَّع في الأخذ به ، وأقامَ عليه آراءَه النحوية بَعْضَها .

---

(١) سيبويه : الكتاب ، طبعة بولاق مصر ، ١٣١٧ هـ ٢/ ١٠٩

(٢) إنباه الرواة : ٢/ ٢٦٥ (٣) السابق . ص ٢٦٩

هذه نُبْذَةٌ يسيرةٌ عن شيوخ الكسائيّ ، علّها تُوقِفُنا على روافِدِ التأثير عنده ، وتبين لنا مذاهبَ الاتجاهاتِ النحويةِ التى أحاطتْ به وهو يستعِدُّ لتأسيس مذهبِهِ فى النحو ، وسوف نرى مذاهب هذه الاتجاهات بالتفصيل فى الفصل التالى .

تلاميذه فى النحو واللغة :

١ — الفراء " ت ٢٠٧ هـ "

يُعدّ الفراءُ من أهمّ تلاميذ الكسائى ، بل من أهمّ الشخصياتِ المؤثّرة فى النحو العربى ، وذلك أنّه أخذَ علمه عن بَعْضِ شيوخ البصرةِ ، وعن الكسائيّ ، فضلا عن تميزِهِ بشخصية نَحْوِية خاصةٍ ، ورأيٍ مستقلٍ . ولعلّ يونسَ البصرىَ أولُ الشيوخ البصريين للفراء ، إذْ تأثّرَ به الفراء فى اتجاهه الفكرى المتحرر ، فقد رأينا يُونسًا وقد نقل عنه سيبويه كثيرًا من الآراء التى تَفَرّد بها ، كما اتصل الفراء بالأخْفَشِ الأوْسَط حاملِ كتابِ سيبويه ، ثم أخذ هو يعكِفُ على دراسة هذا الكتاب حتى مات وهو تَحْتَ رأسِهِ . على أنّ تأثّرَ الفراءِ بالكسائيّ كان واضحًا فيما ينقل عنه من آراء فأحيانا نراه يتفقُ معه ، وحينا يعارِضُه ويبين مَذْهبه الخاصّ ، وسنرى ذلك عندما نتحدث عن الآراء النحوية للكِسَائىّ .

والحق بعد ذلك أن الفَرّاءَ فى مذهبه النحوى كان بصريًا كوفيا ، فهو بَصْرِى ، لأنه من المتكلمين ، له مَنْحَى فلسفى فى مُصَنّفاتِه يتمثل فى تعليله لبعضِ الظواهِرِ النّحْوية ، التى رُبّما تستغلق على الأذهانِ أحيانا . ثم هو كوفىٌّ ، لأنّ منهجه كان فيه اقْتِدَاءٌ بمنهج القُراء والمُحَدِّثين ، ايثارًا للنقل والرواية ، كما كان يفعل أستاذه الكسائى .

وعلينا الآن أن نتعرف على الفراء من خلال ماكتب ، ثم نعرف — على وجه التخصيص — مدى تأثره بالكسائى .

أولا : استقلاله وشخصيته النحوية :

فى قوله تعالى : " ولَوْ أنّ قُرآناً سُيّرت به الجِبَالُ أوْ قُطّعتْ به الأرض " (الرعد ٣١) يقول الفراء : فلم يوءت له بجواب والله أعلم . وقد يفسره بعض النحويين بمعنى أن جوابه : "وَهُمْ لا يكفُرون ولو أنّ قرآنا " والأول أشبه بالصواب . ومثله : " وَلَوْ تَرَى إذ المُجْرِمُونَ "(١) " ولو ترى الذين ظَلَمُوا " (الأنعام ٩٣) وقوله فى الزمر : " أمّنْ هُو قَانِتٌ آنَاءَ اللّيل سَاجِدًا وقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ ويَرْجُو رَحْمَةَ رَبّه " (٩) ولم يوءت له بجواب(٢)

(١) (السجدة ١٢)

(٢) الفراء : معانى القرآن ، تحقيق ومراجعة محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ١/ ٧

فنلاحظ هنا الفراءَ وقد بيّن وجْهةَ نظره ، بينما يذكرُ وجهةَ نظرِ النحْويين التى تُخالف رأيه ، ثم يرى رأيه بعد ذلك أقربَ إلى الصواب .

والفراءُ — فى استقلاله — ينْهجُ نَهْجَ قُدامى النُّحاةِ فى اتجاهاتهم النحوية فأنْت تراه مثلاً يذهب إلى التعليل فى تفسيره لقوله: " مَثَلُ الفريقَيْن كالأعْمى والأصَم والبصير والسّميع هَلْ يَستَويان مَثَلا " (هود ٢٤) فيقول الفراءُ : ولم يقلْ : هل يستوون ، وذلك أنّ الأعْمى والأصمّ من صفة واحدة والبصيرَ والسميعَ من صفة واحدة كقول القائل : مررت بالعاقل واللّبيب وهو يعنى واحدًا (١) . ثم بعد ذلك يُوردُ أبياتا من شعر العرب يستدل بها على هذا ، فيذكر قول الشاعر (٢) :

وَما أدْرى إذا يَمّمت وَجهـا ... أريد الخَيْرَ أيُّهما يَليـنى
أالخَير الّذى أنا أبْتَغيـه ... أم الشّرّ الّذى لا يَأتَليـنى

قال : أيهما . وإنّما ذكر الخيرَ وحده ، لأن المعنى يُعْرف : أنّ المبتغى للخَيْرِ مُتّقٍ للشرِ . وكذلك قولُ الله جلّ ذكره : " سَرابيلَ تَقيكُم الحَرّ وسَرابيلَ تَقيكُم بَأسَكُم " (النحل ٨١) أى وتقى البردَ ، وهو كذلك وإنْ لَمْ يُذكر (٣) .

وكذلك عند كلامه عن قوله تعالى : " سَآوى إلَى جَبَلٍ يَعصِمُنى مِنَ المَاءِ . قَال لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِن أمْرِ اللّه " (هود ٤٣) يقول الفراء : فمَنْ فى موضع نصبٍ ، لأنّ المعصومَ خلافٌ للعاصم والمرحومَ معصومٌ ، فكأنّه نصبه بمنزله قوله " مالَهم بهِ من عِلْمٍ إلا اتباعُ الظن (٤)

وفى قوله تعالى : " سِنِينَ عَدَدا " (الكهف ١١) يقول الفراءُ : العددُ هنا فى معنى مَعْدودٍ ، والله أعلم . فاذا كان ما قبْلَ العددِ مُسَمّى مثلُ المائةِ والألْفِ والعشرة والخمسة كان فى العددِ وجهان : أحدُهما : أن تنصبَه على المصدر فتقول : لكَ عندى عشرةُ عددا . أخرجتَ العدد من العشرة ، لأنّ فى العشرةِ مَعْنَى عَدَدتُ ، كأنّك قلتَ : أحْصيتُ وعُدّتْ عدّدًا وعدّا . وإن شئت رفعت العدد ، تريد : لك عشرةٌ معدودةٌ ، فالعدد ههنا مع السنين بمنزلة قوله : " وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دراهِمَ معدودَة " (يوسف ٢٠) لأن

---

(١) معانى القرآن : ٢/٧
(٢) السابق والصفحة
(٣) السابق ص : ٨
(٤) السابق ص : ١٥

الدراهم ليست بمسنّاة بمعدد • وكذلك ما كان يُكالُ ويُوزنُ تُخرِّجهُ اذا جاء بعد أسمائه على الوجهين ، فنقول لك عندى عشرةُ أرطالٍ وزنًا ووزنٍ وكيلاً وكيلٍ على ذلك (١)• وهذه أمثلة يسيرة على تميز شخصية الفراء النحوية ، إذ كتابة معانى القرآن — خاصة — مملوءة بمثل هذه الأمثلة •

ثانيا : تأثره بالبصريين :

لا تخلو آراءُ الفَرّاءِ من الذهاب الى التّقدير والتّأويل ، استجابةً لثقافته البصرية • من ذلك كلامه عن قوله تعالى : " كَبُرَتْ كلمةً تَخْرُجُ من أفْواهِهِمْ " (الكهف ٥) يقول الفراء : نصبها أصحابُ عبدِ الله ، ورفعَها الحسنُ وبعضُ أهلِ المدينة • فمن نصبَ أضمر فى " كَبُرَتْ " : كبرت تلك الكلمةُ كلمةً • ومن رفعَ لم يُضْمِرْ شيئًا ، كما تقول : عظم قولُك وكبرُ كلامُك (٢)• وعن قوله تعالى : " وَنُرَى فرعونُ وهامان وجنُودَهُما " (القصص ٦) يقول الفراء : هكذا قراءةُ أصحابِ عبدِ الله بالياء والرفع • والناس بعد يقرؤونها بالنون : " ونرى فرعونَ وهامان وجنودَهما " بالنصب • ولو قُرئت بالياء ونصب فرعون ، يريد : ويرى اللهُ فرعونَ كان الفعلُ لله ، ولم أسمعْ أحدًا قَرأ به • فهو هنا يفترض قراءةً مُعَيَّنة — وإن لم يقرأ بها أحد — مما يدلُّ على النزْعَةِ المقْلِيَّة عنده • على أنَّ الفراء يقف من بعض القراءات موقفًا يُشابه موقفَ البصريينَ منها • ففى قوله تعالى : بالغَداةِ والعَشِىِّ (الكهف ٢٨) يقول الفراء : قرأ أبو عبد الرحمن السلمى (٣) " بالغُدْوَةِ والعَشِىِّ " ولا أعلمُ أحدًا قرأ غيره • والعرب لا تدخل الألف واللام فى الغدوة ، لأنها مُعَرَّفةٌ بغير ألف ولام سمعت أبا الجراح يقول : ما رأيت كغُدْوة قطّ ، يعنى غَدَاة يومه • وذاك أنها كانت بارِدَةً ، ألا ترى أنَّ العربَ لا تُضيفها فكذلك لا تُدْخلُها الألفَ واللامَ (٤) •

وكذلك عدمُ اعتنائه بالشاذِ ، وذلك يتمثل فى كلمتين هما : مُكْرَم ، ومعُون على وزن " مُفْعَل " حيث يرد و أنه يؤيد الكسائى فى أنهما لا يقاس عليهما لندرتهما (٥)

ثالثا : تأثره بالكسائى :

يستشهد الفراء على اضافة النكرة إلى المعرفة بما سمعه الكسائىُّ • يقول : وسمع الكسائىُّ أعرابيًا يقول بعد الفِطر : رُبَّ صائمه لن يصومه وقائمه لَنْ يَقُومَه (٦) •

---

(١) معانى القرآن ٢/١٣٥ (٢) السابق ص : ١٣٤
(٣) قرأها ابن عامر من السبعة ولا يصح انكارها — أنظر البحر المحيط ٤/١٣٦ طبعة الرياض
(٤) معانى القرآن ٢/١٣٩ (٥) السابق ص : ١٥٢
(٦) السابق ص : ١٥

ويستشهد على تَرْكِ إجراءِ "صرف" "عاد"، يُجْعل اسمًا للأُمةِ التى هو منها بما سمعه الكسائىُّ. يقول: وسمع الكسائىُّ بعضَ العرب يقولُ: إن عادَ وثَمُودَ أمتان (١) والفراء يعترف بمَشْيَخَةِ الكسائىّ فيما ينقلُ عنه، فهو يقول فى حديثه عن قوله تعالى: "ألّا يَسْجُدُوا" (النمل ٢٥): تقرأ: "ألّا يسجدوا" ويكونُ يَسْجُدوا فى موضع نصب، كذلك قرأها حمزة. وقرأها أبو عبد الرحمن السُّلَمى والحسنُ وحُمَيْدٌ الأعرج مخففة "ألَا يسجدوا" على معنى ألَا يَا هَؤُلاء اسْجُدوا فيُضْمِرُ هؤلاء ... حدثنى بعض المشيخة — وهو الكسائى — عن عيسى الهمدانى قال: ما كنتُ أسمعُ المشيخةَ يقرؤونها إلا بالتخفيف (٢) وعن قوله تعالى: "فى عَمَدٍ مُمَدَّدة" (الهمزة ٩)

حدث الفراء قال: حدثنى إسماعيلُ بنُ جعفر المدنى قال: كانَ أصحابُنا يقرؤون: "فى عَمَد" بالنصب، وكذلك الحسنُ. وحدثنى به الكسائىُّ عن سليمانَ ابنِ أرقم عن الحسن: فى عَمَد (٣). وهذا دليل على أنَّ الكسائىَّ كان مصدرًا من المصادر التى عوّل عليها الفراء فى تحصيله لعلمه. وفى قوله تعالى: "أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِين" (الزخرف ٥٢) حدّث الفراءُ قال: وقد أخبرنى بعض المشيخة أظنّه الكسائىَّ: أنه بَلَغَهُ أنَّ بعضَ القُرّاءِ قرأ: "أما أنا خير" وقال لى هذا الشيخ: لو حفظتَ الأثرَ فيه لقرأتَ به، وهو جَيِّد فى المعنى (٤). على أنَّ الفراء لم يكن متلقّياً عن الكسائى فحسب، بل كان حريصا أن يُبْرِزَ رأيه، فمن حديثه عن قوله تعالى: "فَأَصْبَحُوا لا يُرى إلّا مساكِنهم" (الأحقاف ٢٥). قال: حدثنى الكسائىُّ عن قَطَرِبن خليفة عن مجاهد أنه قرأ: "فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم" قال: وقرأ الحسن: فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنُهم" وفيه قبح فى العربية، لأنَّ العرب اذا جعلتَ فِعْلَ المؤنّثِ قَبْلَ إلّا ذكّروه فقالوا: لم يقم إلا جاريتُك، وما قام إلا جاريتُك ولا يكادون يقولون: ما قامت إلّا جاريتك وذلك أن المتروكَ أحدٌ، فأحدُ إذا كانت لمؤنث أو مذكرٍ ففِعْلُها مُذكّرٌ (٥).

هكذا نرى الفراء يُعللُ وجهةَ نظرِه فيما يسمعُ، مما يدلُّ على أنَّه صاحبُ رأى، حتى وهو يُتلمذُ لمشيخته. ويبدو تعظيمُ الفراء لأستاذه الكسائى حين يقول الفراء فى حديثه عن قوله تعالى: "إنَا كُنّا مِنْ قَبلُ ندعوه" (الطور ٢٨): الكسائى يفتح "أنّه" وأنا أكسرُ، وإنما قلت حَسَنٌ لأنَّ الكسائىَّ قَرَأَهُ (٦).

---

(١) معانى القرآن ١٩/٢
(٢) السابق ص: ٢٩٠
(٣) السابق ٣/٩٠ ٢
(٤) السابق ٣٥
(٥) السابق ٥٥
(٦) السابق ٩٣

وعلى هذا النحو ينقل الفراء كثيرًا عن الكسائى ، مما يدل على أنه كان كثير الجلوس اليه يسمع عنه . ولعل فى ذلك حجة على من يقول : "إن تأثير يونس على الفراء فى النحو بالذات كان أوضح من تأثير الكسائى ... ومن جهة أخرى نرى — كما يرى القدماء والمحدثون — أن الفراء كان يخالف الكسائى فى كثير من مذاهبه ، بل إنه فيما أحسب — لا يرى فيه النحوى الضليع" (١)

والحق — فيما أرى — أن الكسائى يعتبر أول أستاذ للفراء ، لأنا لم نر الفراء فى كتابه معانى القرآن خاصة — وهو قمة إنتاجه العلمى ، باعتباره آخر ما ألف — يورد آراء كما أورد للكسائى ، ثم إن تخطئة الفراء للكسائى ليس دليلا على عدم تأثره به ، لأن التلميذ النابه ربما يفوق أستاذه ، ولكنه يظل بعد ذلك مترسما خطاه نحو التجديد والابتكار .

٢ — <u>هشام بن معاوية الضرير</u> " ت ٢٠٩ هـ "

أخذ عن الكسائى ، وله مقالة فى النحو تُعزى إليه (٢) ، كما قيل إن له من المصنفات كتاب " المختصر " ، وكتاب القياس ، وقطعة حدود لا يُرغب فيها " (٣) .

وهذه الكتب لم يصل إلينا شىء منها ، إلا أنها على أية حال تدل على باعه فى النحو ، ويبدو أن هشاما كان من أنبه تلاميذ الكسائى بعد الفراء ، لذلك رأينا الروايات تذكر أنه كان مشهورا بصحبة الكسائى (٤) ، وكان له آراء يَرُدّ بها على البصريين مؤيدا أستاذه الكسائى ، وإن كنا نراه يختلف معه فى بعض المواضع ، مما يوضح لنا حرية مدرسة الكوفة منذ نشأتها ، فلم تضع لها قيودا تلزمها بآراء السالفين كما فعلت البصرة . ودليل ما يميز بين هشام والفراء أن هشاما كان — غالبا — يقصد إلى الترجيح بين الآراء ، بينما كان الفراء — أحيانا كثيرة — يصل الى جوهر الشىء المختلف فيه .

٣ — <u>علىّ بن حازم اللحيانى :</u>

هو أبو الحسن علىّ بن حازم اللحيانى (٥) ، وقيل إن اسمه " على بن المبارك " وهو لغوى مذكور ، وأخذ عنه العلماء ، وكان أحفظ الناس للنوادر ، وله كتاب فى النوادر حسن جليل (٦) ، وكانت نوادره هذه " عن الكسائى والفراء والأحمر " (٧) .

---

(١) الدكتور أحمد مكى الانصارى : أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص : ٣٧٥

(٢) انباه الرواه : ٣/٣٦٤ (٣) ابن الأنبارى : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٦٧ ص ١٦٤

(٤) السابق والصفحة (٥) السابق ص : ١٧٦

(٦) انباه الرواه : ٢/٢٥٥ (٧) نزهة الألباء : ص : ١٧٦

ومن نوادر اللحيانيّ " أنّه حكى عن بعض العرب ، أنّهم يجزمون "بلـن " وينصبون " بلـم " وعلى هذه اللغة قراءة من قرأ : " ألمْ نشرحَ لكَ صَدْرَكَ " (١) .

وربما غلبت اللغة على اللحيانى ، إذْ لم يُذْكر عنه فـى النحو شىء مُهِمّ . وهو ممـن أخذ عن الكسائى ، وأخذ عنه أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (٢) ، وأخذ أبو عبيد عـن الكسائى القراءة واللغة أيضًا .

٤ — أبو الحسن الأحمر " ت ١٩٤ هـ "

يُروى أنّه ممن أخذ عن الكسائىّ (٣) ، ويبدو أنه كان مُقرّبًا من الكسائى على عكس اللحيانى ، يدلنا على ذلك أنّ اللحيانىّ طلب من الأحمر أنْ يشفعَ له عند الكسائى ليقرأ عليه " نوادره " فقال الكسائى : هو بغيضٌ ثقيلُ الروح (٤) .

وربما كان للأحمر — أيضا — دوره فى هذه المدرسة ، حتى إنّنا نراه — أحيانا — يستقل برأيه ، مُعارضًا القراءَ حينا ، وتارةً يعارضُ هشامًا .

ونلاحظ بعد هذا أنّ تلاميذ الكسائى فى اللغةِ والنحوِ أقلُّ كثيرًا من تلاميذه فـى القراءةِ ، فإذا جعلنا نسبة بين تلاميذه فى القراءة — المكثرين عنه فقط — وبين تلاميذه فى النحو واللغة كانت (١٠ ½ : ١) على الترتيب ، ولم ندخل عدد المقلّين عنـه فى هذه النسبة .

على أىّ حالٍ ، هذا ما يدُلّنا على اهتمام الكوفيين بالقراءةِ ، كما يدل علـى أنّ الكسائىّ أخذَ يُقْرئُ الناسَ مدةً طويلةً مما يؤكد أنّه لم يتعلم النحو إلا على كبر ، وأن طول ملازمته لقراءةِ القرآنِ أصّلتْ عنده منهجا متميزا فى النحو . ولعلنا نلاحظ — أيضـا — اختلاف أقطابِ الكوفةِ الذين أقاموا مدرسةً لها فى النحو ، وربما كان هذا الاختلافُ دليلاً على أنهم أكثرُ حريةً من البصريين ، بل ربّما كان دليلاً على أنّه اتجاهٌ وُجِدَ أولاً عنـد الكسائى نفسه . فنحن نعرف أنّ الكسائى كان يختلف مع يونس فى آرائه النحوية ، قبـل أن يُكوّن مدرسته ، وسنرى ذلك .

---

(١) نزهة الألبـاء ص : ١٧٦ (٢) معجم الأدباء : ١٤/١٠٦

(٣) أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٤ . ص ١٤٢

(٤) السابق والصفحة

ويرجع هذا الخلاف - فيما اعتقد - إلى طبيعة الانشغال بالنص القرآني ، إذ اختلف في قراءته من قبل ، وكان الكسائي ممن نشأ يقرأ هذا النص ، فعرف صحيحه وشاذه ، وأن هذا الشاذ لا ينقص عن مرتبة الفصاحة ، إنه " نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه ووراءه ، ولعله أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه " (١) فضلا عن أن " الرواية تنمي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول : " وما آتاكم الرسول فخذوه " وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ وآخذه هو الآخذ به فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتنبه " (٢) ومن هنا كانت المادة اللغوية أمام الكسائي على مد ذراعيه .

وكان تلاميذ الكسائي قراء قبل أن يكونوا نحويين ، صحيح أن قدماء النحاة كانوا قراء ، لكن الكوفة كانت أبعد ما يكون عن المؤثرات الخارجية ، فلم تنشغل بشيء سوى القراءة والإقراء ، فتأصل عندهم منهج الرواية والسماع .

فلعل حرية الكوفة - إذن - كان يحدها منهج الرواية والسماع الذي نماه الانشغال بالقراءة وطول عهدهم بها ، فجاء المنهج متسما على قدر السماع .

بينما كان منهج البصريين - فيما أرى - تحده المحافظة على اللغة المثلى في نصها الأمثل ، وقد تمثل ذلك في لغة النص القرآني . وكان نتيجة لهذا أن جاء المنهج الكوفي وصفيا ، يسجل اللغة في كثير من ظواهرها .

طرائق حصول الكسائي على العلم :

لعلنا عرفنا - ونحن نتحدث عن شيوخ الكسائي - كيف أخذ علمه ، ولكننا نجمل ذلك في نقاط جملة : ١ - اختلافه الى حمزة الزيات - منذ نشأته - كان طريقه إلى أن يتقن القراءة ، ومن ثم إلى شهرته فيها .
٢ - جلوسه إلى حلقات الدرس والتحصيل ، وقد تمثل ذلك في أخذه عن البصريين .
٣ - رحلاته إلى البادية ومعايشته لأهلها ، وكانت هذه الرحلات إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة . فنحن - إذن - أمام ثلاث مناطق أو مصادر ، لا شك أن لكل منها خصائصها اللغوية المميزة بحسب تنوع البيئة للمنطقة أو المصدر .

---

(١) ابن جني : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ ١/٣٢
(٢) السابق ص : ٣٣

٤ - لعلّ اتّصاله بالخلفاء كان يُهيّئ له الاطّلاع على كلّ ما دُوّن آنذاك مما ينبي عنده كثيراً من الثقافات ، وإن لم يكن يُؤثر عنه أنه انتمى إلى أية فرقة من الفرق الكلامية ، أو الدينية ، بل لعل شيئا من ذلك لم يظهر لنا في آرائه النحوية بعد . والمظنون أنه كان على ثقافة في الفقه ، لأنه كان يلازم أبا يوسف القاضي كثيراً ، وكان أبو يوسف يرجع إليه في بعض المسائل الفقهية النحوية .

والخلاصة أن ثقافة الكسائي نُرجّح أنها متصلة بالنص القرآني اتصالاً كبيرا ، يدلنا على ذلك قول صاحب كتاب أصول الدين : " .... والكوفيّة منهم كالمفضل الضبي ، وابن الأعرابي ، والكسائي ، والفراء .... وكلهم من أهل السنة ... وللفراء كتاب في ذم القدرية "(١) .

آثاره العلمية :

تروى لنا المصادر عن كثير من الكتب التي ألّفها الكسائي ، غير أنّ ما وصل إلينا منها رسالة قيل إنها كُتبت للخليفة هارون الرشيد . ونشير الآن الى تلك المؤلفات المفقودة ، التي لم تذكر المصادر إلاّ أسماءها ، ولم تُعرّف بواحد منها . وهذه المؤلفات هي :

١ - كتابُ معاني القرآن	٢ - كتاب العدد واختلافهم فيه
٣ - كتابُ القراءاتِ	٤ - كتابُ النوادر الأصغر
٥ - كتابُ النوادر الأوسط	٦ - كتابُ النوادر الأكبر
٧ - كتابُ في النحو	٨ - كتابُ مقطوع القرآن وموصوله
٩ - كتابُ المصادر	١٠ - كتابُ الحروف
١١ - كتابُ الهاءات	١٢ - كتابُ أشعار

وهذه المؤلفات - إلا واحداً منها " كتاب أشعار " - تدلّنا أسماؤها على أنّها منحصرة فيما اشتهر به الكسائي ، فهي جميعا متصلة بالنص القرآني ، وبعلم النحو ، مما لا نستبعد معه أن تكون هذه المؤلفات لأجل اطلاع تلاميذه - خاصة - عليها ، ومن قبل أنْ تأخذ الدراسة النحوية مكانها كما فعلت البصرة ، فيكون الكسائي بذلك المؤسس الحقيقي للحركة النحوية في الكوفة .

---

(١) عبد القاهر البغدادي : كتاب أصول الدين ، الطبعة الأولى ١٩٢٨ ، مطبعة الدولة باستانبول ص : ٣١٦ .

ما وصل الينا من أعمال الكسائي :

أشرنا منذ قليل إلى رسالةِ الكسائي للرشيد ، وهي كلُّ ما وَصَل إلينا من أعمال الكسائي منذ رجة - مع رسالتين أُخريَين - تحت عنوان : " ما تلحن فيه العوام "(١) والرِّسالة في مُقدّمتها تشير إلى أنّ الكسائي كاتب الرسالة للخليفةِ هارون الرشيد . كما أنّها تنبه على ما شاع فيه الخطأ على ألسنةِ العامّةِ ، فهو يقول مثلا : تقول حَرَصْتُ بفلان بفتح الراء ، وقال الله عز وجل : " وما أكثرُ الناسِ ولو حَرَصْتَ بمؤمنين " ، ولا تقول " تَحْرَص " بفتح الراء . قال الله تعالى : " إن تَحْرِصْ على هداهم فإنّ اللهَ لا يَهدي مَنْ يُضِلّ "(٢) ، وتقول أيضا : يُقال هذه امرأة جَمِيلٌ ، ولَيلة مَطِير ، وعَيْن كَحِيل ، ولِحيَة دَهِين بغير هاء ،(٣) ويقول : وتقولُ مَشَيْتُ حتى أُعْيِيتُ بالألف ، ولا تقول عَيِيتُ ، إنّما يُقال في الأمرِ الذي ينسدّ عليك ، فيقال : فلا تكُن بأمرِه من العيّ . قال الشاعر(٤) :

تَزَحْزَحِي عَنّي يا بَرْزَونَةْ ... إنّ البَرازِينَ إذا جَرِينَهْ
مَعَ العَتاقِ ساعَةً أُعْيِينَهْ

وتروى لنا المصادر أنّ هذه الكلمة " أُعْيِيت " كانت سببًا في تعلمه النحو ، إذ كان قد لحن فيها ، فأنف من لَحْنِه ، وذهب يتعلم النحو . والرسالة كلها تدور على هذا النحو ، إذ يلتقط فيها الكسائي الألفاظ التي تكون عرضةً للّحن على ألسنة العامّةِ خاصةً ، ثم ينبه الى صحّتها ، مستشهدا - في الغالب الأعم - بما ورد في النص القرآني ، كما يستشهد أيضا بما أنشده العَرَبُ من أشعارٍ ، استجابة لمصادر الثقافةِ عنده ، قارئًا للقرآن الكريم ، كثيرَ الرّواية عن العربِ الذين رَحَلَ إليهم .

على أن الرسالة تكاد تحصر الأخطاء التي كانت شائعة آنذاك ، لأن الأخطاء التي تنبه إليها - غالبا - تقع في عَيْن الكلمة بين فتحها وكسرها ، وكذلك فيما يتعدّى بنفسه من الأفعال وما يحتاج إلى تعدية . فأنتَ ترى الكسائيَّ مثلاً ينبّه إلى فتح العين في الماضي في : (١) حَرَص ، نقَم ، نَكَل ، (١١) عَسَيت، وكذا الأرقام (٧) الفعل " صَرَف " ، (٤٦) الفعل " حَرَمْته " ، (٨٣) الفعل " هَدَى " ، (٨٩) الفعل " خاطَك " ، (٩٧) الفعل " دَفَقَ " نجد أنّ الكسائي ينبه الى وجوب استعمالها

---

(١) نشرها الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي . وطبعت بالمطبعة السلفية بمصر ١٣٤٤ هـ
(٢) الكسائي : ما تلحن فيه العوام ص : ٢٣
(٣) السابق ص : ٤١ (٤) السابق ص : ٤٦

مُتعدِّية بنفسها . كما نراه يُبين لنا كيف يتعدَّى الفعل ، فَهُو يقول " فى رقم (١٠) " وتقُولُ شكرتُ لَكَ . ونصحْتُ لك . ولا يُقال شكرتُك ونصحتُك . وقد نَصَح فلانٌ لفـــلان وشَكَر له . هذا كلامُ العرب — قال الله تعالى : " واشْكُروا لى ولا تَكْفُرون ، ولا ينفعُكُم نُصْحى إنْ أردْتُ أنْ أنْصَحَ لكم "

والرسالة بعد ذلك لا تسْلم من التشكُّك فى نسبتها للكسائىّ ، فالمَيْمَنى — ناشـر الكتاب — فى مقدمته يرى أن جُلَّ مضمون الكتاب لا يُلائم ما رواه اللغويون عن الكسائى (١) ولكنَّ الدكتور رمضان عبد التواب يثبت أنَّ خَمْس كلمات فقط جاءت فى كتب اللغة على غـــير ما وردَتْ فى الرسالة (٢) . ثم يبرر ذلك الخلافَ بأنَّه " ربما كان رأيا قديما للكسائـــىّ دوَّنه فى كتابه ، ثم بَدَا له مع كثرة الرواية ومُشَافهةِ الأعرابِ — بعد ذلك — خطؤه فتركه (٣)

وليسْمَحْ لى أستاذنا الفاضل أنْ أقول : إنَّ مشافهة الكسائىّ للأعرابِ كانت مرحلـــة سابقةً لهذه الفترة ، فهو لم يكنْ مؤدِّبا للرشيد ، ولولدَيْه من بعده ، إلَّا بعد وُثُوقه مـــن نفسه وثقة الخلفاء فيه ، ثم هو بعد ذلك قارئُ للقُرآن الكريم ، لا يشُق عليه أن يـــدرك مدى صحة ما يُنبِّه اليه العامة ، فضلاً عن أنَّ الرسالةَ للرشيد هارون وهو من هُو فى اللغـــة والأدَبِ ، وعلى ذلك فإنَّ ما رُوِى عنه مُخالفا لما جاءَ فى الرسالة يَحْتمل أحدَ أمرين :

أحدُهمـــا : أنْ يكونَ الخطأُ فى الرواية نفسِها عن الكسائـــى .

الثانـــى : أن يكونَ صحيفا وقع أثناءَ وضْعِ الناسخين .

والدكتور حسين نصار — أيضا — فى نفسه " شىء من نسبةِ هذا الكتاب إلـــى الكسائىّ " (٤) وذلك — عنده — لأنَّه لم يجد أحدًا نسَب إلى الكسائىّ كتابًا من هذا النوع ، فضْلاً عن اعتراف الناشر بذلك .

ولكنَّ استاذنا لا يستند فى رأيه ، إلَّا على آراء السالفين ، ولَمْ يبين لنا رَأْيَه فـــى المسألة ، فضلاً عن أنه يرى الرسالةَ مُقدَّمة للمعجم العربى ، فهو يقول : وهو أقدمُ كتـــابٍ وصل الينا تُرتِّبُ ألفاظه على النحو التالى : حَرَصَ — نَقَمَ — دَعَ — نَقَدَ — عَجَزَ (٥) .

وأرى أن الرسالةَ لم يكن المقصودُ منها أن تَجْمع مفرداتِ اللغة وتحفظها ، لأنها لو كانـــت كذلك لَوَصلتْ إلينا متضخِّمة ، وليس على هذا الحجم الصغير جدًا ، لكنها تُنبِّهُ إلى فـــروق دقيقة — نسبيًّا — فى ألفاظ شائعة ، يكثر فيها اللَّحنُ بين العامةِ ، لذلك لا أعتقد أنهـــا كانت مُقدَّمة للمعجم العربى .

---

(١) المقدمة ص : ٢٢ (٢) انظر الدكتور رمضان عبد التواب : لحن العامة والتطور اللغوى — الطبعة الاولى ١٩٦٧ — دار المعارف بمصر ص : ١٠٤ — ١٠٦

(٣) السابق ص : ١٠٧ (٤) الدكتور حسين نصار : المعجم العربى ، نشأته وتطوره — مطابع دار الكتاب العربى بمصر — الطبعة الاولى ١٩٥٦ ، ١/٩٨

(٥) السابق ص : ٩٧

والدكتور رمضان عبد التواب لا يعترض إلا على منهجيّة الكتاب ، فيرى " أنّه غير منهجي على الإطلاق "(١) . وقد أشرنا إلى أنّ الكتاب لا يَنْهَى - فيما أرى - أن يُعْتَرَضَ عليه في منهجيته ، لأن ذلك الرأي ينطلق من اعتباره مُعْجَماً يَقْصِد إلى جمع المفردات اللغوية ، ولم يكن كذلك ، لأنه تنبيهٌ إلى الخطأ ، ليس غير ، فلا قيمة للتبويب والترتيب طالما أنّ الألفاظ التي يُنبه إلى شيوع الخطأ فيها قليلةٌ ، لا تلفت إلى تنظيم يشملها . وبعد ذلك فانني أذهب إلى أنّ الرسالة من عمل الكسائي ، لأنه يستشهد فيها كثيرا بالنصّ القرآني الكريم ، وبشِعْر العرب ، وهما ما عوّل عليهما في ثقافته ، فنحن نراه يعرض كل ما يُنبه إليه على هذين المصدرين . ونضيفُ إلى هذا أنّ الكلمة التي لَحَن فيها وكانت سبباً في تعلّمه النحو ، لم يَنْسَ أن يُدخلها في حساب الألفاظ التي أوردها ، منبهاً على الخطأ فيها .

وبعد ، فلعلنا عرفنا بعدَ هذا الفصل شيئاً عن مصادر الثقافة عند الكسائي ، لكي نستطيع بعد ذلك أن نحكمَ على آرائه في النحو وغيره . ومعرفةُ المصادر التي نَهَل منها الكسائي شيء مهم جدا ، لأنّ الكسائيّ كوّن مدرسة بعد ذلك ، خالفتْ في أصولها أصولَ الروافد الثقافية عنده ، والتي لم تعرف الترخّصَ في الرواية ، فجعلها هو مبدأ من المبادئ التي أقامَ عليها مدرسته ولا شك أن هذه المدرسة حفظتْ لنا شيئا من آراء أستاذها ، لذلك كان من الضروري أن نعتمدَ على ما وصل إلينا من كُتُب التلاميذ في هذه المدرسة ونحن نجمع آراء الكسائي اللغوية . وأهمُّ ما يقابلنا من هذه الكتب كتابُ معاني القرآن للفرّاء ، فهو يذكر لنا كثيرًا من آراء أستاذه مُستشهدًا بها ، أو معارضًا لها ، كذلك كتاب الفراء المقصورُ والممدود ، وترجع أهمية كتب الفراء إلى أننا نَرُدّ إليها صحةَ الرواية ، إذا اختلفت المصادر الأخرى فيما تنقل عن الكسائي . كما أننا حاولنا أن نعتمد على المصادر التي أُلّفت في وقت قريب من الكسائي ، ككتاب إصلاح المنطق لابن السكّيت ، فضلاً عن أنه كوفي ، وكتاب الخصائص لابن جنّي ، وسر الصناعة والمُحْتَسب . ومن الكتب الهامة التي عولنا عليها : كتاب شرح المُفَصّل لابن يَعيش ، وكتاب الهَمْع للسيوطي ، إذْ هُما من أكثر الكتب التي أوردت آراء الكسائي ، وغير ذلك من كتب النحو .

---

(١) لحن العامة : ص : ١٠٩

الفصل الثاني

النحو العربي حتى الكسائي

أولا : التاريخ النحوى قبل الكسائى :

أخذت الحياة العلمية تنشأ وتتطور عند المسلمين فى رحاب القرآن الكريم ، لأنه الكتاب الذى آمنوا به منظماً لحياتهم ، فلا شك عندهم فى أن هذه الحياة ينبغى أن تساير روح النص القرآنى وهم يحاولون فهمه ، وقد هيأت محاولاتهم لظهور علوم وثيقة الاتصال بالنص الكريم ، فكانت القراءات القرآنية على رأس هذه العلوم تتخذ منهجاً علميا دقيقاً قائما على " التلقى " و " العرض " على النحو الذى كان بين الوحي والنبي صلى الله عليه وسلم .

ثم كان التفسير وهو " أقرب العلوم الإسلامية إلى القراءات لأن أفضل التفسير عندهم أن يفسر القرآن بالقرآن ، ثم إنه بدأ مراحله الأولى جزءاً من الحديث ... قبل أن يصير علماً مستقلا " (١) .

وفى المراحل الأولى للتفسير بدأت النشأة الأولى للنحو العربى ، وبدأت علوم أخرى متصلة بالنص القرآنى تظهر فى دفعات متقاربة ، مما يتم عن أن هذه العلوم فرضها النص القرآنى ذاته باعتباره نصا ينتظم حياة المسلمين .

ولعلى بعد ذلك أقرر أن كل علم من هذه العلوم كان له دوره فى سبيل فهم النص القرآنى ، فالقراءات القرآنية - أقدم هذه العلوم نشأة - اتخذت طريقها نحو الرواية الصحيحة والمنهج الموثق ، فبدأ المسلمون يأخذون به ، فكان أثره واضحا على محاولات التفسير الأولى ، فضلاً عن أنها حفظت النص وضمنت سلامته .

وكان التفسير بعد ذلك ، فكان متمثلاً فى تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينه وغيره (٢) وكانت هذه التفاسير تستهدف فهم المعنى ، لكى يحل حلاله ويحرم حرامه ، لذلك كانت محاولات الفهم فى مبدأ الأمر مقصورة على ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أخذاً بالحيطة والحذر ، ثم إن هذه المحاولات لم يكن يجرؤ عليها إلا من أوتى أدوات التفسير التى لا يستغنى عنها ، لذلك رأينا السيوطى يعقد بابا لهذه الأدوات التى لا يستغنى عنها المفسر (٣) .

---

(١) الدكتور عبده الراجحى : النحو العربى والدرس الحديث ، مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية ١٩٧٩ م ص : ١٤

(٢) الاتقان ٢/ ١٩٠ (٣) أنظر السابق ١/ ١٤٥

ولم تكن البلاغة العربية بمنأى عن خدمة النص القرآني - آنذاك - ذلك أن البيان - وهو من علوم البلاغة - كان " يعمل على إبراز ما في القرآن الكريم .. ويبين سر الإعجاز .. " (١) فبدأ العرب يعرفون النص القرآني على أنه أثر أدبي " له منزعه الخاص في التعبير وطريقته الخاصة في الأداء " (٢)

ونحن بعد ذلك لا نريد أن نؤرخ لكل هذه العلوم ، وإنما القصد هو معرفة " الجو " العام الذي نشأ فيه النحو العربي لكي يكون تناولنا له من " خلال الحياة العربية وليس من خلال تأثيرات خارجية أغلبها مزعوم وأغلبها لا يصمد أمام النقد العلمي الصحيح " (٣)

وقد يكون ذلك مهماً ، لأن هناك من يرجع نشأة النحو العربي الى " اللحن " نعم ، لقد كان ذلك صحيحاً ، لكنه لم يكن إلا سبباً أدخل في الاعتبار أعتقد أنه يأتي بعد السبب الأول وهو محاولة السعي لفهم النص نفسه ما دمنا قررنا من قبل أن هذا النص ينتظم حياة المسلمين كلها ، فكان موضع حيطة وحذر .

المهم بعد ذلك أن النحو العربي - في خلال هذه النشأة - لم يكن يعرف مصطلح " نحو " ، إذ لم يكن هناك مادة نحوية قد عرفت بالمعنى الذي ثبت عند سيبويه ، وعند أستاذه الخليل بن أحمد من قبل . ولكن الذي ظهر - منذ فترة مبكرة - مصطلحات هي مسميات لعلوم لغوية معينة ، بيد أن هذه المصطلحات لم تشر - مباشرة - إلى مسمياتها .

يقول ابن سلام : " أول من استن العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي " (٤) . ويقول في موضع آخر : " وكان لأهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية " (٥) .

ويقول ابن فارس : " وكذلك الحاجة إلى علم العربية ، فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني . ألا ترى أن القائل إذا قال : ما أحسن زيد .. لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب .. " (٦)

---

(١) الدكتور بدوي طبانة : البيان العربي ، الطبعة الرابعة ١٩٦٨ م ، المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ص : ١٨

(٢) الدكتور سيد أحمد خليل : دراسات في القرآن ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م ص ١٤٨ (٣) الدكتور عبده الراجحي : فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٤ م ص : ٣٣

(٤) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، شرح محمود محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٥٢ م ص : ١٢

(٥) السابق والصفحة (٦) ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي ، بيروت - لبنان ١٩٦٣ م ص : ٦٦

ويقول أبو حيان : " قال المازنيّ : أصلُ أَخْذِ هذه القراءة - يقصد ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فيها مَعَايِشَ بالهمز - عن نافع ولم يكن يَدْرِي ما العربية وكلامُ العرب التصحيحُ في نحو هذا ... وأمّا قولُ المازني أصلُ أَخْذِ هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح لأنّها نُقلت عن ابن عامر وعن الاعرج وزيد بن علي والأعمش ، وأما قوله إنّ نافعاً لم يكن يَدْرِي ما العربية فشهادةٌ على النَّفي ، ولَوْ فرضنا أنّهُ لا يَدْرِي ما العربية وهي هذه الصناعةُ التي يُتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب فهو لا يلزمُه ذلك ، إذْ هو فصيحٌ متكلم بالعربية ناقلٌ للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثيرٌ من هؤلاء النحاة يسيئون الظنّ بالقُرّاء ولا يجوز لهم ذلك " (١) .

ويقول ابن حجر في الإصابة : " أولُ من ضبط المصحف ووضع العربية أبو الاسود " (٢)

اذن نحن أمام هذه المصطلحات :

١ - ابن سلام يُسمّي : " العربية " وكذلك ابنُ حجر

٢ - ابن فارس يسمّي : علم العربية " ويقصد به النحو

٣ - أبو حيان يسمّي : " العربية " ويرى أنّها صناعة تؤدي إلى التكلم بلسان العرب .

على أنّ ابنَ سلام يعود فيضعُ فاصلاً بين " العربية " والنحو ، إذْ يرى أَهْلَ البصرة أصحابَ " قُدْمة " بالعربية ، وبالنحو لهم عناية .

وبعد ذلك ربما استطعنا أن نُقرر أنّ " علم العربية " أو " العربية " كان يقصد منهما النحو لما يأتي :

- عند ابن سلام وابن حجر لعل لَفْظَ " العربية " عندهما يقصدُ إلى النحو لأنهما يتحدثان عن أبي الأسود ، وقد ارتبطتْ نشأةُ النحو بأبي الأسود .
- عبارة ابن فارس أعتقد أنّها تُشير صراحةً إلى معنى " النحو " إذ هو يَحُثُّ على الحاجة لعلم العربية حتى لا تستغلق المعاني على الفهم ، وقد أشارَ عبدُ القاهر إلى هذا حين يرى أن الألفاظ مغلقةٌ على المعاني حتى يفتحها الاعراب (٣) .

---

(١) أبو حيان : البحر المحيط ، ٤/ ٢٧١ - ٢٧٢

(٢) ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ ، مطبعة السعادة بالقاهرة ٢/ ٢٤٢

(٣) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ، الطبعة الثانية ، مطبعة المنار ١٣٣١ هـ ص : ٢٣ ، ٦٤

ـ ولفظ " العربية " عند أبي حيان لعلّه يقصد إلى " النحو " أيضا لأنّه في معرض الحديث عن توجيه قراءة قرآنية ، والذين كان لهم موقف من القراء هم النّحاة ، وكان المازنيّ نحويا .

ولكن ما موقفنا من عبارة ابن سلام حينما يضع حدًا بين " العربية " والنحو كما أشرنا منذ قليل ؟ صحيح هو لم يُعرّف بأيهما ، ومن ثمّ لم يضع حدودًا فاصلة كما فعل أبو حيان حين فرّق بين علم النحو وعلم اللّغة (١) مثلا ، إلّا أننا نستطيع أن نُرجّح أنه ربما كان يقصد بـ " قدْمة العربية " ما كان معروفًا عن البصرة باهتمام باللغة حيث كان بها " المِربد " وكان سوقًا تُعْرَضُ فيه اللغة بأشكالها نظمًا ونثرًا ومفرداتٍ ، وكان ذلك من قديم .

وإذا كان مصطلح " علم العربية " أو " العربية " يقصد إلى النحو على ما بيّنا ، فاننا نجد مصطلح " نَحْوِيّ " قد ظهر أيضًا في فترة باكرة من حياة الدراسة اللغوية عند سيبويه ، فهو يقول : وأمّا قولُ النّحْوِيّين : قد أعْطاهُوكَ وأعطاهُونِي ، فإنّما هُو شيءٌ قاسُوه لم تكلّم به العربُ ووضعوا الكلامَ في غير مَوْضِعه وكان قياسُ هذا لو تُكُلّمَ به كان هَيّنا " (٢)

ومع هذا فأنا أزعم أن مصطلح " نحو " لم يظهرْ ـ على ما يبدو لي ـ إلّا عند الخليل بن أحمد ، لأنّه لم يظهرْ إلّا عند سيبويه ، والمادةُ النحْوية التي ظهرت في " الكتاب " مرجعُها إلى الخليل لا شك . أما غيره من المصطلحات التي أوردناها ـ وإنْ كانت تقصد اليه ـ فكانت أقدمَ منه على الترجيح . ومصطلح " نحو " عند سيبويه ، أصبح ينتظم أشتاتًا من الدرس اللّغوي ، فهو يشملُ النحو الذي " موضوعه أمور كلية " (٣) والصرف ، والصوت .

وبعد ، فإنّ دراسة النحو من داخل بيئته الصحيحة تشيرُ إلى أنه نشأ يتضافرُ مع علوم أخرى في خدمة النص الديني ، مما يَلْفِتُ إلى تقديس الهنود لنحوهم الذي نشأ في خدمة " الفيدا " (٤)

ولعلنا بعد ذلك قد عَرَضْنا لنشأة النحو العربي ، ولطبيعة " الجوّ " العام الذي نشأ فيه ، لنعرف كيف كان النّحاة الاوائلُ يسجلونَ ملاحيظهم من داخل هذا الجو الذي حاولنا تَبَيُّنَه ، حتى تكونت المادةُ النحويةُ التي تمثلت عند الخليل وتلميذه سيبويه .

---

(١) انظر السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار احياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١/ ٤٣ (٢) سيبويه : الكتاب ، ١/ ٣٨٤

(٣) المزهر : ١/ ٤٣ (٤) انظر الدكتور أحمد مختار عمر : البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢ م ص: ٧٣

وقد كان النحاة — وهم يسجلون ملاحيظهم تلك — مختلفين فى اتجاهاتهم ، لذلك رأينا أن نُصنّف هؤلاء النحاة على أساس الاتجاه ، حتى نصل الى الكسائىّ مباشرةً دون الدخول فى تفصيلات كثيرة. ونُمهد لذلك فنقول : أخذ النحاةُ الأولون يحددون — أولا — موقفا لهم من القرآن حين بَدأوا نشاطهم نحو الدراسات المُستقلة ، فكان عليهم أن ينظروا فيما رُوى عن العرب ، ثم يُضاهوه بصنيع القرآن نفسه . وربّما لفتهم إلى هذا تلك القراءاتُ القرآنيةُ التى تُقرأ إذ ذاك ، والتى تظهر فيها خلافاتٌ أو مغايراتٌ واضحة ، حيث اتخذ كلُّ مصر قراءةً له ، لها أعلامٌ تشدُّ إليهم الرِّحالُ . ولقد ساعد على هذا أنّ هؤلاء النحاة كانوا قراءً للقرآن الكريم ، فجاءت القراءاتُ — علما — أوثقَ اتصالاً بالنحو ، لأنّها أعطته صفةَ النقل الخالص ، فجعلت فيه جانبا وصفيا ، فضلاً عن أنّ ملاحيظ القرّاء النحاة الأوائل كانت نتيجةً للاتصال المباشر بالواقع اللّغوى الذى هو مظهرٌ من مظاهر الوصفية فى النحو العربى .

وعلى ذلك فإن عملَ أبى الاسود فيما يتعلق بضبط القرآن الكريم الذى أسْلَم إلى النحو — فيما نَظُن — كان عملاً وصفياً ، لأنه يرسم لنا " صُورةً تمثّلُ قارئاً يَقْرأ ، وكاتبًا يلاحظ حركةَ شَفَتَيْه ، حتى تكونَ الرموزُ وصفا لهذه الحركة . ولا شك أنّ هذه التعبيراتِ التى أطلقها أبو الأسود على حركةِ شفتيه مِنْ فَتْحٍ وضَمٍّ وكَسْرٍ كانت أساسَ المصطلحاتِ الإعرابية فى النحو العربى . وقد كان هذا الأصل الوصفىّ فى وضعها ذا تأثير فى دراستها عند أوائل النحاة " (١)

وعلى هذا النحو قامت ملاحيظُ النحاة الأوائل التى هى تقريرٌ لِما يُشاهدونه فى حياتهم اليومية ، يُوقفُون فى ذلك كلّ شىء " على السماع من أفواه العرب الخلص .... فكان وقوفُ النحاة أمامَ ما جُمِعَ من اللغة ، مفرداتِها ، ومركباتِها ، ومراقبتُه مراقبةً دقيقةً ، يكشف عما يَلْحقه من تغيّر فى المواقف المختلفة ، والحالات الكلامية المُتباينة ، ويَحْصر ذلك التغير فى حدود مضبوطة لا يَندُّ منها شىء " (٢)

ومن ثمّ نرى أنّ عمل النحاة الأوائل كان قائما على الاستعمال اللّغوى ، فكتابُ سيبويه " يرينا كيف أنّ القواعدَ العربية اعتمدتْ على الاستعمال اللّغوى عند عرب البادية دون استثناء ، فهو يرْجعُ دائماً فى شئون الاستعمال اللغوى إلى العرب ولا يَحِيدُ فى ذلك عن ترجيح كِفّةِ اللسان الحجازى ، بأنّه " الأوّلُ والاقدمُ " وغالبا يكتفى فى ذلك بعبارات عامة ، مثل " العرب الذين تُرْضَى عربيتُهم ، أو العربُ الموثوقُ بعربيتهم أو عربُ أثِقُ بعربيته " (٣)

---

(١) النحو العربى والدرس الحديث ص : ٥٦

(٢) عباس حسن : اللغة والنحو ، الطبعة الثانية ، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ص : ٢٠ — ٢١

(٣) يوهان فك : العربية ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، مكتبة الخانجى بمصر مطبعة دار الكتاب العربى ١٩٥١ م ، ص : ٥١

كل هذا يبين لنا أن النحو العربي في منشئه كان فيه جانب وصفي تقريري بيد أنه لم يكن كله تقريرا أو تعليلا ، ولا كان القياس - آنذاك - إلا ضربا من الملاحظة والمضاهاة حيث كان هناك ما هو أمثل للمضاهاة وهو وجود النص القرآني - أولا - باعتباره أثرا لغويا فريدا في لغته ، ثم وجود العرب الأقحاح - ثانيا - مرجعا للذين يرصدون الفصيح .

على أن فكرة القياس على هذا النحو بانت عند سيبويه في الكتاب ، كما رأينا ذلك من النص السابق الذي نقلناه عن كتاب " العربية " فهو بذلك يلح على متابعة الكلام العربي .

ونصل الآن الى تصنيفنا للنحاة ، فنقول :

١ - كان هناك اتجاه قياسي يتزعمه عبد الله بن أبي إسحق (ت ١١٧ هـ) فقد قيل إنه " فرع النحو وقاسه " (١) وذلك فضلا عن أنه كان من قراء القرآن الكريم ، مما ساعده على تحليل النماذج اللغوية التي يسمعها لمخالفة لتركيب النص القرآني ، أو على غير ما تنطق به العرب .

غير أن تحليل ابن أبي إسحق لم يكن تحليلا ميتافيزيقيا ، ولكن كان تحليلا سطحيا شأنه في ذلك شأن النحاة الأقدمين الذين أدركوا أن الأشكال اللغوية نظام تركيبي يجب أن يحترم ، لأنهم يقيسون على نصوص معينة ، ولعل مآخذ ابن أبي اسحق على الفرزدق تشير الى ذلك (٢)

وربما كانت كثرة الاستعمال والشيوع موضوع القياس الذي يقوم على التعليل في كثير من الأمور ، ولذلك يقول ابن أبي اسحق : " وإنما نفتي فيما اشتد من معاني الشعر ، وأشكل من غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا ، أو اجتهدنا فيها آراءنا " (٣) ، ولذلك قيل : " إن ابن أبي اسحق كان أشد تجريدا للقياس " (٤)

وكان عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) من أصحاب هذا الاتجاه القياسي ، فقد كان من أهم تلاميذ ابن أبي اسحق . ومن أمثلة القياس عنده :

---

(١) مراتب النحويين ص : ٣١ (٢) السابق ص : ٣٢ " هامش "
(٣) انباه الرواه ٢/١٠٦
(٤) السيرافي : أخبار النحويين والبصريين ، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥ م ص : ٢٠

أ — كان يقيس النصبَ في كلمة " يا مطرًا " في قول الأحْوص (١) :

سَلامُ اللهِ يا مَطَرٌ عليها ... وليْسَ عليكَ يا مطرُ السَّلامُ

يقول سيبويه معلقا على هذا : " وكان عيسى بن عمر يقول " يا مطرًا "، يُشَبِّهه بقوله يا رَجُلاً ، يجعله إذا نَوَّن وطال كالنكرة . ولم نَسْمع عربيا يقوله ، ولهُ وجْه مِنَ القياس اذا نون وطال كالنَّكِرة .. " (٢) وكان مثل أستاذه ابن أبي اسحق متهما للشعراء الذين خالفوا القياس ، حيث كان له موقفٌ من بعض أبيات النابغة (٣) .

ب — وكان يقرأ " يا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرَ " (٤) بنصب كلمة الطير ، حيث كان — كما ينقل القفطي — " ينزعُ إلى النَّصْب " (٥)

ويبدو أنَّ عيسى الثقفي كان مُغْرما بالنصب ما وَجَدَ إلى ذلك سبيلا ، مما يدل على حِسِّ لُغوي ، فلعله أدرك أنَّ الفتحَ أخفُّ الحركاتِ ، وعلى ذلك ربما كانت مخالفتُه للقُرَّاء في قراءة الآية الكريمة " هَؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهرُ لَكُمْ " (٦) بنصب " أطهرَ " على الحالية ولذلك قال عنه ابنُ الجزري " له اختيارٌ في القراءات على قياسِ العربية ... كان عالمًا بالنحو غير أنه كان له اختيار في القراءة على مذاهب العربية يفارق قراءةَ العامةِ ويستنكره الناس ، وكان الغالبُ عليه حُبُّ النصب " (٧)

ونستطيع بعد ذلك أن نقول : إنَّ القياسَ عند عبد الله بن أبي اسحقَ وتلميذه عيسى كان قياسا قائماً على فَهْم قواعدِ النَّظْم للتراكيبِ اللغوية كما كانا يُدْركان استعمالَها في اللغة .

على أن القياس عندهما لم يكن خُلْواً من التعليل الذي لا يغوص وراءَ التفسير المباشر ، وإنَّما يتمثل في فَهْم أو تفسير الشكل التركيبي . وعلى ذلك فإنَّ ابن أبي اسحقَ وتلميذَه عيسى كانا أولَ من أقاما منهجاً في دراسة النحو على القياس .

وكان يونسُ بنُ حبيب (ت ١٨٢ هـ) ممن يندرجون تحت هذا الاتجاه القياسي ، وإنْ كان له " قياسٌ في النحو ومذاهبُ يتفرد بها " (٨) .

---

(١) سيبويه : الكتاب : ١/ ٣١٣
(٢) الكتاب : ١/ ٣١٣
(٣) انباه الرواه : ٢/ ٣٧٥
(٤) سبأ (١٠)
(٥) انباه الرواه : ٢/ ٣٧٥
(٦) هود (٧٨)
(٧) غاية النهاية : ١/ ٦١٣
(٨) اخبار النحويين البصريين ص ٢٧

غير أنّ قياسَ يونسَ لم يكن قياساً قائماً على الأُصول البصرية - فيما اعتقد - حيث لم يكنْ يستشهد بما يُروَى عن العرب فحسب ، بل كان يأخذُ النادرَ ويقيس عليه ، يقول سيبويه : " وحدّثنا يونسُ أنّ بعضَ العرب يقول : يا أُمَّ لا تفعلي ، جعلوا هذه الهاءَ بمنزلة هاء طلحةَ إذا قالوا : يا طَلْحَ أقبلْ ، لأنّهم رأَوها متحركة بمنزلة هاءِ طلحةَ فحذفوها ، ولا يجوز ذلك في غير الأُمّ من المضاف " (١) . ومن مذاهب يونس في النحو قول سيبويه في باب ما يتقدم فيه المستثنى : " حدثنا يونسُ أنّ بعضَ العرب الموثوق بهم يقولون : مالي إلاّ أبوكَ أحدٌ ، فيجعلون أحداً بدلاً ، كما قالوا : ما مررتُ بمثلِه أحدٍ فجعلوه بدلاً " (٢)

٢ - وكان هناك آخر يؤثر السماعَ ، ومثله لنا أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) وهو من القراءِ السبعةِ ، وكانت قراءته للقرآن الكريم هي التي جعلتْ منه مُمثّلاً لهذا الاتجاه ، فكان في منهجه يعمل على الأكثرِ ويتشدّدُ في القياس . ورغم قلة آرائه النحوية - إذ هو في عِدادِ اللغويين الراوين للغة - فإنّ له آراءً في النحو بما أخذ بها الخليلُ وسيبويه .

ولعل من مميزات اتجاهه التعليلُ بالمعنى ، يدلنا على ذلك تفسيرُه لكلمة " يَتَخَوَّلُنا " كما حدّث الأصمعي " عن سفيان الثوريّ ، قال : كنا عند الأعمش وعنده أبو عمرو بن العلاء ، فحدّث عن أبي وائلٍ عن عبدِ الله : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتَخَوَّلُنا بالموعظةِ " ثم قال الاعمشُ : " يتعاهدُنا " فقال له أبو عمرو : إنْ كان يتعاهدُنا " فيتخَوَّلنا " فأمّا " يتخولنا " فيستصلِحُنا ، فقال له الاعمشُ : وما يدريك ؟ فقال : لَئِنْ شئتَ يا أبا مُحمد أن أُعلمك الساعة أنّ الله ما عَلّمك من جميع ما تدعيه شيئاً فَعلّمت . والأمرُ على ما قال أبو عمرو ، يُقال : تخَوّلتُ الشيءَ أتخولُه تَخَوُّلاً إذا تعهدتَه بالإصلاح " (٣)

٣ - وكان من أهم الاتجاهات النحوية ، اتجاهٌ قياسي تعليلي في دائرته الواسعة دون غُلوّ أو تعسُّف ، ويتمثل هذا الاتجاه في الآراءِ التي أقامَ عليها الخليلُ ابنُ أحمد (ت ١٧٥ هـ) النحو .

وكان ما يميز اتجاهَ الخليل ظاهرةُ التعليل على وجْهِ الخُصوص ، فقد ظهر ذلك في آرائه التي نقلها عنه تلميذُه سيبويه في الكتاب ، ثم تابعه في ذلك ، فأصبح استخراجُ العِلل من الأُسس التي قام عليها النحوُ العربي عند الخليل ، وإنْ كان لم يغفل القياس الذي ينفي الشاذ .

---

(١) الكتاب ٣١٧/١ (٢) السابق ٣٧٢/١
(٣) مراتب النحويين ص: ٣٦ - ٣٧ (٤) الكتاب ٣٠٣/١

يقول سيبويه : " وزعم الخليلُ - رحمه الله - أنَّهم نصبوا المُضافَ ، نحو يا عبدَ اللهِ ويا أخَانا ، والنكرةَ حين قالوا : يا رجُلاً صالحاً ، حين طالَ الكلام ، كما نصبوا : هو قبلَكَ وهو بعدَكَ . ورفعوا المفردَ كما رفعوا قبلُ وبعدُ ووضعهما واحد ، وذلك قولك : يا زيدُ ويا عمرُو . وتركوا التنوينَ في المفرد كما تركوه في قَبْلُ . قلت : أرأيتَ قولَهم يا زيدُ الطويلَ علام نصبوا الطويل ؟ قال : نُصب لأنَّه صفةٌ لمنصوبٍ . وقال : وإنْ شئت كان نصبًا على أعْنِي . فقُلت : أرأيتَ الرفعَ على أي شيء هُوَ إذا قال يا زيدُ الطويلُ ؟ قال : هو صفة لمرفوع . قلتُ : ألستَ قد زعمتَ أنَّ هذا المرفوعَ في موضع نصبٍ ، فلِمَ لا يكونُ كقوله لقيتُه أمسِ الأحدثُ ، قال : مِنْ قِبَلِ أنَّ كلَّ اسم مفرد في النداء مرفوع أبدا ، وليس كلُّ اسم في موضع أمسِ يكون مجرورًا "(١)

هذا لا شك تحليلٌ بقوانين التركيب " بمعنى أنَّ درسَ التراكيب العربية جعله يرى طول الكلام علة لظاهرة النصب ، حين نعلم أنهم انتهوا الى أن النصب أخف من الرفع وأنَّ الثِّقلَ لا يسُوغُ مع الطول "(٢) وعلى العموم فان التعليل عند قدامى النحاة كان من الأُصول التي انبنى عليها النحو العربي وبخاصة عند الخليل وسيبويه كما أشرنا الى ذلك . ولا ينبغي أنْ يَغيبَ أنَّ هذا التعليل كان تعليلاً يستهدفُ المعنى ، ويحافظ على شكل النماذج اللغوية ونظامها ، كما يَرَى كثرة الاستعمال شيئًا ينبغي أنْ يُعوَّل عليه .

هذه هي محاولة لتصوُّر اتجاهات النُّحاة الاوائل الذين صاحبوا نشأة النحو وعرضنا لها لعلَّنا نصل الى روافد التأثير عند الكسائي ، ذلك أن الكسائي تلمذ لمُعظم هؤلاء النحاة الذين صنَّفْنَا لهم كما سنرى الآن . ولعلَّهُ كان من المفيد أن نعرفَ اتجاهات الذين تلمذ لهم الكسائي ، لنعرفَ كيف التقت البصرةُ بالكوفةِ ، وعلى أي شيء قامت المدرسةُ النحويةُ في الكوفةِ على يد أستاذها الكسائيِّ .

وعلى ذلك نقول : إنَّ هذه الاتجاهات الأُولية في النحو لا نستبعدُ معها مناقشاتٍ دارت بين أصحابها ، ربما أُشلمتْ إلى وُجودِ مُصنَّفاتٍ في هذا العلم ، وإنْ كانت في ذِمَّةِ التاريخ . فقد نُسب إلى عيسى بن عمر الثقفي كتابان " سُمِّيَ أحدُهما الجامع ، والاخر المُكمَّل "(٣) وربما أسلمت أيضا الى " تتبع النصوص واستخراج الضوابط ماهيأ لها وقتُها "(٤)

---

(١) الكتاب ١/ ٣٠٣ (٢) النحو العربي والدرس الحديث ص ٨٤

(٣) أخبار النحويين البصريين ، ص : ٢٥

(٤) محمد الطنطاوي : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، تعليق عبد العظيم الشناوي ومحمد عبد الرحمن الكردي ، الطبعة الاولى ١٩٦٨ م ، مطبعة السعادة بمصر ص : ٢٨

على أنّ هناك - فعلا - مجالسَ بين العلماء تُشبه المناظراتِ فيما بعد ، فلقد جمع " الحسنُ بن قَحْطبة عند مقدمه مدينة السلام الكسائيَّ والأصمعيَّ وعيسى بن عمر ، فألقى عيسى بن عمر على الكسائيّ مسألةً ، فذهب الكسائيّ يوجه احتمالاتِها ، فقال عيسى : عافاك الله إنّما أريدُ كلام العرب ، وليس هذا الذى تأتى به بكلامِها " (١)

ونحن لا ننقلُ هذا الخبرَ للدلالة على وجود المجالس بين العلماء فى هذا الوقت فحسب ، ولكن لسببٍ أهم من ذلك ، وهو أنه يمثّلُ لنا أوّلَ اتصال بين الكوفة والبصرة متمثلا فى ذلك النقاشِ الذى قام بين عيسى والكسائىّ .

ولا شك أن هذه نقطةٌ مهمةٌ ، لأنّا لم نعرفْ - فيما اطّلعْنا عليه - أحدًا من نُحاة البصرة اتّصل به الكسائى قبل عيسى الثقفى . ولعل هذا الاتصالَ تمّ ، ولم تكن المَلَكَةُ النحْوية عند الكسائى قد تكونت بعد إذا أخذنا فى الاعتبار أن الكسائىَّ تعلّم النحو على كِبَرٍ ، اذن فالكسائى ما زال قارئًا يُؤْثر الروايةَ ، ويعتد بما يسمع ، ويجعل من النّقل سبيلاً للعلم . وقد عرفنا منذ قليل أنّ عيسى كان من أصحابِ الاتجاهِ القياسىّ ، فلعل الكسائىَّ بدأ يتمثّلُ هذا الاتجاه لأوّلِ مرة فى تكوينه مدرسته النحوية بعد ذلك ، أو لعلّ هذا الاتجاه صادف هوىً فى نفسه ، إذْ كان قارئا حافظا للقرآن الكريم . فهو بهذا يملك النصّ القرآنى الأمْثَلَ للمُضَاهاةِ ، فلم تزل المادة النحويةُ حتى الآن أساسُها الوصف والملاحظة ، وبخاصةٍ أنّ عيسى كان من القُراء أيضًا .

وقد يكون دور الكسائى فى هذا ، أنّه تمثل أوّلَ اتجاه من مقومات الدرسِ النحْوى هو ذلك الاتجاه القياسى الذى ظل مُلازما له من غير غُلوٍّ فيه ، فقد كان يقيمُ على المنقول بسند صحيح .

وكان الخليلُ ممن تلمذ له الكسائى ، وكان الخليلُ قَيّاسًا مُعلّلاً ، فهذا اتجاه ثان أُرْفِدَ به الكسائىّ ، وهو من الاتجاهات الهامةِ فى تكوين الفكر النحوى عند الكسائىّ ، إذْ كان يداوم على الجلوس فى حلقته حتى بدأ يُقلده فى تحصيل علمه ، فقد سَأَلَ الخليلَ " من اين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادى الحِجاز ونَجْدٍ وتِهامة " (٢) .

---

(١) انباه الرواه ٢/ ٣٧٦ - ٣٧٧

(٢) السابق : ٢/ ٢٥٨

ونحن نعرف رحلاتِ الكسائيّ الى البادية ، إذْ كانت مَعِيْنًا له فى أن يَجْعل لنفسه منهجًا وصفيًا ، حيث سمع من العرب وسجّل عنهم الكثير ، فكان هذا المنهجُ الوصفيّ هو المنهج الذى كان — فيما بعد — سِمَةً غالبةً على المدرسةِ الكوفيةِ ، فقيل إنّ مدرسةَ الكوفةِ مدرسةٌ وصفيةٌ .

وكانت نشأةُ الكسائيّ الأُولى — حافظًا ، قارئًا للقرآن الكريم — ربّما ساعد تعلّى احترامِه للسان العربى ، فما عُرف متفلسفًا ، أو متكلّمًا ، فيُفرّقُ فى آرائه ، وإنّما كان يقيس على كلام العرب فى حدودِ المنهج الدقيق الذى تمثّل فى القراءاتِ القرآنية . ويحسُن فى هذا ذِكْرُ عبارةِ الكسائيّ حين سُئِل " فى مجلس يونس عن قولهم : لأضربنّ أيّهم يقوم لِمَ لا يُقالُ : لأضربن أيّهم ؟ فقال أىٌّ هكذا خُلِقَتْ " (١) فهذا قولٌ يدلّ على الوصْفِ الخالص . على أننا نجد سيبويه يعارضُ الخليلَ ويونسَ وهما يفسِران رفعَ " أىّ " فى قولهم " اضرب أيُّهم أفضل " قائلا : " ومن قولهما : اضرب أىُّ أفضلُ ، وأمّا غيرُهما فيقول : اضرب أبًّا أفضلُ . به يعنى ذا على الذى وما أشبهه من الكلام ، ويسلّم ذلك المضاف . تقول العرب ذلك ، يعنى أيهم ، وأجروا أيًّا على القياس . ولو قالت العرب : اضرب أىٌّ أفضل لقلته ، ولم يكن بُدٌّ من متابعتهم ، ولا ينبغى أن نقيس فى ذلك على الشاذ المنكر فى القياس ، كما أنك لا تقيس على أمس أمسك " (٢) .

وهذا يدلنا على أن الكسائى كان ذا شخصية متميزة رغْمَ روافدِ التأثيرِ عنده ، فهو يخالف الخليلَ ويونسَ وهما استاذاه ، فيرى " أىٌّ " وكأنّ الله أنزلها هكذا ، لأن العربَ تنطقها هكذا . وربما نقل الكسائىُّ عن يونس توسعه فى القياس الذى كان يقوم على فَهْم طبيعة اللغة .

ثم إنّ الكسائى — لاشك — قد اطّلع على كتاب " العين " للخليل بن أحمد ، فأفاد مما جاء به من أصولٍ صَرْفية وصوتية ، حيث رتّبَه الخليل ترتيبا مخرجيًا ، مما جعله يتعرف على مخارج الحروف ، ويتبين درجاتها وأنواعَها الصوتية ، فهو يقول مثلا : " فأمّا الهمزة فسُمّيت حرفًا هوائيا لأنها تخرج من الجوف .. " (٣) . وهكذا بدأ يتناول حروف المعجم .

والآن نسجل ما خلص لنا بعد هذا :

١ — إنّ ملاحظة النحاة الأوائل كانت ملاحظةً كُلّيّةً ، فأتى المنهج الذى ساروا عليه منهجًا وصفيا ، ولعلّ أولَ ملاحظة فى حياة النحو الأُولى ، هى تلك التى سجّلها

---

(١) ابن جنى : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٥٥ ، ٣/٢٩٢ .

(٢) سيبويه : الكتاب : ١/٣٩٨ .

(٣) الخليل بن أحمد : العين ، تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، بغداد ١٩٦٧م ، ص ٦٤ — ٦٥ .

أبو الأسود الدؤلي حين استدعى كاتبًا — يسجل حركة شفتية ، وكانت عملاً وصفيًا .

٢ــ كان هذا المنهجُ وصفيًا تقريريًا ، ومع ذلك لم يكن خُلْوًا من التعليلات ، وكانت هذه التعليلاتُ بالمعنى ، وبقوانين التركيب ، وبكثرة الاستعمال [1] .

٣ــ على أساس هذا المنهج انقسم النحاة في اتجاهاتهم وإن تقاربت من بعضها ، لأن منهجهم كان واحدًا .

٤ــ وسط هذا المنهج ، وبين تلك الاتجاهات بدأت شهرة الكسائي ، وكان هذا المنهج الوصفي متفقًا مع منهجه — قارئًا للقرآن الكريم — فهو على هذا الأساس حافظٌ يُؤْثِرُ السماعَ ويعتدُّ بالرواية .

٥ــ لم يصلْ الينا شيءٌ من نحو يُنسب إلى أوائل النحاة الكوفيين ، وإن كان كتاب معاني القرآن للفراء عملاً اختلط فيه الوصفُ والتفسيرُ ، فهو يدل على أن مدرسة الكوفية كانت مدرسةً وصفيةً ، إلا أنه لاينبغي أن يكونَ ذلك حُكْمًا قابلاً للتعميم مادام الوصفُ والتفسيرُ مُخْتلطين .

٦ــ رغم أن أوائل الدراساتِ النحوية كانت من نصيب البصريين كما رأينا ، ورغم أن مؤسس المدرسة الكوفية كان قد تَلْمَذَ لبعضِ المؤسسين في مذهب البصرة النحوي ، فإننا نرى فرقًا بين المذهبين ، والذي أوجده الكسائي على ماسبق من بيان الروافد البصرية عنده .

٧ــ لعلَّ من أهم مايُميز مذهب الكسائيِّ توسعُهُ في الرِّوايةِ ، إلا أن مردَّ ذلك ربما يعود إلى أنه تعلَّم الحروفَ على أيدي اساتذته من قُرَّاء الكوفة ، فوجدها وكأنها تنتظم لغاتِ العربِ أوْجُلَّها . من هنا كانت بعض آرائه النحوية مخالفةً للقواعدِ النحوية عند البصريين .

٨ــ يمكننا بعد ذلك أن نقول :
إنَّ الكسائيَّ أسس مذهبه على أُصولٍ بصرية وأُخرى كوفية ، إلا أنَّ الأُصول الكوفية ظلت مسيطرةً عليه في تأسيسه لمذهبه ، يدلنا على ذلك أنَّ بعض حروف القرآن الكريم هي التي كان يتوقف عندها ويقيس عليها بعد ملاحظتها ، ثم يضع القاعدة على أساسها .

٩ــ بدأ تأسيسُ المذهب الكوفي ببداية المُناظراتِ التي كانت بين الكسائيِّ وغيره من نحاة البصرة ، وخاصة بعد مناظراته وسيبويه .

---

(١) انظر النحو العربي والدرس الحديث ، ص : ٨٥ .

ثانيًا : الروافدُ التي أثّرت في تكوين النحو العربي :

لعلنا رأينا كيف كانت نشأة النحو العربي نشأةً تُساهم فيها علومٌ إسلاميةٌ أخرى في ظل " مناخ " عام يشمل هذه العلوم ، فصبغها بصبغة إسلاميّة ، ذلك أنّ الذي هيأ لهذا المناخ محاولات الفهم والمحافظة على نص القرآن الكريم .

ولأنّ نشأة هذه العلوم كانت نشأةً فطرية " إن صحّ هذا التعبير " فمن الطبيعي أن يكون هناك تأثّرٌ وتأثير بين هذه العلوم .

فقد رأينا كيف أنّ القراءات - في منهجها - أمدّت النحو بالنقل ، وكان المعتزلة من ناحية أخرى - بمنهجهم العقلي - يؤثّرون في الدراسة النحوية على ما سنرى . وكان هناك أصول الفقه ، وهو علم يجمع بين النقل والعقل ، وسنتحدث عنه أيضا ، لأنّه من الروافد التي أثرت في النحو العربي .

والبلاغةُ من العلوم التي عايشَتْ النحوَ في نشأته ، ولعلّ بيانَ أوجُهِ البلاغة في النص كان قائما على فهم التركيب النحوي يدلنا على هذا أن عبد القاهر بعد ذلك بنى نظرية النّظْم على هذا النحو . ولا شك أن البلاغة - أيضًا - قد تأثّرت " بالكلام " يدلّ على ذلك تعليقُ الجاحظ على صحيفة بشر بن المعتمر (١) ، وكذلك كلام عبد الجبار في حديثه عن الاستدلال على النّبوّة عن طريق الإعجاز القرآني (٢) . وكان الفقه - آنذاك - له أعلامٌ مشهورون ، فكان أبو حنيفة (ت ١٥٠ هـ) مُعاصرًا للخليل ، وكان اللغويون والفقهاء كلٌّ منهم في حاجة الى الآخر ، إذْ كانت تعرِضُ ، أو تَعِنُّ مسائلُ فقهيةٌ نحويةٌ .

على أنّ أهمّ روافد التأثير في النحو العربي علمان :

الاول : علم الكلام الثاني : علم أصول الفقه .

فكانت هذه العلوم الثلاثة أكثر قابلية للتأثر والتأثير .

علم الكلام : علمٌ يُعرَّفون به على أنّه " علمٌ يتضمّن الحِجاجَ عن العقائد الإيمانية بالأدلّة العقلية " (٣) ، وهو علم اتّصل بالنص القرآني ، لأنّ موضوعه كان " كلام الله " يعني القرآن ، فكان وجهُ النّزاع ، أهذا الكلام مخلوق أم غيرُ مخلوقٍ ؟

والواقع أن المعتزلةَ هُم أصحابُ الفضلِ في تلوين الكلامِ بالعقلِ ، وقد كان ذلك في الفترة التي نشأ فيها النحوُ العربيُّ ، فكان :

---

(١) انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبي ، الطبعة الثانية ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٣٢ ، ١/١٢٩ .

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تحقيق أمين الخولي ، الطبعة الاولى ١٩٦٠ ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٦/٣١٦

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠ ص : ٤٢٣

١ — الحسنُ البصرى (ت ١١٠ هـ) وقيل إنّه وُلِدَ (٨٠ هـ)
٢ — أبو الهُذَيل العلاف (ت ٢٣٥ هـ أو ٢٣٠ هـ) وقيل إنّه وُلد فى حدود (١٣٠هـ) وكان بالبصرة
٣ — عمرُو بن عبيد (ت ١٤٤ هـ) بالبصرة
٤ — بِشْرُ بن المعتمر (ت ٢١٩ هـ) ببغداد

وربما كان منهج المتكلمين فى هذه الفترة متّصفًا بأنّه خُلْو " من مباحث الميتافيزيقا — أو من الصفة الميتافيزيقية "(١) وقد كان منهج النحويين القُدامى كذلك كما مر بنا .

ومن الأشياء التى رُبّما تأثّر فيها النحو العربى بعلم الكلام " التعريف " ، علمًا بأن المتكلمين لم تكنْ اصطلاحاتُهم مستعارة من المنطق الأرسطى ، لأنّهم رفضوه ، إذْ كان لهم منهاج " إسلاميٌّ خاص وضعه أوّ وضع أسسَه علماءُ أصول الفقه . وتناوله المتكلمون بالزيادة والتعديل "(٢) . وعلى ذلك فإنّ تعريفَ الحدّ مثلاً عند الأُصوليين عامّة " هو معناه الذى لأجْلِهِ استحقّ الوصفُ المقصود "(٣) وهذا اتجاه يُخالف التعريف الأرسطى للحد ، إذْ هو عنده مُعرِّف للماهية أو للذات أو بأنّه الجوابُ الصحيحُ فى سؤال ما هو اذا أحاطَ بالمسئول عنه(٤) اذن فغاية التعريف الأرسطى هى الوصولُ إلى الطبيعة الجوهرية . من هنا نَرى أنّ الاصوليين مختلفون مع أرسطو فى المنهج التعريفى إذْ هو عندهم لا يصل إلى الجوهر ، بينما الجوهرُ هو الغايةُ عند أرسطو فى تعريفه .

وقد كان التعريفُ عند سيبويه غيرَ مختلفٍ مع تعريف الأُصوليين من حيثُ إنّه غيرُ ميتافيزيقى ، يدلّنا على ذلك قوله : " هذا بابُ الفاعل الذى يتعدّاه فعله إلى مفعول ، وذلك قولك : ضَرَبَ عبدُ الله زيدًا ، فعبدُ الله ارتفعَ ههنا كما ارتفعَ فى ذَهَبَ ، وشُغلت ضرب به كما شُغلت به ذهَب "(٥) . وكذلك قوله : " هذا باب المفعول الذى تعدّاه فعله الى مفعول ، وذلك قولك : كَسَى عبدُ الله الثوبَ ، وأعطى عبدُ الله المالَ "(٦)

فالتعريفُ عند سيبويه يكاد يكتفى بذكر اسم الباب ، ثم بيان القاعدة المستخلصة عن طريق الاستعمال . والذى يجمع بين منهج الأُصوليين والنحويين فى التعريف — فيما اعتقد — أنّ التعريف عندهما لا يَسْمى وراء الطبيعة الجَوْهرية التى هى غاية التعريف عند أرسطو .

---

(١) الدكتور النشار : مناهج البحث ، ص ٨٩ (٢) السابق ص : ٨٧
(٣) ابن سينا : منطق المشرقيين ، المطبعة السلفية بمصر ص : ٣٤
(٤) انظر مناهج البحث ص : ٩٠ (٥) الكتاب ١/١٤
(٦) السابق ص : ١٩

وربما تأثر النحاة فى تخريجاتهم النحوية بالمتكلمين ، فالملاّف مثلا كان يقول " بفناء مقدوراتِ الله عز وجل ، حتى لا يكونَ بعد فناء مقدوراته قادرًا على شىء " (١) فنلاحظ هنا صبغة المقل .

والحقُّ انَّ كتُب المعتزلة لم يصل منها شىء يقفُنا على طبيعة الطرق الاستدلالية التى سلكوها فى منهجهم ، إلّا انَّ ابن رشد يرجح أن تكون طرقُهم من جنس طرق الأشاعِرة (٢) الذين كانوا من طرُقهم قياسُ الغائب على الشاهد .

وهذا القياس هو القياس الأُصولى — فالمقيس عليه عند المتكلمين هو الأصلُ عند الأُصوليين — والمقيس هو الفرع — والجامع بين الأصل والفرع أو بين الشاهد والغائب هو العلة عند الأُصوليين . ويُضيف المتكلمون إلى الجمْع بالعلّة الجمعَ بالشرط والدليل والحدّ والحقيقة . والأُصوليون لم يتكلموا إلّا فى الجمع بالعلّة (٣) . فالجمع بالعلة عند المتكلمين قولُهم " قد ثبَت كَوْنُ العالِم عالِمًا شاهدا معلّلاً بالعلم والعلّةُ المقلية مع معلولها يتلازمان ، ولا يجوز تقدير واحدٍ منهما دونَ الآخر . فلو جاز تقدير العالِم عالمًا دون العِلْم لجاز تقديرُ العلم من غير أن يتّصف محلُّه بكونه عالمًا ، فاقتضى الوصفُ الصفةَ كاقتضاء الصفةِ الوصفَ " (٤)

نلاحظ هنا أن التعليلَ — وهو من مقوّمات الدرس النحوى — تعليلٌ لا يغوص إلى العمق ، كما هو الحال عند أرسطو الذى قسّم العلم الى : ماديّةٍ وصوريّةٍ وفاعليةٍ وغائيةٍ (٥)

وقد كان التعليل موجودًا عند قُدامى النحاة ، فقد رأينا ذلك ونحن نُصنّف للاتجاهات النحوية عند قُدامى النحاة ، كما عرفْنا أن التعليلَ عندهم كان مُنْحصرا — تقريبا — فى تعليل الظواهر التركيبية ، معنًا ، أو تفسيرًا أو كثرةَ استعمالٍ ، ولعلّ ذلك كان متمثلاً فيما كان يدور من حوار بين سيبويه والخليل .

ولعلنا بعد ذلك نزعم أنّ ما رأيناه من تخريجات عقلية عندَ المتكلمين ، وخاصة المعتزلة ، قد أمدّ النحوَ العربى بالجانب المقلى ، فقد كان المعتزلةُ " يجعلون المعرفة واجبةً بالعقل وهم يؤولون الآياتِ التى تبدو مخالفةً لآرائِهم تأويلاً عقليا " (٦) .

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ، مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤ ، ص ١٠١
(٢) انظر مناهج البحث ، ص ١٢٩ (٣) السابق ص ١٢٩ — ١٣٠
(٤) الشهرستانى : نهاية الاقدام فى علم الكلام ، مكتبة المثنى ببغداد ، ص: ١٨٢
(٥) انظر النحو العربى والدرس الحديث ص : ٨١
(٦) الدكتور أحمد محمود صبحى : فى علم الكلام ، دار الكتب الجامعية ١٩٦٩ ، مطابع رويال بالاسكندرية ص : ١٣٧

كما أننا رأينا كيف أنّ النحو العربي تأثر بالكلام ، أو شابهه في بعض مناهجه ، لذلك رأينا التأثيراتِ الكلاميةَ - إلى حدّ ما - عند سيبويه ، فأنت تراه يقولُ مثلا : " واعلمْ أن الشيء يُوصف بالشيء الذي هو هو ، وهو من اسمه ، وذلك قولك : هذا زيدٌ الطويلُ ، ويكون هو هو وليس من اسمه كقولك : هذا زيد ذاهبًا ، ويوصف بالشيء الذي ليس به ولا من اسمه ، كقولك : هذا درهم وزْنًا ، لا يكون إلّا نسبا "(١) ولعلّ هنا ما يشير الى اختلاف المعتزلة " في أنّ أحكامَ الذات هل هي أحوالُ الذات ، أم وجوه واعتبارات(٢)

علم أصول الفقه : إنّ علمُ أصول الفقه " وهو النظر في الأدلّةِ الشرعية من حيث تُؤخذُ منها الاحكامُ والتكاليفُ "(٣) فلعله أولُ الروافدِ التي أثّرت في النحو العربي ، ذلك أن " فكرة القياس " التي هي غاية الأُصوليين الفقهاء كانت أقدمَ نشأةً ، إذ ترجعُ إلى عهد الصحابة ، حيث كانوا " يقيسون الأشباه بالأشباه ، ويناظرون الأمثال بالأمثال باجماع منهم "(٤)

ويرى ابن خلدون أن " القياس " - وهو من الأدلّة الشرعية - لم يكن موجودًا في عصر الرسول ، لأنّ " كثيرًا من الواقعاتِ بعدَه - صلواتُ الله وسلامُه عليه - لم تندرج في النصوص الثابتة ، فقاسوها بما ثَبُتَ وألحقوها بما نُصّ عليه "(٥) ولذلك فهو يرجعه إلى عهد الصحابة ، وفي هذا الوقت لم يكن قد عُرف الكلام والجدل .

على أية حال بدأ المنهج الأُصولي يتطور في العراق على وجه الخصوص ، حيث القياسُ والرأي بزعامة الإمام أبي حنيفة ، مما يجعلنا نزعم بأنّ الفقهَ كان أدعى للأدلة العقلية من الكلام مما جعل " مبحث الحدّ الأُصولي يُنسب إلى علماء أصول الفقه أكثر من نسبته الى المتكلمين "(٦) .

المهم بعد ذلك أنّ علم أصول الفقه كان يعتمد على النّقل والعَقْل ، وكان النحو العربي في نشأته قد أُرفِدَ بهاتين الصفتين مما يرجح مبدأ التأثير والتأثر بينهما .

ولم يتخصص علمُ أصول الفقه بالفقه " إلّا لكونه مفيدا له ومحققا للاجتهاد فيه . فاذا لم يفد ذلك فليس بأصْلٍ له ، ولا يلْزم على هذا أن يكونَ كلّ ما انْبَنَى عليه فرعٌ فقهي

---

(١) الكتاب : ١/ ٢٧٦
(٢) نهاية الاقدام ص : ١٨٠
(٣) مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤١٨
(٤) السابق ، ص : ٤١٨
(٥) السابق والصفحة
(٦) مناهج البحث ، ص ٦٨

من جملة أُصول الفقه ، وإلاّ أدّى ذلك إلى أنْ يكون سائرُ العلوم من أصول الفقه كعلم النحوِ ، واللغةِ ، والاشتقاق ، والتصريف ، والمعاني والبَيَان والعدد ، والمساحة ، والحديث وغير ذلك من العلوم التي يتوقّفُ عليها تحقيق الفقه وينبني عليها من مسائله "(١) هذا النصّ يقفُنا على أهميّة أُصولِ الفقه للفقه ، وهذه الأهمية تتمثل في الاجتهاد . ويتمثل الاجتهادُ في القياس وتخريجاتِ الأحكام لما لا يكون له نصٌّ بعينه ، إذْ ربّما كان هناك أصلٌ شرعي وليس له نصٌّ كما قُلنا شريطة أن يكون هذا الأصلُ الشرعي " ملائمًا لتصرفاتِ الشرع ومأخوذًا معناه من أدلّته "(٢) في هذه الحالة يكون صحيحًا يُبنى عليه ويُرجع إليه ، وهذا مما يدخل تحت " ضَرْبِ الاستدلال المُرْسل الذي اعتمده مالكٌ والشافعيُّ "(٣) بمعنى أنّ الفرع قد ينبني على أصلٍ كُلّيّ قطعي فيكون مساويًا للأصل المعين . وهل معنى ذلك أنّ تُغَيِّرَ الأُصول الفقهية بكثرةِ المسائل والتخريجات التي أوردها الأُصوليونَ الفقهيون ؟ لا ، لأنّ هذا كان مبنيا على الأُصول المُحررة الثابتة القطعية ، وذلك نحو الاختلاف مع المعتزلةِ في الواجب المخيّرَ والمحرّم المُخيّرَ ، فكان ذلك بناءً على قاعدةٍ في علم الكلام وعلم أُصول الفقه(٤) . كل هذا كان إثراءً للفقه لا شك بما انضاف إليه من جانب عقلي . .

على أنّ القياس — وهو غاية الأُصوليين الفقهاء — ربما تمثّل أكثر عند الإمام الشافعيّ " ت ٢٠٤ هـ " في الرسالة فهو يقول : " ونحكم بالإجْماع ثم القياس ، وهو أضعف من هذا (ربما يقصد أضعف من الحكم بالكتاب والسنة) ولكنها مَنْزلة ضرورة ، لأنّه لا يحل القياس والخبرُ موجودٌ ، كما يكون التَيَمّمُ طهارةً في السفر عند الإعواز من الماء ، ولا يكون طهارة إذا وُجِد الماءُ ، إنّما يكون طهارة في الإعواز "(٥) . وقد جعل الشافعيُّ الاجتهاد والقياس صِنْوَيْن ، جماعهما في هذه العبارة : " كل ما نَزَلَ بمُسلم ففيه حُكم لازمٌ ، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة ، وعليه إذا كان فيه بعينه حكمٌ اتّباعه ، وإذا لم يكن فيه بعينه طَلَب الدلالة على سبيل الحقّ فيه بالاجتهاد ، والاجتهادُ القياس "(٦) .

---

(١) الشاطبي : الموافقات في أصول الاحكام ، الطبعة السلفية بمصر ، ١٣٤١هـ ، ١٨/١

(٢) السابق ، ص ١٦

(٣) الموافقات ١٦/١

(٤) انظر هذا مفصلا في الموافقات ١٩/١

(٥) الشافعي : الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الاولى ١٩٤٠ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ص ٥٩٩/٣ — ٦٠٠

(٦) السابق ، ص : ٤٧٧

وهكذا نرى أنّ القياس في علم أصول الفقه - وخاصةً عند الإمام الشافعي - قد أصبح مصدرًا من مصادر التشريع - فيما لم يصدر عنه نص - يَعْتمد على الجانب العقلي . ولقوة القياس اتخذه النحاة اتجاهًا لهم ، فأوجدوا الجانب العقلي في النحو ، وقد رأينا ذلك فيما مضى ، وازداد تأثر النحويين بعد ذلك بالقياس ، من ذلك سؤال محمد بن الحسن القاضي الفراء في مسألة فقهية ، سأله : " ما تقول فيمن سَها في صلاته ثم سَجَدَ لسهوه نسيها في سجوده أيضا . قال الفراء : لا شيء عليه . قال : وكيف ؟ قال : لأنّ التصغير لا يُصغَّر ، فكذلك السهو في سجود السَّهْو لا يسجد له . لأنه بمنزلة تصغير التصغير . فالسجود للسهو هو جَبْرٌ للصلاة ، والجبرُ لا يُجْبر ، كما أنّ التصغير لا يُصغَّر "(١) .

فنحن هنا نرى قوة القياس رغم أنّ المقيس والمقيس عليه ، لا يجمعهما في المعنى أصل حقيقي فيُعْتبر أحدهما بالآخر . ومن هذا النوع " أنّ أبا العباس بن البناء سُئل فقيل له : لِمَ لَمْ تعمل إنّ في هَذان من قوله تعالى " إنّ هَذانِ لَساحِران " فقال في الجواب لَمّا لَمْ يؤثر القول في القَوْل ، لم يؤثّر العامل في المَعْمول . فقال له السائل : ياسيدي وما وجه الارتباط بين عمل إنّ والكُفّ في النهيين ؟ فقال له المُجيب : يا هذا إنّما جئتك بنوارة يحسُنُ رونقها ، فأنتَ تُريد أنْ تحكّها بين يديك ، ثم تطلبُ منها ذلك الرونق "(٢) .

ولعلنا بعد ذلك قد استوضحنا روافد التأثير في النحو العربي ، والتي أرجعناها على وجه الخصوص - إلى علمَيْ الكلام وأصول الفقه . واذا كان ذلك كذلك فإنّنا نرى أن روافد التأثير كانت روافدَ داخليةً مُستمدةً من " المناخ " الإسلامي العام الذي نشأت فيه علوم اسلامية تستهدف فهم النص القرآني والمحافظة عليه .

ورأينا هذه العلوم تَجْمع بين " النَّقْلِ " و " العَقْلِ " ، وعلمنا - على وجه الخصوص - النحو والكلام وأصول الفقه علومًا جامعةً بين هاتين الصفتين ، وأنها كانت أكثر العلوم الإسلامية اتصالاً ببعضها ، فكانت أكثر تأثيرًا وتأثرًا . ومن ثمّ عرف النحوُ طريقة نحو الازدهار .

---

(١) الموافقات ١/٤٩
(٢) السابق ١/٥٠

ثالثاً : ازدهار النحو أيام الخليل وسيبويه :

الحق أن النحو العربي كان مُتهيئاً للازدهار قبل الخليل ، لأنه كان يتميز باتجاهين :

أ - اتجاه قياسي

ب - اتجاه سماعي

وقد مرّ بنا العلماء الذين تزعموا هذين الاتجاهين ، ونحسب أنهما من دعائم الدرس النحوي ، وأخذ الاتجاهان يطّردان حتى كان الخليل ابن أحمد فرأينا المادة النحوية عنده تتمثل في القياس والتعليل بشكل مطّرد ، إلا أن التعليل - على وجه الخصوص - كان مما يمتاز به اتجاه الخليل ، ولعل هذا - فيما اعتقد - كان بدءاً لازدهار النحو العربي ، لأن " التعليل " ربما كان من معاقد الدراسة النحوية ، حتى إنه بعد ذلك قد غلب على الأفكار النحوية خاصة بعد تأثر النحويين بالمنطق الأرسطي .

والمادة النحوية في واقعها ومنهجها النظريين يرجع تكوينها إلى الخليل حقاً ، يدلنا على ذلك الآراء التي ينقلها سيبويه عن الخليل ، وهو عُمْدته فيما ينقل ، فقد أحصى أحدُ الباحثين مواضعَ النقل عنه في الكتاب ، فكان جُلّها عن الخليل ، إذ " روى عنه ٥٢٢ مرة "(١)

وهذا الرصد الضخم عن آراء الخليل يبين لنا كيف تكوّنت هذه المادة النحوية عند الخليل الذي ساعده على ذلك عقلُه الحاد الذي استطاع أن يتمثل كلّ ما سمع عن العرب في رحلاته اليهم ، فأخذ يُفرغ ذلك على طلبته في مجالسه وهم يكتبون عنه .

ويبدو أن النحوَ بمعناه الحقيقي قد بدأ الناسُ يعرفونه مِنَ الخليل ، لأن يونس نفسه كان قاصراً نفسه على الإفادة من الخليل وحضور مجالسه ، كما أن الكسائي لما سأل عَمَّن يُعلّم النحوَ ذُكِرَ له الخليل ، بل إن الكسائي سأله بعد ذلك عن مصادر علمه لاعجابه بما يأتي به ، ولذلك قُلنا في بداية هذا الفصل إن مصطلح " نحو " ربما تواضع عليه الناس في أيام الخليل .

---

(١) الدكتور مازن المبارك : النحو العربي ، العلة النحوية : نشأتها وتطورها ، الطبعة الاولى ١٩٦٥ ، المكتبة الحديثة ، ص ٥٢ .

ولم تكن المادّة النحوية قبل الخليل متمثلةً إلاّ فى مآخذ النحاةِ على الشعراء وغيرهم ، ومن ثمّ لم نسمع عن مجالسَ لهم يُلقون فيها أُصولاً تشير الى حدود هذا العلم ، بينما ظهرت أوائلُ هذه الحدود فى آراءِ الخليل متمثلاً ذلك فى توسّع التعليل عنده ، وهو كما قلنا من أُسس الدراسة النحوية . ومن تعليلات الخليل التى ذكرها سيبويه فى الكتاب: "قولك خَشَّنتُ بِصَدْرِه ، فالصدرُ فى موضع نصب والباءُ قد عملَتْ ، ومثلُه : " قُلْ كفى باللّه شهيداً بَيْنِى وبَيْنَكُمْ " إنّما هو كفَى اللهُ ، ولكنك لمّا أدْخلت الباءَ عملَتْ والموضعُ موضع نصب والمعنى معنى النَّصْبِ ، وهذا قولُ الخليل رحمه اللهُ "(١) .

وسأل سيبويه الخليل " عن أيّهم لِمَ لَمْ يقولوا أيّهم مررتُ به ؟ فقال : لأنّ أيّهم هو حرفُ الاستفهام لا يدْخل عليه الالفُ . وإنّما تركت الألفُ استغناءً فصارت بمنزلة الابتداءِ . ألا ترى أن حدَّ الكلام أنْ تُؤخّر الفعل فتقول : أيّهم رأيت ، كما تفعل ذلك بالالف ، فهى نفسُها بمنزلة الابتداء ، فان قلت : أيُّهم زيدًا ضَرَبَ ، قبُح كما قبُح فى متى ونحوها . وصار أنْ يَليَها الفعلُ هو الاصلُ لأنّها من حروف الاستفهام ولا يحتاج إلى الألف فصارت كمتى وأين ، وكذلك مَنْ وَلا لأنّهما تجريان معها ولا تُفارقانها . تقول : مَنْ أمَةَ الله ضَرَبَها ؟ وما أمَةَ الله أتاها ؟ نَصْبٌ فى كلّ ذا ، لأنّه أنْ يَلِيَ هذه الحروف الفعل أولَى "(٢)

وقال الخليل : " إنّما لا تعمل فيما بعدها كما أنّ " أرى " اذا كانت لغْوًا لم تعمل . فجعلوا هذا نظيرها من الفِعْل كما أنّ نظيرَ إنّ من الفعل ما يَعْمل "(٣)

ونلاحظ أن هذه التعليلات كما أشرنا من قبل ليست ميتافيزيقية ، وإنْ كان ذلك طابعَ النحويين القُدامى فى تعليلاتهم أيضًا ، إلاّ أنّ ما يهمنا هنا أنّ هذه النصوصَ تُبين لنا أوائلَ الدراسة النحْوية من خلالها متمثّلة فيها ، وقائمة على التعليل الذى مَيّز اتجاه الخليل - خاصة - ومن بعده تلميذه سيبويه الذى سَجّل لنا المنهجَ النحوىَّ حقًا فى كتابه .

ولما ظهر كتابُ سيبويه بَدأ العلماء يتدارسونه ، لأنّه أولُ عمل لُغوى - كما قلنا - له منهج يقوم عليه ، وكان الكسائى نفسُه يقرأ كتاب سيبويه على الأخْفَشِ سِرًّا مقابل خمسين دينارًا (٤) ، مما يرجح أن الكسائىَّ بدأ يكون لنفسه مذهبًا نحْويا ، بل لعل ذلك كان

---

(١) الكتاب ١/٤٧ - ٤٨ (٢) السابق ، ص ٦٤
(٣) السابق ، ص ٢٨٣ (٤) انظر مراتب النحويين ، ص ١٢٠

منذ تلمذته للخليل ، فكان لا بُدَّ أنْ يختارَ تلاميذَ له يتوسَّم فيهم النَّجابة ، لأنه كان أستاذا لهم فى القراءاتِ ، فهو على معرفة بهم ، يدلنا على ذلك أنَّ تلاميذه فى النَّحو كانوا — قبل — تلاميذ فى القراءة ، وأظنّ القراءَ شاهدَ صِدْق على ذلك .

إذنْ ظهورُ كتابِ سيبويه — فيما أرى — ترتَّب عليه ازديادُ الحركةِ النحويةِ فى البصرة لأنَّ الكتابَ ظهر بها . كما ازدادت هذه الحركةُ بالكوفةِ ، لأنَّ الكسائىَّ هناك ، وقد تلمذ للخليل من قبلُ ، ومن ثَمَّ فهو على صِلة بالحركة النحوية بالبصرة .. أخذ الكسائى يَرْصُدُ هذه التطوراتِ النحوية ، ويمصّر بها تلاميذه حتى بدأتْ المناظراتُ بين الكوفة والبصرة فكان ذلك بدءاً للمدرسة الكوفية على ما أظن .

رابعا : الكسائىُّ وبدءُ المدرسةِ الكوفية

اعتقد أنَّ مناظراتِ الكسائىِّ كانت بدءاً لتكوين مدرسته النحوية ، نَعَم، كانت هناك مجالسُ تُشْبه هذه المناظراتِ ، غير أنَّ هذه المجالسَ كانت بين البصريين ، مثال ذلك " مجلسُ الخليل مع سيبويه " عندما سُئِل الخليلُ عن قول الله عز وجل " ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ من كُلِّ شِيْعةٍ أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتِيّا " فافتَى فيها الخليلُ وغلَّطه سيبويه ، ثم أفتى يونس وخطّأ سيبويه (١)

إلَّا أنَّ المناظراتِ التى حدثت بعد ذلك بين نُحاة البصرة ونحاة الكوفة ، كانت بدءاً للخلاف بين المذهبين ممَّا عمَّق جذورَ كُلٍّ منهما وخاصة الكوفة بعد أن تمثَّل قارئها الكسائىُّ نَحْوَ البصرةِ . ولعلَّ أولَ مناظرة بدأت بين الكوفة والبصرة تلك التى كانت بين سيبويه والكسائى ، وشغلَتْ كثيراً من النحويين بعد ذلك شغلا لا أعتقدُ أنَّه ذو جَدْوى وذلك لسببين فى رأيى :

الأول : أنَّ النحاة ربما نَسُوا أنَّ الكسائى لم يُنْكر وجْهة نظرِ سيبويه فى هذه المسألة .

الثانى : أنَّ النحاةَ أخذوا يُؤولون المسألة ويخرّجونها بعد ذلك على أساس فيه اغراق وفلسفةٌ ، إذ المعروف أنَّ النحاة المتأخرين قد اتَّصلوا بالمنطق الأرسطى اتصالاً حتى كاد التعليلُ يَطْغى على وُجوه المسائل ، ولو أنَّهم عرفوا أنَّ الكسائى يعتمد بما يسمع ، وأنَّه كان أكثرَ النحاةِ رحلةً — وربما من الخليل نفسه — ، وأنه كان يملك النصَّ الأمْثلَ الذى يُقاسُ عليه ... لو علموا ذلك كله ما كان أغناهم عن التعلل والتفلسف .

---

(١) انظر هذا فصلا لمحمد السيوطى : الاشباه والنظائر ، مطبعة مجلس دائرة المعارف آباد ١٣١٧ هـ ٣/١٦ — ١٧

المسألة قالَ فيها سيبويه : فإذا هُو هِيَ ، وقال الكسائيّ : فاذا هُو إيَّاهَا " العرب ترفعُ ذلك كلّه وتنصِبه "(١) إذنْ الخلافُ ههنا بين الكسائيّ وسيبويه — كما أتصوره — أنَّ سيبويه ربما لم يسمعْ النصبَ في هذا ، فما عُرف عنه رَحَالة ، فضلاً عن أنه — بعد الخليل — أصبحَ زعيمًا للأُصول البصرية النحويةِ التي أخرجَها هو للناس في الكتاب ، وكانت هذه الأُصول تتمثل النماذجَ اللغوية المُثلى ، فيجوز أنَّ النصبَ في نحو هذه المسألة لم يكنْ من هذه الأُصول ، ولم يرد في بابها ، صحيح أن مثل وجْه سيبويه قد أورده النصّ الكريم ، قال تعالى : "فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى " (طه ٢٠) وقال : " فألْقَى عصاهُ فإذا هِيَ ثُعبانٌ مُبِين " (الشعراء ٣٢) ونحن نعرف أنَّ النصّ الكريمَ لم ينتظم لهجةً بعينها ، فربما كان وجهُ الكسائيّ في المسألة له ما يؤيده من المسماع ، ومن ثَمّ لا نستطيع الحكمَ عليه بتخطئته — وخاصةً أنّه لا يترتب على ذلك فساد المعنى . ويَنْضاف إلى ما مضى أنَّ بعض القراءات الشاذة ربّما تؤيدُ وِجْهةَ نظر الكسائيّ ، نحو قوله تعالى : " لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ ونَحْنُ عُصْبَةٌ " (يوسف ١٤) بالنصب — أي نُوجَد عصبة .

ونحن نعرف أنَّ الكسائي لم يُوجّه المسألة (٢) على نحوٍ ما ، ولم يفعل سيبويه كذلك ، إنّما كان الحكم بينهما العرب . فيقال إنَّ العربَ قد أرشَوا على تأييد الكسائي . فيُذْكَرُ أنَّ الكسائيّ قال ليحيى بن خالد : " هذه العرب ببابك قد اجتمعت من كل أوْبٍ ... وهم فُصحاءُ الناس ، وقد قَنَعَ بهم أهلُ المِصْرين ... فسَلْهم عن المسائل التي جرتْ .. فتابعوا الكسائي (٣) . وقيل إنَّ يحيى أمرهم أن ينطِقوا بذلك ، لِمكانةِ الكسائيّ من الرشيد .

ولا اعتقد أن الكسائيّ قال : " إيَّاها " لأنه كان يعلم سلفًا تأييد العرب له ، بل أحسبُ أنَّ الكسائيّ بعد أن تمثّل النحو البصري — يعني أصولَ النحو — رأى في نفسه ، وفي تلاميذه جبهةً — إنْ صحّ التعبير — مواجهةً للآراءِ البصرية ، وعلم أنَّ البصريين ضيّقوا في أُصولهم على أنفسهم . أمّا هو فقد رَوَى الحروفَ وتملّمها ، ورحل — أيضًا — الى بوادي الفصاحة ، فجاء منهجه مستقطباً الأُصولَ البصريةَ وزاد عليها وربّما غيّرَ فيها . كل هذا دفعه الى أن يستقلّ بمذهب ، حتى لا تظل البصرةُ مستأثرةً بكل شيء . وقد يكون مما ساعده على ذلك . أنّ علماء الكوفة على وجه التخصيص ، كانُوا ذوي حُظْوة عند العباسيين ، فاستهمّتْ الاسبابُ لأنْ يقيم أصولَ مدرسته في النحو .

(١) السابق ، ص ١٦
(٢) انظر المسألة في المعنى : ١/ ٨٨ — ٩٣ ، والاشباه والنظائر ، ٣/ ١٥
(٣) الاشباه والنظائر ٣/ ١٥

الباب الثاني

الكسائي والقراءات

الفصل الاول : الكسائي أحد القراء السبعة

الفصل الثاني : قراءات الكسائي

الفصل الأول

الكسائي أحد القراء السبعة

لما كان هذا الفصل للحديث عن الكسائي باعتباره واحداً من القراء السبعة ، نرى أن نقدم لهذا الفصل بحديث موجز عن القراءات ، نشأتها ، والاختلاف فيها ، حتى نصل من ذلك إلى فكرة القراءات السبع ومتى نشأت ، وكيف صار الكسائي من السبعة .

نشأة القراءات والاختلاف فيها :

بدأت القراءات بمنهج وثيق متمثل في تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن عن جبريل عليه السلام ، ثم عرضه عليه كل عام مرة الى أن قبض ـ عليه السلام ـ فعرضه عليه مرتين في السنة التي قبض فيها .

وعلى أساس هذا المنهج الموثق أخذ الرسول يقرأ على صحابته ، ويقرأون عليه ، من ذلك قول ابن مسعود : " قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي ، قلت يا رسول الله ، أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال : نعم . فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الاية " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه فاذا عيناه تذرفان " (١)

وبيد هذا المنهج الموثق كان الاختلاف في القراءة بين الصحابة والرسول بينهم يقرهم على اختلافهم ، بل إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقر كثيرين ممن دخلوا الإسلام بعد ذلك على تباين ألسنتهم ، تسامحاً منه ، ومراعاة لمقتضى أحوالهم ، ولما حديثه " إني بعثت إلى أمة أميين ، منهم المجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط " (٢) يؤكد سبب إقرار الرسول لهذا الخلاف ، مما جعل ابن قتيبة يرجع هذا الاختلاف الى اختلاف لهجات العرب التي درجوا عليها ، فأصبحت عادة يصعب التخلي عنها مرة واحدة " إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة " (٣)

وكان الرسول في أثناء ذلك يأمر كتبة الوحي ، فيكتبون كما كانوا يحفظون ، إلا أن بدأ الخلاف ينشأ في ولاية أبي بكر الصديق عندما استحر القتل في حفظة القرآن ، فأشار

---

(١) ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة البهية المصرية ٩/ ٧٧ " طبع سنة ١٣٤٨ هـ بمصر "
(٢) الزركشي : البرهان ١/ ٢٢٧
(٣) ابن قتيبة : تأويل شكل القرآن ، الحلبي ١٩٥٤ ، ص : ٣٠

عهد بجمع القرآن ، فأسند أبو بكر مهمة جمعه إلى زيد بن ثابت ، فجمعه في صحف " فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات ، ثم كانت عند عمر حتى مات ، ثم كانت عند حفصة "(١) . ثم جمع في عهد عثمان على صحف حفصة في إمام موثق لتنسخ منه مصاحف للأمصار . وكانت مصاحف الأمصار غير منقوطة وبها بعض الاختلافات نتيجة لمراحل الجمع أولاً ، مع العلم بأن هذه الاختلافات تواترت بها الأخبار .

ولما كانت الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء - رضي الله عنهم - جدوا في ايفاد من يعلم أهل الأمصار المفتوحة ، فتلقى كل مصر عن صحابي ، وكان الصحابة مختلفين والنبي يقرهم ، فضلاً عن أن مصاحف عثمان المجموعة على حرف كانت محتملة للاختلاف ، فأخذت تتعدد القراءات ، وأخذت الأمصار تتشبع لقراءة من أقرأها القرآن بعثن أو فدوا في عهد الخلفاء ، وكثر الأئمة في القراءة تبعاً لذلك على مر السنين . ونتيجة لكثرة هؤلاء الأئمة وجد الناس الأمر خطيراً ولا مناص من الإجماع على قراءات أئمة ثقاة عدول ، فبدأ الناس يتجردون لذلك حتى لا تتسع المشكلة .

هذا عرض موجز من القراءات نشأتها وكيف اختلف فيها ، لنصل من ذلك إلى نقطتين هامتين نريد أن نتحدث عنهما في هذا الفصل ، هما :

أولا : نشأة القراءة بالكوفة ومكانة ابن مسعود فيها

لعل قراءة القرآن تكون قد بدأت بالكوفة في زمن سعد بن أبي وقاص عندما كتب له عمر بن الخطاب أن يتخذ للمسلمين دار هجرة " تتحول إلى الكوفة ، فاختطها ، وأقطع الناس المنازل ، وأنزل القبائل منازلهم ، وبنى مسجدها وذلك في سنة ١٧ هـ "(٢) فقد يكون ابتناء المسجد في هذا العام بدءاً لقراءة القرآن ، إذ لم يكن هناك مكان للتعلم إلا المسجد في هذا الوقت .

والذي يدلنا على انشغال الكوفة بقراءة القرآن بعد ذلك هذا الخبر الذي ورد في الطبقات الكبيرة " قال قرظة بن كعب الأنصاري : أردنا الكوفة ، فشيعنا عمر إلى صرار ، فتوضأ فغسل مرتين . وقال : تدرون لم شيعتكم ؟ فقالوا : نعم . نحن أصحاب رسول الله " صلعم " ، فقال : إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلونهم . جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله " صلعم " ، امضوا وأنا شريككم "(٣)

(١) الداني : المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الامصار ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مطبعة الشرقي بدمشق ١٩٤٠ ، ص : ٣ - ٤

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، الطبعة الاولى ، مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٩٠١ ، ص : ٢٨٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبير ، ٩/٦

وهذا الخبر دليلٌ على أنَّ قراءة القرآن ربما كانت همًّا للكوفيين ، دون أنْ نَصْرف مُعلِّمًا بعث بقصد تعليمهم القرآن وقراءته .

وربما كانت الكوفة بموقعِها الخصيب قبلَةَ أنظارِ العرب وزعمائهم ، ففيها " هَبَطَ سبعُونَ رجلاً من صحابة الرسول ممَّن شهدوا بدرًا ، وثلاثمائة من أصحاب الشجرة "(١) مما قد يفسِّر لنا سبب نشأة القراءة بالكوفة ، أو مَّا ساعد على هذه النشأة . ولعلَّ عبدَ الله بن مسعود أولُ صحابي بُعِثَ إلى الكوفة بقصد تعليم أهلِها القراءةَ ، يدلُّنا على ذلك كتابُ عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة " أمَّا بعدُ ، فإنِّي بعثْتُ إليكم عمَّارًا أميرًا ، وعبدَ الله مُعلِّمًا ووزيرا ، وهُما من النُّجباء مِنْ أصحاب رسول الله " صلعم " فاسمعوا لهما ، واقتدُوا بهما ، وإنِّي قد آثرتُكم بعبدِ الله على نفسي اثرة "(٢)

وهذا النص يوقفنا أمامه ، لانه يمثل — حقيقة — أول اتصال بين الكوفة وقراءة القرآن عن طريق صحابي قرأ على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان عبد الله بن مسعود أول قارئ يأخذ بقراءته أهل الكوفة ، قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة ، ثم هو من أعلم أصحاب النبي بالقرآن ، وهم يعترفون بذلك ، يقول عبد الله بن مسعود : " لقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم ، ولو أني أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الابل لأتيته ، فقال أبو وائل : فقمت الى الخلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت أحدا من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه "(٣)

ويبدو أنَّ مبلغَ علم ابن مسعود جعل له مكانةً خاصة في نفوس الكوفيين ، يدلنا على ذلك موقفهم منه عندما بَعَثَ إليه عثمانُ بنُ عفان يستقدمه إلى المدينة ، فقالوا له : " أقِمْ ونحنُ نمنعك أنْ يصلَ إليكَ شيء تكرهه ، فقال عبدُ الله إنَّ له عليَّ حقَّ الطاعة ، وإنها ستكون أمورٌ وفتنٌ ، فلا أحب أن أكونَ أولَ من فتحها ، فرد الناس وخرج إليه "(٤) وقد كان مما يَلفت النظر إلى ابنِ مسعودٍ ، ويجعل القلوبَ تتعلقُ به رطابةُ صوته وهو يقرأ القرآن ، وقد أحبَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فيه ، فقال : " من أحبَّ أنْ يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فليقرأْ قُرآن ابنِ أمِّ عبد "(٥)

---

(١) ابن الفقيه : البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٢ هـ ، ص : ١٧١ ، وانظر أيضا طبقات ابن سعد ٤/٦

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٦

(٣) ابن الاثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، جمعية المعارف ١٢٨٦ هـ ، ٢٥٩/٣

(٤) السابق ، ص : ٢٦٠

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق الدكتور صلاح الدين النجد ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ ، ٣٤٠/١

وكان أهلُ الكوفة يجلسون إلى ابن مسعودٍ ويُملي عليهم المصاحفَ عن ظهر قلبه وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه ولمّا علم ذلك هانَ الأمرُ عليه ، لأنه يعرف مدى علمه وورعه وَرأيِ الرسولِ الكريمِ فيه ، وقال : " والله ما أعلمُ بقي من الناسِ أحدٌ هو أحقُ بذلك منه " (١)

ولمّا بدأ عثمان — رضي الله عنه — يجمع الأُمّة على إمامٍ واحد ، أمر عبدُ الله بن مسعود أهلَ الكوفة أن يَسْتمسكوا بمصاحفهم التي عليهم أملَى ، لأنه يرى أنّه أخذَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ثَمَّ لا يجوز ترك ما أخذ عنه ، قال ابن مسعود : " من استطاع منكم أن يَغُلَّ مصحفه فليغُلّه فانّه من غلَّ شيئا جاء به يوم القيامة " ثم قال : لقد قرأت من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، أفأترك ما أخذت من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ " (٢) مستشهدا على ذلك بقوله تعالى : " ومَنْ يغلُلْ يَأْتِ بِمَا غلَّ يومَ القيامةِ " (آل عمران ١٦١)

هنا نلاحظ ابن مسعود وكأنّه يحاول أنْ يُوقف أهلَ الكوفة على كلّ ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مما قد يُفسر لنا مكانته بينهم ، لأننا عرفنا من قبلُ أنّ نفرا من صحابة رسولِ الله كانوا من أوّلِ مَنْ نزل الكوفةَ فحَرِيَ بهم إذنْ أنْ يتلقّفوا كل شيء عنه ، وأنْ تزداد مكانة مَنْ يُلقي إليهم هذا . ومما يدل على أنّ الكوفة أخذت تتمثل ابن مسعود " أنّ ابن مسعود ترك عطاءَه حين مات عمرُ . وفعل ذلك رجالٌ من أهل الكوفة أغنياء " (٣) . على أنّه قد توثقت مكانةُ ابن مسعودٍ بين أهلِ الكوفة حتى إنّه قيل إنه كوّنَ طائفةً من القُراء وإنها لم تكن مَقْصورة على قراءة القرآن فحسب ، بل قيل إنّها طائفةٌ لها زِيٌّ خاصٌ وسلوكٌ خاصٌ ، وقد يكون لها تدريبٌ خاصٌ .

وتذكر بعض المصادر أن ابنَ مسعودٍ كان له " أصحابٌ سادةٌ ، منهم علقمةُ والأسودُ ومسروقٌ وعبيدةُ السلمانيُ وأبو وائلٍ وطارقُ بنُ شهاب وزرُّ بن حُبَيْشٍ وأبو عمرو الشيباني وأبو الأحوص وزيدُ بن وَهْب " (٤) . وذكرَ عبدُ الرحمن بن أبي ليلى " أنّ ابنَ مسعودٍ كان اذا اجتمع إخوانهُ نشروا المصحفَ ، فقرؤوا وفسّرَ لهم ، وعن مسروق قال : كان عبد الله يُقرِئُنا القرآن في المسجد ، ثم نجلس بعده ، نثبّت الناس " (٥) . فربما يكون هؤلاء

---

(١) سير أعلام النبلاء ، ص ٣٤١ (٢) السابق ، ص : ٣٤٨
(٣) السابق ، ١/٣٥٥
(٤) الذهبي : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مكتبة القدس بالقاهرة ، ١٣٦٨ هـ ٢/١٠٠
(٥) غاية النهاية ١/٤٥٩

الأصحابُ والإخوان هم عينُ الطائفة التي يُقال إن ابنَ مسعودٍ كوَّنها . وإن كان من المهم أن نعرف شيئاً عن هذه الطائفة ، إلا أن الأهمَّ أننا نستطيع أو لعلَّنا نستطيع أنْ نزعمَ أنَّ عبدَ الله بن مسعود كان حريصًا أن يبثَّ علمه في أهل الكوفة ، كما كان حريصا أن يترك مدرسة — إن صحَّ هذا — اتخذت القرآنَ وما يتصل به شعارًا لها ، وربَّ موقفٍ له يبين لنا هذا " لمَّا أراد عبدُ الله أن يأتيَ المدينةَ جمعَ أصحابه فقال : والله إني لأرجو أنْ يكونَ قد أصبحَ اليومَ فيكم منْ أفضلِ ما أصبحَ في أجناد المسلمين من الدين والعلم بالقرآن والفقه "(١) وحدث " الأعمش عن حبيب عن أبي عبد الرحمن السُّلمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، قال : اتَّبعوا ولا تبتدِعُوا فقد كُفيتم "(٢)

وكان من تلاميذ ابن مسعود في الكوفة هؤلاء :

عبدُ الله بنُ حَبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السُّلَمي الضرير (ت ٧٤ هـ أو ٧٣ هـ)(٣) وزرّ بنُ حُبيش (ت ٨٢ هـ)(٤) ، وعلقمةُ بنُ قَيْس بنُ عبد الله بنُ مالك أبو شبل النَّخَعي (ت ٦٢ هـ)(٥) ، والاسودُ بنُ يزيد بنُ قيس بن يزيد أبو عمرو النَّخَعي الكوفي (ت ٧٥ هـ)(٦) ، ومَسْرُوق بنُ الأجْدع بن مالك أبو عائشة ، ويقال أبو هشام الهمدَاني الكوفي (ت ٦٣ هـ)(٧) ، وعَمرو بن شرَحبيل ، تُوفي في أيام عبيد الله بن زياد (٨) ، وسعيدُ بنُ جبير استُشهد (٩٥ هـ)(٩) .

ثانيا : فكرةُ القراءات السبع ومتى نشأت ، وداج الكسائي في السبعة

المعروف أن عثمانَ — رضي الله عنه — قد جعل للأمةِ مُصْحفا رسميا وأمَرَ باحراق ما عداه من صحف أو مصاحف ، ثم نُسخت مصاحف من المُصحف الإمام بُعِث بها إلى الأمصار ، " فوجد القُراء في المصاحف التي بعثها عثمان للأمصار اختلافاً في بعض الحروف "(١٠) مما جعل المسلمين يتشيعون ازاء تلك المصاحف ، وأصبح كلُّ فريق يرى الحق في قراءته .

---

(١) سير الاعلام ٣٤٩/١

(٢) ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ ، ص : ٤٦

(٣) غاية النهاية : ٤١٣/١ (٤) السابق ٢٩٤/١

(٥) السابق : ٥١٦/١ (٦) السابق : ١٧١/١

(٧) السابق : ٢٩٤/٢ (٨) السابق : ٦٠١/١

(٩) السابق : ٣٠٥/١

(١٠) السجستاني : كتاب المصاحف ، صححه ووقف على طبعه الدكتور آرثر جفري ، المطبعة الرحمانية بمصر ٧/١

وَدَرْءاً لهذه المشكلة " رأى المسلمون أَنْ يُجْمعوا على قراءات أَئِمّة ثقات تجـــرَّدوا للقيام بالقرآن العظيم ، فاختاروا من كُلِ مِصْر وُجِّه إليه مصحفٌ أئمةٌ مشهورين بالثقةِ والأمانةِ في النقل وحُسْن الدين وكمالِ العلم ، أَفْنَوا عمرهم في القراءة والإقراء ، واشتهر أمرهم ، وأجْمع أهلُ مِصْرهم على عدالتهم فيما نَقَلُوا وتوثيقهم فيما قَرَؤُوا وَرَوَوْا ، وعلمهم بما يقـرؤون ، ولم تخرج قراءتهم عن خطِّ مصحفهم "(١) وترتب على هذا أنْ " بدأ العلماءُ يؤلِّفون في القراءات .... فقد ذكروا في كتبهم أضعاف تلك القراءات " أي القراءات السبع "(٢)

مِمَّا مضى رأينا أنَّ الناس يقتربون من الحلِّ بوضع أُسس للاختيار ، حتى " جاء وقتٌ بدأ الناس فيه يُقْبلون على قراءات بعض الأئمة دُون بعض ، وبدأت تظاهر عبارةُ القـراءاتِ السبع على رأْسِ المائتين لسبعة من القُرَّاء توافرت فيهم الثقةُ والأمانةُ وطولُ ملازمتهـــم للقراءة ، وكان هؤلاء السبعة هم :

١ — عَبْدُ الله بنُ كثير بمكة ، وُلِدَ سنة (٤٥ هـ) ولم يزل هو الإمام المجتمع عليه فـــي القراءة بمكة حتى مات (١٢٠ هـ) (٣)

٢ — ابْنُ عامرٍ : " عَبْدُ الله بنُ عامر اليَحْصُبي إمام أهلِ الشام في القراءة ، والـــذي انتهت اليه مشيخة الإقراء بها (ت ١١٨ هـ) (٤)

٣ — نافعُ بنُ عبدِ الرحْمن : ثقةٌ صالح انتهت اليه رياسة القراءةِ بالمدينة وصار النـــاسُ اليها " ت ١٦٩ هـ "(٥)

٤ — أَبُو عمرو بنُ العلاء البصْري ليس في القُراء السبعة أكثر شيوخا منه ، كانَ أعلمَ الناسِ بالقرآن والعربيةِ مع الصِّدقِ والثِّقة (ت ١٥٤ هـ) (٦)

٥ — يعقوبُ بن اسحق الحضْرمي البصْري إمامُ أهلِ البصْرة ومقريـها ، وأَرْوَى النـــاس لحروف القُرآن وحديث الفقهاء (ت ٢٠٥ هـ) (٧)

٦ — حَمْزةُ بنُ حبيب الزيَّات الكوفي ، الإمامُ الحَبْر ، أَدْرك الصحابة بالسِّنّ ، وكان يجوِّد حرفَ ابن مسعود (ت ١٥٦ هـ) (٨)

٧ — عاصمُ بن أبي النَّجُود الكوفي ، شيخُ الإقراء بالكوفة (ت ١٢٧ هـ) (٩)

---

(١) ابن الجزري : منجد المقرئين ، مكتبة القدس ١٣٥٠ هـ ، المطبعة الوطنيـــة الاسلامية ، ص : ٢٢

(٢) ابن حجر : فتح الباري ٩/٢٦

(٣) غاية النهاية ١/٤٤٥

(٤) السابق ، ص : ٤٢٤ — ٤٢٥

(٥) السابق ٢/٣٣٠ — ٣٣٤

(٦) السابق ، ١/٢٨٨ — ٢٩٢

(٧) السابق ٢/٣٨٦ — ٣٨٩

(٨) السابق ١/٢٦١ — ٢٦٣

(٩) السابق ١/٣٤٦ — ٣٤٩

ويبقى هؤلاء القراء على شهرتهم وثقة الناس بهم ، حتى يأتي ابن مجاهد " ت ٣٢٤ هـ " — وكان ذلك على رأس الثلاثمائة ، لان ابن مجاهد ولد سنة ٢٤٥هـ(١) فيسبّع السبعة ، حيث يحذف اسم يعقوب قارئ البصرة ، ويُثبت مكانه عليا بن حمزة الكسائي إمام أهل الكوفة ، ويشذ ما عدا قراءة هؤلاء السبعة .

رُواة الكسائيّ وطرقه :

عندما تواضع الناس على معرفة القراء السبعة وقراءة كلّ منهم ، كان من الطبيعي أن يكثر الرُّواة لكل قارئ . ولمّا وجد العلماء ذلك رأوا أن يوقفوا الناس على الروايات المشهورة ، حتى تبقى لهذا العلم الشريف معالمه . ويتجلّى موقف العلماء من هذا حينما يقول ابن الجزري : " فعمدتُ إلى أثبتِ ما وصَلَ إليّ من قراءاتهم . وأوثقِ ما صحّ لديّ من رواياتهم من الأئمة العشرة قراءِ الأمصار والمقتدى بهم في سالف الأعصار ، واقتصرتُ عن كلّ إمام براويين ، وعن كلّ راوٍ بطريقتين ، وعن كل طريقٍ بطريقين ، مع ما يتّصل إليهم من الطرق ويتشعب عنهم من الفرق "(٢) . وعلى هذا الاختيار وُجِدَ أنّ قراءة الكسائي " من روايتي أبي الحارث والدُّوري عنه "(٣)

أمّا أبو الحارث فكان من أنبه تلاميذ الكسائيّ في القراءة ، وهو الليثُ بنُ خالد أبو الحارث البغدادي ، كان ثقةً قيّماً بالقراءة ضابطاً لها محقّقاً ، كان من جُلّة أصحاب الكسائي تُوفي سنة " ٢٤٠ هـ "(٤) وأمّا الدوري ، فهو إمام القراءة في عصره ، وشيخ الإقراء في وقته ، ثقةٌ ثبتٌ ضابطٌ كبيرٌ ، وهو أولُ من جمع القراءات . وهو حفصُ بن عمر الدُّوري الأزدي البغدادي النحوي ، ونسبته الى " الدُّور " موضع ببغداد . قرأ بسائر الحروف السبعة والشاذ وسمع من ذلك شيئا كثيرا . قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع وقرأ أيضا عليه وعلى أخيه يعقوب بن جعفر عن ابن جمّاز عن أبي جعفر وسليم عن حمزة ومحمد بن سَعْدان عن حمزة ، وعلى الكسائيّ لنفسه(٥) (ت ٢٤٦ هـ ". قرأ عليه ، وروى القراءة عنه : أحمد بن حَرْب شيخُ المُطوّعي ، وأحمدُ بن فرج بالجيم

---

(١) غاية النهاية ١/ ٩ ١٣ (٢) السابق ١/ ١٤٢

(٢) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد بمصر ١/ ٥٤

(٣) البنا الدمياطي : اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر ، المطبعة العامرة بمصر ١٢٨٥ هـ ، ص : ٦

(٤) النشر : ١/ ١٧٢ — ١٧٣ وغاية النهاية ٢/ ٣٤

(٥) انظر النشر ١/ ٣٤

شيخ النقاش ، وأحمد بن فرح بالحاء أبو جعفر المفسر المشهور (١) وممد ، فلمسل الرسم الاتى يوضح لنا روايات الكسائى وطرقه ، ويغنينا عن الكلام (٢) .

---

(١) غاية النهاية : ١/ ٢٥٥ ــ ٢٥٦

(٢) يفرق صاحب الاتحاف بين الخلاف فى القراءة والرواية والطريقة والاوجه بقوله : خلاف القراءات والروايات والطرق خلاف نص ورواية ، فلو أخل القارىء بشىء منها كان نقصا فى الرواية ، وخلاف الاوجه ليس كذلك ، إذ هو على سبيل التخيير ، فمهما أتى وجه أتى القارىء أجزاء فى تلك الرواية ، ولا يكون اخلالا بشىء منها (الاتحاف ص : ٢٠) ويرى عبد الفتاح القاضى أن : القراءة هى خلاف ينسب لإمام من الائمة السبعة فى القراءات مما أجمع عليه الرواة عنه والرواية هى كل ما نسب للراوى عن الإمام ، والطريقة هى كل ما نسب للآخذ عن الراوى وإن سفل (الهدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة من طريقى الشاطبية والدرة ــ الطبعة الاولى ١٩٥٥ مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر ، ص : ٨)

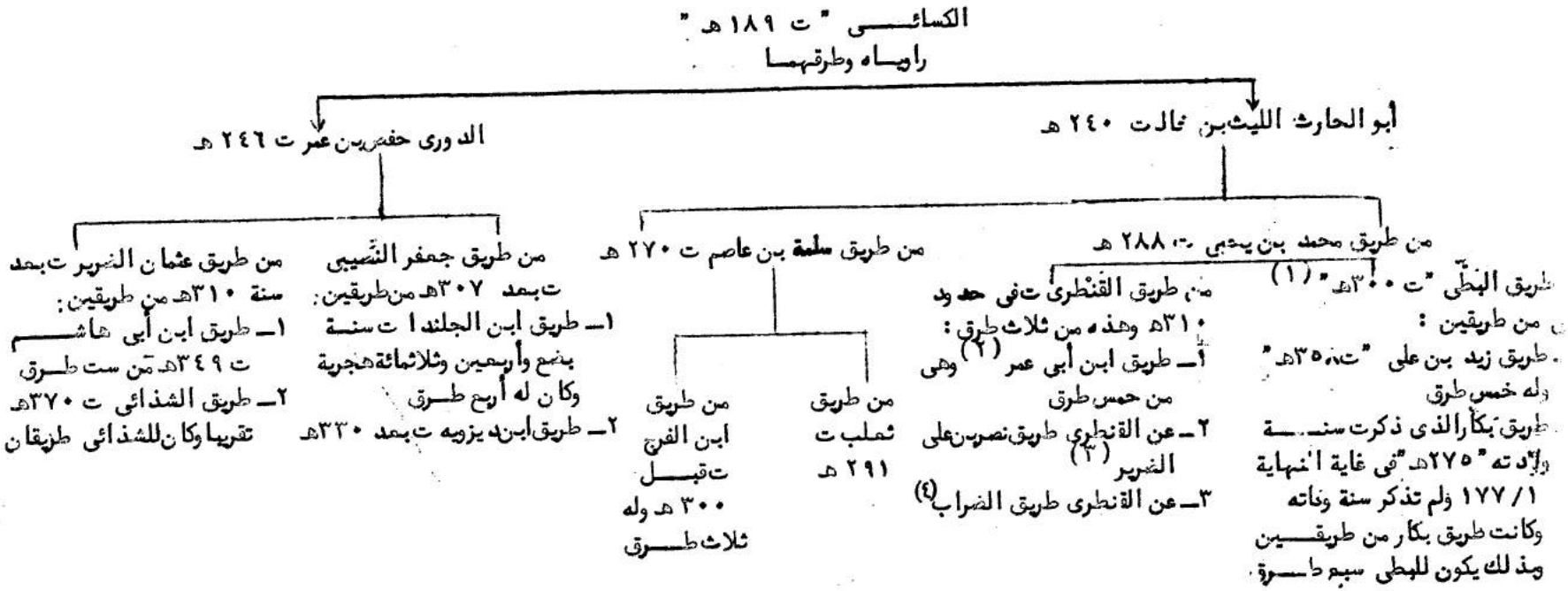

ذكر فى غاية النهاية ١/ ٤٧ أن وفاة البطى " ٣٣٠ هـ " لم نعثر على سنة وفاتـه
ذكر الضرير فى غاية النهاية ٢/ ٣١٨ ولم تذكر سنة وفاته
ذكر فى غاية النهاية ٢/ ١ ولم تذكر سنة وفاتـه

الفصل الثاني

قراءات الكسائي

تبين لنا كتب القراءات والاحتجاج لها أن قراءات الكسائي تتصل بجوانب متعددة من جوانب الدرس اللغوي . ولكي يستبين لنا تناول هذه الجوانب ، فإن دراستنا لها ستكون مقسمة على الوجه التالي :

أولا : قراءات تتصل بجوانب صوتية ، وتتمثل في :

١ ـ الهمز

٢ ـ الإمالة

٣ ـ التخفيف والتثقيل

٤ ـ الإدغام

٥ ـ الوقف والابتداء

ثانيا : قراءات تتصل ببنية الكلمة

ثالثا : قراءات تتصل ببنية الجملة

رابعا : قراءات تتصل بالألفاظ

١ ـ القراءات المتصلة بالجوانب الصوتية

أ ـ الهمز

من تعريفات الهمزة عند القدماء أنها حرف مجهور من أقصى الحلق (١) . وهي في نظر الدرس الحديث صوت صامت حنجري انفجاري (٢) ، وهو يحدث بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، يضغط الهواء دون الحنجرة ، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا (٣)

ونحن نعرف أن الهمزة قد تكون مفردة ، أو مجتمعة في كلمة أو كلمتين ، ثم يكون للمفردة غروب وللمجتمعة غروب أيضاً ، ولذلك رأينا أن نعرض لاضرب هذه الهمزة ، لكي نعرض قراءات الكسائي بعد ذلك عليها . وعلى ذلك فالهمزة قسمان :

---

(١) الكتاب : ٢/٤٠٥

(٢) الدكتور محمود السعران : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، دار المعارف بمصر ـ فرع الاسكندرية ، مطبعة م . ك بالاسكندرية ١٩٦٢ ، ص : ١٧١

(٣) السابق ، ص : ١٧٠ ـ ١٧١

١ — همزة مفـردة ٢ — همزتان مجتمعتان فى كلمة أو كلمتين

والهمزة المفـردة ضربـان :

١ — همزة ساكنـة ٢ — همـزة متحركـة

والساكنة ثلاثة أضـرب (١)

١ — مضموم ما قبلها ٢ — مكسور ما قبلها ٣ — مفتوح ما قبلهـا

والمتحركة ضربـان :

١ — متحركة قبلها متحرك ٢ — متحركة قبلها ساكـن

والهمزتان المجتمعتـان :

أولا : فى كلمـة :

تأتى الأولى منهما زائدةً للاستفهام ولغيره ، ولا تكون إلّا متحركةً ، ولا تكـون همزةُ الاستفهام إلّا مفتوحةً وتأتى الثانية منهما متحركةً وساكنةً . والمتحركة إما أن تـكونَ مفتوحةً أو مكسورةً أو مضمومـةً .

ثانيا : فى كلمتين : وهى على ضربـين :

١ — همزتان متفقتـان ٢ — همزتان مختلفتـان

والمتفقتان يكونان متفقين فى فتح أو كسر أو ضـم

والمختلفتان تنقسمان إلـى :

١ — مفتوحة ومضمومـة ٢ — مفتوحة ومكسـورة

٣ — مضمومة ومفتوحـة ٤ — مكسورة ومفتوحـة

٥ — مضمومـة ومكسورة

والآن ماذا عن قراءات الكسائى فى الهمـز ؟

أولا : الهمـزة المفـردة :

١ — فى الهمزة الساكنة :

أ — مضموم ما قبلها نحو " يُؤْمن — يُؤْتِى — ويقولُ ائذَنْ لـى "

ب — مكسور ما قبلها نحو " بِئْس — جِئْت — الذى ائتُمِـن "

جـ — مفتوح ما قبلها نحو " فَأْتُوهن — فَأْذنوا — وَأْمر أهلـك "

قرأ الكسائى فى هذا بتحقيق الهمـز (٢)

(١) النشر : ١/ ٣٩٠

(٢) الفارسى : الحجة فى علل القراءات السبع ، تحقيق على النجدى ناصف وآخَرين ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥

قرأ الكسائى فى هذا بتحقيق الهمز

٢ ــ الهمزةُ المتحركة وقبلها متحرك

أ ــ مفتوحة قبلها مضموم نحو " يُؤاخِذه ــ المُؤَلَّفة ــ مُؤَجَّلا "

ب ــ مفتوحة قبلها مكسور نحو " رِئَاءَ النَّاسِ (فى البقرة والنساء والانفال) ــ نَاشِئَةَ اللَّيل (فى المزمل) ــ قُرِئَ • قرأ الكسائى بالهمز (١)

جـ ــ مضمومه بعد كسر وبعدها واو نحو "مُسْتَهْزِئُون ــ الصابِئُون ــ مُتَّكِئُون وما أتى من ذلك قرأهُ الكسائىُّ بالهمز (٢)

د ــ مضمومة بعد فتح نحو " لمْ تَطَأُوها ــ تَبَوَّؤُا الدار " • قرأ الكسائى بالهمز (٣)

هـ ــ مكسورة بعد كسر نحو " مُتَّكِئِين ــ خاطِئِين ــ المستهزِئِين قرأ الكسائى بالهمز (٤)

و ــ مفتوحة بعد فتح نحو : (أَرَأَيْتُمْ " الأنعام ٤٠ ، ٤٦ ") ــ أَرَأَيْتَ " الكهف ٦٣ " • قرأ الكسائى وحده : " أَرَيْتُكم " و " أَرَيْتَكَ " و " أَرَيْتَ " من غير همز ولا ألف فى كلِّ القرآن (٥) يقول ابنُ خالوية " الحُجّة لِمَنْ طَرَحَها : أنَّ هذه الهمزةَ لمّا كانت تسقُط من الفِعل المضارِع فى كلام فصحاء العرب ، ولا تُسْتعمل إلّا فى ضرورة شاعر كقوله :

أُرِى عَيْنَىَّ ما لَمْ تَرَأَيَاهُ ... كِلَانا عالِمٌ بالتَّرَّهَاتِ (٦)

كأنَّ الماضى فى القياس كالمضارع إذا قاربه همزة الاستفهام (٧)

٣ ــ الهمزة المتحركة وقبلها ساكن

أ ــ متحركة وقبلها ألف نحو " اسْرَائيل " قرأ الكسائىُّ بتحقيق الهمز (٨)

ب ــ متحركة وقبلها ياء نحو " هَنِيْئًا ــ بَرِئَ " قرأ الكسائى بالهمز (٩)

جـ ــ متحركة وقبلها سكون نحو " شَطْأَه " قرأ الكسائى بهمزة مفتوحة

د ــ متحركة قبلها زاى ساكنة نحو " جُزْءًا " فى قوله تعالى : " ثم اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا " (البقرة ٢٦٠) قرأ الكسائى بتحقيق الهمز (١٠)

---

(١) النشر ١/ ٣٩٦ وهمز غير الكسائى (٢) السابق ١/ ١٩٧

(٣) السابق والصفحة (٤) السابق والصفحة

(٥) السبعة ، ص : ٢٥٧ والنشر ١/ ٣٩٨

(٦) هذا البيت ورد فى سر الصناعة لابن جنى ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الاولى ١٩٥٤ ــ البابى الحلبى بمصر • ١/ ٨٦

(٧) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق بيروت ١٩٧١ ، ص ١١٣ وما بعدها

(٨) النشر ١/ ٤٠٠ (٩) السابق : ص ٤٠٥

(١٠) السابق ١/ ٤٠٦

ونلاحظ بعد ذلك أنّ الكسائى لم يُسهِّل الهمزة إلّا فى قوله : " أَرَأَيتم " وشبّهه كما رأينا. وهو بحذفه الهمزة الثانية ، جَعَلَ ذلك نوعًا من التخفيف ، كما أنّ اجتماع الهمزتين فى كلمة واحدة ، وليس بينهما إلّا صائتٌ قصير (فتحة الراء) جعل نوعًا من الثقل فى النطق ، لصعوبة النطق بالهمزة ذاتها ، فمن ثمّ حذف الهمزة الثانية ، وبدأ بالصّائتِ الطويل " اليـاء " تخفيفا للنطق .

على أننا نجد الكسائىّ يُخفف الهمزة فى موضع آخر لم يتحقق فيه وجود الهمزتين ، وذلك من قوله : " فَأَكَلَه الذِّئبُ " (يوسف ١٤) فقرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وعاصمٌ وابنُ عامر وحمزةُ بالهمز ، وقرأ الكسائىّ بغير الهمز (١) . ويقول ابن خالويه معلّلاً ذلك: " والحُجّةُ لِمَنْ ترك الهمْزَ أنّها ساكنةٌ ، فأراد بذلك التخفيفَ " (٢)

وربما دعا إلى التخفيف أكثر أنّ الهمزة مسبوقة بحرف مشدّد ، لأنه قد مرّ بنا الهمزة ساكنة وقبلها متحركٌ ولَمْ يخففها الكسائىّ فلهذا رجّحنا أنْ يكونَ سببُ التخفيف التشديد على الذال ، فضلاً عن كَوْن الذال صوت مجهور ، وذلك يَعْنى الشدّة ، كما يعنى نوعًا من الصعوبة فى النطق ، فكان فى ترك الهمز ميلٌ إلى التخفيف . ويُوضح الدكتور عبد الصبور شاهين الأمر فيقول : " إذا سكنت الهمزة وأُريد تخفيفُها نظرنا إلى حركة ما قبلها ، فإنْ كانت فتحة صارت ألفًا ، وإنْ كان ضمّةً صارت واوًا ، وإنْ كانت كسرةً صارت ياءً ، مثل رَأْس ، وَراس ، وجُؤْنه وجُونه ، وذِئْب وذِيب ، والمُنفصل كالمتّصل فى هذا التخفيف فتقرأ : إلى الهَدَأتِنا : إلى الهُدَاتِنا ، ويَقُول أَذِنْ : يقولُوذِنْ ، والذى ائْتُمِن الذى ايْتُمِن . وهذا قياس مطّرد (٣) " وقد قال الكسائى فى تخفيف الذئب: "لا أعرفُ أصلَه فى الهمز " (٤)

ثانيـا :ا الهمزتـان المجتمعتـان

١ ــ فـى كلمـة

أ ــ قولـه : " أَأَنذرتهم " (البقرة ٦)

كان الكسائى اذا خفّف قرأ بهمزة مطوّلة " آأنذرتهم " واذا حقّق قرأ بالهمزتين ، وكذلك ما كان مثله فى القرآن من الكلمتين فى الهمزة الواحدة (٥)

---

(١) السبعة ، ص : ٣٤٦ (٢) الحجة لابن خالويه ، ص : ١٦٩

(٣) الدكتور عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، مطابع دار القلم بالقاهرة ١٩٦٦ ، ص :

(٤) مكى أبو طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، تحقيق الدكتور محيى الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ٨٣/١

(٥) الحجة للفارس ١٨٣/١

ب ـ قوله : " أَآلِهتنا "

قرأ الكسائى بتحقيق الهمزة الثانية وكذلك الكوفيّان (١) وقال أبو حيان " خفف الكوفيون الهمزتين " (٢)

جـ ـ قوله : " أَأَعْجمى " قرأ الكسائى بالهمزتين وممه حمزةُ . وهذا يدلّ على الانكار " أقرآنٌ أَعْجمى ورسولٌ عربى ! " (٣)

د ـ قوله : " أَئِنَّكم " و " وأَئِنَّ لَنا لأَجْرًا " و " أَإِلَه " قرأ الكسائى بتحقيق الثانية وتابعه الكوفيّان (٤)

٢ ـ فى كلمتين

والهمزتان قد تتفقان : إمّا كسرًا ، أو فتحًا ، أو ضمًّا

فكسرًا نحو " من النّساءِ إلا "

وفتحًا نحو " وَجَاءَ أَحَدُكم "

وضمًّا نحو " أَوْلِيَاءُ أُولئكَ "

قرأ الكسائى بتحقيق الهمزتين فى هذا كله ، وكذلك ابنُ عامر وحمزةُ وعاصم (٥)

وقد تكونان الهمزتان مختلفتين :

أ ـ مفتوحة ومضمومة " جَاءَ أُمةَ رسولُها "

ب ـ مفتوحةٌ ومكسورةٌ " شُهداءُ إذ " و " جَاءَ إِخْوة "

جـ ـ مضمومة ومفتوحة " يا سماءُ أَقْلِعى "

د ـ مكسورة ومفتوحة " وهؤُلاءِ أَهْدى "

هـ ـ مضمومة ومكسورة " ولا يَأْبَ الشُّهداءُ إِذَا "

قرأ الكسائى فى هذا بتحقيق الهمزتين (٦) وكذلك ابن عامر وعاصم وحمزة

ويتبين لنا بعد ذلك أنّ الكسائىّ كان يحقق الهمزَ فى الغالب الأعم من قراءاته ، بينما رأيناه يخفف فى نحو " أَرَأَيْت " وشبهه ، و " الذِّئْب " .

ولعل ذلك كان لإدراكه " أنّ المخففةَ من الهمزتين فى حُكْم المحققةِ عند العرب "(٧) كما أننا ـ من خلال قراءات القراء فى الهمز ـ نستطيع أنْ نزعمَ أنّ الهمزَ كان أكثر انتشاراً فى العربية وأنّ " تحقيق الهمز من لهجاتِ تَميم وقَيْس وبنى أَسَد ومَنْ جاورها " (٨) وقد رحل الكسائى الى أكثر هذه القبائل

(١) النشر ١/ ٣٦٥ (٢) البحر ٨/ ٢٥
(٣) السابق ٧/ ٥٠٢ (٤) النشر ١/ ٣٦٩
(٥) السابق ١/ ٣٨٢ (٦) السابق ١/ ٣٨٦
(٧) الحجة للفارسى : ١/ ٢١٣
(٨) الدكتور عبده الراجحى : اللهجات العربية فى القرآءات القرآنية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ، مطبعة م . ك بالاسكندرية . ص : ١٠٥

ولنعرف حجم كل اتجاه نرى أن تقدم الهمز عند الكسائى بنسب مئوية ، كما هـــو موضـح بالجدول

الاتجـــاه	النـــوع	النتيجـــة	نسبة شيوع الهمز
الهمزة المفـردة	أ ـ الساكنة بعد مُـدّ	حقق الهمز ماعدا "الذئب" فى سورة يوسـف	١٠٠٪ "مع ملاحظة أن هذه النسبة على أساس أن الكسائى يحقـق الهمزة الساكنة بعـد الضم والفتح والكسر "
	ب ـ المتحركة قبلها متحرك:		
	١ ـ مفتوحة قبلها مضـموم	حقق الهمـز	٩٥٪
	٢ ـ مفتوحة قبلها مكسـور	حقق الهمـز	
	٣ ـ مضمومة بعد كسر وبعدها واو	حقق الهمـز	
	٤ ـ مضمومة بعد فتـح	حقق الهمـز	
	٥ ـ مكسورة بعد كسـر	حقق الهمـز	
	٦ ـ مفتوحة بعد فتـح	لم يحقق الهمز	
	جـ ـ المتحركة قبلها ساكـن " ألف ـ ياء ـ سكون ـ زاى ساكنة "	حقق الهمـز	١٠٠٪
الهمزتان المجتمعتان	أ ـ فى كلمـة	اختلفت الروايا تبين التحقيق والتخفيف ، ومن ثم يصعب الحصول على نسبة .	
	ب ـ فى كلمتين		
	١ ـ اذا اتفقت الهمزتان	حقق الهمـز	١٠٠٪
	٢ ـ اذا اختلفتـا	حقق الهمـز	

ب — الإمالـــــة

لعلَّ ذيوع الامالة بين القبائل العربية ممَّا جعل القدماء يُفْرِدون لها حديثًا خاصـا في كتب النحو والقراءات فصرَّحوا بها وبيَّنوا أسبابها ومستوياتها ومذهبَ كُلِّ قارىء فيها . فهم متفقون على أنها — أى الإمالة — أنْ تنحُوَ بالفتحةِ نَحْوَ الكسرةِ ، وبالألف نَحْوَ الياءِ ثم يبينون بعد ذلك متى تُمال الكسرةُ ، ومتى تمالُ الألفُ ، واذا كانت الألفُ لها أصـل واوى أو يائى ، فأيهما أحسنُ في الإمالة ولماذا . فهم يميلون الألف فـى نحو (عَابِد ، عَالِم) مثلا ، لأنَّ بعدها حرفًا مكسورًا (١) وقد ذكر ابنُ الجزرى أسبابَ الإمالة عنـد القدماء ، فعدَّها عشـرةً (٢) .

وبعد ، فما مذهب الكسائى فى الإمالـة ؟

مذهبُ الكسائىِّ فى الإمالة يحدده صاحبُ الكشف بقوله : وأمالَ الكسائىُّ وحدَه مَحْيَاهُم ، ومَحْيَاكُم ، وَقَدْ هَدَان ، وعَصَانِى ، فَأَوْصَانِى ، وآتَانِى الكِتَابَ ، وآتانِى اللّه ، وأَنْسَانِيْه ، وخَطَايَانَا ، وخَطَايَاهُم ، وخَطَايَاكُم ، ومَرْضَاتِى ، ومَرْضَاة ، وفَأَحْيَاكُم ، وأَنَّ الَّـــذِى أَحْيَاها ، عُطِف بالفاءِ أَوْ لَمْ يُعْطف ، وأمالَ حقَّ تُقَاتِه ، ورُؤْيَاك ، ورُؤْيَاى كله آمالَـــه لأن أَصْلَ ألفه بالياء (٣) . وأضاف ابن الجزرى : دَحَاهَا — تَلاها — طَحَاها — سَجَى (٤) وهُدَاى ومَثْوَاى (٥) . إذن فسبب الإمالة هنا هو ما سمّاه ابن الجزرى " بالإشْعَـــار بالأصل " ، وذلك إذا كانت الألفُ المُمالَةُ منقلبةً عن ياءٍ ، أو عن واوٍ مكسورةٍ (٦) .

وعلى ذلك يمكننا أن نقسم ما أماله الكسائى أنماطـًا :

أ — ما أميل للإشعار بالأصـل

وقد جاء هذا فى قراءته لقوله تعالى : " ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّه " (البقرة ٢٠٧) فقرأ الكسائى وحده : " مَرْضَاتِ الله " مُمالةً ، واخْتَلفَ الباقون فى إمالة الضَّـــاد وفتحِها (٧) . وقوله : " تُقَاة " (آل عمران ٢٨) فقد اختلف القُرَّاءُ فى إمَالةِ القـافِ فأمالَ الكسائىُّ القافَ فى الموضِعَيْنِ جميعًا " يقصد بالموضع الثانى قوله : "حقَّ تُقَاتِه (٨)".

---

(١) أنظر فى هذا الكتاب ٢٥٩/٢ (٢) أنظر النشر : ٣٢/٢ — ٣٥
(٣) الكشف : ١٧٩/١ وأنظر أيضا النشر ٣٧/٢
(٤) النشر ٣٧/٢ (٥) السابق ص ٣٨
(٦) السابق ، ص ٣٥ (٧) السبعة ، ص ١٨٠
(٨) آل عمران ١٠٢

وأمَال حمزة " مِنْهم تُقاةً " إشماماً من غير مُبالغة ولم يُمِلْ حمزةُ " حقَّ تُقاتِه " وفَتَح الباقون القافَ في الموضعين (١) وبذلك يكون الكسائيُّ قد انفَرَدَ بإمالةِ قولِه " حَقَّ تقاته "

وقوله : " وَقَدْ هَدَانِ " (الأنعام ٨٠)
قرأ الكسائي : " هَدَانِ " مُمالة الدَّالِ ، وقرأ الباقُون : " هدان " بالفتح (٢)
وقوله : " وما أنْسَانِيهُ إلاَّ الشَّيْطَانُ " (الكهف ٦٣)
قرأ الكسائي وحده : " وما أنسانيه " مُمالة السِّين ، وكلّهم فتحَها غيره (٣)
وقوله : " ونَئَا بِجانبِه " (فُصّلت ٥١)
قرأ الكسائي : " ونئا " مُمالةَ النُّون والهمزة (٤)
والآن ما موقفُ القدماءِ مِنْ هذا ؟
نأخذ أمامنا مثلاً " مَرْضَاتِ " " نَأَى " " تُقَاة "

فَعِلَّةُ الإمالة في " مَرْضَاتِ " عند مَكِّي إنَّما " لتقريب الألفِ من أصْلِها أو حُكمِها ، ولا بد أنْ يُنْحى بالفتحة التي قبل الألفِ نَحْوَ الكسرةِ ، فبذلك تتمكنُ إمالةُ الألفِ الى نحو الياء في هذا وغيره " (٥) ولكنا نلاحظ أنَّ الالفَ هنا وقعتْ رابعة وأصلُها من الواو وهذا ما يخالفُ القاعدة التي سارَ عليها الكسائيُّ ، فهلْ هذا يعتبر مخالفةً أو شُذوذا ؟

نقول : إن هذا ليس مخالفةً أو شذوذًا ، لأنَّهَ " إذا زادَ الواوىُّ على ثلاثة أحرفٍ فانه يصير بتلك الزيادة يائيًا " (٦) . وكَوْن الألفِ رابعةً أخْرجها " عنْ حُكم الأَلِف الثالثة التي أصلُها الواو . أَلاَ ترى أنَّك تقول : زَكَوْتُ وأَزْكَيْتُ ، فتُثْبِت الواوَ إذا كانت ثالثةً ، وترجع الياء في موضِعها إذا كانت رابعةً " (٧) . وعلى ذلك تكون الإمالة حُسنةً هنا ، " لأن ذواتِ الواوِ إذا صِرْنَ إلى الرباعي حسُنَ فيهِنَّ الإمالةُ ، ولم تمنعها الضاد من الإمالةِ .. " (٨) .

---

(١) السبعة ، ص : ٢٠٤
(٢) السابق ، ص : ٢٦١
(٣) السابق ، ص : ٣٩٣
(٤) السابق ، ص : ٥٧٧
(٥) الكشف : ١/١٧٩
(٦) النشر : ٢/٣٦
(٧) الكشف : ١/٢٠٧
(٨) السابق ، ص : ٢٨٨

ومن ذلك نرى الالفَ فى حُكم المنقلبِ عن الياء ، فأمالها الكسائىّ "كما يُميل ما انقلب عن الياء" (١) ويذهبُ ابن خالويه فى الحجّة نفس المذهب ، حيث يقول : "والحجة لهَ "أى للكسائى " أنَّ ذواتِ الواوِ إذا زِيْدَ فيها أُلحِقت بذواتِ اليـاء ، فأمالَها ليدل بالإمالةِ على ذلك" (٢) .

والحجةُ فى إمالة "نَأَى" ، "يعنى كسر النون والهمزة "أنَّ إمالة "الألف للدلالة عليها ، فكَسَر لها الهمزةَ لقُربِها منها بالمجاورة . وكسر النونَ لمجاورةِ الهمزة ، كما قالوا : شِهِير وبِهِير" (٣)

والحجّةُ فى إمالة "تقاة" للدلالة "على أنَّ أصلَ الألفِ الياء ، لأنها "تَقْيَة" فانقلبت الياءُ ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، كما قالوا : سار ، وباع" (٤) ويمكن أن ينطبق هذا على كل ما أماله الكسائى للإشمار بالأصل .

أمّا موقف الدرس الحديث من إمالة الكسائى أنّها "ضَرْبٌ من ضُروب التأثير الذى تتعرضُ له الأصواتُ حين تتجاور أو تَتقارَبُ ، وهى والفتحُ صائتان ، وقد يكونان طويلَيْن أو قصيرين" (٥) ، "فإذا اجتمعَ صَوْتان مُتماثِلان كلَّ المُماثلة أو بعْضها ، ترتب على هذا أنْ يُؤثّر أحدُ الصوتين فى الآخر تأثيرًا تختلفُ نسبتُه تبعًا للظروفِ اللّغويةِ الخاصةِ بلُغة من اللغات" (٦)

وعلى ذلك فالإمالة فى نظر المُحْدَثين راجعةٌ إلى انسجامٍ بين الأصواتِ ، وإلى الأصلِ اليائى أيضا ، يدلنا على ذلك ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم أنيس من أن "إمالة الفتح الى الكسرِ يَجِبُ فى الحقيقة أن يُعْزَى بصفة عامة إلى أحدِ عاملين :

١ — الأصل اليائى ٢ — الانسجام بين أصوات اللين (٧)

هنا يتفق القدماء والدرس الحديث فى أسباب الإمالة :

أ — القدماء يرجعونها إلى الأصلِ اليائى والمناسبة

ب — والدرس الحديث يرجعها إلى انسجامٍ بين الأصواتِ ، وإلى الأصلِ اليائى أيضًا .

---

(١) الحجة للفارسى ١/ ٢٩٣ (٢) الحجة لابن خالويه ، ص : ٧١
(٣) السابق ، ص : ١٩٤ — ١٩٥ (٤) السابق ، ص : ٨٣
(٥) اللهجات العربية للدكتور عبده الراجحى ، ص : ١٣٤
(٦) الدكتور ابراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربى بالقاهرة ١٩٥٢ ، ص : ٦٠
(٧) السابق ، ص : ٥٨

ب— ما أُمِيل لأجل كثرة الاستعمال " وجودُ كسرة مُتأخرة "

كلهم قَرأ " النَّاس " من سورة (الناس ١) غير ممالة ، إلَّا ما روى الحُلوانى عن أبى عمرو عن الكسائى أن قراءته كانت بإمالة النون من " النَّاس " فى موضع الخَفْض ، ولا يُميل فى الرفع والنصب(١) . نفهم من هذا أن امالة الناس عن الكسائى ، انما تكون فى حالة الخفض فقط ، إذْ هى عنده غيرُ مُمالةٍ فى حالتى الرفع والنصب .

وهذا الذى روى عن الإمالة فى هذا الموضع يجعلنا نقف أمَامَ ما يقُوله ابن الجزرى فى هذا الصدد : يقول : ويُمكن أنْ يُقال إنَّ ألفَ النَّاس منقلبةٌ عن ياءٍ كما ذكره بعضهم (٢) . فاذا كانت منقلبةً عن ياءٍ ، فَلِمَ لَمْ يُمِلْها الكسائىُّ فى حالتى الرفع والنصب ، فيكون بذلك غير مخالفٍ لِمَا سار عليه من قاعدة ؟

يقول ابن الجزرى مبرِّرًا ذلك : " وأما الإمالةُ لأجلِ كثرة الاستعمال فكإمالتِهم الحَجاج علما لكثرتِه فى كلامهم ... ومن ذلك إمالة " النَّاس " ... وهو موجودٌ فى لغتهم لكثرة دَوْرِه " (٣)

وقد يكون هذا صحيحا تمشِّيًا مع مذهب الكسائى فى اعتنائه بالسَّماع عن العرب ، يدلنا على ذلك ما رواه الفراءُ عن الكسائىِّ . حيث يقول : " والحِمَا والرِّضا يثبتان بالالف ، لأن الكسائىَّ سمع العربَ تقول : حِمَوان ورِضَوان ، وحِمَيانِ ورِضَيانِ " (٤) وكانت الإمالةُ مشهورةً فى لغات العرب ، فكاد القدماء أن يتَّفِقُوا على أنَّ " الإمالة لغةٌ عامة أهلِ نَجْد مِنْ تَمِيم وأَسَد وقَيْس " (٥) ، هذا فضلا عن أن الرسولَ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بالإمالة ، كما كانت الإمالةُ غالبةً فى السنة اليمنيِّين فى أكثرِ الكلامِ .

---

(١) السبعة ، ص : ٧٠٣ (٢) النشر : ٢/٣٥

(٣) السابق ٢/٣٤ — ٣٥

(٤) الفراء : المنقوص والممدود ، تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧ ، ص : ٢٣

(٥) النشر ٢/٣٠

والحجازيون على شُهرتهم فى الفَتْح ، كانوا يُميلونَ ، وإنْ كان ذلك فى مواضِعَ قليلةٍ ، فيذكر سيبويه " ومِمَّا يُميلون أَلِفَه كُلُّ شَيءٍ مِنْ بَنَاتِ الياء والواو مِمَّا هُو فيه عين إذا كان أولُ فعلت مكسورًا نحو الكسرة ، كما نَحَوا نحو الياء فيما كانت ألفُه فى موضع اليـاءِ ، وهى لغة لبعض أهلِ الحجاز . فأمَّا العامَّةُ فلا يُميلونَ ، ولا يُميلون ما كانت الواوُ فيـه عينًا ، إلَّا ما كان مُنكسِرَ الأول ، وذلك خَافَ وطَابَ وَهَابَ " (١)

وقد أوردنا هذه النصوصَ التى تشير إلى دَورانِ الإمالةِ على أَلْسِنَةِ كثيرٍ من قبائـل العرب ، لندل على أنَّ قراءة الكسائىِّ " الناسَ " مُمالة فى حالة الخفض ، ربَّما كـان مرجعها كثرة الاستعمال ، خاصةً وأنَّ الكسائىَّ أكثرَ من الرَّحلةِ والتجول ، ومايَشُاهـلَ القبائلِ الباديةِ ، وهم مشهورون بالإمالـةِ .

ولكن الذى يُعوِّزنا هنا ، أنَّنا لم نعرف أَسَمِعَ الكسائىُّ " الناسَ " ممالةً فى محـل الخفض فقط ؟ أمْ أنَّه سمعها مُمالةً على إطلاقها ؟ ذلك ما لم تدلنا إليه النصوص ، ولهذا فاننا نُرجِّح أنْ تكون الإمالة فى " النَّاس " فى موضع الخفض فقط معزوةً إلى سبب آخر مـن أسبابِ الإمالة لعله " وجودُ كسرةٍ متأخرةٍ " نحو " عابد " ، " من الناسِ " ، " فـى النارِ " واذا جاز أن تكون علَّةُ الإمالة فى " الناسِ " " وجودَ كسرةٍ متأخرةٍ " فعلى ذلك أُورد قراءاتٍ للكسائى من هذا النوع ، مع ملاحظة أنَّ الكسرةَ كسرةُ " الراءِ "

قوله : " مَنْ أَنْصَارِى " (آل عمران ٥٢) ، (الصـف ١٤)
قوله : " جِبَارِيـن " (المائدة ٢٢) ، (الشعراء ١٣٠)
قوله : " سَارِعُـوا " (آل عمران ١٣٣) ، " نُسَارِع " (المؤمنون ٥٦) ، " يسارِعـون " (آل عمران ١١٤)
قوله : " الجَـوَارِ " (الشـورى ٣٢) ، " الرحمن " (٢٤) ، " التكوير (١٦)(٢)
قوله : " بارِئُـكم " (البقـرة ٥٤) ، " البارِئ " (الحشر ٢٤)

فمن المعروف أن الكسرة من الأسباب الموجبةِ للإمالة ، ومن ذلك " الكسرةُ تقعُ بعد الألفِ على راءٍ والكسرة إعرابٌ " (٣) ولكن قد تكون الكسرةُ وليست بكسرة إعرابٍ ، بل كسرة بنـاءٍ .

---

(١) الكتاب : ٢/ ٢٦١ (٢) الكشف ١/ ١٧١
(٣) السابق ، ص : ١٧٠

فى هذه الحالة ينفرد بالامالة أبو عمرو الدُّورى عن الكسائى ، وأمثلة ذلك الآيات السابقة .

وموقف القدماء من ذلك أنَّ الإمالةَ هنا " لوُقوع الكسرة على الراء بعد الألف زائدة ، وأُجْرى كسرة البناءِ مَجْرى كسرة الإعراب ، والإمالة مع كسرة البناء أقوى ، لأنَّها كسرةٌ لازمة لا تتغير ، وكسرةُ الإعرابِ لا تلزم ، إلا فى حالة الخفضِ ، فهى أضعفُ . فهو فى هذا كلِّه يميل الألفَ نحو الياء للكسرة التى بعدها ، ويميل الفتحة التى قبلها نَحْو الكسرة ليعملَ اللسانُ عملاً واحدًا " (١)

ويذهب الفارسى نفس المذهب مبينا القيمة الصوتية لصوت الراء ، يقول : " ووجْه حُسنِ إمالة الألفِ إذا كان بعدها راءٌ مكسورةٌ أنَّ الراءَ فيه تكرير ، وذلك يتبيَّن فيها إذا وُقِفَ عليها ، فكأنَّ الكسرَ مُتكرر ، واذا تكرَّر الكسرُ ازدادت الإمالةُ حُسْنا ، ليتجانس الصوت " (٢) . ونشير هنا الى ما ذكره الفارسىُّ فى الحجة عن اختلاف راويَىِ الكسائى ، الدُّورىِّ وأبى الحرث فى هذا الموضع ، فرواية أبى الحَرْث " أنه " يقصد الكسائى " لم يُمِلْ من ذلك شيئًا إلا اذا تكررت الرّاءُ فى موضع الخفض ، مثل : الأشْرار ، والابْرار ، ومِنْ قَرار " (٣) ، بينما كان الدُّورى يروى عنه " أنَّه كان يُميل كلَّ ألف بعدها راء مكسورة (٤) .

ويقول الفارسى عن رواية أبى عمر الدُّورى " أنَّه كان يُميل كلَّ ألفٍ بعدها راءٌ مكسورة أقيس ، لأنَّ الإمالة إنَّما يُجَلِّيها ويُحسِّنُها التكرُّر الذى كأنه فى الراء ، فإنْ كانَ كذلك فسواءٌ كانت قبل الألفِ التى تميلها الراءُ راءٌ أو غيرها " (٥) غير أنَّ ذلك لا يُضَعِّفُ من رواية أبى الحرث ، فقد جاء على قياس العربية أيضًا ، لذلك نجد أبا علىٍّ يقول عن رواية أبى الحرث : " ما رواه عن الكسائى فى إمالة مِثْل الأبْرار والأشْرار ، ونحو ذلك مما تكرر فيه الراء مُسْتقيمٌ فى قياس العربية ظاهرُ الوجه ، وذلك أنَّ الراء المكسورة اذا غَلَبَتْ المُسْتَعْلِى فى نحو : قَارِبَ وَطارِدَ ، فجازت الإمالةُ مع المُسْتَعْلى لمكانها ، فأنْ تغلبَ الراءُ المفتوحة فى نحو من الأشْرار أوْلَى ، لأنَّ الراءَ لا استعلاءَ فيها " (٦)

---

(١) الكشف ، ص : ١٧١ ــ ١٧٢
(٢) الحجة للفارسى : ٣٠٢/١
(٣) السابق ، ص : ٣٠٢
(٤) السابق والصفحة
(٥) السابق ، ص : ٣٠٣
(٦) السابق ، ص : ٣٠٢ ــ ٣٠٣

وبعد ذلك ، فإن الدرس الحديث يُثبت أن صوت الراء " يتكون بأن تتتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعًا سريعا ، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر ... ويحدث الوتران الصوتيان نغمة عند نُطق الراء "(١) . وعلى ذلك فربما صحت رواية أبي الحرث إذ الإمالة فيها أولى ، لأن الراء بطبيعته حرف فيه تكرير ، فلو تكرر الحرف نفسه ثقل ذلك على اللسان ، فهو " ينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع "(٢) .

جـ — امالة لأجل الشبه

من ذلك إمالة الكسائي هاء التأنيث وما قبلها في الوقف . وهاء التأنيث هي التي تكون في الوصل تاء آخر الاسم ، نحو نِعْمة ورحْمة ، فتُبدل في الوقف هاء "(٣) . وهي تُشبه " الألف التي للتأنيث "(٤) ، ومذهب الكسائي أنه يقف عليها ، " ويدخل تحت هاء التأنيث ما جاء على لفظها ، وإن لم يكن المقصود بها الدلالة على التأنيث ، نحو : كَاشِفَة ، بَصِيرَة ، هُمَزَة ، لُمَزَة "(٥) على أن خلافًا في إمالة الكسائي هاء التأنيث ، وهذا الخلاف يتمثل في رأيين :

١ — أنه يُميل هاء التأنيث وما شابهها والحروف التي قبلها في الوقف

٢ — أن الإمالة لا تكون إلا في الحرف الذي قبل هاء التأنيث ، لأن هاء التأنيث تكون ساكنة عند الوقف ، والساكن لا تكون فيه الإمالة ولا الفتح .

ولكن هناك عشرة حروف لا يُميلها الكسائي قبل هاء التأنيث ، يقول أبو عمرو الداني : " إلا أن يقع قبل الهاء عشرة أحرف : الطاء ، والظاء ، والصاد ، والضاد ، والخاء ، والغين ، والقاف ، والألف ، والميم ، والحاء "(٦) وقد جمعوا هذه الحروف في قولهم : " حق ضغاط عصّ خطّ " . نفهم من ذلك أن ما بقي من أحرف ، فهو ممال بشرط أن نُخرج من حسابنا أربعة منها : هي حروف " أكْهَرْ " ، حيث إن لها شرطين في إمالتها ، هما :

أ — أن تقع بعد ياء ساكنة .

ب — أن تقع بعد كسر .

---

(١) الدكتور محمود السعران : علم اللغة ، ص ١٨٧

(٢) النشر ٢/ ٣٥ (٣) السابق ٢/ ٨٢

(٤) الكشف ١/ ٢٠٣

(٥) عبد الفتاح القاضي : الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة وبيروت ، ص : ١٥٨

(٦) الداني : التيسير ص : ٥٤

على أنّ القدماء قد بيّنوا لنا أوْجه الشبه التى جمعت بين هاءِ التأنيث وألف التأنيث فقالوا إنّها تشبهها من خمس جهات ، هى :

أ — قُرْب المخرج من الألف
ب — أنّها زائدة كألف التأنيث
جـ — أنّها تدلّ على التأنيث
د — أنها تسكن فى الوقف كالألف
هـ — أنّ ما قبلها لا يكون إلا مفتوحًا كالألف ، إلّا فى موضع واحد لزمت لفظ الهاء فى الوصل والوقف ، فكُسر ما قبلها على التشبيه بهاءِ الإضمار ، وذلك كقولك : هذه (١) .

وهنا نُشير إلى سبب إمالتهم ألفَ التأنيث . يقول الفارسىّ فى الحجة : " وأمّا إمالة ما كان آخره ألفَ التأنيث نحو ذِكْرَى وأُنْثَى وَشَتّى ، فلأنّ هذه الألفات تُبدل منها الياءُ ولا تُبدل منها الواوُ أبدًا ، فصارت بمنزلة ما أصْلُها الياء .. وإمالتُها وتركُ امالتها جميعًا كثيران " (٢) .

مما تقدم نستطيع أنْ نستخلص ما يأتى مُقسمًا إلى أربعةِ أقسامٍ ، لنتناولها بعد ذلك على ضَوْءِ الدرس الحديث :

الأول : هناك خمسة عشرَ حرفًا تُمال بلا شروط ، وهى : الغاءُ ، الجيمُ ، الشاءُ ، التاءُ ، الزاى ، الياءُ ، النونُ ، الباءُ ، اللامُ ، الذالُ ، الواوُ ، الدالُ ، الشينُ ، الميمُ ، السينُ

الثانى : حروف تُمال بشروط ، وهى حروف " أكْهَرَ " وقد بيّنّا شَرْطى الإمالة فيها

الثالث : الحروفُ العشرةُ المخصوصة ، وهى لا تُمال مُطلقًا ، وإنْ كان هناك رأىٌ يقول بإمالتها — ما عدا الالف — ، وهو غيرُ مؤكد .

الرابع : الألفُ حرف لا يُمال مطلقا ، إذا وقَع قبل هاءِ التأنيث

وننهه بعد ذلك إلى أنّنا سنقصر كلامنا على القسمين الأوّليْن ، حيث وقعت إمالة الكسائى فيهما ، ونبدأ الآنَ بالحديث عن القسم الأول :

الغاءُ : وَرَدَ فى واحدٍ وعشرين اسمًا (٣) ، مثال ذلك : " خَلِيفَة ، رَأْفَة ، الخَطْفَة "

وقد وقع قبل هاء التأنيث كما نرى ، فاذا تتبّعْنا صفات هذا الصوت ، وجَدْنا أنّه " صامتٌ مهموسٌ شفويٌّ ، سِنّىّ احتكاكى " (٤) ، أوْ هو صوتٌ " رَخْوٌ مهموسٌ ، يتكون بأنْ يندفع الهواءُ مارًا بالحنجرة دون أنْ يتذبْذَبَ معه الوتران الصوتيّان ، ثم يتخذ الهواء

(١) الكشف ١/٢٠٣ (٢) الحجة للفارسى ١/٢٨٨
(٣) النشر ٢/٨٢
(٤) الدكتور السمران : علم اللغة ، ص ١٩٠

مجراهُ فى الحلْقِ والفمِّ حتى يصلَ إلى مخْرج الصوت وهو بين الشفَةِ السُّفْلى وأَطْرافِ الثَّنايا العُليا • ويضيق المجرى عند مخرجَ الصوت ، فنسمع نَوْعًا هـاليًا من الحفيف هو الـــذى يُميزُ الفاءَ بالرَّخاوة "(١) .

الثاءُ : وَرَدَ فى " أربعةِ أسماء ، وهى (ثَلاثة ، وَرْثة ، خَبِيْثَة ، مَبْوُثَة) "(٢) ، وهو " صامتٌ مَهْمُوسٌ بَيْنَا بين الأسنانِ احتكاكىٌ "(٣) ، أَوْ هو صوتٌ مهموس لا يتحـــرك معه الوتران الصوتيان (٤)

السين : وَرَدَ " فى ثلاثةِ أسماءٍ ، وهى (خَمْسَةٌ ، والخَامِسَةُ ، والمُقدَّسة) "(٥) ، وهو صامتٌ مهموسٌ لَثَوِى احْتِكاكى (٦)

الشين : وَرَدَ فى أربعةِ أسماء " البَطْشَة ، فَاحِشَة ، عِيْشَة ، مَعِيْشَة "(٧) وهو صامتٌ مهموسٌ لَثَوى — حَنَكِى احْتِكاكى (٨)

هذه — إذن — أربعةُ أصواتٍ تندرجُ تحت الصَّوامتِ الاحتكاكية المهموسة ، وهى مُمَالةٌ قبل هاءِ التأنيث التى هى " صَوْتٌ رَخْوٌ مهموسٌ ، عند النطق به يظلُّ المِزْمارُ مُنْبَسطًا دون أنْ يتحركَ الوتران الصوتيان ، ولكن اندفاعَ الهواءِ يُحْدِثُ نوعًا من الحَفيف يُسْمع فى أَقْصى الحلق أو داخل المِزْمار ، ويتخذ الفمُ عند النطق بالهاءِ وضعًا يُشبهِ الوضعَ الذى يتخذه عند النطق بأصواتِ اللِّـين "(٩) . فمن هنا نستطيع أنْ نُحَدِّد أنَّ صوت اللـــين ، أو الشَّبيه باللِّين فى هذه الحالة يكون ياءً ، أو قريبًا من الياء ، لأنَّ ما قبله مُمال نحـــو الكَسْرِ ، وفى هذا تحقيقٌ لِعامل الانسجام بين الأصواتِ ، وخاصةٍ إذا علمْنا أنَّه يمكـــن " اعتبارَ أصواتِ الهاءِ صوائتَ مهموسةً ، أى صوائتَ يَصْحبها هَمْسٌ لا جَهْر "(١٠)

وعلى ذلك نقول : إنَّ هناك — أيضًا — أصواتًا لها صفة " الجَهْر " ، أو "مجهورة" من تلك الأصواتِ التى تُمال بلا شرط . ووقعت قبل هاءِ التأنيث ، منها : الذال ، والزاى فالذال : وقع فى اسمين " لَذَّة ، المَوْقُوذَة "(١١) . وهو " صامتٌ مجهور مما بـــين الأسنانِ احتكاكى "(١٢) ، أو هو صوت " رَخْوٌ مجهور ، يتكونُ بأنْ يندفع معه الهواءُ مارًا بالحنجرة . فيُحرِّك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذُ الهواءُ مجراهُ فى الحلْقِ والفـــم حتى يصلَ إلى مخرجِ الصوت ، وهو بين طرفِ اللِّسان وأطرافِ الثنايا العُلْيا ، وهنـــاك يضيق هذا المجْرَى فنسمع نوعًا قويا من الحفيف "(١٣) .

---

(١) الدكتور ابراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، الطبعة الخامسة ١٩٧٥ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص : ٤٦

(٢) النشـر ٢/٨٢ (٣) علم اللغة للدكتور السمران ، ص : ١٩٠

(٤) الاصوات اللغوية ص ٤٧ (٥) النشر ٢/٨٣

(٦) علم اللغة للدكتور السمران ، ص ١٩٢

(٧) النشر ٢/٨٣ (٨) علم اللغة للدكتور السمران ص ١٩٣

(٩) الأصوات اللغوية ص ٨٨ (١٠) علم اللغة للدكتور السمران ص ١٩٥

(١١) النشر : ٢/٨٣ (١٢) علم اللغة للدكتور السمران ص ١٩١

(١٣) الاصوات اللغوية ، ص ٤٧

والـزاى : وقع فى ستـة أسماءٍ " المِزَّة ، بارِزَة ، هُمَزَة ، لُمَزَة ، أَعَزّ ، مَفازَة " وهـو صامت مُجهور لَثوى احتكاكى (١). إذن فالأصوات المُسالة قبل هاءِ التأنيث بلا شـرط ، وَجَدْنا أنَّ منها أصواتاً لها صفاتٌ واحدةٌ ، تدخل تحت الصوامت الاحتكاكية ، وهى تتكون " بأنْ يُضيقَ مجرى الهواءِ الخارج من الرِّئتيْن فى موضع من المواضع بحيثُ يُحدثُ الهـواءُ فى خروجه احتكاكاً مسموعًا " (٢) .

وهذه الأصوات التى لها نفس الصفات هـى :

مهمـوس	مجهـور
الفـاء	الـذال
التـاء	
السـين	
الشـين	الـزاى

وباستعراضنا لبقية الأصوات على الطريقة السابقة ، نجد أن :

الميم : وقع " فى اثنيَن وثلاثين اسمًا ، نمثل لذلك بـ " رَحْمَة ، نِعْمَة ، أُمَّة " (٣) ، وهو صامت مجهور شَفَوى أَغَـنّ (٤)

النون : وقع فى " سبْعةٍ وثلاثينَ اسْمًا ، نحو " سَنَة ، الجَنَّة ، لَعْنَة ، زَيْتُونَة " (٥) ، وهو " صامت مُجهور سِنّى أَغَـنّ " (٦)

إذن فالميمُ والنونُ صَوْتان يدخلان تحت ما يُسمَّى بالصوامت الغُنَّاءِ : Nasal Consonants وهى تتكونُ " بأنْ يُحْبَسَ الهواءُ حبسًا تامًا فى موضع من الفم ، ولكن يُخْفضُ الحنكُ اللّين فيتمكن الهواءُ من النّفاذ عن طريق الأنْـف " (٧) . فهذان الصَّوْتان يُكَوّنان مجموعة لها صفةٌ مُشتركةٌ ، وهى أنّها صامتة غُنَّاء .

أما الواو : فهو " شِبْهُ صائتٍ مجهور شفويٌ حنكيٌ ـ قصى " (٨) وقد جاءَ فى " سَبْعَـةَ عشرَ اسْمًا ، نحو : " قَسْوَة ، المَرْوَة ، نَجْوَة ، أُسْوَة " (٩)

والياء : فهو " شِبْه صائتٍ مجهور مكسور " غيرُ مضموم " حَنَكى ـ وسيط " (١٠) وقـد وَرَدَ فى " أربعةٍ وستين اسمًا ، نحو : " شِيَّة ، دِيَة ، حَيَّة ، خَشْيَة ، زَانِيَـة " (١١) .

---

(١) علم اللغة للدكتور السمران ، ص ١٩٢
(٢) السابق ، ص : ١٩٥
(٣) النشر ٢/ ٨٣
(٤) علم اللغة للدكتور السمران ، ص ١٨٥
(٥) النشر ٢/ ٨٣
(٦) علم اللغة للدكتور السمران ، ص ١٨٥
(٧) السابق ، ص ١٨٤
(٨) السابق ، ص ١٩٨
(٩) النشر ٢/ ٨٣
(١٠) علم اللغة للدكتور السمران ، ص ١٩٨
(١١) النشر ٢/ ٨٣

والصفةُ التى تجمع هذين الصوتَين ، أنَّهما أشْباهُ صوائت ، لأنَّ الأعضاء تبـــدأ " بتكوين صائتٍ ضيق (كالكَسْرة مثلًا) ثم تنتقلُ بسرعة إلى " صَائِتٍ " آخر أشد بُـرْزاء ولا يدوم وَضْع الصَّائت الأول زَمَنًا ملحوظـا "(١) . وهذا الانتقال السريع هو الـذى " يدْعُو إلى إدْراج هذه الأصوات تحت طبقةِ " الصوامت "(٢) . إلَّا أنَّ هنـــاك حقيقةً لا بد من تقريرها بالنسْبةِ للواوِ والياءِ ، وهى " أنَّهما من الصوامت أو أنصَـــافِ حركاتٍ فيما لَوْ وَقَعا فى مَواقع الأصوات الصامتة ... تلك هى وقوعها متلُوَّةً بحركـــةٍ أو ساكنةً بعد فَتْحٍ ، كما فى نَحْوِ " بَيْت ويَوْم "(٣) وهذا ما عَبَّرَ عنه ابنُ جِنّى فى كتابه سر الصناعة ، حيث يقول : " إنَّ الياءَ والواوَ لَمَّا تحرَّكَتَا قَوِيَتَا بالحركة ، فلحقتا بالحروف الصِّحاح ، فجازت مخالفةُ ما قَبْلَهمـا من الحركاتِ إيَّاهُمـا "(٤) .

إذن فالطبيعةُ الصوتيةُ لهذين الصوتين " هى كَيْفِيَّةِ مرورِ الهواء فى الحلق والفـــم وخلوِّ مجراه من حَوائِلَ وَمَوانِعَ "(٥) ، ولعلَّ ذلك يَلْفِت إلى شىء هام ، هو أن للـواوِ والياءِ قيمتين صوتيتَين مختلفتَيْنِ متمثِّلتين فـى :

١ ــ أنَّهما قد يُشْبِهان الصوامت ، كما بيَّنَّا ذلك قَبْـلُ

٢ ــ كونُهما حركات ، كما فى القاضِى وأَدْعُـو .

وذلك لأنَّ الياءَ فى المثال الأولِ والواوَ فى الثانى ينطبقُ عليهما تعريفُ الحركات ، وهذه الياء ليست إلَّا رمزًا لحركة عربية طويلة هى الكسرة ، والواو هى الأخرى رمزٌ لحركـةٍ طويلة هى الضَّمَّة ، فلا فرقَ بين الكسرة القصيرة (ـِـ) والطويلةِ (ى) إلَّا الطـــول فقط أو الكمية Duration وكذلك الفرقُ بين الضمة القصيرة (ـُـ) والطويلـة (و) ز"(٦) . من الواضح أنَّ التفريق بين الحالتين شىءٌ هامٌ جدًا ، لأنَّ الواوَ والياءَ يأتيان على هاتين الصورتين فى الكلام ، ومن ثَمَّ تختلف الصفةُ الصوتيةُ فيهما فى كُلِّ صـــورة من الصُّورتـين .

وعن الدَّال : فقد وَقَع " فى ثمانِيَةٍ وعشرين اسمًا نحو " بَلْدَة ، جِلْدة ، عِدَّة ، قِـرَدَة ، أَفْئِدَة "(٧) وهو بعد ذلك " صوتٌ شديدٌ مجهور ، يتكون بأنْ يندفعَ الهواءُ مارًّا بالحنجرة فيُحرك الوترين الصوتيين ، ثم يأخذُ مجراهُ فى الحَلْق والفم حتى يخرجَ إلى مخرج الصوتِ ، فينحبسَ هناك فترةً قصيرةً جدًا لالتقاء طرف اللسان بأُصولِ الثَّنايا العُلْيا الْتِقاءً مُحْكَمـا . فإذا انفصلَ اللسانُ عن أُصول الثنايا سُمِعَ صوتٌ انفجارِىٌّ نُسميه بالدَّال "(٨) .

---

(١) علم اللغة للدكتور السمران ، ص : ١٩٧ (٢) السابق والصفحة

(٣) الدكتور كمال محمد بشر : علم اللغة العام ، القسم الثانى ــ الاصوات ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ، ص : ١٧٣

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٢٢ (٥) الاصوات اللغوية ، ص ٢٦

(٦) علم اللغة العام للدكتور بشر ، ص ١٠٥ (٧) النشر ٢/ ٨٣

(٨) الاصوات اللغوية ، ص ٤٨

والتاء : فى أربعة أسماءٍ وهى (المَيْتَة ، بَغْتَة ، المَوْتَة ، سِتَّة) (١) ، وهو " صوت شديد مهموسٌ ، لا فرقَ بينه وبين الدال سوى أنَّ التاءَ مهموسةٌ ، والدالَ نظيرُها المجهور ، ففى تكوُّنِ التاءِ لا يتحرك الوتران الصوتيان ، بل يتخذُ الهواءُ مجراه فى الحلق والفم حتى ينحبسَ بالتقاءِ طرف اللسان بأُصولِ الثنايا العُلْيا ، فإذا انفصَلا انفصالاً فجائياً سُمع ذلك الصوتُ الانفجارى " (٢)

إذنْ فالدالُ والتاءُ نلاحظ أن صفةً صوتية تجمع بينهما ، وهى الشَّدَّة ، إذْ عند النطق بكل منهما ينحبس الهواء عند المخرج ، فإذا انفصل العضوان المكوِّنان للصوت سُمع ما يُشْبه الانفجار ، مما يميِّز هذه الأصواتَ بالشدة " (٣)

الباء : جاء فى " ثمانية وعشرين اسمًا نحو " حَبَّة ، التَّوْبَة ، الكَعْبَة ، شَيْبَة ، غَيَابَة " (٤)

الجيم : جاء فى " ثمانية أسماءٍ وهى " وَلِيْجَة ، حَاجَة ، بَهْجَة ، لُجَّة ، نَمْجَة ، حُجَّة ، دَرَجَة ، زُجَاجَة " (٥)

والباءُ والجيمُ صوتان لهما خاصيَّةٌ صوتية راجعةٌ لكونها شديدة (= انفجارية ، ومجهورة . هذه الخاصية هى هذا الصوتُ الذى يَتْبع هذه الصوامت (وهى حروف القَلْقَلَة " قد طبج ") عندما تكون " ساكنةً " والذى لا يَحْدث عندما يتبعُها صوت صائتٌ قصير (= حركة) أو صوتٌ صائت طويل (= حرف مد ولين) (٦)

والنسبة لصوت :

اللام : وقع فى " خمسةٍ وأربعين اسمًا نحو " لَيْلَة ، غَفْلَة ، عِلَّة ، نَخْلَة ، تُلَّة ، ضَلَاله " (٧) ، ثم هو " صامتٌ مجهور سِنِّىّ منحرف (= جانبى) " (٨) وهو يتكون بأنْ " يعتمد طرفُ اللسان على أُصول الثَّنايا العُليا بحيث تَنْشأ عَقَبَةٌ فى وسط الفم مع تَرْك منفذٍ للهواء عن إحْدَى حافَّتى اللسان ، أو عن حافَّتيه ، يُرفع الحنكُ الأعلى فلا ينفذ الهواءُ عن طريق الأنف ، يتذبذبُ الوتران الصوتيان " (٩)

إلَّا أنَّ هناك نوعين من اللَّام ، مُفخَّمة ومرقَّقة . وإنْ كان " الأصلُ فى اللام العربية الترقيقَ ، ولا يجوز الرجوعُ عن هذا الأصل عند جمهور القُراء إلَّا بشَرْطين :

---

(١) النشر ٢/٨٢
(٢) الاصوات اللغوية ، ص : ٦١
(٣) السابق ، ص : ٤٨
(٤) النشر ٢/٨٣
(٥) السابق ، ص : ٨٢
(٦) علم اللغة ص : ١٧٤ ــ ١٧٥ بتصرف
(٧) النشر ٢/٨٣
(٨) علم اللغة ص : ١٨٦
(٩) السابق ص ١٨٥

١ ـ أن يُجاوز اللامُ أحدُ أصْواتِ الاستعلاءِ " ولا سيَّما الصادُ والطاءُ والظاءُ .. ساكنا أو مفتوحـًا

٢ ـ أن تكون اللام نفسُها مفتوحةً (١)

وبعد ذلك يمكننا أن نقول إنَّ الأصوات الخمسة عشر التي تُمال عند الكسائي قبل هاء التأنيث تنقسم إلى :

١ ـ صوامت احتكاكية مهموسة ، وتمثلها الأصوات (الفاء ـ التاء ـ السين ـ الشين)
٢ ـ صوامت احتكاكية مجهورة ، ويمثلها الصوتان (الذال ـ الزاى)
٣ ـ صوامت غنـاء ، ويمثلها الصوتان (الميم ـ النون)
٤ ـ صوامت شديدة ومجهورة ، ويمثلها الصوتان (الباء ـ الجيم)
٥ ـ صوامت شديدة (الدال صوت مجهور) ـ التاء (صوت مهموس)
٦ ـ صامت مجهور سني منحرف وهو (اللام)
٧ ـ صَوائت أو أشْباه صوائت يمثّلها الصوتان (الواو ـ الياء)

القسمُ الثاني : أصواتُ تُمال بشرط " أصْواتُ أكْهَر "

يقول ابن الجزرى عن هذه الحروف : " فمتَى كان قبلَ حرف من هذه الأربعةِ ياءٌ ساكنةٌ أو كسرةٌ ، أُمِيلت وإلاَّ فُتحت " (٢) من هنا نقول :

الهمزة : " وردت في أحَد عشر اسمًا منها اسمان بعد الياء وهما : كَهَيْئَة ، وخَطِيْئَة ، وخمسةٌ بعد الكسرة وهى : مِئَة ، وفِئَة ، وناشِئَة ، وسَيِّئَة ، وخاطِئة " (٣)

وعلّة الإمالة هَهُنا " أنَّ الهمزةَ والهاءَ من حروف الحلْق ، وحروفُ الحلق بعيدةٌ من الكسر ، لبُعدها من الياءِ ، قويةٌ في الفَتْح ، لقُربها من الألف . فإنْ انكسرَ ما قبلها ، أو كان ياءً قويت الإمالةُ ، وجازت ، واستُعملت في قراءة الكسائيّ ، لأنَّ الكسرةَ والياءَ توجبان الإمالة فَسَهُلا امالةَ ما بعدهما وحَسَّناه " (٤)

والهمزةُ " صوتٌ شديد ، لا هُو بالمجْهُور ولا بالمهموس ، لأنَّ فتحة المزمار معها مغلقةٌ اغلاقًا تاما ، فلا نَسْمع لهذا ذبذبةَ الوترين الصوتيين ، ولا يُسمح للهواءِ

(١) الاصوات اللغوية ، ص : ٦٤
(٢) النشر ، ٢/٨٤
(٣) السابق ٢/٧٤
(٤) الكشف ١/٢٠٥

بالمرور إلى الحلق إلّا حين تنفرجُ فتحةُ المِزْمار وذلك الانفراجُ الفجائى الذى يُنْتج الهمزةَ "(١) ولا يَخْفَى ما فى هذه العملية من جُهْد عضلى يخفُّ مع الإمالة ، إذْ أن اللسان ينحطُّ رمع الياءِ والكسرةِ " والانحدارُ أخفُّ على اللسان من الارتفاع "(٢) .

الكاف : " وردت أيضا فى خمسة عشر اسمًا ، واحدٍ بعد الياءِ وهو " الأيْكَة " ، وأربعةٍ بعد الكسرةِ وهى (ضَاحِكَة ، ومُشْرِكة ، والمَلائِكَة ، والمُؤْتَفِكَة) "(٣)

وفى الكاف " يرتفع أقصى اللسان حتى يلتقى بأقْصى الحنكِ بحيثُ لا يُسمح للهواء بالمرور "(٤) فعند امالة الكاف يقلّ هذا الارتفاعُ فيترتّب على هذا انسجامٌ بين كسرةِ الخاءِ وهاءِ التأنيث .

الهاء : ورد فى " أربعةِ أسماءٍ اثنان بعد الكسرة المُتّصلة ، وهى (آلِهَة ، وفَاكِهَة) وواحدٌ بعد المنفصلة وهو (وجهه) والآخر بعد الألف وهو (سَفَاهَة) "(٥)

وقد سبقت الاشارةُ إلى أنّه يُمكن اعتبار أصواتِ للهاء صوائتَ مهموسةً ، لقربِ وضع اللسان فى نطقها من وضعه فى نُطق حروفِ اللين ، ولذلك يزدادُ الحفيف الناتجُ عن نُطق حرفِ الهاء ، ونُطقِ هاءِ التأنيث التاليةِ له .

الراء : ورد فى " ثمانية وثمانين اسمًا ستةٌ بعد الياء وهى (كَبِيْرَة ، وكَثِيْرَة ، وصَغِيْرَة ، والظَّهِيْرَة ، ومُحَيْرَة ، ومَصِيْرَة) وثلاثون بعد الكسرةِ المُتّصلة أو المفصولة بالساكن نحو (الآخِرَة ، وفَنَاظِرَة ، وحاضِرَة ، وكافِرَة ، والمُغْفِرَة ، وغَبِرَة ، وسُوْرَة ، وفُطِرَة ، وشَرَة) وفى اثنين وخمسين سوى ما تقدم نحو : (جَهْرَة ، وحَسْرَة ، وكَسْرَة ، والمُمْرة ، والحِجَارة ، وسَفْرَة ، وبَرَرَة ، ومَيْسَرَة ، ومَسَرَّة) "(٦) .

والراءُ حرفُ تكرير ، والفتحةُ عليه قويةٌ ، كأنها فتحتان (٧) . وهو صوت "مُكرر" ، لان التقاء طرفِ اللسان بحافةِ الحنكِ مَا يَلِى الثّنايا العُلْيا يتكرّرُ فى النطق بها ، كأنما يطرقُ طرفُ اللسان حافةَ الحنكِ طرقًا ليّنًا يسيرًا مرتين أو ثلاثًا لتتكون الراء العربية "(٨)

---

(١) الاصوات اللغوية ، ص ٩٠
(٢) النشر ٢/٣٥
(٣) السابق ، ص ٨٤
(٤) علم اللغة ، ص : ١٨٢
(٥) النشر ٢/٨٤
(٦) السابق والصفحة
(٧) الكشف ١/٢٠٥
(٨) الاصوات اللغوية ، ص : ٦٦

وفى هذه الامثلة نجد أنَّ الراءَ قد وقعت إمَّا بعد ياءٍ أو بعد كسرٍ أو بعد كسرٍ مفصولٍ بسكون ، فقويت الإمالةُ فيها وحسُنت .

د ـ إمالةٌ لأجْلِ كسرةٍ متأخرة : ر بعدل

أمال الكسائىُّ قوله : " الكافِرِيْنَ " (البقرة ١٩) اذا كان بالياء [١] يعنى " فى موضع الخفض والنصب " [٢] .

وعلَّةُ الإمالةِ هُنا يرجِعها صاحب الكشف " للكسْرِ الذى وقع بعد الألف ، وحسُن ذلك لإتيانِ الراءِ بعد الفاءِ المكسورةِ مكسورةً ، وبعدها ياءٌ ، والياءُ من الكسرةِ ، فتوالت الكسْراتُ ، فحسنت إمالته وقويت " [٣] .

وقد عَرَفْنا منذ قليل أنَّ صوتَ الكاف يتكون بأنْ " يرتفع أقصى اللسانِ حتى يلتقىَ بأقصى الحنك بحيث لا يُسمح للهواء بالمرور " [٤] . ويترتب على هذا أنه عندما تُمال الكاف يقلُّ ارتفاعُ اللسان فتتواءَمُ الحركاتُ ، لأنَّ فتحة الكافِ تَميل نحْو الكسرةِ ، والألفُ تميل نحْو الياء فتلتقى بكسرةِ الفاءِ ، والكسرةُ قريبة من الياءِ . ويمكن أنْ نضعَ تحت هذا النَّمط قوله " وفى آذانِهم " (البقرة ١٩) . وكذلك قولُه : " ظُلْمِيانهم " (البقرة ١٥) وإنْ وُجِد فيها علةٌ أُخرى هى " الياءُ " قبل الألفِ ، فيقوى فيها وجهُ الإمالةِ . على أنَّ الدُّورى روى هذا عن الكسائىِّ ، وخالفه أبُو الحارث [٥] .

هـ ـ امالة لأجل كسرة متقدمة :

أمال الكسائىُّ " أوْ كِلَاهُما " (الاسراء ٢٣) [٦]

وأمال الكسائىُّ " السِّرَبا " لمكان الكسرة بالراء [٧]

فإمالةُ " كِلَاهما " للكسرةِ التى على الكافِ ، ولم يُعتدَّ باللام ، لأنَّ الحرف الواحدَ لا يمنع ، ولا يَحْجز . وقد أمالت العربُ الألفَ للكسرةِ التى قبلها ، وقد حال بينهما حرفان نحو قولهم : " لَنْ تَضْرِبَها ، وتريدُ أنْ تَنْزِعَها " فأمالوا المكسورةَ ولم يعتدُّوا بالهاءِ [٨] لخفائها ولا بالباءِ ولا بالمِيْمِ ، لأنه حرف واحدٌ فكأنَّهم قالوا : لن تَضْرِبَها وتريدُ أنْ تنزِعها ، وكذلك بالنسبة " للسِّرَبا "

---

(١) الكشف ١/ ١٧٣ وا
(٢) الكشف ١/ ١٧٣ .
(٣) الحجة للفارسى ١/ ٢٧٥ .
(٤) النووى : تهذيب الاسماء واللغات ، القسم الثانى ، ادارة الطباعة المنيرية بمصر ١/ ١١٧ .
(٥) الحجة للفارسى ص ٢٧٦ .
(٦) علم اللغة للدكتور السمران ص ١٨٢
(٧) الكشف ١/ ١٧٣ .
(٨) الكشف ١/ ١٧٣ .

وإمالةُ الألفِ فى كلاهما يترتَّب عليها اقترابُ فتحةِ اللام من الكسرة والكسرة قريبة من الياء ، فتتقارب الحروف ، فضلاً عن أنَّ اللام تقترب من أصلها ، إذ " الأصْل فى اللام العربية الترقيقُ " (١) والفرق بين اللام المُرققة والمفخمة " هو فارق فى " التَّنن " ففى المرققة يرتفعُ وَسَط اللسان تِجَاه الحنك الصلب (= وسط الحنك) فيكون له رنينٌ شَبيه برنين " الصوائتِ الأمامية (مثل ياء " فى " ... " (٢) وكذلك فى إمالة " الرِّبَـــا " تمال فتحة الباءِ نحو الكسرة فتتجانس مع كسرة الراء .

و ـ إمالةٌ لأجْل كسرة تعرض فى بعض أحوال الكلمة :

أمَال الكسائى (رَانَ) من قوله تعالى : " بَلْ رَانَ " (المُطَفِّفين ١٤)(٣) و " زَادَ " ، و " نَابَ " ، و " عَابَ " . وقد اتفق عاصمٌ مع الكسائىِّ فى إمالة الألفِ من الفعل الأجْوف فى " رَانَ " ومثلِه على القول الراجح ، مُخالفين لحمْزَةَ الذى أمالَ الفعلَ الأجوف مُطْلقاً " تقريبا " .

وضح الفارسى المسألة بقولة : " ومِمَّا يقوى قول من أمَالَ (زادَ) ونحوه ليدُلَّ بالامالةِ على الياء أنَّ الجميع أبْدَلُوا من الضمَّة كسرة فى بِيْض وعِيْن وجِيْد جمع أعْين وأبيض لِتصحَّ الياءُ ، ولاتنقلب إلى الواو . فكما حُوفِظ على تصحيح الياءِ فى هذه الأشْـــياء كذلك حُوفظ عليها بإمالة الألف نحوها ، لتدل عليها . ويدلك على ذلك أنَّ الذيـــن أمَالُوا نحو : زادَ ، وَمَاع ، ونَاب ، وعَابَ ، لَمْ يُميلوا نحو : عَاذَ ، وعَادَ ، ولابابـــًا ، ومالاً ، وَلَامَا أشْبَه ذلك مِمَّا المَيْنُ مِنْه واوٌ حيث لم تكن فى الكلمة ياءٌ ولاكسرةٌ فتُنْحـــى الألف بالإمالة نحوهما . ومِمَّا يقوى الإمالةَ فى زَادَ ونحوه أنَّهَ اجتمع فيه أمْرَان كُلُّ واحـد منهما يُوجب الإمالةَ : وهو لحاقُ الكسـرة أوَّلَ فعلت ، والآخر : أنْ تُمال الألـــفُ ليُعلم أنَّهَا من الياء . فاذا كان كلُّ واحد من هاتين الخِلَّتين على الانفرادِ توجبُ الإمالةَ فى هذا النحو فإذا اجْتَمَعَتَا كانَ أجدر أنْ تُوجباها وتُجْلِباهَا " (٤) . ونحن نضيف أنَّ صوت الراء فيه تكرير ، لأنَّ التقاءَ طرف اللسان بحافة الحنك يتكرَّر ، فكأنَّهَ يطرق حافَـــة الحنك طرقا متتابعا يسيرًا . هذا هو طبيعةُ صوتِ الرَّاء . فاذا أميل قلَّ ذلك الطَّـرْق وذاك التكرير ، واقتربت كسرة الراء من الياء " الألف الممالة " .

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٦٤ . (٢) علم اللغة للدكتور السمران ص ١٨٦ .
(٣) انظر الحجة للفارسى ١/ ٢٣٩ـ٢٤٠ . وقد نصَّ صاحب التفسير على أن الكسائى لم يتابعْ حمزة فى نحو هذه الامالة الاَّ فى " بَلْ رَانَ " لاغير . أنظر التيسير ص ٥٠ .
(٤) الحجة للفارسى ١/ ٢٤٥ـ٢٤٦ .

إمالة لم تجر على الأصول السابقة :

١ - من ذلك ما يحدده الفارسي بقوله : " اختلفوا في ضم أوائل هذه الحروف وأخواتها وكسرها ، فقرأ الكسائي قُيل ، وغُيض ، وسُيِّق ، وسُيئت ، وحُيل ، وسُيق ، وجُيء ، بضم أول ذلك كله (١)

والعرب تقول مثل ذلك ، لأنا نجد القدماء يحتجون لهذه القراءة ، فأبو علي الفارسي يقول : " ومن الحجة في ذلك أنهم قالوا : أنت تَغْزِين فألزموا الزاي إشمام الضمة و (زين) من تَغْزِين بمنزلة قيل ، فكما ألزم الإشمام هنا كذلك يلزم ذلك في قيل ، ألا ترى من قال قِيلَ وبِيعَ قال اختير واتقيد ، فأشم ما بعد الخاء والنون لما كان بمنزلة قُيل وبُيع ، فكما ألزم الإشمام نحو تَغْزِين ، لينفصل من باب ترمين كذلك ألزم قُيل وبُيع الإشمام في الضمة ، لينفصل من الفعل المبني للفاعل في كِيد وزِيل ، وليكون أدل على فُعِل " (٢) . على أن ابن جني قد ذكر هذا النوع من الإمالة ، وهو إمالة الكسرة نحو الضمة وهي كما رأينا في الفعل الثلاثي الذي قُلبت عينه ألفا في الماضي ، فيقول : " وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو قيل وبيع وغيض وسيق ، وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو " (٣) . ويقول مكي : " قرأ الكسائي باشمام الضمة في القاف ، وكذلك في أخواتِ " قِيل " وحجته في هذا أن أوائل هذه الأفعال أصلها أن تكون مضمومة ، لأنها أفعال لم يُسمَّ فاعلها ، ومن شأن العرب في كثير من كلامها المحافظة على بقاء ما يدل على الأصول ، وأيضا فانها أفعال بُنيت للمفعول . فمن أشم أراد أن يُبقي في الفعل ما يدل على أنه مبني للمفعول لا للفاعل (٤) .

وقد ذكر الدكتور ابراهيم أنيس هذا النوع حين يقول : " الكسرة المشوبة بالضمة ، وهي تلك التي في صيغ البناء للمجهول ، والتي عبَّر عنها القدماء من النحاة بالإشمام في مثل قيل ، بيع .. " (٥) . إلا أن هذا النوع من الإمالة قد نُسب إلى " لهجة كثيرٍ من قيس وعُقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد " (٦)

---

(١) الحجة للفارسي ، ص : ٢٥٩ (٢) السابق ٢٥٩ - ٢٦٠
(٣) سر الصناعة ١/٥٩ (٤) الكشف ١/٢٣٠
(٥) الدكتور ابراهيم أنيس : اللهجات العربية ، دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة ص :
(٦) انظر كتاب اللهجات العربية للدكتور عبده الراجحي ، ص ١٤١

وعلى ذلك نُلاحظ أنَّ قراءة الكسائيّ عبارة عن حركة ليست ضمّة خالصة ولا كسرة خالصة أيضاً ، فيترتب على هذا " أن تبدأ أعضاء النُّطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من الضمة u ، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع صائت آخر من نوع الكسرة i (١) وهذا ما يُسمّى بالصائت المركّب الذي أعتبر " ارتباطاً من صوتين صائتين يُنطقان بحيث يكوّنان مقطعاً واحداً لا مقطعين ، وهو في واقع الأمر " صوت انزلاقي " ، لأنَّ الصائت الأول ينزلق أو ينتقل إلى الصائت الثاني ، وهذا الانزلاق أو الانتقال ينبغي أن يتم في الحقيقة بدفعة واحدة من النَّفَس ، حتى لا يُسمع السامع مقطعين اثنين متواليين (٢)

٢ — إمالة الكسائيّ لبعض الأصوات في أوائل السور

نحن هنا نذكر ما أماله الكسائيّ من هذه الحروف فقط ، دون أن نتناولها بالتحليل ، وذلك لسببين :

الأول : أنَّ الكسائي لم ينفرد بالإمالة فيها في حرف من الحروف ، ونحن نُركّز على ما انفرد به من آراء

الثاني : أنَّ أسباب الإمالة فيها — على ما أرى — لا تستند إلى الاسباب السابقة .

والأصوات الممالة في أوائل السور خمسة :

١ — الراء : من " الر " (أول يونس ، هود ، يوسف ، ابراهيم ، الحجر)
من " المر " (أول الرعد)
أمال الراء في السور الستّ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي (٣)

٢ — الهاء : من فاتحة " كهيعص " و " طه "
أمال الهاء من " كهيعص " أبو عمرو والكسائيّ ، واختُلف عن قالون وورش (٤)
وأمال الهاء من " طه " أبو بكر وحمزة والكسائي ، واختُلف عن ورش (٥)

٣ — الياء : من " كهيعص " و " يس "
أمال الياء من " كهيعص " ابن عامر وحمزة والكسائي ، وأمالها من " يس " حمزة والكسائي (٦)

---

(١) علم اللغة للدكتور السمران ص ١٩٧ — ١٩٨
(٢) السابق ، ص ٢٠٣ بتصرف
(٣) النشر ٢/٦٦
(٤) السابق ، ص ٦٧
(٥) السابق ، ص : ٦٨
(٦) السابق ، ص ٦٨ ، ٧٠

٤ ـ الطاء : من " طه " ومن " طسم " (الشعراء) و (القصص) ، ومن " طس " (النمل) . أمالَ الطاءَ من " طه " حمزة والكسائى وخلف والباقون بالفتح (١) وأمال الطاء من " طسم وطس " حمزة والكسائى وخَلَفٌ

٥ ـ الحاء : من " حم " فى السبع السور ، أمالها محضًا حمزةُ والكسائى وخلف ، وأمالها بَيْنَ بَيْنَ ورشٌ (٢) .

ونلخص حديثنا عن الإمالة فى الجدول الاتى :

سبب الامالة	ما وقع فيه الامالة		نسبة شيوع الامالة
	عدد الافعال	عدد الاسماء	
١ ـ الإشعار بالاصل	١١	٧	إذًا نسبة شيوع الإمالة فى قراءات الكسائى بالنسبة لأسباب الإمالة العشرة ، تمثل نسبة : ٦ : ١٠ يعنى = ٦٠٪
٢ ـ كثرةُ الاستعمال أو وجود كسرة متأخرة هى كسرة الراء	١	٥	
٣ ـ لأجْل الشبه		"١٥" صوتا بلاشرط "٤" أصوات بشرط	
٤ ـ لأجْل كسرة متأخرة		٣	
٥ ـ لاجْل كسرة متقدمة		٢	
٦ ـ كسرة عارضة فى بعض أحْوال الكلمة	٤		

ثم ما جرى من إمالة على غير الأصول المتقدمة

---

(١) النشر ٢/٧٠

(٢) السابق ، ص ٧٠

جـ — التَّخْفِيفُ والتَّثْقِيلُ

التخفيف عند الكسائي : من خلال نماذج التخفيف عند الكسائي نستطيع أنْ نُعَرِّف التخفيف عنده بأنَّه حَذْفُ صَوْت من صَوْتَيْن مُدْغَمين ، أو حذفُ حركة . ونتيجة لهذا الحذف يتغير الصوت الثاني من الصوتين المُدْغمين إلى صائت قصير ، ليلتقيَ مع صائتٍ آخَرَ ، كما ينتج أيضا عدم تتابع الحركات عند حذف حركة .

ونقسم التخفيف عند الكسائي الى :

أ — الأفعال : قوله : " ثُمَّ نُنَجِّي الذينَ اتَّقَوْا " (مريم ٧٢)

قرأ الكسائي وحده : " نُنْجِي " خفيفةً ، من أَنْجَيْت ، وقرأ الباقون : " نُنَجِّي " من نَجَّيت (١)

— قرأ الكسائي " الَّذِي قَدَر " (الأعلى ٣) بتخفيف الدّال ، والباقون بتشديدها (٢)

— قوله : " عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عن بَعْضٍ " (التحريم ٣)

قرأ الكسائي وحده : " عَرَفَ بَعْضَه " خفيفة ، وقرأ الباقون " عَرَّفَ " مشددة (٣)

ب — الأسماء :

— قوله : " فَسُحْقاً لأصْحابِ السَّعِيرِ " (الملك ١١)

— قوله : " لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْواً ولا كِذّاباً " (عم يتساءلون ٣٥)

قرأ الكسائي وحده : " فَسُحْقاً " و " فَسُحُقاً " خَفِيفاً وثقيلاً ، وقرأ الباقون خفيفاً فقط (٤)

وقرأ الكسائي وحده : " ولا كِذَّابا " بفتح الذال خفيفةً ، وقرأ الباقون بالتشديد (٥)

— قوله : " وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم " (البقرة ٢٩)

قرأ الكسائي بالتخفيف " وَهْوَ "

جـ — الحروف : قوله : " أَلَّا يَسْجُدوا لله " (النمل ٢٥) قرأ الكسائي وحده بتخفيف اللام (٦) . تلك هي قراءات الكسائي في التخفيف والتثقيل ، والتي انفرد بها ، فلم يشاركه قارئٌ فيها .

---

(١) السبعة ، ص : ٤١١
(٢) التيسير ، ص : ٢٢١
(٣) السبعة ، ص : ٦٤٠
(٤) السابق ، ص ٦٤٤
(٥) السابق ، ص ٦٦٩
(٦) السابق ، ص ٤٨٠

الاحتجاج لقراءة الكسائى فى الاشتمال :

يقول مكى : " اللفظتان فى القراءتين كثيرًا ، وفى التشديد معنى التكرير والتكثير ، كأنه نجّاة بعد نجاة "(١)

ويقول ابن خالويه : " يُقرأ بالتشديد من نجّى ، وبالتخفيف من أنجى "(٢) وفى تخفيف " قدّر " يدل على أنه " من القدرة ، أو من التقدير والموازنة ، وهذا عام لجميع الهدايات(٣) . وفى تخفيف " عرّف " " أنه أراد : عرف بعضه من نفسه وغضب بسببه ، وجازى عليه بأن طلّقها حفصةَ تطليقه لإذاعتها ما ائتمنها عليه من سرّه والعرب تقول لمن يسيء إليها : أما والله لأعرفن لك ذلك "(٤)

ومعنى ذلك أنّ " عرّف " على معنى جازى(٥) ، كما تأتى أيضًا بمعنى علم ، وعلم بمعنى جاز ، وعلى ذلك يتأوّل قوله تعالى : وما تفعلوا من خير يعلمه الله (البقرة ١٩٧) أى يجازيكم به الله ، ومنه قوله : أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم (النساء ٦٣) ، أى : يجازيهم على ما أظهروا من ذلك ، ولم يرد أن يعلمنا أنه يعلم ، لأن ذلك مستقر فى الانفس . إنه تعالى يعلم السرّ والعلانية ، وعلى ذلك وقعت " يرى " بمعنى " يجازى " فى قوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره (الزلزلة ٧، ٨) أى : يجازى عليه ، ولم يرد رؤية البصر فقط ، لأن ذلك لا ضرر فيه على الرائى ، إنما أراد الجزاء عليه ، وقيل : المعنى " يرى جزاءه " ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وهو من فصيح كلام العرب ، وهو قول حسن(٦)

نستنتج من هذا :

١ — أنّ القراءة مخففة أفادت مجازاة الرسول لحفصة على إفشائها الحديث بأن طلّقها .

٢ — القراءة بالتثقيل أفادت إشراك زوجه فى شىء مما علمه وأغضبه ، وأعرض عن بعض تكرمًا منه

٣ — قوله : " وأعرّف عن بعض " ليس من الضرورى أن يدل على التشديد ، ولكن قد يُراد به أنه جازاها على شىء ولم يجازها على شىء آخر .

---

(١) الكشف ٢/ ٩١
(٢) الحجة لابن خالويه ، ص ٢١٣
(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٥٨
(٤) الحجة لابن خالويه ، ص ٣٢١
(٥) الكشف ٢/ ٣٢٥ والبحر المحيط ٨/ ٢٩٠
(٦) الكشف ٢/ ٣٢٥ — ٣٢٦

والذى حدث فى " نُنَجّى " اجتمع صوتان مُتماثلان ، فغُيرت الجيمُ الثانية من " نُنَجّى " إلى صائت قصير هو الكسرةُ ليلتقىَ مع صَائتٍ طويلٍ وهو الياء .

وفى " قدَّر " اجتمع أيضا صوتان متماثلان ، فغُيرت الدالُ الثانية إلى صائت قصير هو الفتحة ليلتقىَ مع صائت قصير أيضا وهو الفتحة على الراء

وفى " عزَّف " غُيرت الراءُ الثانية إلى صائتٍ قصير هو الفتحة — ليلتقىَ مع صائتٍ قصير هو الفتحةُ على الفاء وإذا لاحظنا الحروفَ الواقعةَ قبلَ الحُروف التى وَقَع عليها التشديدُ ، وجدنا أنَّها :

أ — النون : وهى من الصَّوامت الغناء ، وهى تأخذ نوعًا من الجُهْد فى أثناء النطق بها ، إذْ " يُوقف الهواء فى الفم وقْفًا تامًا بأنْ يعتمدَ طرفُ اللسان على أصول الثَّنايا العليا ، يُخفض الحنك اللينُ وبهذا يتمكن الهواءُ من الرئتين بسبب الضَّغْط من أنْ ينفذَ عن طريق الأنف ، يتذبذب الوتران الصوتيَّان أثناءَ نُطق الصوتِ " (١) . فتسهل حركةُ اللسانِ — اذنْ — فى أثناء التخفيف ، لأنَّه يترتب على ذلك أنْ تقل الحركاتُ المتتابعة فتصبحُ حركة " ضَمَّة على النون الأُولى " + سكون " على النون الثانية " + حركة " كسرة الجيم " . أو صائت قصير + سكون + صائت قصير

ب — القاف : وهى من حروف القَلْقلة التى تتميز بأنَّها "شديدة " ، ومجهورة ، وهى تستدعى جُهدًا ، لأنها لمّا كانت " شديدةً " فإنَّ الهواء محبوسٌ حبسًا تامًا ، ولما كانت " مجهورةً فان النَفَسَ ممنوع من أنْ يَجْرى معها (٢) . وهنا نجد : صائت قصير + صائت قصير + صائت قصير . ورغم هذا فإنَّ توالى هذه الحركات أسْهلُ فى النطق من صائت قصير على القاف + (سكون + صائت قصير) على الدالِ + صائت قصير على الراء . وذلك فى حالة التشديد

جـ — العين : والعين صامت مجهور حلقى احتكاكى (٣) . يعنى فيه صعوبة فى النطق ، فاذا كان الحرف الذى بعده غَيْر مشددٍ كانَ أسْهل فى النطق " صائت قصير على العين + صائت قصير على الراء + صائت قصير على الفاء

الاحتجاجُ لقراءة الكسائىّ فى الأسماءِ

يقول مكى فى الكَشْف : " قرأ الكسائى بضمِّ الحاءِ — أى فى " فسُحْقًا " — ورُوىَ عنه أنَّه خُيِّرَ فيه ، والضم هو المشهورُ عَنْه ، وقرأ الباقونَ بإسْكانِ الحاء ، وهما لغتان ، والضمُّ

---

(١) علم اللغة للدكتور السمران ، ص ١٨٥ (٢) السابق ، ص ١٧٥
(٣) السابق ، ص ١٩٥

هو الأصلُ ، والإسكان على وَجْهِ التخفيف ، فهو كالمُنْق والمُنْق والطُنُب والطُنْب وهو مصدر (١) . وكذلك التخفيف في " كِذَابا " ، جعله مصدر " كَذَب " كالكِتَاب " مصدر كَتَبَ (٢) وهو مذهب ابن خالويه أيضا ، حيث يقول : " والحجّة لمن خفّف : أنّه أراد المصدر من قولهم كاذَبَهُ مُكاذبة وكِذَابا ، كما قالوا : قَاتَلَهُ مُقاتلة وقِتَالا . (٣)

والذي حدث في قراءة " فَسُحْقًا " بدون سكون " الحاء " : توالي الصوائت ، صائت قصير على الفاء + صائت قصير على السين + صائت قصير على الحاء
والذي حدث في قراءة " كِذَابا " خفيفا : اجتمع صوتان مُتماثلان ، ففُيرت الذالُ الثانية إلى صائتٍ قصير هو الفتحة ليلتقيَ مع صائتٍ طويلٍ هو الألفُ فسهلَ ذلك على اللسانِ .

ويقول مكي أيضا في تخفيف " وَهُو .. " ، وعلّة ذلك أنّ الهاءَ لمّا اتصلت بما قبلها من واو أو فاءٍ أو لامٍ وكانت لا تنفصلُ منها ، صارت كلمةً واحدةً ، فَخُفِّفَ الكلمة ، فأُسْكِنَ الوسطُ وشبّهها بتخفيف العرب العَضُد وعجُز ، فهو كلفظ " عَضُد " فخُفِّف كما يُخفَّف " عضدا " ، وهي لغةٌ مشهورة مستعملة ... وأيضا فان الهاء لمّا توسطت مضمومةً بين واوين ، ثَقُلَ ذلك ، وصار كأنّه ثلاثُ ضمّات في " وهو " فأسكن الهاءَ لذلك استخفافا (٤)

والذي حدث في قراءة " وهو " أنّ الهاء صامتٌ حَلْقي ، ويمكن اعتبار صوتِها صوائتَ مهموسةً ، فكأنّ ثلاثةَ صوائتٍ تتابعت ، الواو + صوت الهاء + الواو الاخيرة . فحينما تكون الهاء مضمومةً تكون الصوائت متشابهة فيكون في نطقها صعوبةٌ غيرُ التي تكون وهي ساكنة .

الاحتجاج لقراءةِ الكسائيّ في الحروف :

في قراءة " أَلاَ يسجدوا " بالتخفيف ، لَمّ يجعل الكسائيُّ فيها " أَنَّهَ " ، إذ " أنه " في حالة التشديد على تَقْدير لئلاّ يَسْجُدوا ، ومعروف أنّ نونَ " أَنَّهَ " أُدْغِمَتْ في " لا " فأصبحت " ألا " ، كأنّ الله قال : " ألا اسْجُدوا " على الأمْرِ ، وزِيْدَتْ ياءُ النداء وحذفت ألفُ اسْجُدوا " وألفُ " يا " فصارت : " أَلاَ يسْجُدوا " .

وقد جاء ذلك على لسان العرب ، قال ذو الرمة :

أَلاَ يا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيٍّ على البِلَى ولا زَالَ منهلاً بِجَرْعَائِكِ القَطْر (٥)

---

(١) الكشف ٢/٣٢٩ (٢) السابق ، ٣٥٩
(٣) الحجة لابن خالويه ، ص ٣٣٤
(٤) الكشف ١/٢٣٤ وانظر الخصائص ٢/٢٢٩ — ٢٣٠ حيث أورد مكي ما قاله ابن جني تقريبا
(٥) انظر الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي بيروت ، ص :

والذى حدث هنا أن صوتين متقاربين فى المخرج تجاورا ، أحدهما أغن (نون) أن ، والآخر صامت منحرف (اللام) فى " ألا " وقد مرّ بنا كيف يتكون الصوتان لنعرف مدى تقاربهما . وعلى ذلك فإن حذف النون فى " أن " إنما طُلب به التخفيف . وعلى ذلك فاننا نستطيع أن نقول : إن التخفيف والتثقيل كانا شائعين فى كلام العرب ، فالروايات " تكاد تتفق على أن نوالى الصوائت من لهجة الحجاز ، وهى تلائم البيئة الحضرية التى تميل إلى التأنق فى الكلام بحيث تعطى كل صوت حقه ، وأن التخفيف من لهجات بنى تميم وأسد ومعظم نجد ، وهى قبائل بادية تميل إلى السرعة والاقتصاد فى المجهود العضلى (١) ومن هنا قالوا عن التخفيف إنه " سائغ فى حالة السعة لأنه لغة لقبائل ربيعة " (٢) ، كما أن هذه القبائل التى خففت هى التى شافهها الكسائى فى رحلاته .

ونلخص كلامنا عن التخفيف والتثقيل فى هذا الجدول

الافعال	الاسماء	الحروف
٣	٣	١

د — الادغام

الإدغام نوع من التأثير يحدث للأصوات التى تتجاور تجانسا أو تماثلا أو تقاربا . وهو نوعان : كبير وصغير والكبير ينسب إلى أبى عمرو بن العلاء ، ومن ثم فهو لا يعنينا فى هذا المقام ، إذ الخلف بين القراء فى الإدغام الأصغر والإدغام الأصغر يعرفه ابن جنى بأنه " تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك . وهو ضروب . فمن ذلك الإمالة ... ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادا أو ضادا ، أو طاء أو ظاء ، فتقلب لها تاؤه طاء " (٣) وحمد ، فلقد ساهم القراء بنصيب فى الإدغام ، فكان منهم المقل والمكثر . على أن نصيب الكسائى فى الإدغام يأتى بعد أبى عمرو ، إلا أن اعتناءنا سيكون فيما انفرد به الكسائى من إدغام . ولعل من المفيد أن نعرف أحكام الإدغام قبل أن نستعرض نماذج الكسائى فى القراءة به

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ، ص ١٥٧

(٢) الالوسى : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ، مكتبة دار البيان — بغداد ، دار صعب ببيروت ، ص : ٢٧١

(٣) ابن جنى : الخصائص ، ١٤/١٣

للادغام شرطٌ ، وسببٌ ، ومانعٌ :

١ — شرطه أنْ يلتقى الحرفان خطاً ولفظاً ، نحو " إنَّهُ هُـو "

٢ — وسببه : أ — التماثُل : وهو اتفاقُ الصوتين مَخْرجًا وصفةً ، كالباءِ فى الباءِ مثلاً ، وكذلك سائر المُتماثلين

ب — التجانس : وهو اتفاقُهما مَخْرجًا واختلافُهما صفةً ، كالذَّالِ فى الثَّاءِ ، والثاءِ فى الظاءِ ، والتاءِ فى الدال .

جـ — التقارب : وهو تقارُبهما مَخْرجًا أوصفةً ، أو مَخْرجًا وصفةً .

٣ — موانعه : أ — أنْ يكون الأولُ تاءَ ضمير ب — أو مُشددًا جـ — أو مُنونًا (١)

والان نستعرض قراءات الكسائى فى هذه الظاهرة :

تنحصر قراءات الكسائىّ فى هذه الظاهرة فى قسمين :

الأول : إدغام صوتٍ من كلمةٍ فى أصواتٍ مُتعددةٍ من كلماتٍ متفرقةٍ ، وهذا ينحصرُ بدورِه فى (إذْ — قدْ — تاء التأنيث — هلْ وبلْ)

الثانى : إدغامُ صوتٍ فى أصواتٍ من كلمةٍ أو كلمتين حَيْثُ وقَعَ ، وهو ما يُعرَف " بحروفِ قربتْ مخارجُها "

القسم الأول :

أولاً : ذال (إذْ) اختلفوا فى إدغامها وإظهارِها عند ستة أحْرُفٍ ، وهى (التاءُ — الجيمُ — الدالُ — السينُ — الصادُ — الزاىُ) . أدغم الكسائىُّ " ذالَ " (إذْ) فى كل الحروف ما عدا " الجيمَ " (٢) . وجاء " الذالُ " من " إذْ " مع التاء فى : " إذْ تبرَّأَ الذينَ ، وإذْ تَخْلُق ، وإذْ تَأذَن ، إذْ تأتيهم ، إذْ تُفيضُون ، إذ تقُول ، إذْ تدْعُون ، إذْ تَمْشِى " (ثمانية مواضع) .

ومع الدال فى : " إذْ دَخلتَ جَنَّتَكَ (الكهف) — إذْ دخلوا فى ثلاثة مواضع (الحجر — ص — الذاريات) (أربعة مواضع)

ومع السين : " إذْ سَمِعْتُمُوه " (موضع واحد)

ومع الصاد : " وإذْ صرفنا (موضع واحد) ومع الزاى : " إذْ زيَّن لهم ، وإذْ زَاغَتْ " موضعان " .

---

(١) انظر النشر : ١/ ٢٧٨ — ٢٧٩ (٢) السابق ، ٢/ ٣

ثانياً : دال (قَدْ) اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف ، وهى (الذالُ الظاءُ ـ الضادُ ـ الجيمُ ـ الشينُ ـ السينُ ـ الصادُ ـ الزايُ) .
فأدغم الكسائىُّ دالَ (قد) فى (الذال) فى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا " (موضع واحد) . وفى الظاء " فَقَدْ ظَلَمَ ، لَقَدْ ظَلَمَ " موضعان . فى الضاد : " قَدْ ضَلُّوا ، قد ضل ، قد ضَلَلْتُ " (ثلاثة مواضع) . فى الجيم : " لَقَدْ جَاءَكُمْ ـ قَدْ جَمَعُوا لكم ـ قد جَادَلْتَنَا " (ثلاثة مواضع) .
فى الشين : " قد شَغَفَها " (موضع واحد) .
فى السين : " قد سَأَلَها ـ ولقدْ سَبَقَتْ ـ قدْ سَمِعَ ـ ما قدْ سَلَفَ) أربعة مواضع
فى الصاد : " ولقد صَرَّفنا ـ ولقد صَدَّقَ ـ ولقدْ صَبحَهم " (ثلاثة مواضع)
فى الزاى : " ولقد زَيَّنا " (موضع واحد)
إذن أدغم الكسائىُّ دالَ (قدْ) فى الحروف الثمانية (١)

ثالثا : تاء التأنيث ـ اختلفوا فى إدْغامها وإظهارها عند ستة أحرف ، وهى : (الثاءُ ـ الجيمُ ـ الظاءُ ـ السينُ ـ الصادُ ـ الزايُ) فأدغم الكسائىُّ تاءَ التأنيث فى الحروف الستة (٢)
ففى الثاء فى " بَعُدتْ ثَمُودُ ، وكذَّبتْ ثمودُ ، وَرَحِبتْ ثَمُود " (ثلاثة مواضع)
فى الجيم فى " نَضِجَتْ جُلُودُهُم ، وجبت جنوبها " (موضعان)
فى الظاء فى " حَمَلتْ ظُهورهما ، حُرِّمَتْ ظهورها ، وكانت ظالِمَةً " (ثلاثة مواضع)
فى السين : " أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ ، أَقَلَّتْ سحاباً ، مضتْ سُنَّة ، جاءَتْ سَيَّارة ، وأُنزلت سُورة ، وَجاءَتْ سَكْرَةُ " (ستة مواضع)
فى الصاد : " حصرت صدُورهُم ، هُدِّمت صوامع " (موضعان)
فى الزاى : " خَبَتْ زِدْناهم " (موضع واحد)

رابعا : لام " هلْ " ، " بلْ "
اختلفوا فى قوله تعالى : " هل يَسْتَطِيعُ رَبُّك " (المائدة ١١٢) اختلفوا فى الياءِ والتاءِ ، وإدغام اللام فى الياء أو التاء .
قرأ الكسائى وحده : " هل تَسْتَطِيع رَبَّك " بالتاء ونصب الباء ، واللام مُدْغَمة فى التاء . وقرأ الباقون : " هل يَسْتَطِيع رَبُّك " بالياء ورفع الباء (٣)
وبعد ذلك نقول : اختلف القراء فى إظهار لام " هل " وإدْغامها " عند ثمانية أخرى وهُنَّ : التاءُ ـ الثاءُ ـ الزايُ ـ الظاءُ ـ الضادُ ـ الطاءُ ـ السينُ ـ النونُ " (٤)

---

(١) النشر ، ٢/٣ ـ ٤ (٢) السابق ، ص : ٥
(٣) السبعة ، ص : ٢٤٩ (٤) الكشف ، ١/١٥٣

وهذه الأحرف الثمانية " منها خمسة تختص "بَهل" وهى : الزّاى ـ السين ـ الضاد ـ الطاء ـ الظاء ، وواحد يختص "بِهَلْ" وحرفان يشتركان فيهما معًا ، وهما التاء والنون " (١)

فكيف كانت قراءة الكسائى فى هذه الاحرف ؟

أولاً : التاء ـ جاءت فى قوله : " هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ " ـ " هلْ تَنْقِمُونَ " ، " هَلْ تَعْلَمَ " ـ " بَلْ تَأْتِيهِمْ " ـ "بَلْ تُؤْثِرُونَ "

ثانيا : الثاء ـ " هلْ ثُوِّبَ الكفّار "

ثالثا : الزاى ـ "بَلْ زُيِّنَ للذِينَ " ، " بَلْ زَعَمْتُمْ "

رابعا : السين ـ " بلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ "

خامسا : الضاد ـ " بلْ ضَلُّوا "

سادسا : الطاء ـ " بلْ طَبَعَ "

سابعا : الظاء ـ "بَلْ ظَنَنْتُمْ "

ثامنا : النون ـ " بلْ نَتَّبِعَ " ، "بَلْ نَقْذِفُ " " هلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ " ، " هَلْ نُنَبِّئُكُمْ "

فأدغم اللامَ منها فى الأحرف الثمانية الكسائىّ ، ووافقه حمزة فى التّاء والثّاء والسين ، واختلفوا عنه فى " بَلْ طَبَعَ " (٢)

وبعد أنْ عرفنا مواضع الإدغام عند الكسائىّ فى هذا القسم ، علينا أنْ نعرف الخصائص المُميزة لهذه الأصوات التى أدغمها الكسائىّ ، لنرى موقف الدرس الحديث من هذه الظاهرة عنده ، ونعرض ذلك فى مجموعات :

المجموعة الاولى : ذال (إذْ) عند الأصوات الستّة المشار إليها

ذ	- grave	+ diffuse
ت	- grave	+ diffuse
د	- grave	+ diffuse
ص	- grave	+ diffuse
س	- grave	+ diffuse
ز	- grave	+ diffuse

(١) النشر : ٢/٦ ـ ٧ (٢) السابق : ٦ ـ ٧

ونلاحظ هنا شيئين : أ - اتّفاق صفات هذه المجموعة في أكثر من صفة

ب - أنّ الكسائي لم يُدغم "ذ" مع "ج" لبُعد ها مخرجـــا وصفـةً

ج	+ grave	- diffuse	+ voiced	سقف حنك لين

وبذلك يكون الكسائيُّ قد اتّفق مع وجهة نظر الدرس الحديث ، بينما ابتعدَ عنهـــا القُرّاء الذين أدغموا ذال "إذْ" مع "ج"

المجموعة الثانيـة : دال "تَنْ" عند الأصواتِ الثمانية المشارِ إليها

د	+ diffuse	- grave	+ voiced
ذ	+ diffuse	- grave	+ voiced
ض	+ diffuse	- grave	+ voiced
ش	+ diffuse	- grave	+ voiced
ص	+ diffuse	- grave	+ voiced
ظ	+ diffuse	- grave	+ voiced
ج	+ diffuse	- grave	+ voiced
س	+ diffuse	- grave	+ voiced
ز	+ diffuse	- grave	+ voiced

المجموعة الثالثة : تاءُ التأنيث مع الأصواتِ المُشارِ اليها سابقـًا :

ت	+ diffuse	- grave	- strident
ث	+ diffuse	- grave	+ strid
ج	+ diffuse	- grave	+ strid
ظ	+ diffuse	- grave	+ strid
س	+ diffuse	- grave	+ strid

ومن هذا نلاحظ أنّ "ج" ربما كانت مُمطّشة عند الكسائي "ج" لانتظـــام المجموعة على هذا الأساسِ

المجموعة الرابعة " لام " هَلْ ، بَلْ

ل	+ diffuse	- grave	- strid
ث	+ diffuse	- grave	- strid
ز	+ diffuse	- grave	- strid
ض	+ diffuse	- grave	- strid
ظ	+ diffuse	- grave	+ strid
ت	+ diffuse	- grave	- strid
س	+ diffuse	- grave	- strid
ط	+ diffuse	- grave	- strid
ن	+ diffuse	- grave	- strid

القسم الثانى (حروف قهست مخارجها

اختلفوا فى قوله تعالى : " إِنْ نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ " (سبأ ٩ "
أدغم الكسائىُّ وحده الفاء فى الباء فى قوله : " نَخْسِفْ بِّهِم " وأظهر الباقون (١)
وأدغم الكسائىُّ أيضًا الباءَ الساكنةَ فى الفاء والميم ، وكان ذلك فى خَمْسةِ مواضع هى جُملةُ ما فى كِتاب الله " الإسراء ٦٣ " — " النِّساء ٧٤ " — " الرَّعْد ٥ " — " طه ٩٧ " — " الحُجرات ١١ "

فالفاء صوتٌ رَخْو مهموس ، يتكوَّن بأنْ يندفع الهواءُ مارًا بالحنجرة دون أنْ يتذبْذَبَ معه الوتران الصوتيان ، ثم يتَّخذُ الهواءُ مجراه فى الحَلْق والفم حتى يصلَ إلى مخْرج الصوت وهو بين الشفة السُّفلى وأطْرافِ الثَّنايا العُلْيا (٢)

والباءَ صوتٌ شديدٌ مجهورٌ ، يتكوَّنُ بأنْ يمرَّ الهواءُ أولاً بالحنجرة ، فيُحرِّك الوترين الصوتيين ، ثم يتَّخذ مجراه بالحلْق ثم الفم حتى ينحبسَ عند الشَّفتين مُنْطبقتين انْطباقًا كاملاً ، فاذا انفرجت الشفتان فَجْأةً سمعنا ذلكَ الصوتَ الانفجارى (٣)

إذن فالفاءُ صامتٌ مهموس شفوى — سِنِّىّ احتكاكى (٤) والباءُ صامت مجهور شفوى انفجارى (٥) والميمُ صامتٌ مجهور شفوى — كما عرفنا — إلاَّ أنَّه أغَنّ
واختلفوا فى قوله تعالى : " مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ " حيثُ وقعَ :
فأدْغَمَ اللامَ فى الذال أبُو الحارثِ عن الكسائىِّ وأظْهرها الباقون (٦) والإدغام هنا لأنَّ " الذالَ " قريبُ المخرج من اللام ، لانَّها " صامتٌ مجهور مَّا بين الأسْنان احتكاكى (٧) وقد عرفْنا أنَّ اللامَ صامتٌ مجهور سِنِّىّ منحرف (= جانبى) ، ولذلك قرُبَ مخرجُ الذالِ واللام
واختلفوا فى نحو قوله تعالى : " أُوْرِثْتُمُوهَا " (الأعْراف ٤٣)
قرأ الكسائىُّ بإدْغامِ الثاء فى التاء (٨) والإدْغام هنا لأنَّ " الثاء مهموسة رخوة " (٩) وهو صامتٌ مَهْمُوس مَّا بين الاسْنان احتكاكى والتاءُ أيضا صوتٌ صامتٌ مهموس سِنِّىّ انفجارى .
واختلفوا فى قوله تعالى : " فَنَبَذْتُهَا " (طه ٩٦) ، و " عُذْتُ بِرَبِّى " (غافر ٢٧) " اتَّخَذْتُم " (البقرة ٥١) ، " أَخَذْتُ " (فاطر ٢٦)

---

(١) السبعة : ص : ٥٢٧ ، والتيسير ص : ٤٤
(٢) الاصوات اللغوية ، ص : ٤٦ (٣) السابق ، ص : ٤٥
(٤) الدكتور السمران : علم اللغة ، ص : ١٩٠
(٥) السابق ، ص : ١٦٧ (٦) النشر ، ١٣/٢
(٧) الدكتور السمران : علم اللغة ، ص : ١٩١
(٨) الكشف : ١٥٩/١ (٩) السابق ، ص : ١٥٧

أُدغم الذال في التاء الكسائيُّ (١) والإدْغامُ هنا لأنَّ قوة التاء والذال مُعْتدلة ، لأنَّ التَّاء شديدةٌ ، والذالُ مجهورة ، والشدةُ في القُوة كالجَهْر . وقد عَرفْنا قبلُ أنَّ التـــاء صوتٌ شديدٌ ، والذالَ مجهـورٌ .

ونقسم هذا القسـم الى مجموعـات أيضـا :

المجموعـة الاولى " الفـاء عند البـاء ":

ف	+ diffuse	+ grave	+ strid
ب	+ diffuse	+ grave	- strid

المجموعـةُ الثانيـة " الباءُ الساكنةُ في الفاءِ ، المـيم "

ب	+ diffuse	+ grave	- strid
ف	+ diffuse	+ grave	- strid
م	+ diffuse	+ grave	- strid

المجموعة الثالثـة " الـلامُ في الذَّال "

ل	+ diffuse	- grave	- strid
ذ	+ diffuse	- grave	+ strid

(١) الكشـف : ١٥٩/١

المجموعة الرابعة " الثاء في التاء "

ث	- diffuse	- grave	- strid
ت	- diffuse	- grave	- strid

المجموعة الخامسة " الذال في التاء "(١)

ذ	+ diffuse	- grave	+ strid
ت	+ diffuse	- grave	+ strid

ونلاحظ بعد ذلك أن إدغام الكسائي في صوره التي أوردناها منحصر في هذا النوع من الادغام الذي يسمى بـ " التأثر الرجعي " Regressive " الذي يتأثر فيه الصوت الأول بالثاني .

وقد ذكر أن الإظهار لهجة الحجازيين ، وأن الإدغام لهجة تميم (٢)

---

(١) اعتمدنا في هذا التصنيف على كتابي :
1- Hyman Larry, M: Phonology: Theory and Analysis, New York, London, 1975 P. 35-39
2- Sadanand Singh, Ph.D : Distinctive features theory and validation. University Park Press, 1976 , P. 36

(٢) أنظر الدكتور عبده الراجحي : اللهجات العربية ، ص : ١٣١

ملاحظة : المصطلحات الاجنبية التي استخدمت تعني بالعربية ما يأتي :

diffuse = forward-flanged vs backward-flanged
أصوات أمامية — أصوات خلفية

+ ذو شفة أمامية
- ذو شفة خلفية

grave = peripheral vs medial
طرفي — وسطي

+ طرفي
- وسطي

strident = rough-edged vs smooth-edged
حافة حادة — حافة لينة

+ حافة حادة
- حافة لينة

voiced vs voiceless
مجهورة — مهموسة

ونلخص مواضع الإدغام عند الكسائي في الجدول الآتيين :

أولا : إدغام صوت من كلمة في أصوات متعددة من كلمات متفرقة

الصوت	مواضع ادغامه	عددها	الصوت	مواضع ادغامه	عددها
الذال من "اذ"	عند التاء	٨	تاء التأنيث	التاء	٣
	الدال	٤		الجيم	٢
	السين	١		الظاء	٣
	الصاد	١		السين	٦
	الزاى	٢		الصاد	٢
الدال من "قد"	الذال	١	لام هل	الزاى	١
	الظاء	٢	بل	عند التاء	٥
	الضاد	٣		الثاء	١
	الجيم	٣		الزاى	٢
	الشين	١		السين	١
	السين	٣		الضاد	١
	الصاد	٣		الطاء	١
	الزاى	١		النون	٤

ثانيا : حروف قربت مخارجها

الصوت	مواضع ادغامه	عددها
الفاء	في الباء	١
الباء الساكنة	الفاء والميم	٥
اللام الساكنة	الذال حيث وقع	
الثاء	التاء	١
الذال	التاء	٤

هـ - الوَقْفُ والابْتِـــدَاءُ

الوقفُ هو قَطْعُ الصَّوتِ على الكلمة زمنًا يَتنفَّس فيه عادةً بنيَّةِ اسْتِئنافِ القراءةِ ، إمَّـا بما يَلِي الحرفَ الموقوفَ عليه ، أَوْ بما قَبْله . ويأْتِي فى رُؤُوسِ الآى وأوساطها ، ولا يأتى فى وَسَطِ كَلِمةٍ ، ولا فِيما اتَّصَلَ رَسْمًا ، ولا بُدَّ من التنفُّسِ معه (١) .

وينقسم الـوقفُ إلـى :

١ - وقف تـام : وأكثرُ ما يكونُ فى رؤوسِ الآى وانْقِضاءِ القصص (٢) ، وذلك نحـــو : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " والابتداء " الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين "

٢ - وقف كافٍ : ويكثر فى الفواصِلِ وغيرها ، نَحْوُ : " ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون " ، وعلـى " مِنْ قَبْلِكَ " ، وعلى " هُـدًى من ربهـم " (٣)

٣ - وقْف حسن : وذلك نحو الوقف على " بِسْمِ الله " وعلى " الحَمْدُ لِله " (٤)

٤ - وقف قبيح : نحو الوقف على " بِسْمِ " وعلى " الحَمْد " (٥)

ومن ذلك يظهر لنا أَنَّ الوقف تَدْعو إليه الضرورةُ ، حِفاظًا على سلامة النصِّ فى مَواطِنَ كثيرةٍ يتغيرُ فيها المَعْنى إذَا لم تَلْتزم بهذه الضرورة .

أَمَّا الابتداءُ فلا يكون اخْتِيارِيًّا ، " لأنَّهُ ليس كالوقْفِ تَدْعو إليه ضرورةٌ ، فلا يجـوز إلَّا بِمُسْتقل بالمعنى ، مُوفٍ بالمَقْصود " (٦) وبعد ، فإنَّ عـددا من العُلماء قَدْ أَلَّـف فى موضوع الوقف والابْتداءِ نذكر منهـم :

١ - حَمْزة بنُ حبيب الزيَّات " ت ١٥٦ هـ " (٧)

٢ - جَعْفر محمدُ بنُ سعدان الضرير " ت ٢٣١ هـ " (٨)

٣ - حفْص بن عُمر الدُّورى " ت ٢٤٦ هـ " (٩)

٤ - أَبُو عمرعثمان بن سعيد الدَّانى " ت ٤٤٤ " (١٠)

٥ - أبو عبدُ اللهِ مُحمد بنُ طيفور السَّجَاوَنْدِى " ت ٥٦٠ هـ " (١١)

٦ - أبو بكر محمد بن القاسم الأنْبَارى " ت ٣٢٨ هـ " (١٢)

---

(١) النشر : ١/٢٤٠ (٢) السابق ، ص : ٢٢٦
(٣) السابق ، ص : ٢٢٨ (٤) السابق والصفحة
(٥) السابق ، ص : ٢٢٩ (٦) السابق ، ص : ٢٣٠
(٧) وله كتاب الوقف والابتداء ، الفهرست ٥٤
(٨) وله كتاب الوقف ، الفهرست ، ص : ٥٤
(٩) وله كتاب الوقف والابتداء ، الفهرست ، ص : ٥٤
(١٠) وله كتاب اكتفى الوقف والابتداء ، الزِّرِكْلى : الأعلام : ٤/٣٦٧
(١١) وله كتاب الايضاح فى الوقف والابتداء
(١٢) وله كتاب ايضاح الوقف والابتداء

وكان من أهمّ اعتباراتِ الوقفِ عند القُرّاء ، أنْ يُنظر إلى رَسْمِ المصاحف التى أجْمع الصحابةُ عليها ، وهى تلك المصاحف العُثْمانية . ومعنى ذلك أنّ الموقوفَ عليه يستتمّ الوقفُ عليه وفْقَ رَسْمه فى الهجاء . وقد اختلف القراء فى الوقف على الرّسم ، وقد وقع هذا الخلاف فى خمسةِ أقْسام ، هى :

١ ـ الإبْدال ٢ ـ الإثْبات
٣ ـ الحَذْف ٤ ـ الوَصْل
٥ ـ القَطْع

أولا : الإبدالُ : وهو إبدالُ حرفٍ بآخَرَ (١) ، وهو ينحصر فى :

أ ـ الأصْلِ المطّردِ نحو كُلّ هاءِ تأنيثٍ رُسِمَتْ تاءً " رَحْمَت ، ونِعْمَت ، وشَجَرَت " ومثله فكان الكسائىّ يقف على هذه المواضع بالهاء خلافًا للرسم (٢)

ب ـ كلمات مخصوصة ، وهى ستّ : " يا أبَتِ وهَيْهَات ، ومَرْضَاتِ ، ولَاتَ ، واللات ، وذات بَهْجة " (٣) . وقف الكسائى بالهاء على " مَرْضَاتِ " ، " وَلَاتَ " ، "اللات" وذات بَهْجة " بالهاء واخْتُلِفَ عنه فى الثّنْتَيْنِ الأُولَيَيْن

ثانيا : الإثبات : وهو على قِسْمَين :

أحدُهما إثباتُ ما حُذِفَ رَسْمًا
ثانيهما إثباتُ ما حُذف لفظًا
وإثباتُ ما حذِفَ رَسْمًا نوعان :

أ ـ ما كان قبْلَه هاءُ سَكْت ، التى تجىء فى خمسة أُصول :

١ ـ "ما" الاستفهامية المَجْرورة بحرْفِ الجرّ نحو عَمّ ، وفِيمَ ، وبِمَ .
٢ ـ هُو وهى حيثُ وقعا نحو وَهُو ، ولَهُو ، فإنّه هُـو
٣ ـ النون المشددة من جمع الإناثِ نحو هُنّ أطْهَرُ ، ولَهُنّ مِثْلُ ، وأنْ يَضَعْـن حَمْلَهُنّ .
٤ ـ المُشدّد المبنى نحو أنْ لا تَعْلُوا علىّ ، وإلّا ما يُوحَى إلىّ ، وما أنْتُمْ بِمُصْرِخِىّ
٥ ـ النون المفتوحة نحو العالمين ، الذّيْنَ (٤) وهذا النوع لم يردْ فيه للكسائى شىء

---

(١) النشر ١٢٩/٢
(٢) السابق ، ص : ١٣٠ ، ووافق الكسائىّ أبو عمرو ، وقد ذكر ابن الجزرى أن هذا الوقف نسب الى الكسائى فقط فى بعض الكتب
(٣) النشر ١٣١/٢ والتيسير ، ص ٦٠ (٤) النشر ١٣٤/٢ ـ ١٣٦

ب — أحد أصوات المدّ الواقعة قبل ساكن فحُذفت لذلك ، والحذف هنا يكون :

١ — لأجْلِ تنوين نحو " بَاغٍ ولَا عَادٍ " مثلا . وليس في هذا شيء للكسائي

٢ — لغير تنوين : والذي حُذف لغير تنوين أحد عشر حرفًا ، وهي : " يُؤْتَ " (البقرة والنساء) — " واخْشَوْنِ اليومَ " (في المائدة) — " وَيَقْضِ الحَقّ " (الأنعام) — " ونجِ المؤمنين " (يونس) — " والوَادِ " (طه ، النازعات ، القصص في موضعين) — " هَادٍ " (الحج ، الروم) " يُرِدْنِ الرَّحْمن " (يس) — " وصَالِ الجَحِيم " (الصافات) — " يُنَادِ المُنَادِ " (ق) — " تُغْنِ النُّذُر " (في اقترب) — " الجَوَار " (الرحمن كورت) — " أتَانَ اللّه " (النمل) — " فبشّرْ عِبَادِ الذين " (الزُّمَر) في موضعين منها .

فقد وقف الكسائي على هذا بحذف الياء ، إلّا قوله " وَادِ النَّمْل " (القصص) فقد وقف عليها بالياء . قال الكسائي : " ولم أسمع أحدًا من العرب يتكلم بهذا المضاف إلا بالياء . وقد وافق الكسائيّ تلميذُه سَوْرَةُ ابنُ المُبارك على " بِهَادِ العمى " (الروم) (١) بالياء

وذكر ابن الجزري نقلاً عن الداني : " وهذه علة صحيحة مفهومة لأنها تقتضي هذا الوضع خاصة " (٢)

أمّا إثباتُ ما حُذف لفظًا :

ففي قوله : " لم يَتَسَنَّه " (البقرة ٢٥٩)

قرأ الكسائي بحذف الهاء في الوصل ، وأثبتها في الوقف ، وكذلك في " اقْتَدِه " (الانعام ٩٠) وأثبتها في " ما أغْنَى عنّي مالِيَه هَلَكَ عنّي سُلْطَانِيَه " (الحاقة ٢٨ ، ٢٩) و " مَا أدْرَاكَ مَاهِيَه (القارعة ١٠) وكلّهم يقف على الهاء ، ولم يختلفوا في : " يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه " (الحاقة ١٩) و " لم أدْرِ ما حِسَابِيَه " (الحاقة ٢٠) أنهما بالهاء في الوصل والوقف (٣)

فحذف الهاء في الوصل " أنّ الهاء ، إنّما جيء بها للوقف ، لبيان حركة ما قبلها ، ولذلك سُمّيت هاءَ السّكت ، فلما كانت ، إنّما يُؤتى بها في الوقف ، لبيان الحركة التي هي في ياء الإضافة ، استُغْني عنها في الوصل ، لأنّ الحركة في الياء ثابتة ، فهي مثل

---

(١) النشر ٢/١٤٠ (٢) السابق والصفحة

(٣) الكشف ١/٣٠٨ والنشر ٢/١٤٢

ألف الوصل ، التى جيء بها للابتداء . فاذا لم يُبدأ بها ، واتّصلَ الكلامُ ، استُغْنى عنها "(١). والوقوف على الهاء مُناسب لعملية الوقف ذاتها ، التى تَستدعى زمنًا للتنفس حتى يستأنفَ القارئ ، وذلك أنها " صوتُ النَفَسِ الخالصِ الذى لا يَلْقى مرورَه اعْتراضًا فى الفم . وللسانِ أنْ يتّخذ ، فى نطق الهاء ، أىَّ مَوْضع من المواضع التى يتّخذها فى نطق " الصوائت " ، ومن ثَمَّ فمن المُستطاع نطقُ أنْواعٍ من الهاء قَدْر ما يَستطاع نطقه من أنواع " الصّوائت " . ولذلك أمْكَن اعتبارُ أصواتِ الهاءِ " صوائتَ مهموسة "(٢)

ثالثا : الحَذْف

وهو على قسمين أيضا :

الأول : حذفُ ما ثَبَت رسمًا — الثانى : حذفُ ما ثبت لَفْظًا

فالأول جاء منه كلمة واحدة ، وهى " وَكَأَيِّن " فى (آل عمران ـ يوسف ـ الحج ـ موضعان ـ العنكبوت والقتال والطلاق) وَقَفَ الكسائىُّ بالنون (٣)

والثانى من نحو قوله " أَيَّامَا تَدْعُوا " (آخر سورة سُبْحان) ، و " مَالِ هَؤُلاءِ القَوْمِ " (النساء) ، و " مَالِ " فى (الكهف) ، و (الفُرْقان) ، و (سأَلَ) وهذا وصل المقطوع .

فـ " أَيَّاما " وقف الكسائىُّ فيها على " أَيَّا " دون " ما " وكذلك حَمْزة (٤)

و " مَالِ " ذُكر الخلافُ عن الكسائىّ فى الوقف على " ما " ، أو على " اللام " بعدها ولكن ابنَ الجزرى يُؤكدُ الوقفَ عليهما ، حيث يقول : " أَمَا الكسائىُّ فقد ثَبَتَ عنه الوقفُ على " ما " وعلى " اللام " من طريقين صحيحين "(٥)

ووقوفُ الكسائىّ على " النون " من " وَكَأَيِّنْ " ربما كان مُناسبًا ، لأنَّه حين النطق بالنون " يُوَقفُ الهواءُ فى الفم وَقْفًا تامًا "(٦) فضلاً عن الغُنّة التى فى النون ، وهى تحتاج إلى هذا الوقف .

وفى " أَيَّاما " وقف الكسائى على " أَيَّا " ، لأنَّ الالفَ الممدودة بعد الياءِ تُناسب عملية النطق بالياء

---

(١) الكشف ٣٠٨/١
(٢) علم اللغة ، ص ١٩٥
(٣) التيسير ، ص ٦١ والنشر ١٤٣/٢
(٤) النشر ١٤٤/٢ والتيسير ص ٦١
(٥) النشر ١٤٦/٢
(٦) علم اللغة ، ص ١٨٥

٢ — القراءات المتصلة ببنية الكلمة

قوله تعالى : " حَتَّى مَطْلَعِ الفجر " (القدر ٥) قرأ الكسائى : " مَطْلِع " بكسر اللام (١) .

وحجة الكسائىّ أنّه " جعله مصدرًا واسمَ مكانٍ نادرًا أتى بالكسر ، وفعله " فَعَلَ يَفْعَل " ، وحقّه الفتح كـ " المَدْخل " و " المَخْرج " ، مِنْ دَخَل يَدْخُل ، وخَرَج يخرج ، وقد أتت له نظائر بالكسر خارجةً عن القياس نحو المَسْجِد ، والمَجِيض " (٢) .

ويقول ابن خالويه : " أجمع القراء على فتح اللام إلّا الكسائىّ فإنه قرأها بالكسر ، والحجة لمَنْ كسر ، أنه أراد : الاسْمَ أو الموضع " (٣)

ويقول أبو حيان : " وقرأ الجمهور مَطْلَع بفتح اللام ... والكسائى بكسرها . فقيل هما مَصْدَران فى لغةِ بنى تميم ، وقيل المصدرُ بالفتح وموضعُ الطلوعِ بالكَسْر عند أهل الحجاز " (٤)

وجاء فى لسان العرب : " طَلَعَتْ الشمسُ والقمرُ والفجرُ والنجومُ تَطْلُعُ طُلُوعًا ومَطْلَعًا ومَطْلِعًا ، فهى طالعةٌ ، وهو أحدُ ما جاء من مصادر فَعَلَ يَفْعُل على مَفْعِل ، ومَطْلَعها ، بالفتح لغةٌ ، وهو القياس ، والكسرُ الأشْهر . والمَطْلِع : الموضع الذى تَطْلُع عليه الشمس وهو قوله : حتى اذا بلغَ مَطْلِعَ الشمس وجدها تَطْلُعُ على قوم ، وأما قوله عز وجل : هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الفجر ، فإن الكسائىّ قرأها بكَسْر اللام ... قال الفراء : وأكثرُ القُراء على مَطْلَع ، قال : وهو أقْوى فى قياس العربية لأنّ المَطْلَع ، بالفتح ، هو الطلوع والمَطْلِع بالكسر ، هو المَوضع الذى تطلُع منه ، إلا أنّ العرب تقول طلعت الشمس مَطْلِعًا ، فيكسرون وهم يريدون المصدر ، وقال : اذا كان الحرفُ من باب فَعَل يَفْعُل مثل دَخَل يَدْخُل وخَرَج يخرُج وما أشْبهها آثرَت العربُ فى الاسم منه والمصدرِ فَتْحَ العَيْن ، إلّا أحْرُفًا من الأسماء ألْزموها كسرَ العَيْن فى مَفْعِل ، من ذلك : المسجِد والمطلِع والمغرب والمشرق والمسقِط والمَرْفِق والمَفْرِق والمَجْزِر والمسْكِن والمنْسِك والمنْبِت ، فجعلوا الكسر علامةً للاسم والفتحَ علامةً للمصدر " (٥)

---

(١) السبعة ، ص : ٦٩٣ (٢) الكشف ٢/٣٨٥

(٣) الحجة ، ص : ٣٤٧ (٤) البحر المحيط ٨/٤٩٧

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر — دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت ١٩٥٦ ، مادة " طلع "

والفعل فى " مَطْلِع " ثلاثىٌّ ، ومعنى ذلك أنّ مصدره سماعى ، فربّما قرأ الكسائىّ بالكسر على اعتبار الكسر والفتح مصدرين فى لُغة بنى تميم ، أو اسم مكانٍ عند الحجازيين . وأحسب أن الفتح فى " مَطْلَع " أنسب ، لأنّ لام الكلمة حرفُ حَلْقٍ ، وقد نبّه ابن سيده فى مُخصصه إلى ذلك ، حيث يقول : " وأعلم أن هذه الحروف التى من الحَلْق هى مُسْتَقِلّةٌ عن اللسان ... فاذا كانت حروفُ الحلق عَيْنات أو لامات ثقُل عليهم أنْ يضُمّوا ويكسروا لأنّهم إذا ضَمُّوا فقد تكلّفوا الضمة من بين الشَّفتين لأنّ منه مخرج الواو ، وإنْ كسروا فقد تكلّفوا الكسرة من وسط اللسان ، وإنْ فتحوا فالفتحةُ من الحَلْق ، فثقل الضم والكَسْر ، لأنّ حرفَ الحلْق مُسْتَفِلٌ ، والحركة عالية مُتباعِدةٌ منه فحرّكوه بحركةٍ من موضعه وهى الفتح ، لأنّ ذلك أخفّ عليهم ، وأقلّ مشقة " (١) . ونحن نصرف أنّ الميّن صامتٌ مجهور حَلْقى احتكاكى (٢) . والصامتُ الحلْقى يؤثّر على الصامت الذى قبله فيُحرّكه بالفتحة (٣) .

ويمكن أن نضع تحت هذا قوله تعالى : " فى مَسْكَنِهم " (سبأ ١٥) حيث قرأ الكسائىّ وحده " فى مَسْكِنِهم " مكسورة الكاف بغير ألف (٤)

واختلفوا فى صَرْف ثمود وترك إجرائه فى خمسة مواضع : فى هود : " أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُم أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ " (٦٨) وفى الفرقان : " وعادًا وثمودًا وأصحاب الرَّسّ " (٣٨) وفى العنكبوت : " وعادًا وثمودًا " (٣٨) وفى النجم " وثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ " (٥١) قرأ الكسائىّ بصَرْفهنّ جميعًا (٥) . وحجّة الكسائى " أنّه جعل " ثمودًا " اسما مُذكرًا للحىّ أو للّحَى ، فلا علّة تمنع من صَرْفه ، إذْ الصرفُ أصْلُ الأسماء كلّها ، وكل ما امتنع منها من الصرف فلعلّتين دخلتا عليه ، فمُنع التنوينَ والخفضَ " (٦)

ويقول الإمام ابن خالويه : " يُقْرأ " أى ثمود " وما شاكله من الأسماء الأعجمية مصروفًا وغير مصروف ، فلِمَن صرفه وجْهان : أحدهما : أنّه جَعَله اسمَ حىّ أو رَئيسٍ فصرفه ، والآخر أنّه جعله " فَعُولًا " من الثَّمْد وهو الماءُ القليلُ فصرفه " (٧) ثم يقول بعد ذلك : " والقراءُ مختلفونَ فى هذه الاسماء ، وأكثرُهم يتّبع السواد ، فما كان فيه بألفٍ أجْراه ، وما كان بغير ألفٍ منعه الإجراء ، فأمّا قوله : " وآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً " (الإسراء ٥٩) فإنّما ترك اجراءه لاستقبال الألف واللام ، فطُرِح تنوينه " (٨) . وقريب من هذا **قول**

---

(١) ابن سيده : المخصص ، الطبعة الاولى ، مطبعة بولاق بمصر ١٣٢٠ هـ ١٤/٢٠٦
(٢) علم اللغة للدكتور السعران ، ص : ١٩٥
(٣) اللهجات العربية للدكتور عبده الراجحى ، ص : ١١٠
(٤) أنظر الكشف ٢/٢٠٤ ، الحجة لابن خالويه ، ص : ٢٦٧
(٥) السبعة ، ص ٣٣٧ (٦) الكشف ، ١/٥٣٣
(٧) الحجة ، ص : ١٦٣ (٨) السابق والصفحة

الفرّاء : " ومنهم من أجرى ثمودَ فى النصب لأنّها مكتوبةٌ بالألف فى كلّ القرآن إلا فى مَوْضع واحد " وآتَينا ثَمُودَ النّاقة مُبْصرة " فأخذ بذلك الكسائىّ ، فأجْراها فى النّصب ، ولم يُجْرِها فى الخَفْضِ ولا فى الرفْعِ إلاّ فى حَرْف واحد ، قولُه : " أَلاَ إنّ ثَمُودَا كفروا ربّهم ، ألا بُعْدا لِثَمُودَ " فسألوه عن ذلك فقال : قُرِئْتُ فى الخفض من المُجْرى ، وقبيحٌ أنْ يجتمع الحرفُ مرّتين فى مَوْضِعَيْن ثم يَخْتلف ، فأجريته لقُربه منه " (١)

على أنّ إجراء ثمود " ربما كان راجعًا إلى أنّه اسمٌ مذكر للحى أو الرئيس ، لأن الفراء روى : " وسمع الكسائىّ بعض العرب يقول : إنّ عادَ وثمّ أُختان " (٢) فكذلك تكون ثمود . غير أن اجراء الكسائىّ " ثمود " فى حالة الجرّ ، هو فى رأيى تقرير لمنهجه النحوى القائم على " الوَصْلية " ، لأنه لاحَظ " ثمودَا " مُجْراه فى أوّل الآية فلا بُدّ أن تكونَ كذلك فى نهايتها محافظةً منه على كَمّية الصوت المنطوق ، ممّا يُرجح " أنّ صَرْف الممنوع كان لهجة من اللهجات " (٣) لعلها فى الحجاز والكوفة (٤) .

اختلفوا فى قوله : " فَيَحِلّ عليكُمْ غَضَبِى وَمَنْ يَحْلِلْ عليه " (طه ٨١)
قرأ الكسائىّ وحده : " فَيَحُلّ عليكم " بضم الحاء " ومن يَحْلُل " بضم اللام وقرأ الباقون بكسر الحاء واللام (٥) والحجة لقراءة الكسائى " أنّه بناه على " فَعَل يَفْعُل " جعله بمنزلة ما يَحُل فى مكان . حكى أبو زيد وغيره : حَلّ فى المكان يَحُلّ حَلاّ ، إذا نزل به . وحَلّ عليه أمرُ الله يحُل حُلولا ، وحل العُقْدة يحُلّها حَلاّ " (٦)

ويقول ابن خالويه : والحجة لمن ضَمّ : أنه أرادَ : وَجَبَ (٧) . ولكننا نجد الكسائىّ بعد ذلك لا يختلف مع القُرّاء جميعهم فى قوله : " فسوفَ تَعْلمونَ مَنْ يأتيه عذابٌ يُخْزيه ويَحِلّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيم " (هود ٣٩) . فهم جميعًا قد قرؤوا " ويحِلّ " بكسر الحاء . يؤكد ذلك قولُ الزمخشرى الذى يرى أنّ القراءة بكَسْر الحاء ، على معنى أن عذابَ قوم نوح قد حلّ عليهم العذاب ، وحُلول العذاب عليهم فى نَظره كأنه " حُلول الدّيْن والحقّ اللازم الذى لا انفكاكَ له عنه " (٨)

وقد ذهب أبُو حيان فى البحر المُحيط هذا المذهب ، حيث يقول : " يُقرأ ويَحُل بضمّ الحاء ، ويَحِلّ بكسرها بمعنى يَجِب " (٩) فهُم محكُوم عليهم - إذًا - بالاغْراق ، وقد وجب ذلك وقَضَى به القضاءُ فلا سبيلَ إلى رَدّه . ويتبين لنا بعد ذلك أنّ :

(١) الفراء : معانى القرآن ، ٢٠/٢ (٢) السابق ، ص : ١٩
(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ، ص ١٩٢
(٤) السابق والصفحة بتصرف (٥) السبعة ، ص : ٤٢٢
(٦) الكشف ، ١٠٤/٢ (٧) الحجة ، ص : ٢٢١
(٨) الكشاف ٣٩٤/٢ (٩) البحر المحيط ، ٢٢٢/٥

١ — القراءة بالكسر ملازمة للأمر الواقع الذى لا شك فيه ، بمعنى الوجوب .
٢ — القراءة بالضم فى معنى النزول ، فغضب الله مشروط بالطغيان فى النعمة ، اذا كان نزل غضب الله

قوله : " تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ " (المعارج ٤) . قرأ الكسائى وحده : " يَعْرُجُ الملائكة " بالياء (١)

حجة قراءة الكسائى أنه ذكّر على المعنى ، وقد أجمعوا على التذكير فى قوله : " وقال نِسْوَةٌ " (يوسف ٣٠) . وقد قيل : إنما نادى جبريلَ وحده " وذلك فى قوله : " فنادَتْه الْمَلَائِكَةُ " (آل عمران ٣٩) فالمعنى مُناداةُ المَلَك ، فلا وَجْه للتأنيث على هذا التفسير . وأيضاً فقد اختار قومُ الألفَ ، لئلا يُوافق التأنيثُ دَعْوى الكفّار فى الملائكة . وأيضا فان الملائكةَ والملائِكَ واحدٌ . وأيضا فقد فَرَّق بين المؤنث وفعله بالهاء ، فقَوِىَ التذكير (٢) وتذكير الكسائىّ للفعل يَلْفت إلى قوله تعالى : " وقال نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ .. " (يوسف ٣٠)

يقول الشيخ الزمخشرى معلقا على هذا : " والنِّسوة : اسمٌ مُفْرد لجَمْع المرأة وتأنيثه غيرُ حقيقى كتأنيث اللُّمَّة ، ولذلك لم تَلْحق فعلَه تاءُ التأنيث " (٣) وعلى ذلك نستطيع أن نقول : إنّ الملائكة اسمٌ مُفردٌ لجَمْع " المَلِك " وتأنيثه أيضاً غيرُ حقيقى فذكّر لذلك ، ومِنْ ثَمَّ فإنّ الفعلَ " يَعْرُجُ " يقصد إلى " المَلائكة " ، وإلى " الرُّوح " وهو جبريلُ عليه السلام . ولكن قد يُسأل سائل : إذا كان الأمرُ كذلك ، فلماذا لم يُدْخِل " الروحَ " ضِمْنَ الملائكة فأغْنت الملائكة عن كلّ الملائكةِ وجبْريل ضمنهم ؟ قيل : إنّ " إفْراده لفضْلِه أو خلق أعْظَم من الملائكة " (٤) . فمن هُنا استوى تذكيرُ الفعل وتأنيثُه . ويؤيد ذلك كلام الأزْهرى فى تفريقه بين جَمْع السَّلامة وجَمْع الكَسْرة ، يقول الأزهرىّ : " إنّ الفعل المُسندَ إلى جَمْع السلامة لا يُؤنّث ، ويُؤنث مع التكْسير " (٥)

قوله تعالى : " فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ " (الذاريات ٤٤) قرأ الكسائىّ : " فأَخَذَتْهُم الصَّعْقَةُ " باسكان العَيْن من غير ألفٍ والباقون بالألف وكَسْرِ العَيْن (٦)
يقول أبو حيان : " قرأ الجمهور الصّاعقة ، وعمرُ وعثمان رضى الله تعالى عنهما والكسائى الصَّعقة وهى الصيحة هُنا " (٧) .

---

(١) السبعة ، ص : ٦٥٠ (٢) الكشف ٣٤٢/١
(٣) الكشاف ٤٦٢/٢
(٤) البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الطبعة الاولى بالمطبعة البهية بمصر ١٩٢٢ ، ص : ٥٤٣
(٥) الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح ، المكتبة التجارية بمصر ، مطبعة مصطفى محمد ١٣٥٨ هـ ٣٠/٢
(٦) التيسير ، ص : ٢٠٣ (٧) البحر المحيط ١٤١/٨

ونقل ابنُ منظور عن ابنِ بَرّي : " الصَّعْقَةُ الصوتُ الذي يكون عن الصاعقة ، وبه قرأ الكسائيُّ : فأخذتهم الصَّعقة ، قال الراجز :

لاحَ سَحابٌ فرأَيْنَا بَرْقَهْ
ثُمَّ تَدَلَّى فسمِعْنا صَعْقَهْ (١)

وفي حديث خُزيمة وذكر السحاب : فإذا زَجَرَ رعَدَتْ وإذا رَعَدَتْ صَعِقَتْ أي أصابت بصاعِقة ... والصَّعْق : أن يُغْشى على الإنسان من صَوْت شديد يسمعه وربَّما ماتَ منه ، ثم استُعْمل في الموتِ كثيرًا ، والصَّعقة المرّة الواحدة منه (٢) . وعلى ذلك فإنَّ قراءة الكسائيِّ ربَّما تعني اللحظة الخاطفة من السَّاعة وتكون آخرها ، وتكون الصاعقةُ بذلك مُتَضَمِّنة للصَّعْقة . قوله تعالى : " وإنْ كانَ مَكْرُهُم لِتَزُولَ مِنْه الجِبَالُ " (ابراهيم ٤٦)

قرأ الكسائي وحده " لَتزولُ " بفتح اللام الاولى وضم الثانية . وقرأ الباقون بكسر الأُولى وفتْح الثانية (٣) وقد حدَّث الفراءُ أنَّ قراءة الكسائيِّ هي قراءةُ عليٍّ رضي الله عنه (٤) . فعلى قراءة علي كرم الله وجهه " قراءةُ الكسائي " أي مَكَرُوا مَكْرًا عظيما كادت الجبالُ تزولُ منه (٥) . وعلى ذلك نرى ما يأتي :

١ — أن اللام في " لتزول " لامُ الابتداء ، فلم تُؤثِّر في الفعل ولم تُزِلْه عن أَصْل إعْرابه .
٢ — زوالُ الجبالِ لشدّة مكرهم وعِظَمِه (٦) يعني تعظيم مَكْرِهم (٧)
٣ — " إنْ " مخففة من الثقيلة والهاءُ مُضْمرةٌ معها ، تقديره : وإنَّه كان مكرُهم لِتزول منه الجبالُ يعني أمْر النبي عليه السلام (٨)

قرأ الكسائي : " خَاتِمة " بألف بعد الخاء ، والباقون بكسر الخاءِ ، وألفٌ بعد التاء (٩) . جاء في معاني القرآن للفراء " أما رأيتَ المرأةَ تقول للعطَّار : اجْعل لي خاتمة مِسْكًا تريد : آخِره ، والخَاتم والخِتام مُتقاربان في المعنى ، إلّا أنَّ الخاتم : الاسمُ ، والختامُ : المصدرُ ، قال الفَرَزْدَقُ :

فَبِتْنَ جَنابَتَيَّ مُصَرَّعاتٍ وبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاقَ الخِتَامِ

---

(١) لسان العرب مادة " صَعِقَ "
(٢) السابق نفس المادة
(٣) السبعة ، ص : ٣٦٣
(٤) انظر معاني القرآن ٢/٧٩
(٥) السابق والصفحة
(٦) الحجة لابن خالويه ، ص : ١٧٩
(٧) أنوار التنزيل ، ص ٢٥٦
(٨) الكشف ٢/٢٧
(٩) التيسير ، ص ٢٢١

ومثلُ الخَاتم ، والخِتام قولك للرجل : هو كريمُ الطابَع ، والطِّباع "(١) وقال البَيْضاوى : " وقرأ الكسائىُّ " خَاتِمة " بفتح التَّاء ، أى ما يُختم به ويُقطع "(٢) . وعلى ذلك فان قراءة الكسائى تعنى آخر شىء فى الختام ، يعنى " خاتمة الشىء " والألفُ " صائت طويل " يُناسب صوتَ الحلْق " الخاء " .

قوله تعالى : " والمُحْصَنات مِنَ النِّسَاءِ " (النساء ٢٤)

قرأ الكسائى بفتح الصادِ فى هذه وحدها ، وسائرِ القرآن " المُحْصِنات " بكسر الصاد " النساء ٢٥ " و " المائدة ٥ " ، و " النور ٣ ، ٢٣ "(٣) . ولكن البيضاوى يرى أنَّ الكسائى " كَسَر الصادَ فى جميع القرآن "(٤) ويُعلل قراءة الكسائى بقوله : لأنهنَّ أحْصَنَّ فُروجَهنَّ (٥) ، على أنَّ الزمخشرى يقول : " القراءةُ بفتح الصاد ، وعن طلحةَ بنِ مصروفٍ أنه قرأ بكسرِ الصادِ . وهن ذوات الأزواج ، لأنهن أحْصَنَّ فُروجهنَّ بالتزويج ، فهنَّ مُحْصَنات ومحصِنات "(٦)

ولو كان الأمرُ على ما قال البيضاوى ما أشْكل الأمرُ ، ولكن دَعْنا نذهب إلى ما ذَهبَ اليه ابنُ مجاهد والدانى فى الاختلاف عن الكسائى ، فنحاول تفسيرَ هذا الخلاف ، لأنَّه يلفت إلى الاهتمام حقًا لأننا نجد قراءة الكسائىّ فى الآية الرابعةِ والعشرين من سورة النساء بفتح الصادِ فى " مُحْصنات " ، وقد أجْمع القُراء على هذا أيضًا فى هذا الحرف على وجه التخصيص ، لانَّ المعنى يذهبُ مُباشرة إلى أنَّ المقصود من " المُحْصنات " هنا - اللائى سَبَق لهُن الزواج قَبلَ السَّباء ، فالسَّباء يُحلِّهنَّ " لِمَنْ وَطِئها من المَالِكين لَها ، وتنقطعُ العِصْمة بَيْنهن وبين أزْواجهن بأنْ يَحِضْنَ حَيْضَة ويَطْهرن مِنها "(٧)

وعلى هذا فتكون " مُحْصَن " اسم مفعول ، لأن الأزْواجَ احصنهن وأمَّا الكسرُ فى " الصاد " من " مُحْصنات " فى غير هذا الموضع على ما بينا ، فربما يعنى أنَّ المُحْصِنات " أسْلَمْنَ فأحصَنَّ أنفُسَهنَّ فهن مُحْصِنات "(٨)

وينقل ابن منظور عن الفراء : " والمُحصنات من النِّساء ، بنصب الصادِ ، أكثر فى كلام العرب "(٩) وينقل أيضا عن الازهرى عن ابن الأعرابىّ : " كلامُ العرب كلِّه على أفْعَل فهو مُفعِل إلا ثلاثة أحْرُف : أحْصَن فهو مُحْصَن ، وأفلج فهو مُفْلج ، وأسْهب فى كلامه فهو مُسْهب ، زاد ابنُ سيده : وأسْهم فهو مُسْهَم "(١٠) ومعنى ذلك أن " مُحْصَن " يكون بمعنى الفاعل والمفعول .

---

(١) معانى القرآن ٣/ ٢٤٨ (٢) أنوار التنزيل ، ص : ٥٦٣
(٣) السبعة ، ص : ٢٢٩ ، والتيسير ، ص ٩٥
(٤) أنوار التنزيل ، ص : ٩٤ (٥) السابق والصفحة
(٦) الكشاف ١/ ٤٩٧ (٧) لسان العرب مادة " حصن "
(٨) السابق والمادة (٩) السابق والمادة
(١٠) السابق والمادة

نستنتج من هذا أنَّ الكسائى يرى : أ - المحصنات بالزواج "مُحْصَنات" اسم مفعول
ب- المحصنات بالاسلام وغيره "مُحْصِنـــات"
اسم فاعـل

وربما دلّنا على ذلك أنَّه يعرف أن "الحاء" حلقيّة ، والصائتُ القصير الأكثر اتساعًا أنسبُ له - وهو الفتحة - فلم يأخذ بذلك تفْرِيقًا بين المعْنَيَيْن ، لأنّا رأينا الصائتَ يَنْقُل من صيغة إلى أخْرى .

قوله تعالى : "بِزُعْمِهِم" (الأنعام ١٣٦) قرأ الكسائى بضم الزاى ، وفتح الباقون (١) . وهما لغتان مشهورتان . وقد قيل : من فَتَحه جعله مصْدرًا ، ومن ضمّه جعله اسمًا كالنَّصْب والنَّصَب (٢) وهو مصدرٌ من الفعل الثلاثىّ ، ويذكرون أنَّ الضم فيه لهجةٌ لبنى أسد ، ويُؤكد الدكتور عبده الراجحى هذا بقوله : "وقد يكونُ ذلك صحيحًا لما عَلِمْنا من ميل هذه القبيلة البادية إلى الضمّ" (٣) ولعل ذلك ما يُؤكد أنَّ بَسْطة الكلمة ، والاختلافَ فيها ، ربما كان مرجعُه إلى اختلافِ لهجاتِ القبائلِ فى ذلك . وقد عرفنا من قبل أنَّ الكسائى قد رحل إلى بنى أسد . وقد يكون من هذا القبيل قراءة الكسائى "جُذَاذًا" (الانبياء ٥٨) بكسر الجيم ، وقرأ الباقون بالضم (٤) إلا أنهم ينسبون الكسرَ إلى أهْلِ الحجاز

---

(١) الكشف ١/٤٥٣ (٢) السابق والحجة لابن خالويه ص ١٢٥
(٣) اللهجات العربية ، ص : ١٧٠ (٤) السبعة ، ص : ٤٢٩

٣ — القراءات المتصلة بالالفاظ

قوله تعالى : " قالوا نَعَمْ " (الأعراف ٤٤) . كلهم قرأ : " قالوا نَعَمْ " بفتح النون والعين في كل القرآن ، غير الكسائي فانه قرأ : " نَعِمْ " بفتح النون وكسر العين في كل القرآن (١)

وقراءة الكسائي بالكسر للتفريق " بين هذه اللفظة التي يجاب بها ، وبين النِّعم من الإبل اذا نُكِّرَ ووُقِفَ عليه " (٢) . وذلك لأنَّ " النَّعَمَ وقد تَسْكُنُ عينه الإبلُ والشَّاءُ ، أو خاصٌ بالإبلِ " (٣) . وقد رُوِيَ عن عُمَرَ إنكارُ " نَعَمَ " بفتح العين في الجواب ، وقال : قل نَعِم " (٤) . ولعل اختلافاً ما بين لهجاتِ العرب ، كان في هذا الحرف ، فقد جاء في المُغْنِي : " نَعَمَ بفتح العين ، وكِنانة تكسِرُها ، وبها قرأ الكسائيُّ ، وبعضهم يُمِدُّ لها حاءَ ، وبها قرأ ابنُ مسعودٍ ، وبعضهم يكسر النون إتْباعاً لكسرةِ العين تنزيلاً لها منزلة الفعل في قولهم نِعِمَ وشِهِدَ بكسرتين ، كما نُزِّلت بَلَى منزلة الفعل في الإمالة (٥) .

وعلى ذلك يكون الكسائيُّ قد قَرَأَ إمَّا على لغة كِنانة ، أو للتفريق بينها وبين " نَعَمْ " التي يُجاب بها . والمهم بعد ذلك أنَّ اللهجاتِ العربيةَ على وجْه العموم قد اختلفت في الصوائت القصيرة " الفتحة — الكسرة — الضمة " ، إذْ نلحظ من القراءة السابقة أنَّ بعضَ اللهجاتِ يستعمل الكسرةَ مثلاً حيثُ تستعمل الضمةَ أو الفتحةَ لَهْجاتٌ أخرى . يقول الدكتور عبده الراجحي : " فاننا نستطيع أنْ نعزوَ الفتحَ — وهو أخف من الكسرة — الى البيئةِ المتحضرةِ في الحجازِ ، وأنْ نعزوَ الكسر إلى تَميم وأَسد وأَهل نَجْد وهي قبائل بادية (٦) .

قوله تعالى : " وما يَعْزُبُ عن ربِّك مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ " (يونس ٦١)
وقوله تعالى : " لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ " (الرحمن ٥٦ ، ٧٤)
ففي القراءة الأُولى كلهم قرأ : " يَعْزُبُ " بضمِّ الزاي ، غير الكسائي فانه قَرَأَ " يعزب " بكسر الزاي حيث وقع (٧)

وفي القراءة الثانية ، قرأ الكسائيُّ وحده : " يَطْمِثْهُن " بضم الميم في الحرف الأول (٥٦) وبكسرها في الحرف الثاني (٧٤) . وأخبر ابن مجاهد عن أبي الحارث عن الكسائيِّ " لم يَطْمِثْهُن " يقرأهما بالكسر والرفع جميعا لا يبالي كيف قَرَأَهُما (٨)

---

(١) السبعة ، ص : ٢٨١ (٢) الحجة لابن خالويه ، ص : ١٢٩ — ١٣٠
(٣) الفيروزبادي : القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ١٩٥٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر مادة " نعم "
(٤) الكشف ١/٤٦٣
(٥) ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة ٢/٣٤٥
(٦) اللهجات العربية ص ١٢٠ (٧) السبعة ص ٣٢٨ (٨) السابق ص ٦٢١

وعلى ذلك فانه يقرأ — كما يقول ابنُ خالويه — "بِضَمِّ عَيْنِ الفعلِ وكسرِها والحجة لذلك : أنَّ كلَّ فعل انفتحت عين ماضيه جَازَ كَسْرُها وضمُّها فى المضارع قياسًا إلَّا أنْ يمنعَ السَّماعُ من ذلك ، وما كانت عَيْنُ ماضيه مضمومةً لزمت الضمةُ عَيْنَ مضارعه إلَّا أنْ يشذَّ شىء من الباب ، فلا حُكم للشاذ (١) . ويُعلق الدكتور عبده الراجحى على هاتين الظَّاهرتين قائلاً : وفى الاختيار بين الفَتْح والكَسْرِ رأينا أنَّ قبائلَ الحجازِ المُتحضرة تذهبُ إلى الأخفِّ وهو الفتح .... وبين الكَسْرِ والضمِّ تذهبُ إلى الكَسْر ، بينما تَميل لهجاتُ القبائلِ البادية — وبخاصةٍ فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها — إلى الصائتِ الأثقلِ "(٢)

(١) الحجة ، ص : ١٣٧ (٢) اللهجات العربية ، ص : ١٢٥

٤ — القراءات المتصلة ببنية الجملة

١ — جمل وقعت بعد نواسخ : "إنَّ ، أنَّ"

قوله : إنَّ الدِّينَ عند اللَّه الإسلام " (آل عمران ١٩) . كلهم قرأ "إنَّ" إلا الكسائيّ فإنَّه فتحَ الألفَ (١)

قوله : "وأنَّ الله لا يُضيع أجْرَ المؤمنين" (١٧١ آل عمران)
فقرأ الكسائي وحده : "وإنَّ الله لا يُضيع" مكسورة الألف . وقرأ الباقون : "وأنَّ الله" (٢)

قوله : "ذُقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيم (الدخان ٤٩) قرأ الكسائيّ وحده : "ذُقْ أنَّكَ" بفتح الألف (٣)

قوله : "أنَّ النَّفسَ بالنَّفسِ" إلى قوله : "والجروحَ قِصاصٌ" (المائدة ٤٥)
قرأ الكسائي : "أنَّ النَّفسَ بالنفس" نصبًا ورفعَ ما بعد ذلك كلَّه (٤)

قوله تعالى : "إنَّه عملٌ غيرُ صالحٍ" (هود ٤٦) فقرأ الكسائي وحده : "إنَّه عَمِلَ بكسر الميم وفتح اللام "غيرَ صالحٍ" بنصب الراء (٥)

من هذه القراءات يتبين لنا ما يأتي :

أ — فتح الكسائي همزة "إنَّ" حيث كسر الباقون — في موضعين ، قوله : إنَّ الدين عندَ اللَّه الإسلامُ (آل عمران ١٩) (١)
ذُقْ إنَّك (الدخان ٤٩) (٢)

ب — كسر الكسائيّ همزة "انَّ" — حيث فتح الباقون — في موضع واحد
قوله : "وأنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ المؤمنين" (١٧١ آل عمران)

جـ — عطف الكسائي على محلّ "أنَّ واسمها" بالرفع في قوله : "أنَّ النفسَ بالنفس (المائدة ٤٥)

د — جعل الكسائي خبر "إنَّ" جملةً فعلية ، بينما جعله باقي القراء جملةً اسميةً في قوله : إنَّهُ عملٌ غيرُ صالح" (هود ٤٦)

---

(١) السبعة ، ص : ٢٠٢ (٢) السابق ، ص : ٣١٩
(٣) السابق ، ص : ٥٩٣ (٤) السابق ، ص : ٢٤٤
(٥) السابق ، ص : ٣٣٤

فبالنسبة للمجموعة الأولى " أ "

نلاحظ أنّ قراءة الكسائيّ جاءت مؤيدة لما ذهب اليه النحاة من حيث وجوب فتح همزة (انّ) إذا دخل عليها حرف الجرّ لفظاً أو تقديراً . يدلنا على ذلك قول أبي حيان : " والذى خرّجت عليه قراءة " أنّ الدين " بالفتح هو أنّ يكون الكلام فى موضع المعمول للحكيم على إسقاط حرف الجرّ ، أى بأنّ ، لأنّ الحكيم فعيل للمبالغة كالعليم والسميع والخبير ، كما قال تعالى : مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ، وقال : من لدن حكيم عليم . والتقدير : لا إله الا هو العزيز الحاكم أنّ الدين عند الله الإسلام . ولمّا شهد تعالى لنفسه بالوحدانية ، وشهد له بذلك الملائكة ، وأولوا العلم ، حكم أنّ الدين المقبول عند الله هو الإسلام ، فلا ينبغى لأحد أنْ يعدل عنه ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين . وعدل عن صيغة الحاكم إلى الحكيم لاجل المبالغة والمناسبة العزيز ، ومعنى المبالغة تكرار حكمة بالنسبة إلى الشرائع " أنّ الدين عنده هو الإسلام ، إذ حكم فى كل شريعة بذلك " (١) واذا اعتبرنا " أنّ " واقعة عليها الشهادة فى قوله قبل ذلك مباشرة : " شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم " فتكون بذلك " مفعولاً غير محكيّ بالقول نحو " ولا تخافوا أنكم أشركتم " (٢) وهو من الحالات التى يجب فيها فتح همزة " انّ " وكذلك بالنسبة لقراءة الكسائى فى سورة الدخان .

ويسوق الدكتور أمين على السيد مثالاً يستدلّ على جواز الكسر والفتح فى " انّ " ، يقول : حلفتُ إنّى صادق . أو حلفت أنّى صادق . الكسر على أن الجملة جواب قسم . والفتح على أنّه منصوب بنزع الخافض (٣) . وهذا ما ذهب اليه أبو حيان فى الاحتجاج لقراءة الكسائى بالفتح .

المجموعة الثانية " ب "

وهى قوله : " وأنّ اللهَ لا يُضيع أجرَ المؤمنين " (آل عمران ١٧١) . قرأ الكسائى بكسر الهمزة على الابتداء والاستئناف ، وهو مع ذلك متعلّق بالأول (٤) ، ويضيف الزمخشرى أنّ القراءة بالكسر ، على الابتداء وعلى أنّ الجملة اعتراضية (٥)

---

(١) البحر المحيط ٢/٤٠٩

(٢) الاشمونى : شرح الاشمونى على الفية ابن مالك — دار احياء الكتب العربية — عيسى البابى الحلبى بمصر ١/٢٧٣

(٣) الدكتور أمين على السيد : دراسات فى علم النحو ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ، دار المعارف بمصر ، ص : ١٧٥

(٤) الكشف ١/٣٦٤ — ٣٦٥ (٥) الكشاف ١/٤٤٠

ويذهب البيضاوى مذهب الزمخشرى ، فيقول : " وقرأ الكسائى بالكسر على أنه استئناف مُعترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم ، شعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة ، وأجوره مضيعة " (١) فعلى هذه الاقوال ، فان همزة " انّ " مكسورة ، لأنها إن كانت " مبتدأة ليس قبلها شئ يُعتمدُ عليه ، أو كانت مستأنفة بعد كلام قديم ومضى ، أو جاءت بعدها لام مؤكدة يُعتمد عليها كسرت الألف (٢)

المجموعة الثالثة " جـ "

عطف الكسائى على محل " أنّ واسمها " بالرفع فى قوله : " أنّ النفس بالنفس .. (المائدة ٤) يقول ابن خالويه فى الاحتجاج لقراءة الكسائى : " فالحجة لمن نصب النفس ورفع ما بعدها أنّ النفس منصوبة بأنّ ، و " بالنفس " خبرها . وإذا تممت أنّ باسمها وخبرها كان الاختيار فيما أتى بعد ذلك بالرفع ، لأنه حرف دخل على المبتدأ وخبره ودليله على ذلك قوله تعالى : " إنّ الله بريء من المشركين ورسوله (التوبة ٣) (٣)

فكأنّ الرفع " للعطف على محل " أنّ النفس " ، لأنّ المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس ، إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا ، وإما لأنّ معنى الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة . تقول : كتبتُ الحمدَ لله ، وقرأتُ سورة أنزلناها . ولذلك قال الزجاج : لو قُرِئ : إنّ النفسَ بالنفس ، بالكسر : لكان صحيحًا . أو للاستئناف ، والمعنى : فرضنا عليهم فيها : " أنّ النفس " مأخوذة " بالنفس " مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق (و) وكذلك " العينُ " مفقودة " بالعين والأنفُ " مجدوعٌ " بالأنف والاذن " مصلومة " بالاذن والسنّ " مقلوعة بالسن والجروح قصاص " ذاتُ قصاص ، وهو القاصة " (٤)

المجموعة الرابعة " د "

جعلَ الكسائى خبر " إنّ " جملة فعلية فى قوله : " إنّه عملٌ غيرُ صالح " (هو ٤٦) . وذلك أنه قرأ " عَمِل " حيث جعله فعلاً ماضيا وفاعله مستترٌ فيه ، وغيرَ منصوبٌ لانه وصفٌ تام قام مقام الموصوف ، ومعناه : أنّه عمل عملاً غيرَ صالح (٥) . وينتج لنا من هذه القراءة :

١ ــ الضمير فى " انه " لابن نوح عليه السلام ، فأخبرَ عنه بفعله .

٢ ــ " غيرَ " صفة لمصدر محذوف ، والتقدير : أنّ ابنك عَمِلَ عملاً غيرَ صالح

٣ ــ وهنا يكون المعنى كالمعنى فى القراءة برفع " عملٌ " فى قول من جعل الهاء لابن نوح ، وأضمر مضافاً محذوفا (٦)

---

(١) أنوار التنزيل ، ص ٨٤
(٢) لسان العرب ــ مادة "أنن"
(٣) الحجة ، ص ١٠٥
(٤) الكشاف ١/ ٦٣٨
(٥) الحجة لابن خالويه ، ص ١٦٢
(٦) الكشف ١/ ٥٣١

٢ — جُمَلُ ذاتُ معنى بلاغي:

قوله : " فستعلمون مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " (الملك ٢٩) . قرأ الكسائيُّ وحده " فسيعلمون " بالياءِ . وقرأ الباقون بالتاء (١) والقراءة بالياءِ على معنى الغَيْبة (٢) ، لأنَّ قبله قوله : " فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ " (٢٨) ، وقوله : " بَلْ لَجُّوا (٢١) " والالتفات هُنا من الخِطاب إلى الغَيْبة ، وهو — أيْ الالتفات — " من محاسنِ الكلام ، ووجهُ حُسْنِه ... هو أنَّ الكلامَ إذا نُقِلَ من أُسلوبٍ إلى أُسلوبٍ كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السامع وأكثرَ إيقاظاً للإصغاءِ من إجرائه على أُسلوبٍ واحد " (٣) ولذلك فنحن نرى ما ذهب إليه ابنُ خالويه وجهاً مقبولاً غير الذي ذهب إليه صاحبُ الكشف ، حيثُ يرجِّحُ قراءة مَن قرأ بالتاءِ ، حيثُ يَرى الخطاب أبلغَ في التهديد (٤) . قوله : " لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ " (الإسراء ٧)

قرأ الكسائيُّ بالنون وفَتْحِ الهمزة على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه ، لأن قبلَه اخْتِبار ، فحَمَلَه عليه ، وهو قوله : " بَعَثْنَا عليكم عِباداً لنا (٥) و " رَدَدْنَا " و " أمددناكم " و " جَعَلْنَاكم " فحمل " لِيَسُوءُوا " على هذه الألفاظ المُتكرِّرة بالإخبار مِنَ الله جلَّ ذكره عن نَفْسِه ، ليكون الكلامُ في آخره مَحْمولاً على أوَّله ، فذلك أليَن في المُشاكلة والمُطابقة (٥) وعلى ذلك نرى أن :

١ — فتحَ الهمزة دليلٌ على أنَّ الفعل للوَعْدِ وللعَذَاب (٦)

٢ — أنْ يُخبر اللهُ عن نفسه دليلٌ على أنَّ العذابَ واقعٌ بهم لا محالةَ ، فتبدو آثارُ الإساءة على وُجُوهِهِمْ وبذلك يكون " قَصْدُ المُخْبِر بخبره إفادةَ المخاطب فائدةَ الخبر " لِمَنْ لا يعْلَم " (٧) فيقع في نفسه موقع الشيء المجزوم به لا مَحالة ، فتبدو الإساءةُ والحسرةُ التي هي من أغْراض الإسنادِ الخبري، وكذلك قوله تعالى : " لقدْ علمتَ " (الاسراء ١٠٢) حيث قرأ الكسائي وحده " لقد علمتُ " بضم التاء (٨)

---

(١) السبعة ، ص : ٦٤٤ (٢) الحُجة لابن خالويه ، ص ٣٢٢

(٣) عبد المتعال الصعيدي : بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، الطبعة السادسة ، مكتبة الاداب ومطبعتها بالقاهرة ١/١٥٦ — ١٥٧

(٤) انظر الكشف ٢/٣٢٩ (٥) الكشف ٢/٤٢ — ٤٣

(٦) الحجة لابن خالويه ، ص ١٨٨ (٧) بغية الايضاح ، ص ٤٢

(٨) السبعة ، ص ٣٨٥

فإنّ حجة القراءة بالضمّ أنّ موسى عليه السلام أخذ بذلك عن نفسه بصحّة ذلك عنده ، وأنه لا شك عنده ، فى أنّ الذى أنزل الآيات هو ربّ السماوات(١) . ويذهب ابن خالويه مذهبًا أكثر دقةً ، فيقول : والحجّة لمن ضمّ : أنه جعل التاء لموسى دلالةً على إخبار المتكلّم عن نفسه ، فان قيل : فما وجه الخُلف فى هذه الآية ؟ فقُل : الخُلْف فى القرآن على ضربين : خُلْف المُغايرة ، وهو فيه معدوم ، وخُلف الألفاظ ، وهو فيه مَوْجود ووجه الخُلف فى هذه الآية أنّ موسى قال لفرعونَ لما كذّبه ونسب آياته إلى السحر : لقد علمتَ أنّها ليست بسحرٍ ، وأنّها منزّلة فقال له فرعون : أنتَ أعلمُ ، فأعادَ إليه موسى : لقد علمتُ أنا أيضا أنها من عند الله(٢) وعلى ذلك نستنتج أن :

١ — فرعون قد سلّم وأذعن لما جاء به موسى ، وأيقن أنه عالمٌ بصحة الأمر

٢ — ولذلك خاطب موسى فرعونَ قائلاً : وإنّى لأظنك يا فرعونُ مَثْبُوراً — أى هالكا

قوله : " ما لكم من إله غيرُه " (الاعراف ٥٩) قرأ الكسائى وحده : " مالكم من اله غيره " خَفْضًا(٣) . يقول ابن خالويه : " الحجة لمن خَفَضَ : أنه جعله وَصْفًا لإله ، ولم يجعله استثناءً ، فهو كقولك : معى درهمٌ غير زائف ، وسيف غير كَهَام "(٤) فالصفةُ إذًا على اللفظ(٥) ، لأنّ " موضع إله موضعٌ رفع على الابتداء ، و " لكمُ " الخبر أو يُضمر الخبر ، كأنه قال : مالكمُ من إله غير الله فى الوجود "(٦) .

ولعلنا بعد ذلك قد عرفنا جوانب الدّرس اللّغوى التى اتّصلت بها قراءات الكسائى ، والتى هى جديرة بأن يُفْرَدَ لها بحثٌ خاصٌ بها ، إذ إننا — رغم ما جَهدْنا — نحسب أنّها أمانةٌ فى أعناق الباحثين ، كلٌ يُعْطِى فيها بيده على قَدْرِ مَبْلغه .

---

(١) الكشف ٢/٥٢ (٢) الحجة ، ص : ١٩٥ — ١٩٦
(٣) السبعة ، ص : ٢٨٤ (٤) الحجة ، ص ١٣٢
(٥) انظر الكشف ١/٤٦٧ ، ومغنى اللبيب ١/١٥٨ ، والكشاف ٢/١١٣
(٦) الكشف ١/٤٦٧

البـــاب الثالـــث

الكسائـــى والـدرس اللغـــوى

الفصـل الاول : المـــادة الصوتيـــة
الفصل الثانـى : المـــادة الصرفيـــة
الفصل الثالـث : المـــادة النحويـــة

الفصل الأول

المادة الصوتية

المادة الصوتية عند الكسائي تتمثل في آرائه التي تفرد بها ، وفيما حكاه هو عن العرب سماعاً منهم ، أو بما حُكي عنه ما يمثل لنا هذه المادة . والحق أن المادة الصوتية عند الكسائي شأنها شأن المادة الصرفية والنحوية ، إذ هي جميعا أشتات متفرقة في كتب اللغة ، لذلك قد يعز علينا شيء منها ونحن نطلبها لنستقصيها . ومهما يكن من أمر هذا الشتات المتفرق ، فلعلنا نحاول أن نجمعه ، فإذا سهل علينا ذلك فبها ونعمت ، وإلا فمبلغ نفس عذرها مثل منجح .

ونبدأ الآن باستعراض هذه المادة :

١ ـ فاء الكلمة بين الحركات :

أولاً : بين الضم والكسر :

قال الكسائي : سمعت العرب تقول : بَحْر " لُجِّي " ، و " لِجِّي " ، و " دُرِّي " و " دِرِّي " منسوب إلى الدُّر ، و " الكُرْسِي " ، و " الكِرْسِي " وهو كثير . وهو في مذهبه بمنزلة قولهم : المُصِيخ والمِصِيخ (١) وسمع الكسائي نُوْيَ الدار ، ونِوْيَ الدار مثل نِعْسي (٢) . قال الكسائي : يُقال للرامي : " إسْوار " ، و " أسْوار " (٣) وقد حكى الفراء مثال ذلك فقال : ثلاثة إخْوة وأُخوة ، ورجل تُرْعِيَّة وتِرْعِية ، للذي يُجيد رَعْية الإبل (٤) وقال أبو عبيدة : المَغِيرة والمِغِيرة ويقال ذُبْيان وذِبْيان (٥) .

وقال الكسائي : هو سِوَارُ المرأة وسُوارها (٦) . وقال الكسائي وابنُ الأعرابي : من العرب من يقول : قطعتُ نِخَاعة ، وناسٌ من أهْلِ الحجاز يقولون : هو مقطوع النُّخَاع للخيط الأبيض الذي في جَوْف الفَقَار (٧) .

قال الكسائي : يقال هي البِشَارة والبُشارة . قال الكسائي : وقال البكري : المَزُورة يريد الزِّيارة (٨) . تقول : قد أوْطأتَه عِشْوة وعُشْوة ، ولم يعرف الكسائي الفتح (٩)

---

(١) معاني القرآن ٢/٢٤٣

(٢) ثعلب : مجالس ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٤٨ ، ١١/٦٠٨

(٣) ابن السِّكِّيت : إصلاح المنطق ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ ـ دار المعارف بمصر ، ص : ١٣٤

(٤) السابق والصفحة

(٥) السابق والصفحة

(٦) السابق ، ص : ١٠٦

(٧) السابق ، ص : ١٠٧

(٨) السابق ، ص : ١١٢

(٩) السابق ، ص : ١٧٤

ونُمثل لما مضى بكلمة " دُرِّى " ، لأنَّ القراء اختلفوا فى قراءتها بين ضَمِّ الدال وكَسرها ، لنعرفَ من ذلك قراءةَ الكسائى ، ومن ثمَّ نعرف إلى أىِّ لهجةٍ كان يميل .

جاء فى معانى القرآن للفراء : " يُخفض ـ يعنى دُرِّى ـ أولُه ويُهمَز ، حدَّثنا الفراء قال حدثنى بذلك المفضَّلُ الضَّبِّىّ ، قال قرأها عاصم كذلك من " دِرِّىء " بالكسر . وقال أبو بكر بنُ عياش : قرأها عاصم " دُرِّىّ " بضمِّ الدال والهمز . وذُكر عن الأعمش أنه قرأ " دُرِّىء " و " دِرِّى " بهمز وغير همز رُوِيا عنه جميعا ، ولا تُصرف جهة ضمِّ أوَّله وهمزه لا يكون فى الكلام فُعيل إلا مجموعا . فالقراءة إذا ضَمَمْتَ أوَّله بترك الهمز . وإذا همَزْته كسرْتَ أوَّلَه . وهو من قولك : دَرَأَ الكوكبُ إذا انحطَّ كأنه رُجم به الشيطان فدَفَعه . والعربُ قد تُسمى الكواكبَ العظامَ التى لا تعرف أسماءَها الدَّارِىَّ بغير هَمْز . ومن العرب من يقول : كوكب دِرِّىٌّ فينسبه إلى الدُّر فيكسر أولَه ولا يهمز ، كما قالوا : سُخْرِىّ وسِخْرِى ، ولُجِّىّ ولِجِّىّ " (١) وكيف قرأ الكسائى " دُرى " إذًا ؟

نص ابن مجاهد على أن الكسائى قرأ : " دِرِّىء " مثل أبى عَمْرٍ بكسر الدال مهموزًا (٢) . ويقول أبو حيان فى عَرْض حديثه عن الآية : " وقيل دُرِّى ووزنه فى الأصل " فُعُول " كسُبُّوح فاستُثْقِل الضم فرُدَّ إلى الكسر ، وكذا قيل فى سِرِّيَّة دِرِّيَّة . وقرأ أبو عمرو والكسائى كذلك ، إلا أنه كسر الدالَ ، وهو بناءٌ كثير فى الأسماء نحو سِكِّين ، وفى الأوصاف سِكِّير " (٣) . وحتى الآن لا نستطيع أن ننسب الضمَّ أو الكسرَ إلى قبائلَ معينةٍ . ولكنَّ أبا حيان فى موضع آخر ـ بين الضمِّ والكسر ـ ينسب كليهما إلى البيئة التى نطقتْ . يقول فى قوله تعالى : " ونَخِيلٍ ، صِنْوَانٌ ، وغَيْرُ صِنْوَان يُسْقَى بماءٍ واحدٍ " (الرعد ٤) : الصِّنْو الفرع وجمْعُه فى لغة الحجاز صِنْوان بكسر الصاد كقِنْو وقِنْوان ، وبضمِّهما فى لغة تميم وقيس كذِئْب وذُؤْبان " (٤)

وجاء فى المصباح المنير : " الرِّضوان بكسر الراء لأهل الحجاز ، وضمها لغة قيس وتميم " (٥) . وجاء أيضا : " قِنْوان بالكسر لغة الحجاز ، وبالضم فى لغة قيس " (٦) ويقول السيوطى إنَّ أهلَ الحجاز يقولون " مِرْية ، وتميم " مُرْية " (٧) ، كما أنَّ تميمًا تضم أوائل عُدْوة ، غُشْوة ، أُسْوة ، قُدوة ، وأهل الحجاز يقولون : إِسْوة ، وقِدْوة (٨)

---

(١) معانى القرآن ٢/٢٥٢
(٢) السبعة ، ص : ٤٥٦ والقراءة فى سورة النور (٣٥)
(٣) البحر المحيط ٦/٤٥٦ (٤) البحر المحيط ٥/٣٥٧
(٥) الفيومى : المصباح المنير ، الطبعة الثانية ـ بولاق ١٩٣٩ ، ١/٣١٢
(٦) السابق ٢/٧١١
(٧) المزهر فى علوم العربية وأنواعها ، شرح وتعليق محمد أحمد جا المولى وآخرين ، دار احياء الكتب العربية ، البابى الحلبى بمصر ٢/٢٧٦
(٨) السابق ، ص : ٢٧٧

مِنْ هذه النصوص نستطيع أنْ نعزوَ الكسر لأهْلِ الحجازِ ، والضمَّ لقبائلِ تَمِيمْ وقَيْس وأَسَد ، وهى من قبائل البادية التى كانت تَقْطِنْ وسط الجزيرةِ العربيةِ وشرقيَّها ، ويَنْسِب الدكتور عبده الراجحى الضمَّ لهذه القبائل ، إذْ يرى أنَّهَ أَنْسَبُ لها (١)

وهكذا نرَى أنَّ الكسائىَّ كان يَميل — فيما بَيْن الضمِّ والكسرِ — إلى لَهْجة أَهْلِ الحجـاز ، وهى الكسر ، طلباً للصائت الأخفّ .

ثانيا : بـين الضـمِّ والفَـتْحِ :

قال الفراء : كان الكسائى يقول فى " الكُـرْه " و " الكَرْه " : هما لغتـان .

وقال الفراءُ : الكُرْهُ المشقة ، قمت على كُرْهٍ : على مشقة . ويقال أتانى على كَرْه ، إذا أكرهك غيرُك عليه ، قال : وقُرِئَ : " إنْ يَمْسَسْكُم قَرْح " و " قُرْح " وأكثر القراء علـى فَتْحِ القاف (٢) .

قال الكسائىُّ : يُقال هو فى شُغْل وشَغْل (٣)

قال الكسائىُّ : يُقال رَحِم مَعْقُومة ، ومصدره المَعْقْم والعَـقْم (٤)

قال الكسائىُّ : يُقال إن بنى فُلان لَفِى ذُوكَـة وَذُوكة ، يعنون خصومةً وشرًّا . ويقـال : أعْطِنِى مُكْلَةَ رَكِيَّتِك ومَكْلَةَ رَكِيَّتك ، ومعناه جَمَّة الرَّكِيَّـة ، وهو إذا اجتمع ماؤُها فلمْ يَنْتَـقِ مِنْها أياماً (٥)

قال الفراءُ : ويُقال أتانا فى أُفْـرَة الحرّ ، وبعضهم يقولُ فى أوّله ، وبعضهم يقولُ فـى شِدَّته . ومنهم من يقول فى فُرَّة الحرّ ، ومنهم من يقول : أتانا فى أَفْـرَة الحرّ فيفتح الأَلـفَ قال الكسائىُّ أنّ منهم من يجعل الألفَ عَيْناً ، فيُقالُ أتانا فى عَفْـرَة وعُفْـرَة (٦)

قال الفراءُ : يُقال جُهْمةُ من الليل وجَهْمـة . قال : أنشدنى الكسائىُّ :

قَدْ أَغْتَدِى بِفِتْيَـةٍ أَنْجَـابِ وجُهْمَةُ اللَّيل إلى ذَهَابِ (٧)

وقال الأَسْـودُ :

وقَهْوَةٍ صَهْبَاءَ بَاكَرْتُهَـا بِجُهْمة والدِّيكُ لَمْ يَنْصِبِ (٨)

قال الفراء : حكى الكسائى وُجْنة وأُجْنة ووَجْنَة عن أهل اليمامة . وقال : سمع الكسائـىُّ شاة لُجْبَة ولَجْبَة ، وحكَى أنه سمع " لِجْبَة " بالكسر (٩)

---

(١) اللهجات العربية ، ص : ١٢٥
(٢) اصلاح المنطق ، ص : ٩٠
(٣) السابق ، ص : ٩١
(٤) السابق ، ص : ٩٣
(٥) السابق ، ص : ١١٣
(٦) السابق ، ص : ١٣٢
(٧) السابق ، ص : ١١٣
(٨) السابق ، ص : ١١٤
(٩) السابق ، ص : ١١٦ — ١١٧

حكى الفراءُ عن الكسائيّ : يُقال كلّمته بِحَضْرَةِ فُلان ، وبعضهم يقولُ بِحُضْرة ، وحُكى عنه " حِضْرة " بالكسر (١) . وهذه المادةُ الغزيرةُ — ما بَيْنَ الضمّ والفتح — لم يحدّد لنا الكسائيُّ نِسْبتها إلى القَبائلِ التى نطقتْ بها ضَمًّا أو فَتْحا ، إلا وُجْنة وَوَجْنة ، فقد نسبَ الضمَّ والفتحَ جميعًا إلى " اليمامة " . ونُحاول أنْ نَتلمّس نسبة الضمّ والفتح الآنَ بطريقة تنتظمُ — إلى حدّ ما — هذه المادّةَ التى جِئْنا بها .

يقول ابن السكيت : " اللَّحْدُ واللُّحْد ، للذى يُحْفر فى جانبِ القَبْرِ . وهو الرَّفْع والرَّفع لأُصُولِ الفَخْذين ، الفتحُ لتَمِيم والضمّ لأَهْلِ العَالية " (٢) . وينقل ابنُ سِيدَه ما قاله ابن السكيت فى عَزْوِ الفتحِ لتميم والضمّ لأَهْل العالية (٣)

وفى قوله تعالى : " وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَة " (براءة) يقول أبو حيان : " وقرأ الجمهورُ غِلْظة بكسر الغَيْن وهى لغةُ أَسَد . والأَعْمشُ وأبانُ بن ثعلب والمفضّلُ ، كلاهما من عاصم بفتحِها وهى لُغةُ الحجاز . وأبُو حيوة والسُّلمى وابنُ أبى عَبْلَة والمُفضل وأبانُ أيضًا بضمّهما وهى لغة تميم " (٤) وينسبُ أبُو حيان الفتحَ للحِجاز ، والضمَّ لتميم فى بَعْضِ الآيات (٥)

ويقول الدكتور عبده الراجحى : " أمّا لهجاتُ القبائلِ فى هذه الظاهرة فإنّهم ينسبون الفتحَ إلى أهل الحجاز ، وينسبون الضمَّ إلى أهلِ البادية من المالية ونَجْد وتميم وأسد ... والفتحة تلائمُ البيئة الحضرية ... بينما تناسبُ الضمة أهلَ البادية لثقلها " (٦)

ولكن كيف كانت قراءة الكسائى فى مثل هذا ؟

نمثل لذلك لنرى كيف كان يذهبُ الكسائىُّ فى هذا .

يقول ابن مجاهد : اختلفوا فى فَتْح القاف وضمّها من قوله : " قُرْح " (آل عمران ١٤٠) قرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحمزةُ والكسائىُّ : " قُرْح " بضم القاف فى جميعهن (٧) يعنى فى هذه الآية ، وفى الآية رقم (١٧٢) من هذه السورة . ويقول : اختلفوا فى قوله : " كَرْهًا " (النساء ١٩) وذلك فى أربعة مواضع : النساء ، التوبة (٥٣) ، الأحقاف فى موضعين (١٥) فقرأ الكسائىُّ وحمزةُ " كُرْها " بضمّ الكاف فيهنّ جميعًا (٨)

---

(١) اصلاح المنطق ، ص : ١١٧ (٢) السابق ، ص : ٩٠
(٣) المخصص ١٥/٧٦ (٤) البحر المحيط ٥/١١٥
(٥) السابق ، ص : ٣٥٧ — ٣٥٨ (الرعد ٤٥) وقد سبق الحديث عن هذه الاية
(٦) اللهجات العربية ، ص : ١٢٢ (٧) السبعة ، ص : ٢١٦
(٨) السابق ، ص : ٢٢٩

وقرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو : " كَسَرْهَا " بفتح الكاف فيهن كلِّهنَّ (١) وذهب عاصمُ وابنُ عامر بين الضمِّ والفتح فى هذه الايات .

إذن يتبين لنا من هذا أنَّ الكسائى كان يَذْهب إلى لُغة تميم " الضَّم " ، وذلك فيما بين الضمِّ والفتح

ثالثاً : بين الفَتْح والكَسْر

قال الكسائى : إذا سمع الرجلُ الخبرَ لا يُعْجبه قال سِمْعٌ لا بِلْغٌ ، وسَمْعًا لا بَلْغًا ، وسِمْعًا لا بِلْغًا ، أى أسْمَعُ بالدَّواهى ولا تَبْلُغُنى (٢)

وقال الفراء : اللَّهمَّ سِمْعٌ لا بِلْغٌ ، وسَمْعٌ لا بَلْغٌ ، معناه يُسْمع به ولا يتم (٣)

قال الفراءُ : وقال الكسائىّ : واحدُ الفِرْدَةِ من الكَمْأة فِرْد (٤) . قال : وسمعْتُ أنا فُرْد (٥)

قال الفراءُ : وزعم الكسائىّ أنَّ من العرب من يقول : أقرضْتُه قَرْضا ، بالكَسْر القافِ وقَرْضا (٦)

قال الكسائى : رَطْل ورِطْل ، للذى يُكال فيه (٧)

وحكى الكسائىّ قال : قال أبو جامع : هذا إذانُ ذاك ، والكلام الفتح ، هذا أَذانُ ذاك . وقال الكسائى : سمعت الجَرام والجِرام وأخواتها ، إلا الرِّضاع فإنى لم أسْمعْها مكسورةً . والرَّفاع أنْ يحصن الزرعُ ويُرفع . وقال الفراءُ : هو الدَّواء ، وقال أبو الجَرَّاح : الدِّواء فكسر ، وأنشدَ :

يَقولونَ مَخْمُور وذاكَ داوُه ... عَلَىَّ إذَا مَشْىٌ إلى البَيْتِ واجِبُ (٨)

قال الكسائى : هى الوِطاءُ والوَطاءُ . والوَثاق والوِثاق والوَقارُ والوِقارُ

وقالَ : هو القِطافُ والقَطاف ، لِقِطافِ الكَرْم . وقال : هو الرَّضاع والرَّضاع (٩)

قال الكسائى : الرَّطانةُ والرِّطانة

وقال : هى الرِّضاعةُ والرَّضاعة (١٠)

---

(١) السبعة ، ص : ٢٢٩
(٢) اصلاح المنطق ، ص : ٣٢
(٣) السابق ، ص : ٣١
(٤) جاء فى القاموس المحيط : أن الفرد الخصى وهناء للمتوكل بسر من رأى وضرب من الكمأة كالفردة والفردة والفرد بكسرهما " باب الدال فصل الفين "
(٥) اصلاح المنطق ، ص : ٣٢
(٦) السابق والصفحة
(٧) السابق والصفحة
(٨) السابق ، ص : ١٠٤
(٩) السابق ، ص : ١٠٥
(١٠) السابق ، ص : ١١١

وقد أنشد الأصمعيّ بيتًا من الشعر مستدلاً على أنّ كلمة " الحَضَارة " جاء فيها كسرُ الحاء أنشد : (١)

فَمَنْ تكن الحِضَارةُ أعْجبتْـــهُ فأيّ رجالِ بادية تَرانَـــا

قال الكسائيّ : يقولون انه لبعيد الهِمّة والهَمّة ، معروفٌ في كلامهم (٢)

قال الفـراءُ : قال الكسائيّ : فَعَلْتُ ذاكَ مِنْ إجْلاكَ ، وأجْلاك ، مَنْقُوصَـيْنِ (٣)

قال الكسائيّ : يقالُ : أتانا لِتيْفاق الهلالِ ، ولتَوْفاقِ الهلال ، ولِيُفاقِ الهـــلالِ . ويُقال دِرْهَمٌ صَرِّيٌّ وصَرِّيٌّ ، يعني له صَوْتٌ ، إذا نَقَرْتَـه صَوَّت (٤)

وبعد ذلك ، فكيف كان يذهبُ الكسائيُّ بين الفتح والكسر ، وما موقفُ القبائل من هذا ؟

يقول ابنُ السِّكّيت : قال أبو عبيدة : تميمٌ من أهْلِ نَجْد يقولون : نِهْيٌ ، للفَديـــر ، وغيرُهم يقولون نَهْي ... ويقولون : هذا فَقْعُ قَرْقَـرَةٍ وفَقْعُ قَرْقَـرة ، وهو الكَمْأةُ البيضاءُ التي تَنْخُلهـا الدّوابُّ بأرْجُلِها ، يُشبّه بها مَنْ لا خَيْرَ عنده مِنَ الرجال (٥) . إذَنْ فالفتح والكسر مَوْجودان في تميم .

إلا أنّ ابن جني يحكي عن الكسائي : "فأمّا ما حَكاهُ الكسائيُّ عن قُضَاعة من قَوْلِهـــا : مَرَرْتُ بَهْ ، والمالُ لِهْ ، فإن هذا فاشٍ في لُغتها كلّها لا في واحدٍ من القبيلة " (٦) .

وينقل ابن فارس ما قاله ابنُ السكيت في نِسْبة الكسر والفتح لتميم (٧) وينقل ابن فارس أيضا : " والوَتْرُ في العدد والوِتْر بالكَسْر في الذَّحْل (٨) وتميم تقول وِتْر فيهما جميعًا . وقـــال يونس : أهْلُ العالية يفتحون في العَدَدِ فـــقط ... وقال : الصَّرْع لغةُ قَيْـــس والصِّرْع لغة تميم " (٩) .

والآن كيف كان يقـرأ الكسائيُّ فيما بين الكسر والفتـح ؟

قوله تعالى : " حِجُّ البَيْت " (آل عمران ٩٧) قرأ الكسائيُّ : " حِجُّ البيت " بكسـر الحاء ، وكذلك حمزةُ وحَفْصٌ عن عاصم (١٠)

قوله تعالى : " وهُمْ يَخِصّمون " (يس ٤٩) قرأ الكسائيُّ : " يخصِّمون " بكسر الخاء (١١)

---

(١) اصلاح المنطق ، ص : ١١١ ، وقد نسب محققا الكتاب البيت للقطامي ، ص: ١١١
(٢) السابق ، ص : ١٢٢ (٣) السابق ، ص : ٣٠
(٤) السابق ، ص : ١٢٢ ـ ١٢٣ (٥) السابق ، ص : ٣٠
(٦) الخصائص : ١/ ٣٩٠ (٧) انظر المخصص ١٥/ ٧٤
(٨) الذحل : الثأر أو طلب مكافأة ، القاموس المحيط باب اللام فصل الذال ، وجاء في المخصص ١٥/ ٧٤
(٩) المخصص ١٥/ ٧٤ (١٠) السبعة ٢٧٤
(١١) السابق ، ص ٥٤١

قولُه تعالى : "وَلَا يَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُوا " (الانفال ٥٩). قرأ الكسائيُّ وابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر بكسر السين والتاء (١)

ومن هذا يتبين لنا أنَّ الكسائيَّ يَميل إلى الكسر فيما بين الفَتْح والكسر .

ويذكر أبو حيان : "وقرأ أبوَ حيوة مِنَ الرَّضاعة بكسر الراء (٢) (النساء ٢٣)

ويُلخص الدكتور عبده الراجحي ذلك بقوله : "نَحْنُ إذنْ أمام ثلاثِ ظواهر ، فَتْح وكَسْر ، فَتْح وضَم ، كَسْر وضَم . وفي الاختيار بين الفتح والكسر رأينا أنَّ قبائل الحجاز المتحضرة تَذْهب إلى الأخف وهو الفتح ، وبين الفتح والضمّ تذهبُ إلى الفَتْح ، وبين الكسر والضم تذهبُ إلى الكسر ، بينما تَميل لهجات القبائل البادية — وخاصةً في وسط شبه الجزيرة وشرقيها — إلى الصائت الأثقل "الكسر أو الضم" (٣)

٢ — عَيْنُ الكلمة بَيْن الحركاتِ

جوز الكسائي فَتْحَ عَيْنِ المضارع إذا كانت عَيْنُه أوْ لامُه حَرْفَ حَلْقٍ قياسًا ، نحو فَاهَمَنِي فَفَهِمْته أفْهَمه وفَاقَهَنِي فَفَقِهْته أفْقَهُه . وحكى الجوهري : واضَانِي فَوَضِأْتُه أوْضَؤُه ، قال : ذلك بسبب الحرف الحَلْقي (٤) وهذا الذي جوزه الكسائي هو من باب المبالغة على الصحيح الذي لَزِموا الضمَّ فيه (٥) وهو مذهب البَصْريين

ونحن نعرفُ أنَّ الفعلَ الثلاثيَّ المجرّدَ بين ثلاثة أوزان : فَعَلَ ، فَعِلَ ، فَعُلَ ، بفتح العين ، وكسرها وضمها ، ولكن "فَعُلَ" ، "فَعِلَ" يطرأ عليهما بعضُ التغيرات في الأوزان الصرْفية بقصد التخفيف . وبعد ذلك نقول :

إنَّ "فَعَل" (الصحيح) إنْ كان لمُغالبة فمذهبُ البصريين أنَّ مُضارعه بضم العَيْن مُطلقا نحو : كاتَبَنِي فكَتَبْتُه أكْتُبُه ، وعَالَمَنِي فَعَلمته أعْلُمه ، وواضَأنِي أوْضُؤُه (٦) .

ولعلَّ ما ذهب اليه الكسائيُّ من فتح المُضارع الحَلْقي العَيْنَ ، كان راجعًا إلى السَّماع ، فقد ذُكر أنَّه سمع "شَاعَرَنِي فَشَعَرْته أشْعُرُه ، وفَاخَرَنِي ففَخَرْته أفْخُرُه" (٧)

وبعد ، فما موقف الكسائيّ من هذا أمامَ لَهْجات القبائل ؟

---

(١) السبعة ، ص : ٣٠٧ (٢) البحر المحيط ٣/ ٢١١

(٣) اللهجات العربية ، ص : ١٢٥

(٤) السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تصحيح السيد محمد بدر الدين الفسانى ، طبع دار المعرفة بيروت ، ٢/ ١٦٣ ، وانظر أيضا : ابن يعيش : شرح المفصل ، تصحيح وتعليق جماعة من العلماء بمشيخة الازهر ، طبع ونشر ، ادارة المطبعة المنيرية بمصر .

(٥) أنظر الهمع ٢/ ١٦٣ (٦) المزهر ٢/ ٣٨

(٧) السابق والصفحة

يقولُ ابنُ قتيبة : " وهذه الحروفُ الأربعةُ في الأفعال السالمةِ شواذٌ " يشير هنا إلى حَسِبَ ، يئِسَ ، نعِمَ ، بئِسَ " ، وما سواها من فَعِلَ فإنَّ المستقبلَ منه يَفْعَل نحو عَلِمَ يَعْلَمُ وعَجِلَ يَعْجَل "(١) . ويذكر ابن قتيبة أيضًا أنَّ هذه الأفعالَ الأربعةَ تأتي مفتوحةَ العَيْنِ ، ومكسورةَ العَيْنِ في المستقبل ، فيقال : يَئِسَ يَيْأَسُ ويَيْئِسُ ، ونَعِمَ يَنْعَمُ ويَنْعِمُ ، وذكر قراءة الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلم يَحْسَبُ ويَحْسِبون (٢) وقد نسب ابنُ قتيبةَ الكسرَ إلى عُلْيا مُضَر ، ونَسَبَ الفتحَ إلى سُفْلاها .

ونحنُ نعرف أيضا أنَّ هناك من ينقُل حركةَ العَيْنِ من " فَعِلَ " إلى الفاءِ إذا كانت عَيْنُ الفعل أحدَ حروفِ الحَلْقِ الستَّةِ ، كما قالوا في لَعِبَ لِعْب وفي سَئِمَ سِئْم ، وكما أنَّ أصل بِئْس بِئِسَ من البُؤْس ، سكنتْ همزتُها ثم نُقلت حركتُها إلى الباءِ ، وذلك فيما يقال : "إنه لغةٌ فاشيةٌ في تميم "(٣) ، ولذلك كان الكسائيُّ يُجيزُ نَقْلَ حركةِ الوَسَطِ إلى الأول في كل ما جاء بمعنى نِعْمَ وبِئْس ، وحُكي عنه أنه كان يقول في هذا : قَضْوَ الرجلُ ، ودَعْوَ الرجل (٤) .

وقد كانت هناك قبائل عربيةٌ تميل إلى فتح الأصواتِ الحلْقية ، فيذكر ابنُ جني أنهم بَنُو عقيل ، ويقول تعليقًا على قراءة سُهيل بن شُمَيْب " جَهَرة " : " يذهبُ أصحابُنا في كل شيء من هذا النحْو مما فيه حرفُ حلْقٍ ساكن بعد حَرْفٍ مفتوح أنَّه لا يُحرك إلا على أنَّه لغةٌ فيه كالزَّهْرةِ والزَّهَرة والنَّهْر والنَّهَر والشَّعَر والشَّعْر ، فهذه لغاتٌ عندهم كالنَّشْرِ والنَّشَرِ ، والحَلْبِ والحَلَب والطَّرْدِ والطَّرَد . ومذهبُ الكوفيين فيه أنَّه يُحرَّك الثاني لكونه حرفًا حلْقيا فيُجيزون فيه الفتحَ وإنْ لم يسمعوا كالبَحْر والبَحَر ، والصَّحْر والصَّحَر ، وما أرى القولَ مِنْ بعدُ إلا معهم والحقَّ فيه إلا في أيْديهم وذلك أنِّي سمعتُ عامَّةَ عُقَيل تقول ذاكَ ولا تقفُ فيه سائغًا غيرَ مُسْتَكْرَهٍ ، حتى لسمعتُ الشَّجَرِيَّ يقولُ ، أنا مَحْمُوم بفتح الحاء ، وليس أحدٌ يدعي أنَّ في الكلام مَفْعُولا . وسمعته مرةً أخرى يقول وقد قالَ له الطبيبُ مُصَّ التفاحَ وارْمِ بثُفْلِهِ — والله لقد كنتُ أبْغي مَصَّه وعليته تَفَذ وبفتح الفين ، ولا أحدٌ يدَّعي أنَّ في الكلام يَفْعَل بفتح الفاء ، وسمعت جماعة منهم وقد قيل لهم ، قد أُقيمت لكم أنزالُكم من الخُبز ، قالوا فاللَّحَم يريدون اللحْم بفتح الحاء ، وسمعت بعضهم وهو يقول في كلامه ، ساروا نحوه بفتح الحاء (٥) .

---

(١) ابن قتيبة : أدب الكاتب ، ليدن ، دار صادر ببيروت ١٩٦٧ ، ص : ٥١٥
(٢) السابق ، ص : ٥١٤
(٣) الطبري : جامع البيان من تأويل آي القرآن ، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر ، وأحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٧ ، ٣٣٨/٢ .
(٤) الهمع : ٢٤٣/٢ (٥) المحتسب ، ٨٤/١ — ٨٥

وقد أورد فى الخصائص أيضًا ما يستشهد به على ذلك ، حيث ذكر قول كُثير :

له نَعَل لا تَطْبى الكلبَ ريحُها وإنْ جُعلت وَسْطَ المجالس شُمَّتِ

ويقول أبو النجم :

وجبلاً طال مَعْدا فاشمخـــرَّ أشمَّ لا يسْطِيعُه الناس الدَّهَرْ (١)

ويذكر أبو حيان أنَّ تحريك الأصواتِ الحلْقية بالفتحة من لهجة لبعضِ بكر بن وائـــل ، ويستشهد على ذلك بالبيـت :

وإنْ امرأ لا يُرْتجى الخيرُ عِنْده لَذُو بَخَل كلٌّ على مَنْ يُصاحب (٢)

ومن ذلك نستطيع أنْ نعزوَ فتح الحرفِ الحلقى إلى سُفْلى مضر ، وتميم ، وعقيل ، وبكـر . ويقول الدكتور عبده الراجحى عن القبائل التى تُحرك الصوت الحلْقى ، والصوت الـــذى قبلـه : " فاذا عرفْنا أنَّ بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين ، وأنَّ بنى بكر بن وائل كانـــوا يسكنون اليمامةَ إلى البَحْرين ، أدركْنا سرَّ هذا التشابه فى اللهجتين بين القبيلتـــين . والتفسير العلمى لهذه الظاهرة أنَّ تحريكَ الصوتِ الحلْقى أخفُّ من تسْكينه " (٣) . وينقل أيضًا " أنَّ كل أصواتِ الحلقِ بعد صدورها من مخرجها الحلْقى تحتاجُ إلى اتِّساعٍ فـــى مَجْراها بالفم ، فليس هناك ما يَعُوق هذا المَجْرى فى زوايا الفم ، ولهذا ناسبها مـــن أصواتِ اللين أكثرها اتساعًا ، وتلك هى الفتحة " (٤)

٣ ــ الهمزُ بين التحْقيق والتخْفيـف :

أ ــ الهمزةُ الساكنة بعد مُتحرِّك

جاء فى معانى القرآن للفراء : " وإذا تُركَتْ الهمزةَ من " الرُّؤْيا " قالوا : الرُّيَـا طلبًا للهمزة . وإذا كان من شأنهم تحويل الهمزة قالوا : لا تَقْصُصْ رُيَّاكَ فى الكلام ، فأمَّا فى القرآن فلا يجوز لمُخالفة الكتاب . أنشدنى أبو الجراح

لِمرضٍ من الأمْراضِ يُمْسى حَمامُهُ ويُضْحى على أفنانِه الفينِ يَهتِفُ

أحبُّ إلى قلبى مِنَ الديكِ رُيَّةٌ وبابٍ إذا ما مالَ للغلْقِ يَصْـرِف

أراد : رُوْيـة ، فلما ترك الهمز وجاءت واو ساكنة بعدها ياء تحوَّلتا ياءً مُشدَّدة ، كمـــا يقال : لَوَيْتُهُ لَيًّا كويته كَيًّا والأصل كَوْيًا وَلَوْيًا . وإنْ أشَرْتَ إلى الضمة قلت : رُيَّا فرفعـت الراءَ فجائزٌ وتكون هذه الضمةُ مثل قوله : " وَحِيل " (سبأ ٥٤) " وسِيقَ " (الزمـــر ٧١ ، ٧٢) وزعم الكسائىُّ أنه سمع أعرابيا يقول : " إنْ كُنتمْ للرُّيَّا تَعْبُرون " (٥)

---

(١) أنظر الخصائص ٢/ ٩
(٢) البحر المحيط ٣/ ٢٤٦ ــ ٢٤٧
(٣) اللهجات العربية ، ص : ١١٣
(٤) السابق ، ص : ١١٣ ــ ١١٤
(٥) معانى القرآن ٢/ ٣٥ ــ ٣٦

يقول الزمخشري : إنَّ الهمزة لا تخفف إلا إذا تقدَّمها شيءٌ ، فإنْ لم يتقدمها نحو قولك ابتداء أب وأم إبل ، فالتحقيق ليس إلا ، وفي تخفيفها ثلاثة أوجه : الإبدال ، الحذف ، وأنْ تُجْعل بَيْنَ بَيْنَ ، أيْ بين مخرجها ، وبين مخرج الحرف الذي منه حركتها . ولا تخلو إمّا أنْ تقعَ ساكنة فيُبدل منها الحرفُ الذي منه حركةُ ما قبلها ، كقولك: رأس ، وقَرَأْتُ(١) . وإن كان قبلها كسرةٌ أُبْدلت ياءً ، وإنْ كان ضمةٌ أُبدلتْ واوًا (٢) .

وذكر ثعلب في مجالسه : وإذا جاء الهمزُ في لِواء ، قال : " لِواء " . واذا تُرك الهمزُ ، قال الفراء : يكون بالياء ، وقال الكسائيُّ : يجوز أنْ تُردَّ إلى الواو . هذا عطاؤك بالإشارة إلى الواو ، وأُخذ من عَطائِك بالإشارة إلى الياء (٣) ولذلك حَكَى الكسائيُّ هَدَايَا وهَدَاوَى (٤) وعن الفراء عن الكسائيّ قال : تقول العرب قرأْتُ الكتاب إذا حقّقوا ، وقَرَأْتُ إذا ليَّنوا ، وقَرَيْتُ إذا حوَّلوا (٥) .

وعلينا أن نعرف الآنَ لهجاتِ القبائل في هذا . ذكر ابنُ جني أنَّ أبا جعفر قرأ : " وُقِّتَتْ " (٦) على الأصل ، وذلك من قوله تعالى : " إذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ " (المرسلات ١١) . والمعروف أن " أبا جعفر قارئَ المدينة كان أكثر القُراء ميلاً لمنحى تسهيل الهمزة أو حذفها " (٧) ، فلعله بذلك يُمثل لنا بيئته في هذا ، يدلنا على ذلك ما نقله السيوطي : قال يونسُ في نوادره : أهلُ الحجاز يقولون : جُوْنَه ، وتميم جُوْنَـه . وفي قراءة قوله تعالى : " وَجِبْرِيلَ وميكَالَ " (البقرة ٩٨) . ذكر ابن مجاهد : وقرأ حمزةُ والكسائيُّ : " جَبْرَئِيل " و " مِيكائِيل " مهْمُوزَيْن بهمزةٍ بعدها ياءٌ في الحرْفَيْن جميعا (٨) . وعن هذه القراءة نفسها ، يذكر أبو حيان : جِبْرِيل كِقِنْدِيل وهي لغةُ أهلِ الحجاز ... وجِبْرئيل كمنتريس وهي لغة تميم وقَيْس وكثيرٍ من أهْلِ نجد حكاها الفراء واختارها الزجاجُ ، وقال هي أجودُ اللغات (٩) .

ونعرض لبعض قراءات الكسائي في الهمز . قرأ الكسائي : " وَرِئْيًا " (مريم ٧٤) مهموزة بين الرّاءِ الياءِ (١٠) . وعن قراءة " أُقِّتَتْ " السابقة ذكر ابن مجاهد : قرأ أبو عمرو وحده : " وُقِّتت " بواو وقرأ الباقون : " أُقِّتَتْ " بألف (١١) يعني قراءة الكسائيّ في هذه الاية بالهَمْزِ .

---

(١) الزمخشري : المفصل في علم العربية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي بالقاهرة ٢/٢٤٢

(٢) ابن السراج : الموجز في النحو ، تحقيق وتقديم مصطفى الشويمي ، وابن سالم دامرجي ، طبع ونشر مؤسسة بدران للطباعة والنشر ببيروت ١٩٦٥ ، ص : ٩٠-٩١

(٣) مجالس ثعلب : ٣/١٤٥ (٤) السابق ١٢/٦٤٧

(٥) ابن خالويه : اعراب ثلاثين سورة ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤١ ، ص : ١٣٣

(٦) ابن جني : المحتسب : ٢/٢٤٥

(٧) الدكتور عبده الراجحي : اللهجات العربية ، ص : ٩٩

(٨) السبعة ص ١٦٧ (٩) البحر المحيط: ١/٣١٨ (١٠) السبعة ص ٤١١ (١١) السابق ٦٦٦

وقراءة الكسائي بالهمز تعني أنّه قلب الواوَ همزةً ، على هذا النحو :

وَقْـــت	وَقَّـــتَ
وُقِّـــتَ	أُقِّـــتَ

ولعل هذا ما يتفق مع ما أوردناه في الباب السابق من النّسبة المئوية العالية التي حققهـا الكسائيّ في قراءة الهمز .

وفي قوله تعالى : " فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ " (يوسف ١٤)

ذكر ابن مجاهد : قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة : بالهمز ، وقـرأ الكسائي : بغير همز (١) من ذلك يتبين لنا أن الكسائي كان أكثر تحقيقًا للهمز مـــن تخفيفه ، كما اتفقت الرواياتُ على عَزْوِ التحقيق إلى تميم والقبائل المجاورة لها . يقـــول ابن يعيش : والتحقيقُ لغةُ تميم وقَيْس (٢) وقد مرَّ أنْ نسبَ أبو حيان التحقيقَ لتمـــيم وقيس وكثير من أهْلِ نجد حكاها الفراء واختارها الزجّاج ، وقد عرفْنا رحلاتِ الكسائـــي لبعض هذه البيئات

ب ـ همزةٌ متحركـة قبلها صائتٌ طويل :

سمع الفراء يحكي عن الكسائي أنه سمع : اسْقِنِي شَرْبَةَ مَا يا هَذَا ، يريد شربـــة ماء ، فقصرَ وأخْرجه على لفْظِ مَنْ " التي للاستفهام . هذا إذا مَشَى . فاذا وقَفَ قال : شَرْبَـةَ مَا . وحُكي له أنّ " المُرَيْطَـاء " قصرها بعضُ النحْويين ، فأجاز القصرَ والأصـلُ المـدّ (٣) . و " القِرَى " مقصور ، يُكتب بالياء ويُفتح فيُمد . قال الكسائي : سمعت القاسمَ بنَ مَعْدِ يرويه عن العرب : قَـرَاءُ النَّيْـفِ (٤) .

زعم الكسائي أنّهُ سمع : ما يَفْعل هذا إلاّ " خِصَّيصَاءُ القوم " ، قال : وكذلك " فَيْضُوَضَاء " تَسْمِـع في هذا المد والقصر ، وأجازَ المدَّ فيه على القياس . قال الفراء : لم يُسمع أحـدٌ من العرب يَمد شَيْئًا من هذا ، ولم يَجُـزْ (٥) .

وعن لهجات القبائل في هذا ، يقول ابن سيده : والشّراءُ أهْلُ الحجاز يمدونـه وأهلُ نجد يقصرونه . وقولهم هذه أشْبه من جَمْع الممدود بمنزلة قولهم كِسَاء وأكْسِيه وفِنَاء وأفْنِية (٦) . إذنْ فالمدُّ لغةُ أهلِ الحجاز ، والقصرُ لغةُ أهْلِ نَجْد . ولكن كيف كـــان الكسائي يذهبُ بين المدّ والقَصْـرِ ؟

---

(١) السبعة ، ص : ٣٤٦
(٢) شرح المفصل ١٠٧/٩
(٣) مجالس ثعلب ١٠٩/٢
(٤) المنقوص والممدود ، ص : ٢٣
(٥) السابق ، ص : ١٦
(٦) المخصص ١٦/١٦

فى قوله تعالى : "دَكَّا" (الأعراف ١٤٣)

يقول ابن مجاهد : وقرأ عاصم فى الأعراف : "دَكَّاً" منونة ، وقرأ فى الكهف: "دكّاء" ممدودة غيرَ مُنونة . وقرأ حمزةُ والكسائىُّ : "دَكَّاء" فى الموضعين ممدودة غيرَ مُنونة (١) .

وفى قوله تعالى : "مِنْ وَرائِىَ" (مريم ٥)

يقول ابن مجاهد : فقرأ ابنُ كثير - فيما قرأت على قنبل - "مِنْ وَرائِىَ" مهموزةً ممدودةً مفتوحةَ الياء . وحدَّثونى عن خَلَفٍ ، عن خُبَيد ، عن شِبْل ، عن ابْنِ كَثير : "من وِرا ى" مثل عَصَاى وهُدَاى بغير هَمْزٍ ونصب الياء . وكلهم غيرُ ابن كثير هَمَزَ ومَدَّ وأَسْكن الياء (٢)

يعنى قرأ الكسائىُّ بالمد والهمز ، إذًا يتبين لنا من هذه القراءات أنَّ الكسائى كان - غالبًا - يذهب إلى المدِّ فيما بين المدِّ والقصر وهى لغةُ الحجاز

جـ - الهمزة وابدالها الفا (الهمزة المتحركة التى قبلها صوت ساكن ليس صائتا طويلا)

قاس الكسائى على إبدالِ بعضِ العرب الألفَ من الهمزة المفتوحة ، ثم فتح ما قبل الألف ، لأنَّ الالفَ لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا ، وذلك نحو "المَرَاة" و "الكَمَاة" بألف خالصةٍ . وقد حَكَى ذلك سيبويه وقال إنَّه قليلٌ ، وأن تخفيف الهمزةِ بالْفَاءِ حركتها على ما قَبْلها (٣) . ويقول ابنُ يعيش : وطريق قَلْبِ هذه الهمزةِ ألفًا أنَّ الميمَ والراءَ فى الكَمْأَة والمَرْأَة لمَّا جاوزتا الهمزةَ المفتوحةَ وكانتَا ساكنتين صارت الفَتْحتان اللتان فى الهمزتين كأنَّهما فى الرَّاءِ والميم ، فصارت الراءُ والميمُ كأنَّهما مفتوحتان والهمزتان كأنَّهما ساكنتان لمَّا قدَّر حركتهما فى غيرهما ، فصار التقديرُ المَرْأة والكَمْأة بفتح الراء والميم وسكونِ الهَمْزة ، فأبْدلت الهمزتان ألفين لسكونهما وانْفتاح ما قبلهما على حد القَلْبِ فى رَأْسٍ وفَأْسٍ إذا أُريد التخفيف .. ويجوزُ أنْ يكون الأصلُ المَرأة والكمأة ، ثم نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، فتحرَّك وبقيت الهمزةُ ساكنةً ، فَقَلَبُوا الهمزةَ ألفًا على رَأْسٍ وفَاس ، فقيل المَرَاة والكَمَاة (٤) .

---

(١) السبعة ، ص : ٢٩٣
(٢) السابق ، ص : ٤٠٧
(٣) شرح المفصل ، ٩/١١١
(٤) السابق والصفحة

وعن لهجات القبائل فى ذلك ، يقول أبو حيان فى معرض الحديث عن قوله : " يُخْرِجُ الخَبْءَ " (النمل ٢٥) : " نَقْلُ الحركةِ إلى الباءِ وحذفُ الهمزةِ حكايةُ سيبويه عن قوم من بنى تميم وبنى أسد (١) . وقد قرأ الكسائىُّ : " الخَبْء " بسكون الباء والهمزة ، وهى قراءةُ الجمهور . وقرأ أُبَىّ وعيسى بنقل حركةِ الهمزةِ إلى الباءِ وحذف الهمزةَ . وقرأ عِكْرِمةُ بألف بعد الهمزة فلزم فتحُ ما قبلها وهى قراءةُ عبدِ الملك ومالك بن دينار (٢) ثم يضيف أبو حيان : وأجاز الكوفيون أنْ تقول فى المَرْأةِ والكَمْأة المَراة والكَماة ، فيُبْدل من الهمزة ألفاً ، فتفتح ما قبلها . فعلى قولهم هذا - يجوز أن يكون الخَبأ منه (٣) .

ومما مَضى يتبين أن الكسائىَّ كان يقرأ فى هذا بالهمز ، ولكنه كان يُجيز إبدالَ الألفِ من الهمزةِ . وإنّما كان ذلك قياساً على حذفِ الهمزةِ مثلاً الذى كثُر فى الكلام ، والذى منه أنَّ الكسائى كان يرى أنَّ " لَنْ " مركبةٌ من " لا أنْ " "ولكنَّهم حَذفُوا لِكَثْرتِهِ (٤) " وهو مذهب الخليل

د - الهمزةُ وإبدالُها لاماً :

وحكى الكسائى والفراء أنَّ من العرب من يقلبُ الهمزةَ لاماً ، فيقول : اللَّحْمر فى الأحمر واللَّرْض فى الأرض . وكأنَّ أهْلَ هذه اللغة نكبُوا عن تحْريك هذه اللام ، فقلبوا الهمزةَ من جِنْس اللام ... فأما قراءةُ أبى عمرو " وَعادًا الوُلَى " (النجم ٥٠) بالإدغام والتشديد فوَجْهُها أنَّ الاصل " الأُولَى " ، فخُففت الهمزةُ بأنْ أُلقيت حركتُها على اللام ثم حُذفت ، واعتدُّوا بالحركة على مذهب من قال لَحْمر ، ثم أدغم التنوينَ فى اللام (٥) .

وفى إبدال الهمزة لاماً فى نحو " الأحْمر والأرض " وجْهان كما يرى ابنُ يعيش : أحدهما : أنْ تُلقى حركةُ الألفِ على اللام فتُحرك اللام وتُبقى ألفُ الوصلِ ولا تحذفها ، فتقول " أَلْحَمر " والآخر : أن تقول " لَحْمر " فتحذِف ألفَ الوصل . فمن أثبتها مع تحرُّك اللام نَوى سكونَها ، إذ كانت الحركةُ للهمزة عارضة فى اللام فلم يعتد بها . ومن حَذف الهمزةَ وقال " لحمر " فانه اعتدَّ بالحركة ، لأنَّ الداعى إلى الهمزة إنّما هو ضرورة سُكونِ اللام ، واللامُ قد تحركتْ فوقع الاستغناءُ عنها . ويلزم من قال : " أَلَحْمر " فيُثْبت الهمزة أنْ يقول فى اسْأل إذا خففت اسَلْ ، ومن قال " لَحْمر " يلزمه أن يقول سَلْ ، إلا أنَّ الاكثر مع لام المعرفة ابقاءُ ألفِ الوصل وحذفُها فى غير ذلك (٦) .

---

(١) البحر المحيط ٦٩/٧
(٢) السابق والصفحة
(٣) السابق والصفحة
(٤) الكتاب ٤٠٧/١
(٥) شرح المفصل ١١٦/٩
(٦) السابق ، ص : ١١٥

يقولُ أبو حيان فى توجيه قراءةِ أبى عمرو " وعادًا لُّولى " : وقرأ نافع وأبو عمرو بإدغام التنوين فى اللام المنقولِ اليها حركةُ الهمزةِ المحذوفة ، وعاد هذه القراءةَ للمازنى والمبرد . وقالت العرب فى الابتداء بعدَ النَّقل أَلَحْمر ولَحْمر ، فهذه القراءةُ جاءت على لَحْمر ، فلا عيبَ فيهما "(١) . وقد نَسب ابنُ يعيش التخفيف فى مثل هذا الى أهلِ الحجاز(٢) . وقد قرأ الكسائى قراءةَ أبى عمرو بالهمْز ، فلم ينقُل حركةَ الهمزة على اللام(٣) . وعلى ذلك يكون ما سمعه الكسائىُّ والفراء ، وهو من لُغة أهلِ الحجاز .

وعن الهمز يقول الدكتور ابراهيم أنيس فيما معناه(٤) : من الحقائق العامة المشهورة عند النطق العربى أنَّ الهمز كان خاصةً من الخصائص البدوية ، التى اشتهرت بها قبائلُ وسط الجزيرة وشرقيّها تميم وما جاورها ، وان عدم الهمز خاصةٌ حضريةٌ ، امتازت بها لهجةُ القبائل فى شمال الجزيرة وغربيها . ثم يقول(٥) : وإذا كانت القبائلُ البدوية تميل الى السرعة فى النطق ، وتلمس أيسرَ السُّبُل إلى هذه السرعة فان تحقيق الهمز كان فى لسانها الخاصة التى تخفف من عَيْب هذه السرعة ، أى أنَّ الناطق البدوى تعوّدَ النبر فى موضع الهمزة ، وفيما يقابل موقعها فى الكلمات الخالية منها ، وهى عادةٌ أملتْها ضرورةُ الايقاع النطقى ، كما حتّمتها ضرورةُ الإبانة عمّا يريد فى نُطق المجموعة من المقاطع المتتابعة السريعة الانطلاق على لسانه ، فموقع النبر فى نطقه كان دائما أبرزَ المقاطع وهو ما كان يمنحه كل اهتمامه وضغطه ، أما القبائل الحضرية ، فعلى العكس من ذلك كانت متأنية فى نطقها ، متئدة فى أدائها ، فلم يشتهر عنها ادغام أو امالة ، ولذا لم تكن بها حاجة الى التماس المزيد من مظاهر الاناة ، فأهملت همز كلماتها أعنى المبالغة فى النبر والتوتر واستعاضت عن ذلك بوسائل عبر عنها النحاة بعبارات مختلفة ، كالتسهيل ، والتخفيف ، والتليين ، والإبدال ، والإسقاط .

وليس معنى ذلك التزام أهل الحجاز التخفيف دائماً ، ولا أهل تميم التحقيق دائما ، يدلك على ذلك قوله تعالى : " قَالُوا يا أَبَتَانَا مالك لا تَأْمَنَّا على يُوسُفَ ، وإنَّا لَهُ لناصِحُون " (يوسف ١١) ، حيث يذكر القرطبى : " وقرأ يحيى بن وثاب ، وأبو رزين ، ورُوى عن الأعمش " لاتِئْمَنَّا " بكسر التاءِ وهى لغةُ تميم "(٦)

---

(١) البحر المحيط ١٦٩/٨ (٢) شرح المفصل ١١٦/٩
(٣) أنظر السبعة ص : ٦١٥
(٤) اللهجات العربية ، ص : ٥٦ ــ ٦١ والاصوات اللغوية ، ص : ٩٨
(٥) اللهجات العربية ، ص ٥٦ ــ ٦١
(٦) القرطبى : الجامع لاحكام القرآن ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب المصرية ١٩٦٧ ١٣٨/٩

ومن قوله تعالى : " قالوا : لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَة ، إِنَّا إِذًا لَخَاسِرون " (يوسف ١٤) يذكر ابن مجاهد : واختلفوا فى هَمْز الذِّئب " وتركه ، فقرأ ابن كثير ، ونافع وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة بالهمز . وقرأ الكسائىُّ بغير هَمْز . وحدثنى عبيدُ الله عن نصْر ، عن أبيه قال : سمعت أبا عمرو يقرأ : " فأكله الذِّيْبُ " لا يَهْمِز ، وأهل الحجاز يهمِزون " (١) . ولعله هنا يقصد قراءة الحجاز وليس لهجة أهل الحجاز . ويقول الدكتور أنيس : يُعد تحقيقُ الهمز من أبْرزِ الأمور التى اقتبستْها اللغةُ النموذجيةُ من غيرِ البيئةِ الحجازية (٢) .

٤ ـ الإدْغَـــامُ :

زعم الكسائى أنه سمع العرب تقول لكنَّ والله ، يريدون : لكنْ أنَا والله . وقال الكسائى : سمعتُ بعضَ العرب يقول : إنَّ قائم يريد إنْ أنَا قائم فترك الهمز : وأدْغم فهى نظيرُ لَكِنَّ (٣) . ويقول الفراءُ عن هذا : " وقوله : " لكنَّا هُو الله رَبِّى " (الكهف ٣٨) معناه : لكنْ أنَا هو الله رَبِّى تُرك همزة الألف من أنَا ، وكثُر بها الكلام ، فأُدغمتْ النون منْ " أنَا " مع النون من " لكنَّ " ومن العرب من يقول : أنَا قُلت ذاك بتمام الألف فقرأت لكنَّا على تلك اللغة وأثْبتوا الألفَ فى اللفتين فى المصحف : كما قالوا : رأيتُ يَزيدَا وقواريرا فثبتت فيهما الألفُ فى القَوْلين إذا وقفْت . ويجوز الوقفُ بغير ألفٍ فى غير القرآن فى أنَا . ومن العرب من يقول إذا وقف : أنَهْ وهى فى لُغة جيدة . وهى فى عُلْيا تميم وسُفْلى قَيْس وأنشد فى أبو ثروان :

وَتَرْمِينى بالطَّرْف أىْ أنتَ مُذْنِبٌ ... وَتَقْلِيْنَنِى لكنَّ إيَّاكَ لا أَقْلى

يريد : لكن أنَا إياك لا أقْلى ، فترك الهمز فصار كالحرف الواحد (٤)

ويقول الشيخ الزمخشرى فى مَعْرِض الحديث عن هذه الآية : أصْلُهُ لَكِنْ أنَا ، فحُذفت الهمزةُ وأُلقيت حركتُها على نون لَكِن ، فتلاقت النُونان فكَانَ الإدغامُ (٥) . ويقول أبو حيان : وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير ونافعٌ فى رواية ورش وقالون " لكنَّ " بتشديد النون بغير ألفٍ فى الوصل وبألفٍ فى الوَقْفِ . وأصْلُهُ ولكنْ أنَا ، نُقل حركة الهمزةِ إلى نون " لكن " وحُذف الهمزة ، فالتقى مَثلان فأدْغم أحدُهما فى الآخر . وقيل حُذف الهمزة من أنَا على غيرِ قياس ، فالتقتْ نونُ " لَكِن " وهى ساكنةٌ مع نون أنَا فأُدْغمت فيها . وأمَّا فى الوقْفِ

---

(١) السبعة ، ص : ٣٤٦ (٢) اللهجات العربية ، ص : ٥٩
(٣) معانى القرآن ٢/١٤٤ ـ ١٤٥ (٤) السابق ، ص : ١٤٤
(٥) الكشاف ٢/٧٢٢ وأنظر أيضا أنوار التنزيل ، ص : ٢٩١

فإنه أثبت ألف أنا ، وهو المشهور فى الوقف على أنا . وأما فى الوصل فالمشهور حذفها ، وقد أبدلها ألفاً فى الوقف أبو عمرو فى رواية فوقف لكنه ذكره ابن خالويه . وقال ابن عطية : وروى هارون عن أبى عمرو : لكنه هو الله ربى بضمير لحق لكنّ . وقرأ ابن عامر ونافع فى رواية المسيلى ، وزيد بن على ، والحسن والزهرى وأبو بحرية ويعقوب فى رواية ، وأبو عمرو فى رواية وورش فى رواية ، وأبو جعفر باثبات الألف وقفاً ووصلا . أما الوقف فظاهر ، وأما فى الوصل فبنو تميم يثبتونها فيه فى الكلام وغيرهم فى الاضطرار ، فجاء على لغة بنى تميم "(١) .

يتبين من هذا أن قراءة الكسائى فى هذا جاءت على لغة بنى تميم ، وقد نسب الدكتور عبده الراجحى الإدغام إلى لهجة بنى تميم (٢) ، ويقول أيضا : " .. إلا أن الكسائىَّ نسب إلى عهد القيس الإدغام مع همزة الوصل ، أردَ وأغثَ وافرَّ "(٣) . وعلى ذلك ، يكون ما أدغم الكسائىُّ ، أو جوز ادغامه ربَّما كان سماعًا من التميميين ، ولعلَّنا ننسب إليهم بعد ذلك ادغاماً أفضل فى التعجب ، حيث ذهب الكسائى إلى هذا ، فيقال مثلاً : أحبِبْ بزيد ، فإنْ سكن لجزم أو بناء جازَ الفكُّ ، الذى نسبه السيوطىُّ إلى لغة الحجاز (٤)

٥ - الترخيم :

أجاز الكسائى ترخيمَ الجملة (٥) واتفق الكسائى مع البصريين فى عدم جواز ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف بينما مذهب الكوفيين ترخيمُ الثلاثى إذا كان أوسطه متحركاً ، فعندهم يقال : " يا عُنُ " فى " عُنُق " وهكذا (٦) . والكسائىُّ والفراء يُرخِّمان المضاف ، ويُقِيمان الحذفَ على آخر الاسم الثانى ، فيُقال : يا آلَ عِكْرِمَ ، وأنشدا بيتا ، قيل إنه لم يُعرف صاحبه ، وهو :

أبَا عُرْوَ لا تُبعدْ ، فكُلُّ ابنِ حُرَّةٍ سيدعُوه دَاعِى مِيتَةٍ فيُجِيبُ

فإذا لم يُعرف لهذا البيت قائل ، فقد أنشدا بيتًا لزُهير ، هو :

خُذُوا حِذْرَكُمْ يا آلَ عِكْرِمَ واذْكُروا أواصِرَنَا والرَّحْمُ بالغيب يُذْكَرُ

فرخَّم المضاف إليه فى البيتين ، وإن كان ابنُ يعيش جعل الترخيمَ من باب الضرورة فى الشعر (٧) .

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٢٨ (٢) اللهجات العربية ، ص : ١٣١
(٣) السابق ، ص : ١٣٢ (٤) أنظر الهمع ، ٢/ ٢٢٧
(٥) ابن مالك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧ ، ص : ١٨٨
(٦) ابن الانبارى : الانصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد الطبعة الاولى ١٩٤٥ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ص ١/ ١٩٧
(٧) انظر شرح المفصل ٢/ ٢٠

ومذهب سيبويه فى الترخيم " أنَّ الترخيمَ لا يكون فى مُضاف إليه ، ولا فى وصفِ لانهما غَيْرُ منادَيين ، ولا تُرخّم مُضافا ، ولا اسمًا مُنونا فى النداء ... وأمَّا ما كانَ على ثلاثـة أحْرُفٍ مع الهاء فنحو قولك : يا شَا ادْ جُنِى ، ويا شُبَ أقْبِلى ، اذا أردت شاةً وشَبةً "(١) اذن فشرط سيبويه فى ترخيم الثلاثى ، أن يكونَ ثلاثيا مع الهاء ، إذْ ربما دفعه الى ذلك أنَّ الهاء حَرْفٌ خلقىٌ فيه صعوبة ، ليس كبقية الحروف . على أنَّ سيبويه يخالفُ الكسائىَّ فى ترخيم الجملة ، فهو يقول : " واعْلم أنَّ الحكاية لا تُرخم ، لأنَّك لا تُريد أنْ ترخم غير منادى ، وليس مِمّا يغيره النداء ، وذلك نحو : تأبَّطَ شرًا ، وبَرَقَ نحرُه ... ولو رخَّمْتَ هذا لرخمتَ رجُلاً يسمى بقول عنترة : "يا دَارَ عبلة بالجَواءِ تكلَّمى "(٢) . إذنْ فسيبويه لا يُجيز ترخيم الجملة ، لأنه ليس هناك تغيير فى تَرْخيمها .

والترخيم عند سيبويه هو " حَذْفُ أواخر الأسماء المُفردة تخفيفًا ، كما حذفوا غـير ذلك من كَلامهم تخفيفًا "(٣) أو هو ضَعْف فى الاسم ونَقْصٌ له عن تَمام الصوت(٤) ، وذلك عند ابن يعيش . .

معنى ذلك أن الترخيم نوعٌ من التخفيف الذى تَميل اليه بعضُ اللهجات طلبًا للسرعة والخُفوف . وعلى ذلك نرى الدكتور عبده الراجحى يذهب إلى أنَّ " التخفيف من لهجاتِ بنى تميم وأسَد وبعضِ نجد ، وهى قبائلُ بادية تميل إلى السرعة والاقتصادِ فى المَجْهود المبذول وهذا الحذف يُوفّر لهم ذلك(٥) . ولعلَّ من هذا ما أنشده الكسائى :

وأشْمَتَ العُداة بِنَا فأضْحَـوا ... لَدَىَّ تَباشَرُون بِما لقينـا

معناه " لدىّ "يَتباشَرُون فحذف لاجتماع الياءات ، ومثلـه :

كأنَّ مِنْ آخِرها إلقـــادِمِ ... مَخْرَمَ نجدٍ فارِعَ المَخَـارِم

أرادَ : إلى القادِم فحذفَ اللامَ عند اللام(٦)

وقد قُرئ فى قوله تعالى : " والبَغْى يَعِظُكم " (النحل ٩٠) بحذْفِ الياءِ عندَ الياءِ(٧)

وبعد ، فلعله من النافع أن نُلخص الخصائصَ الصوتية عند الكسائى :

١ ــ بين الضمّ والكسر ، وجدْنا الكسائىَّ يذهب إلى الصائتِ الأخفِ وهو الكسر " لُغـة حجازية .

٢ ــ بين الضم والفتح ، ذهبَ الكسائىُّ إلى الصائتِ الثَّقيل " الضمّ " " لُغة تميمية "

(١) الكتاب ١/٣٣٠
(٢) السابق ، ص : ٣٤٢
(٣) السابق ١/٣٢٩
(٤) أنظر شرح المفصل ٢/١٩
(٥) اللهجات العربية ، ص : ١٥٧
(٦) معانى القرآن ٢/٢٩
(٧) السابق والصفحة

٣ - بين الفَتْح والكسر ، ذهبَ الكسائيُّ إلى الصائت الثقيل " الكسر " ، والكسر والفتح موجودان في تميم .

٤ - ذهب الكسائي الى جواز فتح عين المضارع اذا كان حرفا حلقيا ، ذلك أن تحريك الصوت الحلقي - باعتبار مخرجه - أخف في النطق ، فاذا كان تحريكه بالفتح كان أكثر خفوفا من قبل أن الفتح أخف الحركات .

٥ - إبدال الألف من الهمزة كان جائزا عند الكسائي ، وهو مما يجوز أن يكون قياسا على حذف الهمزة الذي شاع في الاستعمال .

٦ - كما أن إبدال الهمزة لاما - كما حكى الكسائي والفراء - يدل على أن الهمز عند الكوفيين كان يطرأ عليه بعض التغيرات الصوتية ، نتيجة لصعوبة نطق صوت الهمز .

٧ - ذهاب الكسائي الى الإدغام كان نوعا من التخفيف ، كما كان تغييرا في بعض الأصوات

٨ - كان الترخيم أيضا من الخصائص الصوتية عند الكسائي ، حتى إنه أجاز ترخيم المُضاف ويقع الحذف على آخر الاسم الثاني ، وهو ترخُّص لم يوافقه عليه إلا الفراء ، وهو نوع من التخفيف أيضا لجأت اليه بعض القبائل التي تميل إلى السرعة .

الفصل الثانى
المادة الصوتية

عرفنا من الفصل السابق أن المادة الصوتية عند الكسائى متناثرة بين دفات المصاور • ونحن حين نجمعها ، نريد أن نلقى عليها الضوء كيما يتسنى لنا الوصول إلى كنهها ، باعتبارها ظاهرة من ظواهر الدرس اللغوى ، نريد أن نلتمس لها تأصيلا ، علها تكون فى خدمة هذا الدرس اللغوى •

ونعرض هذه المادة مرتبة على النحو التالى :

أولا : فى الأسماء :

١ــ الوقف على آخر الاسم المقصور المنوّن :

المعروف أن المقصور المنون يوقف عليه بالألف نحو رأيت فتىً[1] • لكن هذه الألف الموقوف عليها اختلف النحاة فى أصلها على ثلاثة مذاهب :

الأول : مذهب سيبويه ، وهو أن الألف فى حالة النصب بدل من التنوين ، وفى حالتى الرفع والجر بدل من لام الكلمة[2] ، فحذفت لأنها قد التقت ــ وهى ساكنة ــ مع التنوين[3] • ومثل لذلك فنقول : إذا قلنا مثلا : هذا فتى ، ومررت بفتى ، ووقفنا ، ففى هذه الحالة تكون الألف هى الأصلية ، وتكون نظيرا للدال من زيدٍ اذا قلنا : هذا زيدُ ، ومررتُ بزيدِ مثلاً • أما اذا قلنا : رأيت فتىً ، فتكون الألف فى هذه الحالة هى البدلة من التنوين ، الذى هو نظير الألف فيما اذا قلنا : رأيتُ زيدًا ، فهنا تحذف الألف الأصلية لاجتماع الساكنين •

الثانى : مذهب الكسائى : وهو أن الألف الموقوف عليها ، هى الألف المنقلبة فى الحالات جميعا ــ رفعًا ونصبًا وجرًا[4] ــ وذلك أنه لما حذف التنوين فى هذه الحالات ، عادت الألف مرة أخرى[5] • وقد عزى هذا ــ أيضا ــ إلى أبى عمرو ، وابن كيسان ، والسيرافى[6] •

---

(١) البغدادى : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية للرضى وبهامشه كتاب المقاصد النحوية للعينى ، الطبعة الأولى ، مطبعة بولاق بمصر ، ٤ / ٥٤٧ •
(٢) أنظر الكتاب ٢ / ٢٨١ • (٣) انظر الهمع ٢ / ٢٠٥ •
(٤) انظر شرح التصريح ٢ / ٣٤١ (٥) انظر الهمع ٢ / ٢٠٥ وكذلك ابن
(٥) أنظر الهمع ٢ / ٢٠٥ وخزانة الادب ٤ / ٥٤٧ ، وقد عزا طلحة بن مصرف خزانة الادب هذا المذهب الى الكوفيين جميعا •
(٦) أنظر مثلا شرح التصريح ٢ / ٣٤١ والهمع ٢ / ٢٠٥ •

الثالث : مذهب الفراء والمازنى والأخفش : وهو ابدال الألف من تنوينه مطلقا ، معللين ذلك بأن " التنوين " فى الأحول كلها قبله فتحة فأشبه التنوين فى رأيت زيدا لأنهم إنما وقفوا على رأيت زيدًا بالإبدال ألفًا ، لأن الألف لا ثقل فيها ، بخلاف الواو والياء . وهذه العلة موجودة فى المقصور المنون " (١) .

ورأى الكسائى ومن وافقه — إذ ن — يذهب إلى أصالة الألف الموقوف عليها .

٢ — المقصور والممدود وتثنيتهما :

أ — فى المقصور : أجاز الكسائى تثنية " رضى " ، " علا " من ذوات الواو .

ب — فى الممدود : أجاز الكسائى " كسايان " ، قاس عليه .

يقول الفراء : والحما والرضا يثنيان بالألف ، لأن الكسائى سمع العرب تقول : حمسوان ، ورضوان ، وحميان ، ورضيان (٢) .

وقال الكسائى : ربما قالوا قضايات ولهيات ، لأن فعلت منها ليس بكثير ، فيجعلون الألف التى أصلها واوًا ياءً ، لقلتها فى الفعل . ولا يقولون فى غزاة غزايات ، لأن غزوت أغزو معروف كثير فى الكلام ، وسمع فى تثنية الرضا والحمى رضوان وحموان (٣) .

يقول ابن سيده : ونقول فى رضا رضوان ، لأن رضا من الواو ، يدلك على ذلك مرضو ورضوان وربما قلبوا بعض هذا ياءً فى بعض تصاريفه باستحقاق أو عارض ، ولا يزيل حكم التثنية عن منهاجها . قالوا : مرضى ، حملوه على رضى ، وأرض مسنية وأصلها جميعا الواو ، لأنك تقول سنوت الأرض أى سقيتها ، وحملت مسنية على سنى واستثقلت فيها الواو فأبدلت ياءً . وقالوا فى الكبا كبوان والكبا — الكناسة مقصور . حكى أبو الخطاب عن أهل الحجاز أنهم يقولون فى تثنيته كبوان والكباء ممدود (٤) .

ويضيف ابن سيده قوله : ولم يفرق النحويون فى الثلاثى بين ما كان أوله مفتوحًا ، وبين ما كان مكسورًا أو مضمومًا ، واعتبروا انقلاب الألف فى أصل الكلمة . وأما الكوفيون فجعلوا ما كان مضمومًا أو مكسورًا من الياء ، وإن كان أصله الواو وكتبوه بالياء ، نحو الضحى والرشى ، وما أشبه ذلك وكان من حجة البصريين ما حكاه أبو الخطاب من تثنية الكبا كبوان . وقد حكوا هم أيضا عن الكسائى أنه سمع العرب تقول فى حمى حموان ، وفى رضا رضوان فهذا القياس (٥) .

---

(١) الهمع ٢/٢٠٥ .
(٢) الفراء : المنقوص والممدود ، ص ٢٣ .
(٣) اصلاح المنطق ، ص ١٤٢ .
(٤) المخصص ، ١٥/١١٢ .
(٥) السابق ، ص ١١٣ .

وينقل السيوطى عن الكسائى : وماكانَ من الاسم على وَزْنِ فَعَل ، أو فُعِل ، فانّه يُكتب بالياء أبدًا . واذا كان من ذوات الواو نحو " الكبُى " والبصريون لايُجيزون شيئًا من ذلك[1] . وينقل فى المزهر : وقال ثعلب فى أماليه : سمعتُ سَلَمة يقول : سمعت الفراءَ يقولُ : إذا كان أولُ المقصور مكسورًا أو مضمومًا مثل رِضَى وهُدَى ، وحِمى ، فإنْ كان من الياءِ والواو ثَنَّيْتَهُ بالياء فقلت : رِضَيان وهُدَيان ، إلّا حَرْفان حكاهما الكسائى عن العرب ، زعم أنه سمعها بالواو وهما : رِضَوان وحِمَوان وليس يُبْنى عليهما ، وماكان مفتوحًا أوله ، ثنية بالواو ، وإنْ كان من من ذَوات الواوِ مثل : عَصَوان وقَفَوان ، وإن كان من ذواتِ الياء ثنيته بالياء مثل : فَتَيان[2] .

ويذكر الأشمونى جُملة ماشذّ من المقصور حيث عدَّها ثلاثة أشياء منها " رِضَيان " ، يقول : وقاس عليه الكسائى ، فأجاز تثنية "رِضَى " ، و " عُلَا " من ذوات الواو المكسور الأول والمضمومة بالياءِ . والذى شذّ من الممدود " كِسَايان " . وقاس عليه الكسائى ، ونقلة أبوزيد عن لُغة فزارة[3] .

إذنْ فهذا الذى شذّ فى حرفى الكسائى ، إنما هو سماعٌ عن لهجة فزارة ، ممايؤكد أنّه لهجةٌ وليس تلك التخريجات التى قالها النحاه ، يؤكد ذلك — أيضا — ماقاله الكسائى : يقال أشتدّ حَمْوُ الشمسِ وحَمْى الشمس[4] .

٣ — من المصادر : أ — " الفُعُول والفُعَال ، والفُعُول والفَعَال "

قال الكسائى : يُقال رَزحت الناقةُ تَرْزَحُ رُزُوحا ورُزاحًا ، إذا سقطت . وقد كَلَحَ الرجل كُلوحا[5] . وقال الكسائى وأبوزيد : صَلَحَ صَلاحًا وصُلُوحا ، وفَسَدَ فسادًا وفُسُودا . وأنشد أبوزيد :

وكيفَ بأطْرافِى إذا ماشَتَمْتَنى ... وبَعْدَ شَتْمِ الوالدين صُلُوحُ

وأطرافه : أبواه واخوته وأعمامه وكلّ قريب له مَحْرم[6] .

المعروف أنّ الفعل الثلاثىّ مصدره سماعىّ فى مُعظمه وإنْ وضعوا له أقيسة ، وهو قياسى فى غير الثلاثى . يقول السيوطى : ومصادرُ الثلاثى كلها تأتى على فَعْل ، وفِعْل ، وفَعْل ، وفُعُول ، وفَعَال ، وفُعَال ، وفِعَال ، وفُعول ، وفَعَل ، وفَعَل ، وفِعَل ، وفُعَل فعل وفِعْلال ، وفِعْلان ، وفَعِيل ، وفَعَلان ، وفُعَلان ، وفَعَالة ، وفِعالة ، وفُعولة ، وفَعَله ، وفَعِيله ، وفِعيله[7] .

---

(١) الهمع ، ٢/٢٤٣ .
(٢) المزهر : ٢/٩٤ .
(٣) الصبان : حاشية الصبان على شرح الاشمونى لالفية ابن مالك ، وبهامشها شرح الاشمونى مع بعض تقديرات للشيخ أحمد الرفاعى ، المكتبة التجارية بمصر ١٣٥٠هـ ، ٤/٨٣ (هامش) .
(٤) اصلاح المنطق ، ص ١٤٠ .
(٥) السابق ، ١٠٩ — ١١٠ .
(٦) السابق ، ص ١١٠ .
(٧) المزهر ، ٢/١٩٦ .

وقد وردت قراءات في المصادر نسبت الى لهجات.

من ذلك : " وإذ قالَ ابراهيمُ لأبيه وقومِه انّني بَراءٌ مِمّا تعبُدون " (الزخرف ٢٦) .

يقول أبوحيان : وقرأ الجمهور بَراء مصدر يستوي فيه المفرد والمذكر ، ومقابلهما ، يقال : نحن البَراء منك ، وهي لغةُ العالية [1] . وقد ذكر ابن السراج : وأمّا حروف الحلق في يَفْعِلُ ويَفْعَل ، اذا كُنّ عَيْنات ولامات ، يجوز فيهن أن تفتح العَيْنات. وقد جاء في مصادر فَعَلَ يَفْعَلُ منها : فَعالة : نَصاحة ، وفُعال : سُؤال [2] .

اذن " فَعَل " " فَعال " من لهجة أهْل العالية ، " أي عالية نجد ، وهي من البيئة البدوية " [3] .

وعلى أية حال فانّ أبا حيان قد ذكر أنّ الضم في مصدر الفعل الثلاثي نحو قراءة الكسائي " بِزُعْمِهم " هي للبهجة لبَني أسد [4] ، مما قد يجعلنا نَعْزو " الفُعول " و " الفُعال " اليها أيضا .

ب ـ مَفْعُل بين المذكر والمؤنث

جاء في معاني القرآن : فأما قول الشاعر :

" لِيومِ رَوْعٍ أوْ فَعالِ مَكْرُمِ "

فإنّه جمع مكْرُمة ومَكْرُوم . ومثله قول الأخر :

بثِينُ الزَمي لا إنّهَ إنْ لزمتِه عَلَى كَثْرة الوَاشِين أيُّ مَعُون

أرادَ جمع معونه . وكان الكسائي يقول : هما مَفْعُل نادران لايُقاس عليهما وقد ذهب مذهبًا . إلا أني أجد الوجه الأولَ أجْمل للعربية مما قال . وقد تُقلب فيه الياء الى الواو فيقال :

وكنتُ إذا جَارِي دَعا لمضُوفةٍ أُشمّر حتى يَنْصُف الساقَ مِئْزرِي

جلمها مَفْعُلة وهي من الياء نقلبها إلى الواو لضمّة ماقبلها ، كما قالوا : قد سُوِرَ به [5]

وجاء أيضا : وماكان مصدرًا مؤنثا فان العرب قد تَرْفع عَيْنه ، مثل المَقْدُرة وأشْباهه . ولايفعلون ذلك في مُذكر ليست فيه الهاء ، لأنّ الهاء إذا أُدخلت سقط عنها بناء فعُل يفعُل فصارت اسما مختلفا ، ومفعل يبنى على يفعل ، فاجتنبوا الرَّفعة في مفعل ، لأن

---

(١) البحر المحيط ، ٨/ ١١ . (٢) الموجز ، ص ١٣١ .

(٣) اللهجات العربية للدكتور عبده الراجحي ، ص ١٦٩ .

(٤) انظر البحر المحيط ، ٤/ ٢٢٧ . (٥) معاني القرآن ، ٢/ ١٥١ ـ ١٥٢ .

خِلْقة يفْعُـل التى يلزمها الضم "كَرُمَ يَكْرُمُ" فكرهوا أنْ يلزموا العَيْن من مَفْعُل ضمة فيظن الجاهل أن فى مَفْعُل فرقا يلزم كما يلزم فَعِل يفعَل الفروق ، ففتحت ارادة أن تَخْلط بمصادر الواقـع (١) .

ويقول ابن السكيت : واذا كان المصدر مؤنثا فانّ العرب قد ترفع عينه ، مثل المقبُرة والمقدُرة . ولايأتى فى المُذكر مفعُل بضم العين ، قال الكسائى : إلا حرفين جاءا نادرين لايقاس عليهما (٢) . ثم ذكر بيت أبى الأخْزَر ، وبيت جميل "البيتان السابقان"

ويقول ابنُ خالوية : ليس فى كلام العرب اسم على مَفْعُل الا أربعة : مَكْرُم ، ومَعُون ، ومَيْسُر ، ومَأْلُك ، وهى الرسالة . قال عدىّ :

أبلغ النعمان عنى مَأْلُكـــا أنّه قد طالَ حَبْسى وانتظـارى

وزعم سيبويه أنه ليس فى كلام العرب مفعُل ، وقد حُكيت هذه الأربعة ، فلقائـل أنْ يقول : ليس على مفعَل ، فمكرُم جمع مكرُمة ، ومعُون جمع معُونه ، ومألك جمع مَألكـة ، وميْسر جمع مَيْسُرة ، وجدت فى القرآن حرفا ، قرأ عطاء : "فَنظِرةٌ إلى مَيْسُرة" (البقرة ٢٨٠) الهاء هاء كناية (٣) .

وقد نسب ابن مجاهد القراء بفتح السين إلى كُلّ القُراء ماخلا نافعاً وحده قرأهـا : "مَيْسُرة" (٤) . وعلى ذلك تكون قراءة الكسائى "مَيْسَرة" "مَفْعَلة" فمن أين سـمع "مَفْعُل" إذن ؟

يجيبنا عن ذلك أبوحيان فى معرض حديثه عن آية البقرة (٢٨٠) المُشار اليهـا سابقا ، يقول : وَقَرأ نافع وحده "ميسُرة" بضم السين ، والضم لغةُ أهلِ الحجـاز ، وهو قليل كمقبُرة ومشرُقه ، ومَسْرُبـه ، والكثير مَفْعَلة بفتح العين . وقرأ الجمهور بفتـح السين على اللغة الكثيرة وهى لغةُ أهل نجد (٥) . نحن اذنْ نستطيع أنْ نعزوَ سـماع الكسائى فى "مكرُم" ، و"معُون" إلى لهجة أهل الحجاز ، وقد رأينا أبا حيـان يُنبه إلى أنّ مثل هذا قليل ، بل رأينا قبل ذلك الكسائى نفسه ينبه إلى ذلك حين قـال : هما مَفْعُل نادران .

ولعل ذلك يشير الى مدى أهتمام الكسائى بالسماع ، الذى أقام عليه كثير من أحكامـه اللغوية على وجه العموم .

---

(١) معانى القرآن ، ٢/١٥١ . (٢) اصلاح المنطق ، ص ٢٢٢ .
(٣) ابن خالوية : كتاب ليس فى كلام العرب ، الطبعة الاولى ١٣٢٧ هـ ، تصحيح وضبط وشرح احمد بن الأمين الشنقيطى ، السعادة بمصر ، ص ٤ـ٥ .
(٤) انظر ابن مجاهد : السبعة ، ص ١٩٢ .
(٥) البحر المحيط ، ٢/٣٤٠ .

جـ - المَصْدرُ من الفِعْل المِثالِ :

جاء في معاني القرآن : وزعم الكسائي أنه سمع مَوْجَل ومَوْحَل[1] .

وجاء أيضا : وماكان أوله واوا مثل وزنت وورثت ووجلت فالمَفْعل فيه اسمًا كان أومصدرًا مكسور ، مثل قوله " أَنْ لَنْ نَجْعلَ لكم مَوْعِدا " (الكهف ٤٨) وكذلك يَوْحَل ويَوْجَل المَفْعل منهما مكسور في الوجهين - يعني الاسم والمصدر - ... قال الفراء : وسمعت أنا " مَوْضَع " . وإنما كسروا ما أوله الواو ، لأن الفعل فيه إذا فُتح يكون على وجهين فأما الذي يقع (يعني الفعل المتعدي في اصطلاح الكوفيين) فالواو منه ساقطة ، مثل وَزَنَ يزِنُ . والذي لايقع تثبت واوه في يَفْعَل (من ذلك وجل يوجل) . والمصادر تستوي في الواقع وغير الواقع . فلم يجعلوا في مصدريهما فرقا[2] .

يقول ابن قتيبه : " وماكان فاءُ الفعلِ منه واوًا مثل وَعَد ، وَوَرَد ، ووضَع ، فكان " مَفْعلا " منه مكسورًا - يعني مَفْعِل - اسمًا كان أو مصدرا نحو " المَوْعِد " و " المَوْرد " . و " الموضِع " و " الموقِع " إلا أحرفا جاءت نادرة . قال أكثرهم " مَوْجِل " ، وقال بعضهم " مَوْجَل " . قال الهزلي :

فأصْبَحَ المِيْرُ زُكْدًا على السأْوشات أنْ يَرْسَخْن في المَوْجَلِ

ويُروى المَوْجَل والمَوْجِل جميعا . قال : ومَوْرَق ، ومَوْهب ، ومَوْكل اسم رجل أومكان ومَوْحَد معدول عن واحد ، يقال : دخل القوم مَوْحَدَ ومَوْحَدَ ، كما يُقال أُحَادَ أُحَاد[3] .

ويقول ابن السراج : " وربما بنوا المصدر على المَفْعِل ، قال الله عز وجل : " إلَيَّ مَرْجِعُكُم " (العنكبوت ٨) . وقالوا : المَحِيْض يريدون الحَيْض . وربما الحقوا الهاءَ فقالوا : "المَعْذِرة والمَمْحِيَة "[4] . ويقول أيضا : " وباب يَفْعُل حقه أن يشترك فيه يَفْعِل ويَفْعَل ، بل كان يَفْعِل أحَقَّ به لأنَ يَفْعِل أختُ يَفْعُل ، ألا تراهما يجتمعان في مُضارع فَعَل ، ولكن جاء في الأكثر على يَفْعَل لِخفة الفتحة . وأهلُ الحجاز يفتحون مَطْلَع ، يريدون الطلوع ، وغيرهم يكسر "[5] . ولكن سيبويه يعزو الكسرَ في هذا إلى تميم[6] .

---

(١) معاني القرآن ، ٢/ ١٥٠ .
(٢) أدب الكاتب : ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .
(٣) السابق ، ص ١٣٩ .
(٤) السابق والصفحة .
(٥) الموجز في النحو : ص ١٣٨ .
(٦) انظر الكتاب ، ٢/ ٢٤٨ .

٤- من الصيغ (فَعْلَى فى الجَمْع)

قرأ الكسائى : " وتَرى النَّاسَ سَكْرَى وماهُمْ بِسَكْرَى " (الحج ٢) .

حدث الفراء : قال حدثنى هُشيم عن مغيرة عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ : " وتَرى الناسَ سَكْرَى وماهُمْ بِسُكْرَى " [1] وهو وجه جيد فى العربية ، لأنه بمنزلة الهَلْكَى والجَرْحَى ، وليس بمذهب النَّشْوان والنَّشَاوَى . والعرب تذهب بفاعل وفعيل وفَعِل . اذا كان صاحبه كالمريض أو الصريع أو الجريح فيجمعونه على الفَعْلَى فجعلوا الفَعْلَى علامةً لجمع كُلِّ ذِى زَمانَةٍ وضَرَرٍ وهَلاكٍ ولا يبالون أكانَ واحده فاعلًا أم فَعِيلًا أم فَعْلان . فأختير سَكْرَى بطرح الألف من هَوْل ذلك اليوم وفزعه . ولو قيل سَكْرَى على أنَّ الجمع يقع عليه التأنيث فيكون كالواحدة كان وجهًا ، كما قال الله : " ولله الاسماء الحُسْنَى " (الاعراف ١٨٠) ، " والقُرون الأُولى " (القصص ٤٣) والناس جماعة فجائز أن يقع ذلك عليهم . وقد قالت العرب : قد جاءتك الناسُ : وأنشدنى بعضهم :

أَضَحَتْ بنُو عامرٍ غَضْبَى أُنُوفُهم انِّى عفوت فلا عارٌ ولا بَأْسُ

فقال : غَضْبَى للأنوف على مافسرتُ لك [2] .

المعروف أنَّ الصفة كالفِعْل ، تُجمع فى حالة المذكر ومايعقل منه بالواو والنون وفى حالة المؤنث بالألف والتاء ، على ألَّا يُحرك الوسط بأستثناء ماحكاه سيبويه فى بعض الحالات مثل أَجْبَات للشياة قليلات اللبن ، وزَيْعات للنسوة [3] . ونحن نعرف أن التكسير إنما يكون للأسماء ، بَيْد أنَّ ماكُسِّر من الصفات فانما لمشاركته الأسماء [4] .

وأَبْنِيَةُ الصفة فى التكسير تكون من الفعل الثلاثى ، وتكون على سَبْعة أَبْنِية كما ذَكَر ابن السَّرَّاج [5] ، وتأتى أيضا على أَرْبَعةِ أَحْرُف بالزيادة ، وتكون تسعةَ أَبْنِية ، وتأتى على أكثرَ من أَرْبَعة ، وتكون عشرةَ أبْنِية [6] . وذكر ابن السراج من أَبْنِية الثلاثى " فَعِل " فقال : نَكِدٌ وأَنْكاد [7] ، ومن أَبنية الرُّباعى " فَعِيل " وقال : وفَعِيل إذا كان بمعنى مَفْعُول فهو فى المؤنث والمذكر سواءٌ ، لايُجمع بالواو والنون ويُكسَّر على فَعْلى نحو قتيل وقَتْلى [8] . وقول فى حديثه عمَّا زادَ على أربعةٍ : وليس شىء من الصفاتِ ، آخره علامةُ التأنيث ، يمتنع من الجمع بالتاء غير : فَعْلاء أَفْعَلَ وفَعْلَى فَعْلان [9] .

---

(١) هذه قراءة الكسائى وحمزه .
(٢) معانى القرآن : ٢/٢١٥ .
(٣) أنظر الكتاب ، ٢/٢٠٤ .
(٤) ذكر ابن جنى مشابهة الاسم للصفة فى الخصائص ١/١٣٤ ، ومما مثل به تكسير حَسَن على حِسَان " .
(٥) انظر الموجز ، ص ١١٣ .
(٦) السابق ، ص ١١٤ ، ١١٦ .
(٧) السابق ، ص ١١٣ .
(٨) السابق ، ص ١١٥ .
(٩) السابق ، ص ١١٨ .

ويذكر ابن سيده [1] أنّ ماكان على فَعْلَى وصفا فيكون على ضربين :

الأول : أن يكون مفردا ، وهو ماكان مؤنث فَعْلان ، نحو سَكْران وسَكْرَى ، وَرْيان ورَيّا وما هو مثل ذلك .

الثاني : أن يكون جمعًا ، وهو أن يكون جمعًا لما كان ضَرًّا من آفة وداء ، نحو جَرِيح وجَرْحى وكَلِيم وكَلْمى .

ويقول أبو حيان : في معرض حديثه عن الآية الكريمة " وترى النّاسَ سُكارى " : وقرأ الجمهور سُكارى على وزن فُعالى بضم الفاء ... وقرأ أبو هريرة وأبو نهيك وعيسى بفتح السين ، وهو جمع تكسير واحده سَكْران . وقال أبو حاتم : هي لغة تميم . وقرأ الأخوان وابن سعدان ومسعود بن صالح سَكْرى ، ورُوِيت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، رواها عُمران بن حُصَين وأبو سعيد الخُدْري ، وهي قراءة عبد الله وأصحابه وحُذيفه [2] . وينقل أبو حيان رأي سيبويه فيقول : وقال سيبويه : وقوم يقولون سَكْرى ، جعلوه مثل مَرْضَى ، لأنهما شَيْئان يدخلان على الإنسان ، ثم جعلوا رَمْسَى مثل سَكْرى ، وهم المُسْتَثْقلون نومًا من شُرب الرائب [3] . وينقل أيضا قول أبي عليّ الفارسي : ويصلح أن يكون جَمْع سَكِر ، كزَمْنَى وزَمِن [4] . ثم يقول : وقد حكى سيبويه رجلٌ سَكِرٌ بمعنى سَكْران ، فيجيء سَكْرى حينئذ لِتأنيث الجَمْع [5] .

نعم ، لقد أوردنا من النصوص مايخيل إلينا أنّه كثير ، وربّما كان ذلك راجعًا إلى أننا نُريد أنْ نصل إلى جوهر المادة التي ندرسها . ومن ثمّ فعلّنا ندرك تأصيلها . وبعد ذلك نقول - بناءً على ماأوردنا من نصوص - :

١- إنّ قراءة الكسائي " سَكْرَى " ربما كانت متأصله في الكوفه ، نَقْلاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- إنّ صيغة " فَعْلَى " إنّما تَصْلُح للدلالة على الزّمان والضرر .

٣- إنّ صيغة " فعلى " إنّما يُكسّر عليها " فَعِيل " بمَعْنى مَفْعُول .

٤- إنّ قراءة الكسائي " سَكْرى " ربّما تستطيع أنْ ننسبها إلى تميم بناءً على ماأوْرَدَه أبو حيان عن أبي حاتم عندما نَسَب " سَكارى " بفتح السين إلى تميم ، فلعلّها كانت تفتح السين في " سَكْرى " أيضا .

٥- وتكون " فَعْلَى " صيغة جمع من قِبَل أنّ الجمع يقع عليه التأنيث فيكون كالواحدة .

---

(١) المخصص ، ١٦/٨٩ .
(٢) البحر المحيط ، ٦/٣٥٠ .
(٣) السابق والصفحة .
(٤) السابق والصفحة .
(٥) السابق والصفحة .

٥ - القَلْبُ :

قال ابن جنى : قولهم : " أُوَار النَّار " وهو وهجُها ولفْحها ، ذهب فيه الكسائىُّ مذهبًا حسنا - وكان هذا الرجلُ كثيرًا فى السَّداد والثِّقة عند أَصْحابنا - قال : هو " فُعَال " من وَأَرْتُ لإِارَة أى احتفرتُها لإضرام النار فيها . وأَصلها " وُآر " ثم خُففت الهمزةُ فأُبدلت فى اللفظ واوًا فصارت " وُوَار " فلما التقت فى أَوَّل الكلمة الواوان وأُجْرِىَ غيرُ اللازم مَجْرى اللازم أُبدلت الأُولى همزةً فصارت " أُوَار " (١) .

ويقولُ ابن منظور : وأرض أَوِرَةٌ وَوَبِرَة ، مقلوب : شديدة الأُوار (٢) .

وبعد ماموقف النحويين من هـــذا ؟

ويقول سيبويه : فالهمزة تُبدل من الياء والواو إذا كانتا لَامَيْن فى قَضاء وشَقاء ونحوهما . واذا كانت الواو عَيْنًا فى " أُدْؤُر " و " أَنْؤُر " و " النُّؤُور " ونحو ذلك . واذا كانت فاءً نحو أُجُوه ، وإِسَادَة ، وأُعُد (٣) . ويقول الفراء : فى حديثه عن آية المُرْسلات " إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتت " : إِنَّمَا هُمزت لأَنَّ الواوَ إذا كانت أَولَ حرف وضُمت هُمزت ، من ذلك قولك : صَلَّى القومُ أُحَدانا . وأنشدنى بعضهم :

يَحِل أُحيده ، ويُقال : بَعْلٌ ومِثْلُ تَمَوُّلٍ منه افتِقَار

ويقولون : هذه أُجُوهٍ حِسَان بالهمز ، وذلك لأَنَّ ضَمَّة الواو ثقيلةٌ ، كما كان كَسْر الياء ثقيلاً (٤) . ويقول المُبرد : وأَمَّا الهمزة فإنها تُبدل مكان كلِّ ياءٍ ، أَوْ واوٍ تقع طرفًا بعد ألف زائدة . وذلك قولك : سِقَاء وغِزاء . وتُبدل مكان إحدى الواوين إذا التقيا فى أول الكلمة . وذلك قولك فى تصغير وَاصِل : " أُوَيْصِل " وكذلك تصغير واعِـــد : أُوَيْعِـد . فاذا انضمّت الواو كنت فى بَدلِها وَتْرُكه مُخيَّرًا . وذلك قولك فى وُجوه . وإِنْ شئت أُجوه . ومن ذلك قول الله عز وجل : " وإِذَا الرُّسلُ أُقِّتت " (المُرسلات ١١) (٥) .

ويرى ابن جنى بعد ذلك أن القلبَ فى مثل قولهم : ماأَطْيَبَه وأَيْطَبه ، وأَشْياء ، وفَعِلَى موقوفٌ على السماع ، " وليس لنا الإقدامُ عليه من طَريق القياس " (٦) .

ثم يقول : فأما مايُتأتَّى له يُتطرَّق إليه بالمُلاينة والإكْثاب ، من غير كدٍّ ولا اغْتصاب فهو ماعليه عَقْدُ هذا الباب . وذلك كأن يقول لك قائلٌ : كيف تُحيل لَفْظَ وَأَيْتُ إلى لفـــظ

---

(١) الخصائص ، ٢/٨٩ ولسان العرب مادة " أ و ر "
(٢) لسان العرب مادة " أ و ر " (٣) الكتاب : ٢/٣١٣ .
(٤) معانى القـرآن ، ٣/٢٢٢-٢٢٣ .
(٥) المبرد : المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الاعلى للفنون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٦ هـ ، ١/٦٣ .
(٦) الخصائص : ٢/٨٨ .

أَوَيْتُ ؟ فطريقه أن تبنى من " وَأَيْتُ " فَوْعلا ، فيصير بذلك التقدير فيه إلى " وْوأى " فتقلب اللام ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ، فيصير " وْوأى " ثم تقلب الواو الأولى همزةً ، لاجتماع الواوين فى أول الكلمة فيصير " أوْأى " ثم تخفف الهمزة فتحذفها ، وتلقى حركتها على الواو قبلها ، فيصير " أوَأَ " اسما كان أو فعلا . نقد رأيت كيف استحال لفظ " وَأى " إلى لفظ " أوَأَ " من غير تمجرُفٍ ولاتهكُّم على الحرف . وكذلك لو بنيت مثل فَوْعال لصِرْتَ إلى " وْوأى " ثم إلى " أوْأى " ثم " أوَأَ " ثم تخفف فيصير الى (أوَاءٍ) فيشبه حينئذ لفظ " أَءَة " أوْ أَيْت ، أو لفظ قوله :

* فَأَوِّ لِذِكْراهـا إذَا مَاذَكَرْتُهـا[1] *

ولابن جنى — من خلال هذا النص — يبين لنا كيف نُحيل لفظة إلى أُخْرى بعد أن يتضح لنا دليلُ إلى هذا ، وليس عن طريق التمجرف كما يقول هو . ثم ينقل لنا بعد ذلك بعض الألفاظ شاهدًا على هذا ، فيذكر مثلا " تَسَرَّيت " من لفظ " سَرَرَ " ، وقد أحالته الصنعة الى لفظ (سَرَى) . وكذلك " قَصَّيت أظْفارى " فهو من " قَصَصَ " احالته الصنعة أيضا إلى " قَصَى " . ثم يذكر قول العجاج :

* تَقَضِّى البازِى إذَا البازِى كَسَرْ *

فأصله " ق ض ض " ، ثم أحاله ماعرض من استثقال تكريره إلى لفظ " ق ض ى " . وكذلك قولهم : " تَلَمَّيْتُ " — من اللَّعاعَةِ — أصْلُها " لَعَعَ " ثم صارت بالصنعة " ل ع ى "[2] .

ويذهب الأشمونى مذهب النحويين فى قلْبِ الواو الأُولى من الواوين المجتمعتين فى أول الكلمة همزةً ، إلا أنهَ يشترط أن لاتكون الثانية منهما مَدّة غير أصلية[3] .

من كل هذه النصوص نرى مايأتى :

١ — أن الواو — على حالتها هذه — واجبةُ الهمز ، لنُدرة التضعيف فى أول الكلمة بالحروف الصحيحة ، فكيف اذا كانت غير صحيحه ؟

٢ — وأنّ إجازة الهمز فى نحو " وُجوه " يعنى أنّ الهمزةَ الزم فى نحو " وُوار " مثلا لتكرر الواو ، وهى ثقيلة .

والآن علينا أن نعرض لهذه الظاهرة على هدى القراءات القرآنية .

قوله تعالى : " واذا الرُّسل أُقتت " (المرسلات ١١)

---

(١) الخصائص ، ص ٨٨ — ٨٩ .
(٢) السابق ، ص ٩٠ — ٩١ .
(٣) حاشية الصبان على شرح الاشمونى ، ٤/ ٢٢٠ — ٢٢١ " هامش "

يذكر صاحبُ الكَشْفِ (١) : قوله : " أُقِّتَتْ " قَرَأَه أبو عمرو بالواو ، لأنه من الوقت وقرأ الباقون بهمزةٍ مضمومةٍ بدل الواو لانضمامها ، وهى لُغةٌ فاشية .

ويقول ابن جنى : وقراءةُ الحَسَنِ ، " وُقِّتَتْ " ، بواوين : الأُولى مضمومةٌ ، والثانيةُ ساكنة ... أمَّا " وُقِتت " خفيفة ، نَفُعِلَتْ ، من الوَقْتِ كقوله تعالى : " كِتَابًا مَوْقُوتًا " (النساء ١٠٣) ، فهذا من الوَقْتِ . وأمَّا " وُوقِتَت " فَكقولك : عُوهِدَتْ عليه ، ووُوفِقَت عليه ، وكلاهما من الوَقْتِ . ويجوزُ أنْ تَهْمِزَها تان الواوان ، فيُقال : أُقِتَتْ ، كما قَرَءُوا : " أُقِّتَت " ، بالتشديد ، وأُوقِتَتْ ، فتكون بلفظ أُفْعِلَتْ ، ومَعْنى فُوعِلت (٢)

ويقول أبو حيان : وقرأ الجمهور : " أُقِّتَت " بالهَمْزِ ، وشدِّ القاف ، وتخفيف القاف والهمز النَّخعى والحسنُ وعيسى وخالدٌ . وقرأ أبو الأشهب وعمرو بن عُبَيد وعيسى أيضًا وأبو عمرو بالواو وشدِّ القاف ، قال عيسى وهى لُغةُ سُفْلى مُضَر .... والواو فى هذا كله أَصْلٌ ، والهمزةُ بدل (٣)

ومن هذا يتبين لنا أنَّ قراءة الكسائى كانت بالهمز ، وقد مرَّ بنا أنَّ تميم من القبائل التى تهمز ، والحجازُ لا يَهْمزون .

إذَنْ فالكسائى كان يذهبُ مَذْهَبَ التَّميميِّين فى الهمز ، يدلك على ذلك ما ذَكَرَهُ الفرَّاء فى قوله تعالى : " وأنَّى لهم التَّنَاوُشُ " (سبأ ٥٢) ، يقول : قَرأ الأعمش وحمزة والكسائىُّ بالهمز يجعلونه من الشىء البَطِئِ من نَأَشْتُ من النَّئِيشِ ، قال الشاعر :

وجِئْتَ نَئِيشًا بَعْدَ مَا فَاتَكَ الخَيْرُ

وقد ترك هَمْزَها أَهْلُ الحجاز وغيرهم ، جعلوها من نُشْتُه نَوْشًا وهو التَّناول : وهما مُتقاربان ، بمنزلة ذِمْتُ الشىءَ وذَأَمْتُه أىْ عِبْتُه (٤)

٦ - الميزانُ الصرفىُّ فى الأسماء

أ - الاسم - ذهب الكوفيون إلى أنَّ كلَّ اسم زادتْ حروفُه على ثلاثةٍ ففيه زيادةٌ فان كان على أربعةٍ مثلاً ففيه زيادةٌ واحدةٌ ، وهذه الزيادة هى المُختلف فيها على النَّحْو التالى :

---

(١) مكى أبو طالب : الكشف ٢/٣٥٧
(٢) المحتسب : ٢/٣٤٥
(٣) البحر المحيط : ٨/٤٠٥
(٤) معانى القرآن : ٢/٣٦٥

١ - ذَهَبَ الكسائيُّ إلى أَنَّ الزيادة هى الحرفُ الأخير
٢ - ذهب الفرّاءُ إلى أنّها فيما قَبْل الأخير
٣ - ذهب البصريون إلى أَصَالَةِ جَميع حُروف الرُّباعيّ والخماسى (١)

فالنسبة للثُّلاثى ، فلا خلافَ على وَزْنه بين البَصْريين والكُوفيين . أَمّا إذا زاد الاسم على ثلاثةِ حروفٍ ، فكيف يكون الوزن إذنْ ؟ اختلف الكوفيون بناءً على أَنَّ الأصلَ عندهم ثلاثةٌ فهناك ثلاثة آراءٍ فى هذا :

الأولُ : لا يُوزن ، لأنّه لا يُدْرى كيف يُوزن
الثانى : يُوزن ويُقابل آخره بلفْظه
الثالثُ : يُوزن ويُقابل الذى قَبْل آخره بلَفْظه (٢)

وهنا يقابلنا الخلافُ بين الكسائيّ والفرّاءِ . ما الحرْف الزائد ؟
عند الكسائيّ هو الأخيرُ " فَجَمْفَر " عنده - بناءً على رأيه - على وَزْن " فَمْلَرٌ "
وعند الفرّاءِ هو ما قَبْل الأخير ، فيكونُ " جَمْفَر " عنده على وزن " فَمْفَلٌ "
وبطبيعة الحال ، فان وَزْنَ " جَمْفر " عند البصريين يكون " فَمْلَلٌ " (٣) . وذلك بناءً على مذهبهم ومعنى ذلك أنّه يجب معرفة حدِّ الزائدِ ، لكى يتأصلَّ هذا الخلافُ ، وعليه يتميّزَ معرفةُ حدِّ الحرفِ الأصْلى فى الكلمة أيضًا .
فقالوا إنَّ الحرف الأصْليَّ ، هو الذى يَلْزم فى جميع التَّصاريفِ ، والحرفُ الزائد ، هو الذى لا يَلْزمُ فى جميع التَّصاريف (٤)

وفضلاً عما وُجِّهَ لهذا التَّعريفِ مِنْ اعْتراضٍ (٥) ، إذْ ليس جامعًا مانعًا ، فاننا نجد حُروف " جَمْفَر " مثلًا أَصْلية ، يدلُّنا على ذلك قولُ ابن السرّاج فإنْ صَغَّرْتَ رُباعيًّا نحو " جَمْفر " و " سَهْلَب " قُلت جُمَيْفِرٌ وسُلَيْهِب ، مثل جمع التكسير (٦) فحروفه إذنْ - أَصلية . أمّا ذهب اليه الكسائيّ فى وَزنه " جَمْفَر " ، فإنّه بذلك قد جعل " جَ عَ فَ " هى المادةُ الأصْليةُ . وقد وُجد أنَّ هذه المادةَ " جَمَفَ " بمعنى " صَرَعَ " يقول ابن منظور : جَمَفه جَمْفًا : سَرَعه وضَرَبَ به الأرْضَ فانْصَرَعَ ، ومنه الحديث : أنّه مرَّ بمُصْعب بن عُمير وهو مُنْجمِف ، أى مَصْروع .... وفى الحديث : مَثَلُ الكافر كمَثَل الأُرْزَةِ المُجْذِبة على الارْض حتى يكونَ انجِمافُها مَرَّةً واحِدةً أىْ انقلاعُها ، وسَيْلٌ جُمَافٌ يَجْمَف كُلَّ شىء أىْ تَقْلِبُه (٧)

---

(١) الانصاف : ٢/٤٢١ ، وشرح التصريح ٢/٣٦٠ حاشية
(٢) أنظر شرح التصريح ٢/٣٦١
(٣) السابق والصفحة بتصرف
(٤) انظر شرح التصريح : ٢/٣٦٢
(٥) انظر السابق : ٢/٣٦٣
(٦) الموجز ، ص : ١٢٠
(٧) لسان العرب مادة " جمف "

ويذكر ابن منظور أيضًا : الجَمْفَرُ : النَّهْرُ عامةً ، حكاهُ ابنُ جنّى ، وأنشد :

إلى بلدٍ لا يعرفُ فيه ولا أذىً ولا نَبطيًّا يُفَجِّرُ جَمْفرا

وقيل : الجَمْفَر النَّهر المُلآنُ ، وبه شُبِّهت الناقةُ الغزيرة ، قال الأزهرى : أنشدنى المُفضّل :

مَنْ لِلْجَمافِرِ يا قَوْمِى ؟ فَقَدْ ضُرِبَتْ وَقَدْ يُساقُ لِذاتِ الضَّيْعَةِ الحَلَبُ

وقيل : الجَمْفر النَّهرُ الكبير الواسعُ ... وبه سُمِّى الرَّجل . وجَمْفر أبُو قبيلة من عامر ، وهُم الجَمافِرة (١) . وبعد ذلك فان رأىَ الكسائىّ فى وزن " جَمْفَر " هو راجع الى شيئين ، وذلك على سبيل الاحتمال :

الأول : أنّه لاحظ أنّ أُصُولَ الميزانِ ثلاثةُ أحْرُفٍ ، وما زادَ عليها فهو ليس بأصْل ، وأنّ هذه الأُصولَ الثلاثةَ إنّما ينبغى أنْ تكونَ أوائلَ الكلمةِ ، وهو من قبيل الوَصْف - فيما أرَى

الثانى : أنّه ربما جَعَلَ المادّة الأصْلية فى " جَمْفَر " متمثّلةً فى " ج ع ف " فجعلها الأصْلَ الذى يُقابل حروفَ الميزان

أمّا ما ذهب اليه الفراءُ ، فإنّه يَعْنِى أنّ المادةَ الأصْلية فى " جَمْفَر " " جَعَرَ " وهذا بعيدٌ ، لأنّ هذه المادةَ لا تتّفقُ معنًى مع مادّة " جَعَفَ " التى تتّفق مع " جَمْفر " فى بعضِ معانيها . وأمّا ما ذهب اليه البصريون فلعلّه أقربُ الى القياس

---

(١) لسان العرب مادة " جعف "

٧ - الضَّمير : أولاً : ضميرُ المُفْرَدِ المُتَكَلِّم :

نَحْن لا نعرفُ للكسائى رأيا مُنفرِدًا مُباشِرًا يُبيِّن لنا الشكلَ الذى يَنْبنى عليه الضميرُ ، ولكن المصادرَ تَرْوى لنا عن شكْل هذا الضَّمير عند الكُوفيين عامةً ، مَمّا دفعنى إلى مُحاولةِ استخلاصِ رأْيٍ للكسائىّ عن بِنْيَةِ الضَّمير .

وقد رأيت أن تكون هذه المحاولةُ من داخل القراءاتِ القرآنية المُتَّصلةِ بالضَّمير ، وكيف قرأ الكسائىّ فيها ، لعلّ ذلك يُوقِفُنا على ما نُريد .

وقبل ذلك نَعْرِضُ للخلافِ فى وجهاتِ النَّظر فى بِنْيةِ الضَّمير .

يُقال مثلا : " المُخْتَارُ فى " أنا " أنَّ الضَّمير هُو الهَمْزةُ والنونُ فقط والألفُ زائدةٌ لبيان الحَرَكة . ومَذْهب الكُوفيين أنَّه الأحرفُ الثَّلاثةُ ... وفى " أنْتَ " وفُروعه أنَّ الضميرَ نفسُ " أنْ " عند البَصْريين واللواحقُ لها حُروفُ خطابٍ ، وذهبَ الفراءُ إلى أنَّ " أنْتَ " بكمالِه هو الضَّميرُ ، وذهب ابنُ كَيْسانَ إلى أنَّ التاءَ هى الضميرُ وهى التى فى فَعَلْت ... وفى " هُو وهى " الجَميعُ ضَميرٌ وهو مَذْهبُ البَصْريين ، وذهبَ الكوفيون إلى أنَّ الضميرَ هو الهاءُ فقط والواوُ والياءُ إشْباع وفى " هُم وهُما " الضَّميرُ الهاءُ وحدها وحُكِى عن الفارسىِّ أنَّه المَجْموع وفى " هُنَّ " الهاءُ وحدها والنونُ الأُولى كالميمِ فى " هُمْ " والثانية كالواو فى " هو " (١)

والآن علينا أنْ نَعْرِضَ لبعضِ القراءاتِ فى هذا الصدد

قوله تعالى : " أنَا أُحْيِى " (البقرة ٢٥٨)

يقولُ ابنُ مُجاهد : " كُلهم قَرأَ : " أنَا أُحْيِى " يطرحون الألفَ التى بعد النُّونِ مِنْ " أنَا " إذا وَصَلُوا فى كل القرآن ، غيرَ نافعٍ ، فإنَّ أبَا بكرِ بن أبى أُوَيْسٍ ، وقالونَ وورْشًا رَوَوْا عنه : " أنَا أُحْيِى " بإثْبات الألف بعد النون فى الوَصْلِ إذا لَقِيتْها همزةٌ فى كُل القرآن من قوله : " وأنَا أُحْيِى " إلا فى قَوْلِه : " إنْ أنَا إلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ " (الشعراء ١١٥) فإنَّه يَحْذفها فى هذا المَوْضع مِثْل سَائِر القُرآن . وتابع أصْحابة فى حذفها عند غير همزة . ولم يَخْتلفوا فى حَذْفها إذا لم يَلْقَها همزةٌ إلَّا فى قولِه : " لَكِنَّا هُو اللَّهُ رَبِّى " (الكهف ٣٨) (٢)

إذن فالكسائىُّ يطرحُ الألفَ التى بعد النُّونِ فى الوَصْل فقط . هذه واحدة

---

(١) شرح التصريح ، ١/١٠٣

(٢) السبعة ، ص : ١٨٨

قولُه تعالى : " لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي " (الكهف ٣٨)
يقول ابن مجاهد : اختلفوا فى إثباتِ الألفِ واسقاطِها . فقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزةُ والكسائىُّ : " لكنَّا " باسقاطِ الألفِ فى الوَصْلِ وإثباتِها فى الوَقْفِ . وقرأ نافعٌ فى رواية المسيبى ... يُثبتُ الألفَ فى الوصْلِ والوقْفِ ، وقرأ ابنُ جمّاز وإسماعيلُ بنُ جعْفر وورشٌ وقالون ، عنْ نافع : بغير ألفٍ فى الوَصْلِ ويقفُ بالألفِ . وقرأ ابنُ عامر .. يُثْبت الألفَ فى الوصْلِ والوقفِ . لم يَخْتَلف فى الوقف أنه بالألفِ ، وانَّما اختُلِفَ فى الوَصْل (١) اذن فالكسائى يسقط الالف فى الوصل ويثبتها فى الوقف . وهذه أخرى
قوله تعالى : " إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ " (الأعراف ١٩٦)

يقولُ ابنُ مُجاهد : فقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر ونافع وحمزة والكسائى .. بثلاثِ ياءاتٍ : الأُولى ساكنةٌ ، والثانيةُ مكسورةٌ ، والثالثةُ وهى ياءُ الإضافةِ مفْتوحةٌ (٢) . ويعنى ذلك أنَّ الكسائىَّ يُثْبتُ ياءَ المُتكلم . وهذه ثالثة
قوله تعالى : " بِمُصْرِخِيَّ " (إبراهيم ٢٢)
يقول ابن مجاهد : فحرَّك حمزةُ ياءَ " بمُصْرخى " الثانيةُ إلى الكَسْر وحرَّكها الباقون إلى الفتح (٣) ويعنى ذلك أنَّ الكسائى كان يُثْبت ياءَ المُتكلم أيضًا وتلك الرابعة .

ومن القراءات السابقة نستخلص ما يلى :
١ ـ أنَّ ضمير المُتكلم " أنَا " قد ثبتت ألِفُه فى قراءاتِ الكسائى فى حالةِ الوقفِ . مما يؤيد مذهبَ الكُوفيين فى اعتبارِ الحروفِ الثلاثةِ منه بِنْية الضمير .

ويذكر الأشْمونى أنَّ هذا الضمير فيه خَمْس لَهْجات دون ما تحديد لَها على إطْلاقها فصُحاهُنَّ إثباتُ ألفه وقْفاً وحذفها وَصْلا ، والثانية إثباتُها وصْلاً ووقْفاً وهى لَهْجة تميم والثالثة " هنا " بابدال همزتِه هاءً ، والرابعة " أنْ " بمدة بعد الهمزة ، والخامسة " أنْ " كعَنْ (٤) . ويذكر الدكتور عبده الراجحى أنَّهم " ينْسِبون اثباتَ الألفِ فى الوقف والوصلِ إلى بنى تميم ، وحذْفَها إلى الحجاز (٥)
٢ ـ أن القراءاتِ التى قدَّمْناها بضمير المُتكلم مضافاً اليه تبين بنْيته فى حالة واحدة فقط ، وهى أنْ يسبِقه صائتٌ طويل " بِمُصْرخى " (٦) . ويضيف الدكتور عبده الراجحى : " أنَّ هذه اللهجة كانت تُحرك ياءَ المُتكلم فى حالة الإضافةِ بالكسْر ، وهم يتفقون على نسبةِ هذه اللهجة إلى بنى يَرْبُوع وهم ينْتسِبُون إلى بنى تميم " (٧)

(١) السبعة ، ص : ٣٩١
(٢) السابق ، ص : ٣٠٠
(٣) السابق ، ص : ٣٦٢
(٤) حاشية الصبان ١/ ١٠٠ هامش
(٥) اللهجات العربية ، ص : ١٦١
(٦) السابق والصفحة
(٧) السابق ، ص : ١٦٢

ثانيا : ضَمِيرُ الغَيْبَةِ

قوله تعالى : " فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ " النمل ٢٨)

يقول ابن مجاهد : قرأ الكسائيُّ وابنُ كثير : فألقيه إليهم " الهاء موصولةٌ بياء (١)

وقوله تعالى : " وإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ " (الزمر ٧)

يقول ابن مجاهد : قرأ ابن كثير وأبو عمرو فى رواية اليزيدى عن أَبِيهِ والكسائىّ : "يَرْضَه " موصولةً بواو (٢)

وقوله تعالى : " يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ "

فقرأ أبو عمرو وحمزةُ باسكانِ الهاءِ ، وقرأ الباقونَ بكسرِها ووصلِها بِيَاءٍ (٣)

واختلف القراء فى الهاء من قوله تعالى : " فَهُو — وَهِى " اذا وقعت قبلها لَامٌ أَوْ وَاوٌ أَوْ ثُمَّ أَوْ فَاءٌ ، فقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة " وهُو — فَهُو — لَهُو ، وثم هُو — فَهِى — وَهِى " بتحريك الهاءِ فى ذلك كله وقرأ أبو عمرو والكسائىُّ باسْكانِ الهاء فى ذلك كله واختلف عن نافع (٤)

من القراءات السابقة نجد ما يأتى :

١ — ضميرُ الغائب المفرد اذا كان ما قبله مَفْتوحًا ، قرأ فيه الكسائىُّ على أنَّه يتكون من الهَاءِ مع وَصْلِها بواوٍ ، وهذه الواوُ هى التى قال عنها الكوفيون للإشْباع .

٢ — ضميرُ الغائبِ المفرد اذا كان ما قبله مكسورًا ، قرأ الكسائىُّ على أَنَّ الضمير هو الهاءُ موصولةً بياءٍ للإشْباع .

٣ — ضميرُ الغائب الذى يكون فى محل رفع — مسبوقًا بِصائت قصيرٍ — سَاكِنٌ فى قراءة الكسائى .

ويذكر الدكتور عبده الراجحى ، تعليقًا على ذلك : وعن اللَّهْجَات فى هذا الضمير يذكرُ أبو على أَنَّه يتكون من الهَاءِ والواو فى لَهْجة أَهْلِ الحِجاز سواءً كان ما قَبْلها مفتوحًا أَمْ مكسورا ، يقولون مَرَرْتُ بِهُو ، ولَدَيْهُو مالٌ ، ويقْرأون " فَخَسَفْنَا بِهُو وبِدارِهِ الأَرْضَ " (٥) على أَنَّ هناك لهجةً تجعل هذا الضمير هو الهاء الساكنة ، فقد نقل ابنُ جِنِّىّ بَيْتًا شاهدًا على ذلك ، كما يذكر الدكتور عبده الراجحى

فَظِلْتُ لَدَى البَيْتِ العَتِيقِ أُخَيِّلُهُو ... وَمَطْوَايَ مُشْتَاقَانِ لَه أَرِقَّانِ

(١) السبعة ، ص : ٤٨١
(٢) السابق ، ص : ٥٦٠
(٣) البحر المحيط ، ٢/٤١٩
(٤) الحجة لابى على ١/٣٠٨
(٥) اللهجات العربية ، ص : ١٦٣

وهذه اللهجة لأزد السراة (١) بيد أن أبا حيان ينقل عن الكسائي أنها لهجة لعُقيل وكلاب (٢) . ويقول الدكتور عبده الراجحي عن الضمير المرفوع الذي يسبقه صائت قصير : " فنستطيع أن ننسب تحريك هائه إلى البيئة المتحضرة من الحجاز ، وإسكان الهاء إلى تميم ومن يجاورهم في وسط شبه الجزيرة وشرقيها " (٣) . وهذه البيئات مما نقل عنها الكسائي كثيرا ، لأنه اخذ منهم في رحلاته البادية .

ثالثا : ضمير الغيبة في التثنية والجمع

١ - اختلف في ضم الهاء وكسرها من ضمير التثنية والجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو " عليهم وإليهم ولديهم ، وعليهما وإليهما وفيهما ، وعليهن وإليهن وفيهن وأبيهم ، وثمرتيهم وما نريهم " (٤)

ففي قوله تعالى : " غير المغضوب عليهم " (الفاتحة ٧)

يقول أبو علي الفارسي : كان الكسائي يكسر الهاء ويسكن الميم في " عليهم " (٥)

٢ - اختلف في صلة ميم الجمع بواو واسكانها اذا وقعت قبل محرك

قرأ الكسائي في الآية السابقة بإسكان الميم من " عليهم " " أمنا من اللبس ، لأن الألف في التثنية دلت على الاثنين ، والميم غير موجودة في الواحد ، فلما كانت الميم من لزوم الجمع حذفوا الواو ، وجعلوا الميم ساكنة للتخفيف " (٦)

٣ - اختلف في كسر ميم الجمع وضمها ، وضم ما قبلها وكسره ، إذا كان بعد الميم ساكن وكان قبله كسرة أو ياء ساكنة فقرأ الكسائي وحمزة : " عليهم الذلة " ، " ومن دونهم امرأتين بضم الهاء والميم معا إذا لقي الميم حرف ساكن (٧) وقد احتج أبو علي للكسائي بقوله : إذا أردت الميم إلى أصلها رد الهاء إلى أصلها ، وأتبع الضم الضم استثقالا للخروج من الكسر إلى الضم (٨)

من هذا يتبين أن الضمير هو الهاء ، وأن قراءة الكسائي فيه بالكسر ، وهي لهجة بكر بن وائل (٩) . ولعل هذا يبين اتفاق الكسائي وبقية الكوفيين في بنية الضمير .

---

(١) أنظر اللهجات العربية ، ص : ١٦٤
(٢) البحر ، ٢/٤٩٩
(٣) اللهجات العربية ، ص : ١٦٤
(٤) النشر ، ١/٢٧٢
(٥) الحجة : ١/٤٣
(٦) السابق ، ص : ٤٤
(٧) السابق ، ص : ٤٣
(٨) السابق ، ص : ٤٥
(٩) اللهجات العربية للدكتور عبده الراجحي ، ص : ١٦٦

ثانيا : في الأفعال

١ - باب نَصَرَ وضَرَبَ من الفِعْل الصحيح : فَعَلَ يَفْعَلُ ، فَعِلَ يَفْعَلُ

قال الكسائي : خَذَأْتُ له وخَذِئت له

وقال : يقال للرجل إذا شَمِط في مُقدم رأسه قد نَزَوِيَ شَعْرُه وذَرَأ

وذكر ابن الأعرابي نَحْوًا من هذا : يُقال جَزَأْتُ الإبل بالرَّطب عن الماء ، وجَزِئْتُ (١) .

ما جاء على أَفْعَل وفَعْلاء من غير ذوات التضعيف فإنَّ الكسائي قال : يُقال فيه فَعِل يَفْعَل ، إلا ستة أحْرف ، فإنَّها جاءت على فَعُل : الأسْمر ، والآدَم ، والأحْمق ، والأخْرَق ، والأرْعَن ، والأعْجف ، يُقال : قَدْ سَمُر ، وأَدُم ، وحَمُق ، وخَرُق ، ورَعُنَ ، وعجُف .

قال الأصمعي : والأعْجَم أيضًا ، يقال : عجُم . قال الفرَّاءُ : يُقال : عَجُفَ وعَجِفَ ، وحَمُق وحَمِق ، وسَمُر وسَمِر قال : وقالت قُرَيْبَةُ الأسديَّة : قد اسْمارَّ ، وقد خَرُق وخَرِق

قال أبو عمر : يقال : أَدِمَ وأَدُم ، وسَمِر وسَمُر (٢)

ولعلّنا بعد ذلك نستطيع تأْصيلَ هذه المادَّةِ على هَدْى من القراءات ، والكتب اللُّغوية

قال تعالى : " ودَمَّرْنَا ما كَانَ يَصْنَعُ فِرعَونُ وقَوْمُه ، وما كَانُوا يَعْرِشُون " (الأعراف ١٣٧)

يقول ابن مجاهد : واختلفُوا في ضَمِّ الراءِ وكسرها من قوله يَعْرِشُون " . فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ عن عاصم : " يَعْرِشُون " بكسر الراء ، وفي النحل ٦٨ مثله ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر : بضم الراء فيهما (٣)

ومن قوله تعالى : " يَعْكُفُون " (الأعراف ١٣٨)

فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو : " يَعْكُفُون " بضم الكاف . وروى عبد الوارث عن أبي عمرو : يَعْكِفُون بكسر الكاف . وقرأ حمزة والكسائي : " يَعْكِفُون " بالكسر (٤)

ويذكر أبو حيان (٥) : وقرأ ابنُ عامر وأبو بكر بضمِّ الراء ، وباقي السبعة والحسنُ ، ومجاهدُ وأبو رجاء بكسر الراء هُنا ، وفي النَّمل ، وهي لغةُ الحجاز ، قال اليزيدي : هي أفْصَحُ .

وعن قوله تعالى : " يَعْكُفُون " ، يذكرُ أبو حيان أيضا (٦) : قرأ الأخَوان وأبو عمرو في رواية عبد الوارث بكسْرِ الكاف ، وباقي السبعة لضمها ، وهما فصيحتان .

---

(١) اصلاح المنطق ، ص : ٢١٢
(٢) السابق ، ص : ٢١٦
(٣) السبعة ، ص : ٢٩٢
(٤) السابق والصفحة
(٥) البحر المحيط ٤/ ٣٧٧
(٦) السابق ، ص : ٣٧٧

وفى قوله تعالى : "إذا قومك منه يصدون" (الزخرف ٥٧)
فقرأ نافع وابن عامر والكسائى : "يصُدّون" بضم الصاد
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة : "يصِدّون" بكسر الصاد (١)
يقول أبو حيان : وقرأ أبو جعفر والأعرج والنخعى وأبو رجاء وابن وثاب وعامر ونافع والكسائى "يَصُدُّون" بضم الصاد ، أى يعرضون عن الحق . وقال الكسائى والفراء هما لغتان بمعنى مثل يَعْرِشُون ويَعْرُشون (٢) . ويقول أبو حيان أيضا فى معرض كلامه عن قوله تعالى : "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا" (هود ١١٣) : وقرأ الجمهور : "تَرْكَنوا" بفتح الكاف ، والماضى ركِن بكسرها ، وهى لغة قريش ، وقال الأزهرى هى اللغة الفصحى ، وعن أبى عمرو بكسر التاء على لغة تميم ، وقرأ قتادة وطلحة والأشهب ورُوِيت عن أبى عمرو : وتَرْكُنوا بضم الكاف ماضى ركَن بفتحها . وهى لغة قيس وتميم ، وقال الكسائى : وأهل نجد وشذ يركَن بفتح الكاف مضارع ركَن بفتحها (٣) .

وقد ذكر السيوطى : وفى نوادر أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى ، تقول العرب عامة : عَطَسَ يَعْطِس يكسرون الطاء من يَعْطِس " ، إلا قليلا منهم يقولون : يَعْطُس . ويقول أهل الحجاز : قَتَرَ يَقْتِر ، ولغة فيها يَقْتُر بضم التاء ، وهى أقل اللغات (٤)

ويذكر السيوطى أيضا : قال يونس فى نوادره : أهل الحجاز يَعْطُس ، وتميم يَعْطِس (٥) ، وإننا لنجد بعد ذلك فَعَل يَفْعُل بكسر العين وضمها فى لهجات العرب ، دون أن يكون نهج خاص فى هذا . ويذكر : قال ابن درستويه فى شرح الفصيح ، كل ما كان ماضيه على فَعَلْت بفتح العين ، ولم يكن ثانيه ، ولا ثالثه من حروف اللين ولا الحلق ، فانه يجوز فى مستقبله "يَفْعُل" بضم العين و "يَفْعِل" بكسرها ، كضَرَبَ يَضْرِب ، وشَكَرَ يَشْكُر ، وليس أحدهما أولى به من الآخر ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف (٦) . ويذكر : أما اختيار مؤلف كتاب الفصيح فى يَنْفِر ويَشْتِم ، فلا علة له ولا قياس ، بل هو نقض لمذهب العرب والنحويين فى هذا الباب ، فقد أخبرنا محمد ابن يزيد عن المازنى والزياشى عن أبى زيد الأنصارى ، وأخبرنا به أيضا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى عنهم وعن أبى حاتم ، وأخبرنا به الكسروى عن ابن مهدى

---

(١) السبعة ، ص : ٥٨٧
(٢) البحر المحيط ٨/٢٥
(٣) السابق ٥/٢٦٩
(٤) المزهر : ١/٢١٥
(٥) السابق ٢/٢٧٥
(٦) السابق ١/٢٠٧

عَنْ أبي حاتم ، عن أبي زيد ، أنه قال : طُفتُ في عُليا قَيْس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب صَغيرَهم وكبيرَهم ، لأعْرِفَ ما كان منه بالضَّم أوْلى ، وما كان منه بالكسْر أوْلى ، فلم أجد لذلك قياسًا ، وإنّما يتكلم به كلُّ امرئ منهم على ما يستحسنُ ويستخفّ لا على غير ذلك . ونظنُّ المختارَ للكَسْر هُنا وَجَدَ الكسر أكثرَ استعمالا عند بعضهم ، فجهله أفصح من الذي قَلّ استعماله عندهم ، وليست الفصاحةُ في كثرة الاستعمال ، ولا قلّته ، وإنّما هاتان لفتان مُستويتان في القياس والعِلّة ، وإن كان ما كثُر استعماله أعْرَفُ وأنَسُ لطول العادة له (١) . والحق بعد ذلك أنّ كلام السيوطي - فيما أرى - يميل إلى طبيعة النفس فيما تستخف وتَسْتثقل . ولذلك رأينا الكسائيّ يقرأ " يَعْرِشُون " ، و " يَعْكِفون " بالكسر ، ويقرأ " يصُدُّون " بالضم ، فهو يقرأ بين الضم والكسر لأنّها لهجات ، فلا فرقَ بين بَرَأْتُ وبَرِئْتُ مثلا ، لأنّ برأت لغةُ أهلِ الحجاز ، وبرِئْت لتميم (٢) . ومن هنا فاننا نجد الكسائي يقول : خَذَأْتُ وخَذِئْت ، وجَزَأْت وجزِئت ، على ما مرّ بنا وذلك على أن " فَعَل " للحجاز ، و " فَعِل " لتميم .

ب - ما جاء من لهجتين فأكثر من الصحيح ، ولكنه من غير باب نَصَرَ وضَرَبَ

من قوله تعالى : " يَحْسِبُهُمْ " (البقرة ٢٧٣)

يقول ابن مجاهد : اختلفوا في كَسْرِ السين وفتحها .. قرأ ابن كثير ونافعٌ وأبو عمرو والكسائيّ " يَحْسِبهم " و " يَحْسِبنّ " بكسر السين في كل القرآن (٣)

قال الكسائي : أخذُوا " يَحْسِب " بكسر السين في المُستقبل عن قومٍ من العرب يقولون : حَسَبَ يَحْسِب . فكان " حَسِب " من لُغتهم في أنفسهم ، و " يحسِب " لغة لغيرهم سمعوها منهم فتكلموا بها ولم يقع أصْل البناء على فَعِل يَفْعِل (٤)

ونحن بعد ذلك نريد تأصيل البناء في " حسب " ، ثم نبين لماذا كان اختيار الكسائي في " يحسِب " بكسر السين .

يقول ابن قتيبة في حديثه عن (فَعِل يفْعَل ويفْعِل) : مثل حَسِبَ يَحْسَب ويَحْسِب ، ويَئِسَ يَيْأَس ونَعِمَ يَنْعَمُ وينعِم ، وبَئِسَ يَبْأَسُ ويَبْئِس ، عُليا مُضر تكسر وسُفلاها تفتح وقراءةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يَحْسِب ويَحْسِبون بالكسر ، وهذه الحروفُ الاربعة في الافعال السالمة شواذ (٥)

---

(١) المزهر ١/٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) السابق ٢/٢٧٦

(٣) السبعة ، ص : ١٩١

(٤) ابن الانباري : الاضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة الكويت ١٩٦٠ ، ص : ١٢

(٥) أدب الكاتب ، ص : ٥١٤ - ٥١٥

وينص على هذا صاحب اللسان ، يقول : قال أبو زيد : عُلَيّاء مضر تقول : يَحْسِب وينعِم ، ويَيئِس ، وسُفلاها بالفتح ، قال سيبويه : وهذا عند أصحابنا إنّما يجيء على لغتين يعني يَئِس ييأس ويَأس يَيْئِس (١)

وعن فَعَلَ يَفْعَل ويَفْعِل يذكر ابن قتيبة (٢) : مَنَحَ يَمنَح ويَمْنِح ، ونَهَح الكلبُ يَنْهَح وينْهِح ، ونَطَح الثور ينطَح وينطِح ، ونَهق الحمارُ ينْهَق وينْهِق ، وشَحَمَ البَقْل يَشْحَم ويَشْحِمُ ، وقالوا : كلّ ما جاء على فَعَل مفتوح العين فإنّ مستقبله بالكسر والضمّ نحو ضَرَب يضْرِب ، وقَتَل يقْتُل ، إلّا أنْ تكون لامُ الفعل أوْ عَيْنُ الفعل أحَدَ حروف الحلق ... فإنّ الحرف اذا جاء كذلك ، فربّما جاء يَفْعَل منه مفتوحا نحو : قَرَأ يَقْرَأ ، ومَدَأ يمدَأ ... وربّما جاء يَفْعِل ويَفْعُل على الأصل : هَنَأ يَهْنِئ ، ونَزَع يَنْزِع ، ورَجَع يرْجِع ، ودَخَل يَدْخُل ، وصَلَح يَصْلُح . ويقول بعد ذلك : ولم يأتِ فَعَلَ يفعَلُ بالفتح في الماضي والمستقبل إذا لم يكن فيه أحدُ حُروف الحلْق لامًا ولا عَيْنًا إلا في حرف واحد جاء نادرًا وهو آبَى يَأبَى وزاد أبو عمرو : رَكَنَ يَركَنُ ، والنحويون من البصريين والبَغْداديين يَقولونَ رَكَنَ يَرْكَنُ ورَكَن يركِن (٣) . ونرى بعد ذلك ابْنَ سِيْده يوضح لنا سببَ فتْح المضارع إذا كان لامُ فَعَلَ أو عَيْنُه أحدَ حُروف الحلْق . وذلك بأنّ حرف الحلق ينفتحُ ما قبله ، أو ينفتح هو نفسه ، لثقلِه وذهابِ الفتحة إلى السهولة والخُفوف (٤) . ولعلنا بعد ذلك نستطيع أنْ نقول إن ذهاب الكسائي إلى الكسر في مُضارع " حَسِبَ " ، ربما يرجع إلى لهجة سمعها ، بل إنّه ذكر ذلك فِعْلاً ، وقد علِم الكسائي بعد ذلك أن الكسر قراءةُ الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك يُؤكّد لنا أمْرين :

أحدُهما : أنّ الشاذ - وقد ذكر ابن قتيبة أن " حَسِب " منه - راجعٌ في بعض الأحيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما ينهضُ حجةً للكسائي في بناء رأيه على بعض الشواذ ، ويقوم دليلاً لمَنْ يُعيبون عليه ذلك .

ثانيهما : أنّ " حَسِبَ يَحْسِب " عند الكسائي " فَعَلَ يَفْعِل " على السماع وليس على بناء الصيغة .

---

(١) لسان العرب " مادة نعم "
(٢) أدب الكاتب ، ص : ٥١٢ - ٥١٣
(٣) السابق ، ص : ٥١٤
(٤) أنظر المخصص ١٤/ ٢٠٥ - ٢٠٦

جـ - الفعل المضعف

ذكر ابن منظور : وقد شَفَّ عليه ثوبُه يَشِفُّ شُفوفًا وشُفيفًا أيضاً : عن الكسائيّ ، أى رَقَّ حتى يُرَى ما خَلْفَه (١) . ونحن نعرف أنَّ ما تماثلت عَيْنُه ولامُه يأتى على :

أ - باب نصر ينصر ب - باب ضرب يضرب جـ - باب علم يعلم

يقول ابن سيده : إنَّ الكلابيين يقولون : غَشَّقلبُه يَغِشُّ غِشَّاء وهو مثلُ الغِلّ - صاحب العين غَشَّه يَغُشُّه غَشًّا إذا لَمْ يُمْحِّض له النَّصيحة (٢) .

ويذكر ابن منظور : قد لَبِبْتُ أَلَبُّ ولَبِبْتُ تَلَبُّ بالكسر لُبًّا ولَبَابًا .. هذه لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون : لَبَّ يَلِبُّ بوزن فَرَّ يَفِرُّ (٣)

د - الفعلُ الاجوف

قال الفراء : يقال غَارَه يُغِيرُه . قال : وزعم الكسائيُّ أنَّه سمع بعض أهل المالية يقول : لا يَنفعُنى ذلك ولا يَغُورنى . ويقال إنَّ بينهما لَبَوْنًا فى الفَضْلِ بَيْنًا ، لغتان فأما فى البُعد فيُقال إنَّ بينهما لَبَيْنًا (٤) . وينقل ابن السكيت : الكسائيُّ : لَاطَ حُبُّه بقلبى يَلُوط ويَلِيط ، أى لَصَق . وإنى لأَجِدُ له لَوْطًا وليْطًا (٥) . وينقل ابن السكيت عن أبى عبيدة : قال أبو عبيدة : قوم يقولون : لَاتَه يَلِتُّه ، ولغة أخرى : يلُوتُه عن وجهه ومعناه حبَسه عن وجهه . قال رُؤْبة :

وَلَيْلةٍ ذَاتِ نَدًى سَرَيْتُ ولَمْ يَلِتْنِى عن سُراها لَيْتُ

تقديرها لَمْ يَعْنِنى بَيْتٌ . وفى القرآن : " لا يَلِتْكُم مِنْ أَعْمَالِكُم شَيْئًا " (الطور ٢١) أى لا يَنْقُصكم ، وقُرِئ : " يَأْلِتْكُم " من أَلَتَ يَأْلِت (٦)

ويذكر ابن الأنبارى (٧) : وقال الفراء : بنو سُليم يقولون : " فَصِرْهُن " ، وقال : أنشدنى الكسائى عن بعضهم سُليم :

وفَرْعٍ يَصِيرُ الجِيدَ وَحْفٍ كأنَّه على اللَّيْتِ قِنْوانُ الكُرُومِ الدَّوالِحِ

وأنشد أبو عبيدة للمُعَلَّى بن حَمَّال العَبْدى :

وجَاءَتْ خُلْعَةُ دُهْمٌ صَفَايَا يَصُورُ عُنُوقَها أَحْوَى زَنِيمُ

---

(١) لسان العرب : مادة " شَفَّ "
(٢) المخصص : ١٣/ ١٣٠
(٣) لسان العرب : مادة " لَبَبَ "
(٤) اصلاح المنطق لابن السكيت : ص : ١٣٦
(٥) السابق ، ص : ١٣٧
(٦) اصلاح المنطق ، ص : ١٣٦
(٧) الاضداد : ٣٦ - ٣٧

وقال الآخر :

فَمَا تُقْبِلُ الأَحْيَاءُ مِنْ حُبِّ خِنْدِفٍ ... ولكنَّ أَطْرَافَ المَوَالِي تَصُورُهَا

أى تجمعها

وقال الاخر وهو الطِّرِمَّاح :

عَفَائِفُ إِلَّا ذَاكَ أَوْ أَنْ يَصُورَهَا ... هوىً ، والهَوَى لِلْعَاشِقِينَ صَرُوعُ

وقال ذُو الرمة :

ظَلِلْنَا نَعُوجُ الخَمْسَ فِي عَرَصَاتِهَا ... وُقُوفًا ، وَتَسْتَحِي بِنَا فَتَصُورُهَا

وذكر ابن منظور : صَارَهُ يَصُورُه وَيَصِيرُه أَمَالَه (١)

ويذكر ابن منظور فى اللسان كذلك أنَّ الكسائى قد زَعَم أنَّه سمع بعض أهل المالية يقول : ما يَنْفَعُنِى ذلك ولا يَضُورُنِى ، والضَّيْرُ والضَّوْرُ واحدٌ ، ويروى بأنه يقال ضَارَنِى يَضِيرُنِى ويَضُورُنِى (٢) . ويروى فى اللسان أيضًا : وفى قراءة عبد الله بن مسعود ، وأَبِى جعفر المدنى " فَصِرْهُنَّ إِلَيك " (البقرة ٢٦٠) بالكسر وعن الفرّاء ضمّت العامّةُ الصادَ ، وكان أصحاب عبد الله يكسرونها وهما لغتان ، فأما الضمّ فكثير ، وأَمَّا الكَسْر ففى هُذَيْل ، وسُلَيم (٣)

وفى اللسان كذلك : بنو أسد يقولون قُول وقِيلَ بمعنىً واحدٍ ، وأَنْشَد :

وابْتَدَأَتْ غَضَبِى وأُمُّ الرِّجَالِ ... وَقُولَ لا أَهْلَ له ولا مَالِ

ونحن نعرف بعد ذلك - على ما مر بنا فى البحث - أنَّ الكسائى كان يضُمّ أول الفعل الأَجْوف المبنى للمَجْهول . وعن ذلك يذكر أبو حيان : الفعلُ الثُّلاثى إذا انقلبَ عَيْنُ فِعْله ألفا فى الماضِى ، اذا بنى للمفعول له أَخْلَص كسرُ أوله ، وسكنت عَيْنُه ياءً فى لُغة قُرَيش وجاورهم من بَنِى كِنَانة ، وضُم أولها عند كثير من قَيْس وعُقَيل وَمَنْ جاورهم ، وعامة بنى أَسَد ، وبهذه اللغة قرأ الكسائىُّ وهشامٌ فى قِيلَ وغِيضَ وحِيل وسِيءَ وسِيئَتْ وجِىءَ وسِيق ، وافقه نافع وابن ذكوان فى سِيءَ وسِيئت ، زاد ابن ذكوان حِيلَ وسَاق . وباللغة الأُولى قرأ باقى القُرَّاء ، وفى ذلك لغة ثالثة ، وهى إِخْلاصُ ضمّ فاء الكلمة وسكون عينه واوًا ، ولم يُقْرأ بها ، وهى لغة لهُزَيل وبنى دُبَيْر (٤)

---

(١) لسان العرب مادة " صَوَرَ "
(٢) لسان العرب مادة صَوَر وضَيَر
(٣) لسان العرب مادة " صَوَر "
(٤) البحر المحيط ١/ ٦٠ - ٦١

ويوضح الأزهرى فى شرح التصريح الأمر فيقول : اذا اعتلت عين الماضى الثلاثى كقام من الواوى ، وباع من اليائى ... فلك فى العين كسرها قبلها بإخلاص ، أو إشمام الضم فتقلب الألف ياء فيهما ، وإخلاص الكسر لغة قريش ومن جاورهم ، وإشمام الكسر الضمّ لغة كثير من قيس ، وأكثر بنى أسد ... ولك إخلاص الضمّ فتقلب الألف واوًا ، قال رؤبة فى الضمّ الخالص : " ليت وهل ينفع شيئا ليت .. ليتَ شَبابًا بُوعَ فاشتريت "

وقال آخر : حُوكَتْ على نِيرَيْن إذْ تحاك تختبط الشوكَ ولا تُشَاكْ

وهذه اللغة وهى الضم الخالص لغةٌ قليلة موجودةٌ فى كلام هُزيل وتُعزى لفَقْعَس وكَثِير، وهما من فُصحاء بَنى أسد قاله المُرادى فى شرح التسهيل ، وقال الشاطبىّ حُكيت عن بنى ضَبَّة ، وقال المُوضح حُكيت عن بَعْض تَميم (١)

ونحن بعد ذلك نستطيع أن نستخلص ما يلى :

١ ــ أنّ الفعلَ الأجوفَ إنما يكونُ أصلُ الألفِ فيه مردودًا إلى الياءِ أو الواو بحسب اللهجة كما رأينا الآن . والكسائى ــ كما مَرَّ بنا ــ ينسب قلبَ الألفِ عن الواو إلى أهلِ العالية ، حين سمع " يَضُورنى " ، ولعلّها لهجة الحجاز على الضم ، لأن ابن السكيت يقول : وأهلُ الحجاز يقولون الصَّواغ والصَّياغ (٢) . وأمّا الألفُ عن الياء فلعلها لهجةُ أهلِ نَجْدٍ ، يدلنا على ذلك كلامُ ابنِ السكيت : وأهلُ نجد يقولون : القُعْيا (٣) وإن كانت الألفُ هُنا فى الناقص ، لكن ذلك لا يَمْنع أنْ تكون كذلك هذه اللهجة فى الأجوف

٢ ــ كانت قراءة الكسائىّ فى الفعل الأجوف المبنى للمجهول إنّما كانت لهجةً ، رأينا أنّ نسبتها إلى عامة بنى أسد ، وكثيرٍ من قَيْس وعُقيل ومَنْ جاورهم

هـ ــ الفعلُ الناقص

قال الكسائى : رجل نَشْيان للخَبَر ، ونَشْوانٌ هو الكلامُ المُستعمل ، يقال من أيْنَ نَشَبْتَ هذا الخبر وهذا الكلامَ . قال : وأنشدنا عن أبى عُبيدة :

ونَشِيتُ ريحَ الموتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ وخَشِيتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَرْضَابِ (٤)

---

(١) شرح التصريح ، ١/٢٩٤

(٢) اصلاح المنطق ، ص : ١٣٧

(٣) السابق ، ص : ١٣٩

(٤) إصلاح المنطق ، ص : ١٤٠ وقد نسب محققا الكتاب البيت لأبى خِراش الهُذلى

جاء فى اللسان : قال الكسائى : ولم أسمع ينمُو بالواو إلا من أخوين من بنى سُلَيم، قال : ثم سألت عنه جماعة من بنى سُليم فلم يعرفوه (١) . وحكى الفراء عن الكسائىّ : قد سَناها يَسْنُوها ، وهى مَسْنِيّة ومَسْنُوة (٢) ويقال ما شَرِبْت مَشْوًا ، وقال الكسائىّ : مَشِيًّا (٣) وقال الكسائى : يُقال اشتدّ حَمْو الشمس وحَمْى الشمس (٤) .

وذكر ابن منظور : النّماء الزيادة نَمَى يَنْمِى نَمْيًا ونُمِيًا ونَماءً زادَ وكثُر ، وربّما قالوا : يَنْمُو نُمُوًّا (٥) . ويذكر السيوطى : أهلُ الحجاز : قَلَوْتُ البرّ ، وكُل شىء يُقْلى ، فأنا أقْلُوه قَلْوًا . وتميم قَلَيْتُ البُرّ ، فأنا أقْلِيه قَلْيًا (٦)

من ذلك يتبين لنا أنّ الكِسائىّ قَدْ سمع فى هذا من أهْلِ الحجاز ، ومن تميم ، فالألف عند الحجازيين أصلُها الواو ، وعند التميميين أصلُها الياء . فعند الحجازيين - مثلاً - قَلَى : يَقْلُو ، وعند التميميين قَلَى : يَقْلِى ويتبين لنا أيضا أن ذلك راجعٌ إلى اللهجة ، وليس إلى شىء آخر .

وقد قال الكسائى : ربما قالوا قَطَيَاتٍ ولهيات ، لأنّ فَعَلْتُ منها ليس بكثير ، فيجعلون الألف التى أصْلُها واوٌ ياءً ، لقلّتها فى الفِعْل ، ولا يقولون فى غَزاة غَزَيات ، لأنّ غَزَوْت أغْزُو معروفٌ كثيرٌ فى الكلام (٧)

و - بين فَعَلَ وأفْعَل

الفعلُ الثلاثى بين لهجات القبائل يُستعمل مزيدًا بالهمزة وغيرَ مزيد ، وهو فى الوزنين ذُو معنىً وعلى هذه اللهجة جاءت قراءاتٌ . ونعرض لهذه القراءاتِ لنتبيّنَ بعد ذلك موقف الكسائى من هذه الظاهرة مِنْ خِلال قراءاته .

يقول ابن مجاهد : اختلفوا فى فَتْحِ التاءِ وضمّها من قوله : " تُنْبِتُ بالدُّهْن " (المؤمنين ٢٠) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو : " تُنْبِتُ " بضم التاء وكسر الباءِ . وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزةُ والكسائىّ تنبت بفتح التاء وضمّ الباء (٨)

---

(١) لسان العرب مادة " نمَى "
(٢) اصلاح المنطق ، ص : ١٣٩
(٣) السابق ، ص : ١٤٣
(٤) السابق ، ص : ١٤٠
(٥) لسان العرب : مادة " نمى "
(٦) المزهر : ٢/٢٧٧
(٧) اصلاح المنطق ، ص : ١٤٢
(٨) السبعة ، ص : ٤٤٥

وفى قوله تعالى : " إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ " (النساء ١٠١)
فى الآية الأولى من سورة المؤمنين ، يذكر ابن منظور : وقال الفراءُ : هُما لغتان نَهَتْ الأرضُ ، وأَنْهبتْ(١) . وعن الآية الثانية من سورة النساء ، يقول أبو حيان : والفِتْنةُ هنا هى التَّعرض لِما يُكْره من قِتالٍ وغيره ، ولغةُ الحجاز فَتَنَ ولغةُ تميم وربيعة وقيس أَفْتَنَ رُباعيا ، وقال أبو زيد : قَصَر من صلاته قَصْرا نَقَص من عددها . وقال الأزهرى : قَصَر وأَقْصَر ، وقرأ ابن عباس : " أَنْ تُقْصروا " رُباعيًا ، وبه قرأ الضبّى عن رجاله(٢)
ومن قوله تعالى : " وإِذْ قَالَ إِبْراهيمُ رَبِّ اجْعل هَذا البَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ " (إبراهيم ٣٥)
ومن قوله : " فَيُسْحِتَكُمْ بِعذاب " (طه ٦١)
يقول أبو حيان عن الآية الأولى من سورة " إبراهيم " : " جَنَبَ مُخففا وأَجْنَب رباعيًا لُغةُ نجد ، وجَنَّب مُشددا لغةُ الحجاز ، والمعنى مَنَع وأصله من الجانب "(٣)
وعن الآية الثانية من سورة " طه " يقول ابن مجاهد : واختلفوا فى ضم الياءِ وفتحها من قوله : " فيُسْحتكم " فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم فى رواية أبى بكر وأبو عمرو وابن عامر : بفتح الياءِ من سَحَتَ . وقرأ عاصم فى رواية حفص وحمزة والكسائى : بضم الياءِ وكسر الحاءِ من أَسْحَتَ(٤) .

نلاحظ — إذن — من بعض القراءات أن الكسائى لم يلتزم طريقًا واحدًا فى قراءته — فيما بين " فَعَل وأَفْعَل " ، فقد قرأ " تَنْهَتُ " من نَهَتَ " ، وقرأ " يَسْحِتُ " من " أَسْحت " ، بل لعلّ ، فَعَل وأَفْعَلَ " كانت قاسمًا مُشتركا بين القُرّاء جميعا ، مما يَنِمّ عن أنّهما لهجتان جيدتان كما قال الفرّاء . وليس هذا فحسب ، فقد رأينا ابن سيده يعقد بابا عن " فَعَلْت وأَفْعَلْت " نقل فيه أقوالَ اللغويين من قَبْله . فهو ينقل مثلاً عن أبى حاتم : " بَدَأَ اللهُ الخلقَ يَبْدأُهم بدءًا وأَبْدأَهم — أى خَلقَهم ، وفى التنزيل : " قُلْ سِيرُوا فى الأرضِ فانْظُروا كيف بَدَأَ الخلقَ " وفيه : " إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ ويُعِيدُ "(٥)
وينقل عن أبى عبيدة : " المُبْدِئُ المُعيد ، والبادِئُ العائِدُ . أبو على الفارسى : هما لُغتان مُسْتويتان فى الحُسْن والجودة ، وأرى أنه انّما ذهب إلى ذلك لكثرتهما فى التنزيل وفى النَّظْم والنثر . الأصمعى : بَدَأْتُ مِنْ أَرْضِ كَذَا وأَبْدأْتُ — أى خَرجت ، وبدا الشىءُ بُدُوًّا وأَبْدَى(٦) .

---

(١) لسان العرب ٢/٤٠٠ — ٤٠١
(٢) البحر المحيط ٣/٣٣٩
(٣) السابق ٥/٤٢٩
(٤) السبعة ، ص : ٤١٩ وقد جئنا بابن مجاهد بعد أبى حيان فى القراءتين السابقتين على غير ترتيب لأننا لم نجد نسبة القراءة فى سورة ابراهيم للكسائى عند ابن مجاهد فكان ذلك اضطرارا
(٥) المخصص ١٤/٢٢٨
(٦) السابق والصفحة

ويشارك ابن دريد اللغويين فى هذا حيث يذكر : دَنَت الشمسُ للغروب وأَدْنَت وجَنَّ الليل عليه وأَجَن ، وهَجَد وأَهْجَدَ ، وصَلَيْته النارَ وأَصْلَيته ، وهَدَرْت دمه وأَهْدَرته (١) ولكن ابن جنى يرى أن " فَعَل " أقوى من " أَفْعَل " ، يدلنا على ذلك تعليقه على بيت ابن قَيْس :

لَئِنْ فَتَنَتْنِى لَهْىَ بِالأَمْسِ أَفْتَنَتْ سَعِيدًا فَأَضْحَى قَدْ قَلَى كلَّ مُسْلِم

فهو يقول : وفَتَن أقوى من أَفْتَن ، حتى إنَّ الاصمعىَّ لما أنشد هذا البيت شاهدًا لأفْتَن قال : ذلك مُخففٌ ، ولست آخذُ بلغته . وقد جاء به رُؤْبة إلّا أنه لم يضمه إلى غيره ، قال :

يُعْرِضن إعْراضًا لدين المفْتَنِ (٢)

على أنَّ ابن جنى يعود ليُعلل التفاوت بين القوة والضعف بين فَعل وأَفْعل ، ويقول : ولَسْنا ندفع أنَّ فى الكلام كثيرا من الضعف فاشيا وسمتًا منعسلوكا مُتطرفا . وإنّما غرضُنا هنا أنْ نُرى إجازة العرب جمعها بين قوىّ الكلام وضعيفه فى عَقْد واحد ، وأنَّ لذلك وجها من النظر صحيحًا (٣) . ووجه الحكمة فى الجمع بين اللغتين : القوية والضعيفة فى كلام واحد هو : أنْ يُروكَ أنَّ جميع كلامهم — وإنْ تفاوتت أحواله فيما ذكرنا وغيره — على ذِكْر منهم ، وثابت فى نفوسهم . نعم ، وليُؤَنِّسوك بذاك ، حتى إنك إذا رأيتهم قد جمعوا بَيْنَ ما يَقْوى وما يَضْعف فى عَقْدٍ واحد ، ولم يتحاموه ولم يتجنّبوه ، ولم يقدح أقواهما فى أضْعفهما ، كنت إذا أفْرَدتَ الضعيفَ منهما بنفسه ولم تضمه إلى القوى فيتبين به ضعفُه وتقصيرُه عنه ، آنس به ، وأقلّ احتشامًا لاستعماله (٤) والحقُّ بعد ذلك أنَّ تعليل ابن جنى على هذا النحو ، جعل الضعيفَ والقوىَّ يستويان فكأنّهما شىءٌ واحد ، وإلّا فكيف نُبرر وُرودَ فَعَل وأَفْعَل فى النصِّ الكريم ؟ وبعد ، فإنَّ الدكتور عبده الراجحى يجمع ذلك بقوله : وتكاد رواياتُهم تتفق على أنّه حين يتحد المِثالان " فَعَل " و " أَفْعل " فى المعنى فإنَّ " فَعَلَ " لهجة لأهلِ الحِجاز ، حيثُ يَستعمل التميميون " أَفْعَل " (٥) . ثم ينقل : ويعزو أبو حيان مثال " أَفْعَل " إلى تميم وربيعة وقَيْس . كما ينقل ابن خالويه عن أبى زيد أنها لهجة لبنى كَلْب (٦) .

---

(١) ابن دريد : الجمهرة ٤٣٦/٣

(٢) الخصائص ٣١٥/٣ طبع ١٩٥٦
(٣) السابق ، ص : ٣١٥
(٤) السابق ، ص : ٣١٧
(٥) اللهجات العربية ، ص : ١٧٥
(٦) السابق والصفحة

ويقول آخرا : وليس هناك فرق بين هذه القبائل إذ هى من القبائل البادية فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، ونحسب أن ذلك يلائم البيئة البادية حيث تميل إلى السرعة فى كلامها فلا تفرق بين وزن ووزن ، بينما تميل البيئة المتحضرة إلى التأنق فى النطق والتفريق فى الاستعمال بين مثال وآخر (١) .

هـ — الميزان الصرفى فى الافعال

ذهب الكسائى إلى أن " كان " وزنها " فَعُل " بالضم ، ورد بأنه لو كان كذلك لم يقولوا منه " كائن " لأن الوصف من " فَعُل " فَعِيل " (٢)

وأما زال فالأشهر فى مضارعها يَزال . وحكى الكسائى فيه أيضا " يَزِيل " على وزن " يبيع " وعلى هذا فوزنها " فَعَل " بالفتح (٣)

يقول سيبويه فى هذا : فالأفعال تكون على ثلاثة أبنية فَعَلَ يَفْعِل ، وفَعَلَ يَفْعُل ، وفَعِل يَفْعَل ، ويكون المصدر فَعْلاً ، والاسم فاعِلاً . هذا ما كانت الأفعال فيه صحيحة .

ثم يقول سيبويه : هذا باب نظائر ما ذكرنا من بنات الياء والواو التى الياء والواو فيهن عينات ، تقول : بِعْتُه بَيْعاً ، وكِلْتُه كَيْلاً ، فأنا أكيله وأبيعه ، وكائل وبائع ... وقالوا سُقْته سَوْقا ، وقُلته قَوْلاً ، وهو سائق وقائل .. وقالوا زُرته زيارة ، وعدته عيادة ، وحُكته حياكة .. وقالوا دام يدوم دواما . وهو دائم ، وزال يزول زوالاً وهو زائل (٤)

ويقول المبرد : فإذا كانت واحدة منهما عينا (يقصد الياء أو الواو) وهى ثانية فحكمها أن تنقلب ألفاً فى قولك : فَعَلَ . وذلك نحو قولك : قَال ، وبَاع (٥)

وينقل السيوطى : قال أبو حيان : وحكى ثعلب عن الفراء : لا أزيل أقول كذلك ، فيكون زال الناقصة مما جاء على فَعَل يَفْعِل ، وفَعَل يَفْعَل كنَقَم ينقِم ، ونَقِم ينقَم . (٦)

وبعد ذلك نقول :

إن وزن كان بين فَعَل ، فَعُل ، ووزن زال بين يفعُل ، ويفعِل فى المضارع . يقول ابن قتيبة ، كل ما كان على " فَعُل " فمستقبله بالضم ، ولم يأت غير ذلك إلا فى حرف واحد من المثل رواه سيبويه . قال بعض العرب يقال : كِدْتُ تَكَادُ ، فقالوا : " فَعِلْت " تفعَل ، كما قالوا : " فَعِلْت " " تَفْعُل " فى فَضِل يفضُل . وقال الفراء :

---

(١) اللهجات العربية ، ص : ١٧٥
(٢) الهمع : ١/ ١١٥
(٣) السابق والصفحة
(٤) الكتاب ٢/ ٢٣١ — ٢٣٢
(٥) المقتضب : ١/ ٩٦
(٦) الهمع ، ١ / ١١٥

أما الذين خطّؤا كدنا فإنهم أرادوا أن يفرّقوا بين "فِعْل" الكَيْد من المكيدة في فَعَل وبين فِعْل الكيد في القُرب، فقالوا: كدْنا نَفْعَلُ ذلك وقالوا: كِدْنا القومَ من المكيدة، كما فرقوا بينهما في يَفْعَلُ فقالوا في الأول تَكَاد وفي الثانية تَكِيد (١).

يقول السيوطي: أمّا فَعُل فلم يَرِدْ يائيّ العَيْن إلاّ ما شذّ من قولهم: هَيُؤَ، فأما نَهُو فالواو فيه بدل من ياء لضمّة ما قبلها، ولا مضاعفا إلاّ لَبُبْتَ تَلَبُّ، وشَرُرْتَ تشُرّ وحَبُبْتَ... ولا غير مضموم عين مضارعه، إلا في قول بعض العرب: كُدْتَ تَكاد.. وليست التي للمقاربة(٢) وأما فَعَلَ يَفْعِل ويَفْعَل، فقد مرّ بنا توضيح ذلك في هذا الفصل حيث عرفْنا أنّ الكسائي ينسب قَلْب الألف عن الواو إلى أهل العالية حيث سَمع "يَضُورُنِي"، ولعلها لغة الحجاز على العموم. أما الألف عن الياء فلعلّها لغةُ أهْلِ نَجْد.

---

(١) أدب الكاتب، ص: ٥١٩

(٢) المزهر ٢/٣٧

الفصل الثالث

" المادة النحوية "

الحديث عن المادة النحوية عند الكسائيّ يأتى مُقسّما على هذا النحو :

١ - ما يختص ببعض خصائص الكلمة .
٢ - الجملة الاسمية .
٣ - الجملة الفعلية .
٤ - من المكملات .
٥ - الإضافة .

أولا : ما يختص ببعض خصائص الكلمة :

الممنوع من الصرف :

سمع الكسائيّ بعض العرب يقول : إنّ عادَ وثمّ أمّتان ، وعلى ذلك فانه يجوز تركُ إجراءِ "عاد" لأنه قد يترك إجراءه ، يُجعل اسما للأمة التى هو منها . كما قال الشاعر :

أخفًا عادَ اللهِ جُرْأةَ مخلقي ... على وقد أعميتُ عادَ وثمّما (١)

أجرى الكسائيّ "ثمودَ" فى النصب ، ولم يُجرها فى الخفض ، ولا فى الرفع ، إلا فى حرفٍ واحدٍ ، قولُه : "ألا إنّ ثمودَ كفروا ربّهم ، ألا بُعدًا لثمودٍ" (هود ٦٨) فسألوه عن ذلك فقال :

قرئت فى الخفض من الجرّ ، وقبيح أنْ يجتمع الحرفُ مرتين فى موضعين ثم يختلف فأجريته لقربه منه (٢)

ويقول الفرّاء : ومن القرّاء مَنْ أجرى ثمود فى النصب ، لأنها مكتوبة بالألف فى كلّ القرآن ، إلا فى موضع واحدٍ : "وآتينا ثمودَ الناقةَ مبصرةً" (الإسراء ٥٩) وهذا الذى حَمل الكسائيّ على إجرائها فى النصب (٣) .

وموقف القراءات من هذا يظهر فيما يأتى :

قوله تعالى : "كانتْ قواريرَ" (الإنسان ١٥) .

قرأ أبو جعفر وابنُ كثير والكسائيّ بالتنوين ، وقرأ الباقون بغير تنوين (٤) .

وقوله : "ولا يغوثَا ويعوقا" . قرأ الأعمش بالصرف (٥)

(١) معانى القرآن ، ٢/ ١٩ .
(٢) السابق ، ص ٢٠
(٣) السابق والصفحة
(٤) النشر ، ٢/ ٣٩٥ .
(٥) الحجة لابن خالويه ، ص ١٦٢

وقوله : " إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالا وَسَعِيرًا " (الانسان ٤) .

فقرأ ابن كثير فى رواية : " سَلَاسِلَا منونة ، وقرأ أبو عمرو غَيْرَ مُنَوَّنه ، وقرأ ابنُ عامر وحمزة بُغير تنوين ، وقرأ نافع وعاصمُ فى رواية أبى بكر والكسائىُّ مُنونة . وروِىَ عن عاصم أنه كان لا يُنَوِّن (١) .

ونلاحظ اختلاف القراءات فى الممنوع من الصَّرْف ، مِمَّا يُرجح أَنَّ صرف الممنوع كان لهجةً ، يدلنا على هذا أَنَّ أبا حيان ينقل عن الأَخْفَشِ أَنَّه قال : وهى لغةُ الشعراء ، ثم كثر حتى جَرى فى كَلامِهم (٢) . على أَنَّ كُتب النحو تذكر أَنَّ صَرْف مالا يَنْصَرِف مُطلقًا لغةٌ (٣) .

ويقول الدكتور عبده الراجحى :

فإذا كان ذلك صحيحًا فإنَّنا نستطيع أَنْ ننسب هذه اللهجة إلى البيئةِ البادية وسط شبه الجزيرة ، ولعل هذه أيضا كان طَوْرًا سابقا من أطوار العربية ، حيثُ لا تفرق اللهجةُ بين أسم وآخر (٤) .

---

(١) السبعة ، ص ٦٦٣ .
(٢) البحر ، ٨/١٩٤ .
(٣) حاشية الصبان ، ٣/١٠٨ .
(٤) اللهجات العربية ص ، ١٩٢ .

ثانيا : الجملةُ الاسميةُ :

١- من النواسخ الحرفية :

اتفق على أنْ تقسم هذه النواسخ إلى :

أ - حروف مُشبّهة بالفعلِ ، وهى : إنَّ - أنَّ - كأنَّ - ليت - لعلَّ - لكنّ - عس وذلك على خِلافٍ بين النُّحاة .

ب - حروف تعمل عمل ليس ، وهى : ما - إنْ - لا - لاتَ

والان نتحدث عن هذه الحروف ماكان منها داخلا تحت آراء الكسائى ، ونبدأ بالحروف المُشبهة بالفعل .

١- الحُروفُ المُشبَّهة بالفعلِ

أ - " انَّ " المُشددةُ النون بين الكسرِ والفتحِ

نَقل ابنُ منظور ما يُمثل لنا مذهبَ الكِسائىّ فى كَسر همزة " انَّ " وفَتْحها ، فينقل : قال أبوعبيده : قال الكسائىُّ فى قوله عز وجل : " إنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فى الكتاب لَفِى شِقَاقٍ بَعِيْدٍ " (البقرة ١٧٦) ، كُسرت إنّ لسكان اللام التى استقبلتها فى قوله " لَفِى " ، وكذلك كل ماجاءك من " انَّ " فكان قبله شىء يقع عليه فإنّه منصوب ، إلا ما استقبله لامٌ فإنّ اللام تَكْسره ، فإن كان قبل " انَّ " إلاّ فهى مكسورة على كل حال ، استقبلتها اللامُ أو لم تَستقبِلْها كقوله عز وجل : " وما أَرْسَلْنَا من المُرسلين إلاّ إنّهم لَيأكلُونَ الطَّعَامَ " (الفُرقان ٢٠) ، فهذه تكسر وإنْ لَمْ تستقبلها لامٌ . وكذلك - إذا كانت جواباً لِيَمِين كقولك : والله إنّه لَقائم ، فاذا لم تَأْتِ باللام فهى نصبٌ : والله أنّك قائم ، قال : هكذا سَمِعتُه من العرب ، قال : والنحويون يكسرون وإنْ لَمْ تستقبلها اللامُ (١) .

وما جاء بالهمع فى بعض هذا الصدد :

من المواضع التى تُكسر فيها همزة " انَّ " اذا وقعت جوابَ قسمٍ ، نحو : واللهِ إنَّ زيدًا قائم " غير أن الكسائى جوز " إنَّ " مع اختيارِ الفتح (٢) .

يقول سيبويه عن أحوال فتح " انَّ " وكسرها : تقول أشهد إنّهُ لَمنطلقٌ ، فأشهد بمنزلةِ قوله : والله إنّه لذاهبٌ ، وإنَّ غيرُ عاملةٍ فيها أشهدُ ، لأنَّ هذه اللام لاتَلْحق أبدًا إلاّ فى الابتداءِ ، ألا ترى أنك تقولُ أشهد لعبدُ الله خيرٌ من زيدٍ ، كأنّك قُلتَ :

---

(١) لسان العرب : مادة " أنَنَ "

(٢) الهمع : ١/١٣٧ .

واللهِ لعبدُ اللهِ خيرٌ من زيد ، فصارت إنَّ مبتدأةً حين ذكرت اللامَ ، كما كان عبدُ الله مبتدأ حين أدخلتَ فيه اللامُ . فاذا ذكرتَ اللام ههُنا لمْ تكن إلّا مكسورةً ، كما أنَّ عبدَ الله لا يكونُ ههُنا إلّا مُبْتدأ (١) . ويقول أيضا : وتقول إذا أردْتَ معْنى اليمين : أعْطيتُه ما إنَّ شرَّه خيرٌ من جيِّد ما معك ، وهؤلاء الذين إنَّ أجْبَنَهم لأشْجعُ من شجعائكم ، وقال الله عز وجل : " وآتيْناهُ من الكُنوز ما إنَّ مفاتحه لتنُوءُ بالعُصْبةِ أُولي القُوَّة " (القصص ٧٦) . فإنَّ صلةٌ لِما ، كأنك قلت : ما واللهِ إنَّ شرَّ خيرٌ من جيِّد ما معك (٢) .

ويذكر كذلك : تقول ما قدِمَ علينا أميرٌ إلا إنَّه مُكرم لي ، لأنَّه ليس ههُنا شيءٌ يعمل في إلَّا ، ولا يجوز أنْ تكون عليه " أنَّ " وإنَّما تريدُ أنْ تقول : ما قدِمَ علينا أميرٌ إلّا هو مُكْرِمٌ لي ، فكما لا تعمل في ذا ، لا تعمل في إنَّ ، ودُخولُ اللامِ ههُنا يدلُّك على أنَّه موضعُ ابتداءٍ ، قال سبحانه : " وما أرسلْنا قبْلك من المُرْسلين إلّا إنَّهم ليأكلون الطَّعامَ " ومثل ذلك قول الشاعر (كثير) :

ما أعْطَياني ولا سألْتُهُما ... إلّا وإنّي لحاجزي كرمي

وكذلك لو قال : إلّا وإنّي حاجزي كرمي (٣) .

ويقول : هذا بابٌ من أبواب " أنَّ " تكون " أنَّ " فيه مبنيةً على ما قبْلها ، وذلك قولك : أحقًا أنَّك ذاهبٌ ، والحق أنَّك ذاهب . . . وسألتُ الخليلَ فقلتُ ما مَعْنى قولهم أنْ يقولوا أحقا إنَّك منطلق . . . فقال : ليس هذا من مواضع " إنَّ " ، لأن " إنَّ " لا يبتدأ بها في كلِّ موضع ، ولو جازَ هذا لجازَ يومَ الجُمعة إنَّك ذاهبٌ تريد : أنَّك ذاهب يوم الجمعة ، ولقلتَ أيضا : لامحالة إنَّك ذاهبٌ ، تريد : أنَّك لامحالةَ ذاهبٌ ، فلما لم يَجُزْ ذلك حملوه على : أفي حقٍ أنَّك ذاهبٌ ، وعلى : أفي أكْبرِ ظنِّك أنَّك ذاهبٌ ، وصارت أنَّ مبنيةً عليه . . (٤) .

إذنْ نسيبويه يتفقُ مع الكسائي في كسر همزة " إنَّ " إذا استقبلتها اللام ، وإذا كان قبلها " إلا " . ويختلف معه في اختياره الفتحَ إذا كانت جوابًا لليمين ، حيث إنَّ سيبويه قد رأيناه ينصُّ على كسر همزة " إنَّ " اذا كانت جوابَ قسمٍ ولا اختيار عنده في هذا ، علما بأنَّ الكسائي يُجيز الكسر في هذا الموضع ، بَيْدَ أنَّه يختار الفتح وكذلك اتفقَ سيبويه والكسائي على فتح همزة " انَّ " اذا كان ما قبلها يقعُ عليها .

---

(١) الكتاب ، ١/٤٧٣ .
(٢) السابق والصفحة .
(٣) السابق ، ص ٤٧١ .
(٤) السابق ، ص ٤٦٨ .

أمّا الفراء فإنه يتفق مع الكسائيّ فى اختياره فتح همزة " أنّ " اذا كان جواباً ليمين ، إلا إنّ الفراء لا يُجيز الكسر (١) .

ولعلّنا نرى أنّ مَثار الخلاف فى فتح همزة " أنّ " وكسرها يتركّز فيما لو وقعتْ جوابَ قسم ، فهذا المُبرّد ، يقول : أمّا " إنّ " فتكونُ صلةً للقسم ، لأنّك لا تقولُ : والله زيدٌ منطلق ، لانقطاع المَحلوف عليه من القَسَم ، فان قلت : والله إنّ زيدًا منطلق اتصل بالقسم وصارت " إنّ " بمنزلة اللام التى تدخل فى قولك : والله لَزيدٌ خيرٌ منك (٢) .

ومعنى ذلك أنّ المُبردَ يؤكد كَسْر همزة " إنّ " اذا وقعت فى جواب القسم وإنْ لم تكن فى خبرها اللام . والرّضى فى شرح الكافية ينسب إلى المُبرد إجازة فتح همزة " أنّ " مع الكوفيين فيقول : " وكذا كُسرت فى جواب القسم ، لأنه جملةٌ لا محالةَ نحو : بالله إنّك قائمٌ ، وقد تفتح أنّ فى جواب القسم عند المُبرّدِ والكُوفيين إذ لَمْ يكن فى خبرها اللام ولعل ذلك لتأويلهم لها بالمُفرد " (٣) . ولكننا مع ذلك لا نَعتدّ إلا بما نقلنا عن المبرد نفسه

وجاء فى شرح ابن عقيل : وكذا يجوز فتح " أنّ " وكسرها اذا وقعت جوابَ قسم وليس فى خبرها اللامُ نحو : " حلفتُ أنّ زيدا قائم " بالفتح والكسر ، وقد رُوى بالفتح والكسر قولـه :

لَتَقْصُدُنّ مَقْعَدَ القَصِيّ ... مِنّى ذِى القاذُورة المَقْلِيّ
أو تَحْلِفى بربّك العَلِيّ ... أنّى أبُو ذَيّالِكِ الصّبِى (٤)

وجاء أيضا : يجوزُ فتح " أنّ " وكسرها بعد القسم إذا لم يكُن فى خبرها اللام ، سواءٌ كانت الجملةُ المُقسم بها فعليةً ، والفعل فيها ملفوظ به ، نحو " حلفتُ إنّ زيدًا قائمٌ " أو غير ملفوظ به ، نحو " والله إنّ زيدًا قائمٌ " أوْ اسمية ، نحو " لعمْرُكَ إنّ زيدًا قائمٌ " (٥) .

وحول تعليق على قول الشاعر : " أوْ تَحْلِفى بِرَبّك ... " السابق ، يذكر الأشمونى على هامش حاشية الصبّان : ويُروى بالكَسْر على جَعْلها جواباً للقسم ، والفتح على جَعْلِها

---

(١) الهَمْع ، ١/١٢٧ .
(٢) المقتضب ، ٤/١٠٧ .
(٣) الرضى : شرح الكافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١/٣٤٩ .
(٤) ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة عشرة ، مطبعة السعادة بمصر ، ٦٤-٦٥ ، ١/٣٥٨ .
(٥) السابق ، ص ٣٦٠ .

مفعولاً بواسطة نَزْع الخافض ،أى على أنّ والتقييد بكون القَسَم بفِعْل ظاهر للاحتراز عما .. فى السكسورة ،وقوله لالام بعده - يقصد إلى قول ابن مالك : " أَوْفِعْل قَسَم لا لام بعده وَجْهَين نَمِى " - عما بعده اللام من ذلك ،حيث يتعين فيه الكسر، نحو " وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ " (التوبة ٥٦) ، أَهُؤُلاءِ الذين أَقْسَمُوا بالله جهد أَيْمَانِهِم إِنَّهُم لَمَعَكُمْ" (المائدة ٥٣) (١).

وفى قوله تعالى : " أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ " (القلم ٣٩). يقول ابن الأنبارى : كُسرت " إِنَّ " لِوَجْهين :أحدهما - أنْ تكون كُسرت لمكان اللام . الثانى - أنْ تكونَ كُسرت لأنّ ماقبله قَسَمٌ ، وهى تُكسر فى جواب القسم (٢).

ويقول أبو حيان : وقرأ الجمهور : " إِنَّ لَكُمْ " بكسر الهمزة" ، فقيل هو استئنافُ قَوْلٍ على معنى إنّ لكُم كتابٌ فلكُم فيه مُتَخَيَّر... وكُسرت الهمزة من " انّ " لدخول اللام فى الخبر ، وهى بمعنى " أَنْ " بفتح الهمزة ،قاله الزمخشرى : وقرأ طلحةُ والضَّحَّاكُ: " أَنَّ لَكُمْ " بفتح الهمزة ،واللام فى " لَمَا " زائدةٌ (٣).

وفى قوله تعالى : "كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (الأنعام ٥٤).

يقول ابن مجاهد : فقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وحمزةُ والكسائىُّ: " إِنَّهُ من عَمِلَ .. فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" . بكسرى الألف . وقرأ عاصم وابنُ عامر : " أَنَّهُ من عمل .. فإنَّهُ " بِفَتْحِ الأُلِفِ فيهما . وقرأ نافع : " أَنَّهُ من عَمِلَ " بنصب الألف " فإنَّهُ غفورٌ " كَسْرًا (٤).

يقول أبو حيان : وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والأخوان بكسر الهمزة فيهما ،الأولى على وجه التفسير للرحمة ،والثانية فى موضع الخبر أو الجواب (٥).

من النصوص السابقة يتبين لنا مايلى :

١- اتفق الكسائى والنحويون على كسر همزة " انّ " إنْ وقعت اللام فى خبرها .

٢- اتفق الكسائىُّ والنحويون على كَسْرِ همزة " انّ " بعد إلّا دون شرط.

٣- اختلف الكسائىُّ مع النحويين فى اختياره الفتح فى " انّ " ان وقعتْ جوابَ قسم ، وليس فى خبرها اللامُ ، ماخلا الفرّاء الذى اختارَ الفتح فقط دُون جواز الكسر.

---

(١) حاشية الصبان : ١١٠/١ " هامش".

(١) ابن الأنبارى : البيان فى غريب اعراب القرآن ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ، مرجعة مصطفى السقا ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م ،٤٥٥/٢.

(٣) البحر المحيط ، ٣١٥/٨.

(٤) السبعة ، ص١٥٨.

(٥) البحر المحيط ، ١٤١/٥.

٤- اختيارُ الكسائيّ الفتحَ كان قائماً على سماعة من العربِ . وقد رأينا بيتاً من الشعر شاهداً على ذلك .

٥- إذا كان قبل " انَّ " شيءٌ يقع عليها فإنها منصوبةٌ بشرط ألّا تقع اللامُ في الخبر ، وإلّا فهي مكسورةٌ وبيّنا كسر الكسائي فيه همزة " إنَّ " وذهب مذهبه هشامٌ الضريرُ اذا تقدّم عليها فعلُ القَسَمِ كقولك : حَلَفْتُ إنَّ زيداً لقائمٌ " (١) .

ب- العطف على اسم " إنَّ "

اختلف القدماءُ في المعطوفِ على أسماء هذه النواسخ التي أوردنا على وجه العموم بيد أنَّ اختلافهم في المعطوف على اسم إنَّ وأخواتها على ضربين :

الأول : قبلَ تمامِ الخبر : حيث جوّز القدماءُ في المعطوف على أسم " إنَّ " وأخواتها قبل تمام الخبر :

١- الرفع . ٢- النصب .

ولم يختلفوا في المعطوفِ بالنصب ، ولكنهم اختلفوا في المعطوفِ بالرفعِ على مذهبين :

أ - ذهب فيه الكوفيون إلى أنهَ معطوفٌ على موضع اسم إنَّ (٢) .

ب - ذهب فيه البصريون إلى عدمِ جوازِ ذلك ، إذْ يتعين في المعطوفِ عندهم النصب على اللفظ (٣) .

الثاني : بعد تمامِ الخبر : حيث جَوّز القدماءُ في المعطوف بعد استكمال إنَّ اسمَها وخبرَها .

١- الرفع . ٢- النصب (٤) .

على أنَّ البعض يُجوّزون النصبَ ، واختُلِف في الرفع (٥) .

موقف الكسائي من هذا : الكسائي يُجيز العطف على " إنَّ " واسمها قبلَ مجيء الخبر (٦) وذلك عند ملاحظته الآية الكريمة : " إنَّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والصّابئون والنّصارى ، من آمنَ باللهِ واليومِ الآخر ، وعملَ صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون " (المائدة ٦٩) .

وأما رأي سيبويه في هذا أنه غلطٌ من بعضِ العربِ ، يقول : وأعلمْ أنَّ ناساً من العرب يَغلطون فيقولون : إنّهم أجمعون ذاهبون ، وإنّك وزيدٌ ذاهبان ، وذاك أنَّ معناه معنى

---

(١) شرح التصريح ، ٢/١٣٤ .
(١) ابن الانباري : الانصاف ، ١/١٩٤ .
(٣) السابق والصفحة .
(٤) انظر الكتاب ، ١/١٤٤ ، المقتضب ، ٤/١١١ .
(٥) المصادر السابقة .
(٦) انظر الانصاف ، ١/١٠٧ .

الابتداء ... وأما قوله عزّ وجلّ : " والصابئون " فعلى التقديم والتأخير ، كأنه ابتدأ على قوله " والصابئون " بعد ما مضى الخبر ، وقال الشاعر " بشر بن أبي خازم " :

فإلّا فاعلموا أنّا وأنتم بُغاةٌ ما بقينا في شقاقِ

كأنه قال : بُغاة ما بقينا وأنتم (١) .

وقد ذهب الفراء مذهب الكسائي ، إلّا أنّه يشترط عدم ظهور عمل " إنّ " (٢) . ويعلل السيوطي في الهمع رأي الفراء بقوله : إنّما جوّزه الفراء بشرط خفاء إعرابه ، لئلّا يتنافر اللفظ ... وجوّزه الخليل إن أفرد الخبر (٣) .

وأما قول الشاعر : " فإنّي وقيّارٌ بها لغريبُ " .

فينقل السيوطي رأي ابن مالك ، فيقول : قال ابن مالك : ويصلح أن يكون هذا وشبهه حجةً للكسائي (٤) . ويفسّر الرضيّ في شرحه على الكافية رأي الكسائي ، بأنّ العامل في خبر " إنّ " ما كان عاملاً في خبر المبتدأ ، لأنّ " إنّ " وأخواتها لا تعمل عند الكوفيين في الخبر . فالعامل في خبر " إنّ " اسمها ، لأنّ المبتدأ والخبر يترافعان عنده ، فلا يلزم صدور أثر عن مؤثّرين (٥) ، ومن ثمّ أجاز الكسائي نحو : إنّ زيدًا وعمرٌو قائمان

وبعد ذلك نريد أن نبيّن موقف الكسائي من هذا من خلال القراءات .

قوله تعالى : " إنّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُه " (التوبة ٣) .

يقول أبو حيان : وقرأ ابن أبي أسحق وعيسى بن عمر وزيدُ بن علي " ورسولَه " بالنصب عطفًا على لفظ اسم " إنّ " وقُرئ بالجرّ شاذًا ، ورُويت عن الحسن ، وخُرّجت على العطف على الجوار . وروي أنّ أعرابيا سمع من يقرأ بالجر فقال : إن كان الله بريءً من رسوله فأنا منه بريءٌ ، فبلغ القارئ إلى عمر ، فحكى الأعرابيُّ قراءته فعندها أمر عمر بتعليم العربية . وأما قراءة الجمهور بالرفع فعلى الابتداء والخبرُ محذوفٌ ، أي ورسولُه بريءٌ منهم ، وحُذف لدلالة ما قبله عليه ... ومن أجاز العطف على موضع اسم " إنّ " المكسورة ، أجاز ذلك مع " أنّ " المفتوحة ، ومنهم من أجاز ذلك مع المكسورة (٦) . من ذلك يتبين لنا أن الكسائي قرأ بالرفع في " ورسولُه " ، وهي قراءة الجمهور أيضًا ، إلّا أنّ النحويين اختلفوا في تعليل ذلك ، فليس هناك ما يجزم بصحة هذه التعليلات ، أو بعضها ، بيد أنّ مذهب الكسائي في مثل هذا ربما يكون صادرًا عن ملاحظته للتراكيب اللغوية ، كما مرّ بنا في الآية السابقة .

---

(١) الكتاب ، ١٩٠/١ - ١٩١ .
(٢) الانصاف ، ١٠٧/١ .
(٣) الهمع ، ١٤٤/٢ .
(٤) السابق والصفحة .
(٥) الرضي : شرح الكافية ، طبعة القاهرة ، ١١٠٥ هـ ، ٢٥٤/١ .
(٦) البحر المحيط ، ٦/٥ .

وفى قوله تعالى : " إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِى " (الأحزاب ٥٦) .

يقول أبو حيان : وقرأ الجمهور : وملائكتَه نصبًا ، وابنُ عباس وعبد الوارث عن أبى عمرو رفعا . فعند الكوفيين غير الفراء هو عطف على موضع اسم "إنَّ" ، والفراء يشترط خفاءَ إعرابِ اسم "إنَّ" ، وعند البصريين هو على حذف الخبر ، أى يصلى على النبى وملائكته يصلون (١)

أما قوله تعالى : " إِنَّ الذين آمَنُوا والذين هادُوا والصَّابِئُونَ ... الآية " .

قال أبو حيان : وقرأ القراء السبعة : " والصَّابِئُونَ " بالرفع ، وعليه مصاحف الامصار والجمهور . وفى توجيه هذه القراءة وجوه :

أحدُها مذهب سيبويه والخليل وضحاة البصرة أنَّهَ مرفوع بالابتداء ، وهو مَنْوِىٌّ به التأخير ونظيره : إنَّ زيدًا وعمرو قائمٌ ، التقدير : إنَّ زيدًا قائمٌ وعمرو قائمٌ ، فحُذف خبرُ عمرو لدلالة خبر إنَّ عليه ، والنية بقوله " وعمرو " التأخيرُ ، ويكون عمرو قائم بخبره هذا المقدَّر ، معطوفًا على الجُملة " إنَّ زيدا قائم " وكلاهما لا موضع له من الاعراب .

الوجه الثانى - أنَّهَ معطوف على موضع اسم " إنَّ " لانه قبل دخول " إنَّ " كان فى موضع رفع ، وهذا مذهب الكسائىّ والفراء . أما الكسائى فانه أجازَ رفعَ المعطوفِ على الموضع سواءٌ كان الاسمُ بيِّنًا خَفِى فيه الإعرابُ ، أو ما ظهر فيه . وأما الفراء فإنَّهَ أجاز ذلك بشرط خفاء الاعراب .

الوجه الثالث - أنَّهَ مرفوع معطوف على الضمير المرفوع فى هَادُوا ، وروى هذا عن الكسائى ، وُرِدَّ بأن العطف عليه يقتضى أنَّ الصابئين تهوَّدوا ، وليس الأمر كذلك (٢) .

ولم يرو هذا الوجه الأخيرَ عن الكسائى إلَّا أبو حيان فيما اطَّلعنا عليه من مصادر ، ولكن الثابت هو الوجه الثانى الذى أورده أبو حيان أيضا .

جـ - " إنَّ " وتخفيفها :

ذهب الكسائى الى أن " إنْ " ان دخلت على الاسم كانت مخففة من المشددة عاملة كما قال البصريون وإنْ دخلت على الفعل كانت للنفى ، واللام بمعنى إلَّا كما قال الكوفيون (٣)

أمَّا رأى الفراء فى هذا أن " إنْ " المخففة بمنزلة " قَدْ " ، إلَّا أنَّ " قَدْ " تختص بالأفعال ، وإنْ تدخل عليها وعلى الاسماء (٤) .

---

(١) البحر المحيط ، ٢٤٨/٧
(٢) السابق ، ٥٢١/٣
(٣) السهيلى ، ١٤٢/١
(٤) السابق والصفحة

ولكن السيوطى يُعلِّق على رأى الفراء قائلاً : وكل ذلك لا دليلَ عليه ، ومُرَدود بسماع الأعمال ، نحو : " وإنْ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهم " ، " إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عليها حافظ " . قُرِأ بالنصب وسُمع : إنْ عَمْرًا لمنطلق (١) . ويقول ابنُ عقيل : إذا خُففت " إنّ " فالاكثر فى لسان العرب إهمالها ، تقول : " إنْ زيدٌ لقائمٌ " وإذا أُهمِلتْ لزمتها اللام " فارقةً بينها وبين " إنْ " النافية ، ويقل إعمالُها فتقول : " إنْ زيدًا قائمٌ " وحكى الإعمالَ سيبويه ، والأخفش ، فلا تلزم حينئذ اللام ، لأنّها لا تلتبس - والحالة هذه - بالنافية (٢) .

ويقولُ ابن هاشم : وتُخفَّف فتعمل قليلاً ، وتُهمل كثيرًا ، وعن الكوفيين أنّها لا تُخفف ، وأنه إذا قيل " إنْ زيدٌ لمنطلقٌ " فإنْ نافية ، واللام بمعنى " إلّا " ويردّه أنّ منهم مَنْ يُعْمِلها مع التخفيف ، حكى سيبويه " إنْ عَمْرًا لمنطلق " وقرأ الحرميّان وأبوبكر : " وإنْ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهم (٣) "

ولعلنا نلتمس مذهب اليه الكسائى من خلال القراءات القرآنية .

يقول ابنُ مجاهد : واختلفوا فى فتح اللام الأُولى وضمّ الثانية وكسر اللام الأُولى وفتح الثانية من قوله : " وإنْ كانَ مَكْرُهم لِتَزولَ مِنْه الجبالُ " (ابراهيم ٤٦) .

فقرأ الكسائى وحده : " لَتَزولُ " بفتح اللام الأُولى وضم الثانية . وقرأ الباقون : " لِتَزولَ " بكسر الاولى وفتح الثانية (٤) .

يقول مكى : وحُجة من قرأ هذه القراءة أنه جعل " إنْ " فى قوله : " وإنْ كانَ " مخففه من الثقيلة وجعل اللامَ الاولى لامَ توكيد ، دخلت لتوكيد الخبرِ ، كما دخلت " إنّ " لتوكيد الجملة ، والفعل مع لام التوكيد مرفوع على أصْلِه ، إذْ لا ناصبَ معه ولا جازمَ ، والهاء ، مسرة مع " إنّ " والتقدير : وإنّه كانَ مكرُهم (٥) .

وقوله تعالى : " وحَسِبُوا أَلَّا تكونَ فِتْنَةٌ " (الأنعام ٧١) .

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى : " ألّا تكونُ " رفعا (٦) .

أمّا مَنْ رفع الفعل " تكونُ " فقد ذهب إلى أنّ " أنْ " هى المُخففة من الثقيلة ، واسمُها محذوف ، وحالت " لا " بينَ " أنْ " والفعل ، كما هو معروف فى " أنْ " المخففة الداخلة على الأفعال ، والتى لابدّ لها من فاصل يفصلها عن الفعل ليكون عِوضًا عن التشديد

---

(١) الهمع ، ١/١٤٢ .
(٢) شرح ابن عقيل ، ١/ ٢٧٨
(٣) المغنى ، ١/ ٣٧ .
(٤) السبعة ، ص ٣٦٣ .
(٥) الكشف ، ٢/ ٢٧ ، والتيسير ، ص ١٣٥ .
(٦) السبعة ، ص ٢٤٧ .

الذى فقدته (١) .

د - نَصْب الاسمين بالنَّواسخ المُشبّهة بالفِعْل (لَيْتَ ، لَكِنّ)

" ليت " : اجاز الكسائى نصب اسمها وخبرها معًا باضمار " كانَ " فالتقدير عنده فى نحو : " ليتَ زيدًا قائما " ، هو : ليت زيدًا كان قائما ، قال : لأنَّ " كان " تُستعمل هنا كثيرا ، نحو قوله تعالى :

" يَالَيْتَها كانت القاضية " (الحاقة ٢٧) ، وقوله تعالى : " يالَيْتَنى كُنْتُ مَعَهُم فَأفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا " (النساء ٧٣) . وكذلك احمد على قوله :

يَالَيْتَ أيَّامَ الصِّبَا رَواجِعَا (٢) .

" لكن " :

فلَوْ كُنْتَ ضَبِّيًّا عرفتَ قرابَتِى ولكن زِنْجِيًّا غَلِيظَ المَشافِرِ

ففى خبر لكن فى هذا البيت ثلاثةُ آراءٍ :

الأول : قال الكسائى : ولكن بِكَ زِنْجِيًّا ، أى يُشْبِهك .

الثانى : قال سيبوية : زِنْجِيًّا غليظَ المشافر تُشْبِهه ، فأضْمر الخبرَ .

الثالث : قال الفـــرّاء : غليظَ المشافر أتْبَعَه ، وهو الخَبر (٣) .

ويرى سيبوية بعد ذلك أنَّ الباب كله " منتصب فيه الخَبَرُ بعد الأحْرُفِ الخَمْسةِ تنصبه إذا صار ماقبلَه مَبْنِيًّا على الابتداءِ ، لأنَّ المعنى واحدٌ فى أنَّه حالٌ ، وأنَّ ماقبله قد عمـــل فيه ، ومنعه الاسمُ الذى قبله أنْ يكونَ مَحْمولاً على " إنَّ " ، وذلك قولك : إنَّ هذا عبدُ الله مُطلقًا ، وقال تعالى : " إنَّ هذه أمَّتُكم أُمَّةً واحدةً " (الانبياء ٩٢) . وقد قرأ بعضهم : " أنَّ هذه أمَّتُكم أُمَّةٌ واحدةٌ " (٤) .

وأما الفراء ، فقد أجازَ نصب الاسمين بـ " لَيْتَ " ، ولكن بتقدير : " تَمَنَّيْتُ " كأنَّه يلمح الفعلَ الذى نابَ الحرفُ عنه فيمطله " (٥) ، وهو مذهب الكسائىّ مع الاختلاف فى الشىء المقـــدر .

ونحن بعد ذلك - فيما أرى - مطالبون ببيان تفصيلى عن هذه الظاهرة ، عليهـــا أنْ تكون لهجةً . ويذكر ابن مالك : ويجوزُ نصبُ الاسمين بـ " ليت " عند الفراءِ ، وبالخمسة

---

(١) الحجة لابن خالوية ، ص ١٠٨ - ١٠٩

(٢) شرح المفصل ، ٨/ ٨٤ .

(٣) مجالس ثعلب ، ٣/ ١٢٧ .

(٤) الكتاب ، ١/ ٢٨٧ .

(٥) شرح المفصل ، ٨/ ٨٤ .

عند بعض أصحابه (١) . وهذا ما ينتصر عليه البغدادي أيضا (٢) .

ويقول ابن يعيش : ويجوز النصب بـ " لعل " عند الفراء ، وعنه ايضا في " ليت " و " كأن " و " لعل " (٣) . ويقول ابن سعيد التونسي في شرحه على الأشموني : وأجاز الفراء نصب الاسمين بـ " كأن " ، " لعل " ، " ليت " والكسائي في " ليت " وبعض المتأخرين في الستة ، وقال ابن الأثير : حكاه أبو علي الفارسي عن جماعة منهم ابن الطراوة ، وأبو محمد البطليوسي (٤) .

وقد رأينا الكسائي يقدر " كان " محذوفة مع اسمها فرأيناه يقدر " رواجما " على أنها الخبر ، والجملة من كان المحذوفة واسمها وخبرها في محل رفع خبر " ليت "

وهنا يجدر أن نشير إلى أن تقدير الكسائي " كان " إنما جاء من ملاحظته استعمال " إن " معها " كان " وخاصة في القرآن ، أي أن التقدير هنا ليس عقليا وإنما هو صادر عن الاستعمال . على أن تقدير الكسائي مرفوض أمام النحاة ، وذلك لأنه مشروط عندهم لكثرة حذف كان مع اسمها أن يقعا بعد " إن " و " لو " الشرطيتين :

والآن نقدم اختلاف النحاة في نصب الاسمين بهذه الأحرف .

١ـ الخبر محذوف ، وتقديره : " تلقاهم أسدا " في قول الشاعر :

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافا إن حراسنا أسدا (٥)

وكذلك : ياليت أيام الصبا أقبلن رواجما .

٢ـ ذهب بعض إلى أن قول الراجز " كأن .. قادمة " في قوله :

كأن أذنيه إذا تشوفا قادمة أو قلما محرفا (٦)

أي قادمتا أو قلما محرفا من غير تنوين ، على أن الأصل قادمتان ، وقلمان ، فحذفت النون لضرورة الشعر .

٣ـ ذكر الزمخشري (٧) : " ليت " للتمني كقوله تعالى : " يالَيْتَنا نُرَدُّ " (الانعام ٢٧)

---

(١) تسهيل الفوائد ، ص ٦١ .
(٢) خزانة الادب ، ٤/ ٢٩٠ـ٢٩١ ، ٤/ ٢٩٤ .
(٣) شرح المفصل ، ٨/ ٨٤ .
(٤) ابن سعيد التونسي : الحاشية الموسومة بظواهر الكواكب لبواهر المواكب على شرح الاشموني لالفية ابن مالك ـ الطبعة الاولى ـ تونس ١٢٩٠ هـ ، ١/ ٢٠٧
(٥) انظر مغني اللبيب ، ١/ ٣٧ .
(٦) انظر السابق ، ١/ ١٩٣ ، وخزانة الأدب ، ٤/ ٢٩٢ـ٢٩٤ .
(٧) المفصل ، ٢/ ١٩٥ .

ويجوز عند الفراء أنّ تجرى مجرى أتمنّى فيقال : ليت زيدًا قائمًا ، كما يقال : أتمنّى زيدا قائمًا ، وتقول : ليت أنّ زيدًا خارجٌ وتسكت كما تسكت على : ظننتُ أنا زيدًا خارجٌ .

ونلاحظ أنّ هذا المعنى هو ما أكّده ابن يعيش حين قال : " إنّ ليت حرف ثلاثيّ البناء وحقّه أن يكون موقوف الآخر ، إلّا أنّه حُرك لالتقاء الساكنين ، وفتح طلبا للخفة .. "(١)

٤ــ ومن العرب من ينصب خبر كأنّ تشبّهها بظننت ، وعلى هذا أُنشد قولُ ذي الرمة :

كأنّ جُلودهنّ مُوَهّـــاتٌ على أبْشارها ذَهَبًا ذُلالا (٢)

٥ــ وينقل البغدادي عن أبي حيان : وقال أبو حيان : المشهور رفعُ أخبار هذه الحروف وذهب ابن سلام في طبقات الشعراء ، وجماعةٌ من المتأخرين إلى جواز نصبه ، والكسائي إلى جوازه في ليت ، وكذا في نقله عن الفراء ، وعنه أيضًا في ليت ، وكأنّ ، ولعلّ ، وزعم ابنُ سلام أنها لغةُ رُؤْبة وقوم ، وحكى عن تميم أنّهم ينصبون بلعلّ ... وزعم أبو حنيفة أنّ نصب الجزأين بليْتَ لغةُ بني تميم (٣) .

وقد ورد نصبُ الجزأين في أمثالِ العرب أيضا : ليتَ القِسِيَّ كُلّها أرْجُـــلا

يقول الميداني : كذا وردَ المثلُ نصبا . وهي لغةُ تميم . يُعملون "ليت" إعْـــمال "ظنّ" ، فيقولون : ليت زيدًا شاخصًا . كما يقولون ظننت زيدًا شاخصًا (٤) .

وبعد هذه النصوص الكثيرة نرى أنّ جمهرة النحاة تعددت مذاهبهم في نصب هذه الحروف للجزأين وهم على تعدّد آرائهم لم يذكروا "أنّ" المفتوحة الهمزة ربما لأنّها فرع عن المكسورة ، وكذلك نلاحظ أن "لكن" لم تَدْخل في حُسبان النحويين ، وهم بصدد الحديث عن نصب الجزأين بأخواتها . ما خلا الكسائيّ حين قدّر "ولكن بك زنجيا" .

وليس بغريب أن يختصّ الكسائيُّ بهذا ، فهو يرى أنّ "لكنّ" من أخواتِ "إنّ" فلا يمنع أن يقيس عملَها على بقية أخواتها ، وخاصة اذا علمنا أنّ نصب الجزأين بأخواتِ إنّ قـــد ثبت أنّه لهجةُ بناءً على ما مرّ بنـــا .

أما عن موقف الدرس الحديث من هذه الظاهرة ، يقول الدكتور عبد الرحمن أيوب(٥) "يرى البعضُ أنّ الأصل التاريخي لأداة التمنّي "ليت" هو الفعلُ "رأيْتَ" . ويمكـــن تبرير هذه العلاقة التاريخية بعدد من الأمور :

(١) شرح المفصل ، ٨/٨٤ .
(٢) خزانة الادب ، ٤/٢٩٢ .
(٣) السابق ، ٤/٢٩١ .
(٤) الميداني : مجمع الامثال ، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٢ ، ٢/١٨٧ .
(٥) الدكتور عبد الرحمن أيوب : محاضرات في اللغة ، مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦٦ ، ص ١٦٠ــ١٦١ .

١ـ الشبه الصوتي ، إذ ليس بين الكلمتين من الناحية الصوتية خلافٌ إلّا في ناحيتين :
أولاهما : وجودُ الراء في إحداهما مكان اللام في الأخرى .
وثانيهما : وجودُ همزة القطع في إحداهما وعدمُ وُجودها في الأخرى أمّا وجود اللام مكان الراء فانه يحدث فعلا في العربية ولهجاتها ، ومثاله " ياليت " الفصحى وتناظرها في المصرية والعراقية " يا ريت " بالراء . أما سقوط همزة القطع فأمرٌ ثابتٌ الحدوث فقد كانت لهجة الحجاز قديما تُسقط همزة القطع ، كما أنها تَسقط كذلك في اللهجات الحديثة مثل " رأس " الفصحى ، ويقابلها " راس " في اللهجات الحديثة ، ولهجة الحجاز القديمة ومثل " امرأة " ويقابلها في هذه الكلمات " مَرة " بدون همزة .
٢ـ استعمال " ليت " ، يلاحظ أنّ ليت تنتهي بِبناءٍ مفتوحةٍ تُشبه تاء المُخاطب المُفرد المذكر في رأيت ، ويلاحظ أيضا أن نون الوقاية تدخل على ليتَ ، عند اتصالها بياء المتكلم مع أنّ نون الوقاية لا تدخُل على غير الأفعال ، وهذا شاهدٌ على الارتباط التاريخي بين ليت ، والصيغة الفعلية حتى يقال ليتني كما يقال رأيتني " .

والحق بعد ذلك أنّ تأويلات النحويين في هذا الصدد تُوقع في ارتكاس شديد وخاصةً إذا علمنا أنهم تأولوا كثيرا على قولهم : " جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٌ " ، وعلقوا عليه ما هو شاذ في نظرهم ، فأصبحنا لا ندري أهو لهجة ، أم تأول ؟

ونحن مع ذلك لا نُنكر ما يُقال بصدد الضرورات الشعرية ، إلّا أنها مع ذلك تقف أمام القاعدة النحوية ـ أحيانا ـ موقف المعارضة .

ولا نزال نذكر ـ أيضًا ـ بيت الفرزدق :

وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مَرْوانَ لَمْ يَدَعْ من المالِ إلّا مُسْحَتًا ، أوْ مُجَلَّفُ (١)

يذكر ابن سلام : قال أبو عمرو بن العلاء ، ولا أعرف للرفع وَجْهًا ، وكان يونس لا يعرف له وجهًا ، قلت ليونس : لعلّ الفرزدق قالها على النصب ولم يأبَهْ ؟ فقال : لا ، كان ينشدها على الرفع وأنشد لسيبويه رُؤبة على الرفع (٢) .

وينقل صاحب خزانة الأدب : وقال الفراء في تفسيره : حدّثني أبو جعفر الرؤاسي عن أبي عمرو بن العلاء قال : مَرّ الفرزدق بعبد الله بن اسحق النحوي فأنشد هذه القصيدة ، فقال عبد الله : علامَ رفعتَ مُجلّفا ؟ فقال له الفرزدق : على ما يَسُوءُك ، وفي تذكرة أبي حيان من النهاية قال عبد الله بن أبي إسحق للفرزدق : بِمَ رفعتَ أوْ مُجَلِّفٌ فقال :

(١) البيت يُنقول عن خزانه الادب ، ٢/ ٣٤٧ .
(٢) طبقات فحول الشعراء ، ١/ ٢١ .

بما يسوءك وبنوءك علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا ، ثم قال الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالي

فقال له عبد الله : أردت أن تهجوني فلحنت أيضا (١) .

فهكذا الأمر بين قاعدة إعرابية ، وضرورة شعرية ، القافية تضطر الشاعر فيؤدي ذلك إلى تغيير صوتي بين صائت طويل وآخر قصير . ومن هنا فلعلة يمكن أن نتأول قول القائل :

ياليت أيام الصبا رواجعا

وقول القائل :

" كأن أذنيه "

وذلك من قبل تغير القيم الخلافية .

وعلى ما مضى فانني أكاد لا استبعد أن يكون نصب الجزأين لهجة عن العرب ، حيث إن أبا حنيفة قد روى ذلك وأن أبا حنيفه كان - كما نعلم - قد أخذ في آرائه الفقهية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقد بينا في البحث أن الكسائي اتفق في قراءاته - بعضها - مع قراءات ابن مسعود ، فليعر بعيد أن يكون أبو حنيفه سمع عن ابن مسعود ، فضلا عن أن مدرسة الكوفة بوجه عام كانت تؤثر السماع ، والقياس أكثر .

ولعلنا نختم هذا القول بما قاله الأستاذ إبراهيم مصطفى : " وأنت تعلم حرص العرب على الإعراب ، ودقة حسهم به ، وتأدبهم عليه ، وتعلم طبيعة الشعر العربي ، وما فيه من قافية ، وما للقافية من أحكام ، وأن التماثل والانسجام من أجلى صفاته ، وأدق خصائصه فلما تعارضت حركة الإعراب ، وحركة القافية " استجابت العرب لما هو أولى أن يمثل معناه ويصور مراده ، ولما هو ألصق بطبيعة ، وأدخل في عربيته ، وهو الإعراب (٢) .

هـ - اتصال اللام بأخبار هذه النواسخ :

قبل أن نتكلم عن اتصال اللام بأخبار هذه النواسخ نحب أن نشير سريعا إلى أن القدماء لم يجوزوا دخول لام الابتداء على اسم غير " إن " المكسورة الهمزة ، شريطة أن يتأخر ، ويتقدم عليه الخبر وهو جار ومجرور (٣) . نحو : إن في مقالهم لنصيبا من الحق .

---

(١) خزانة الادب ، ٢/ ٣٤٧ .

(٢) ابراهيم مصطفى : إحياء النحو ، طبعة مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ، ١٩٣٧م ص ٩٥ - ٩٦ .

(٣) ابن مالك : تسهيل الفوائد ، ص ٦٣ .

أمّا اختلافهم في دخولها على الأخبار ، فاتفقوا في دخولها على خبر "إنّ" المكسورة المهموزة ، واختُلف في دخولها على بقيّة أخواتها . والذي يقابلنا في دخول اللام على خبر "إنّ" أنّ الكسائي (١) أجاز دخولَ اللامِ على الخبرِ المتصرّف غير المقرونِ بـ "قد" وبمعنى ذلك أنّه الجملةُ الفعليةُ ذاتُ الفعل الماضي . فعند الكسائيّ يجوز نحو: "إنّ زيداً لرضيَ" . على أنّ ذلك ممتنعٌ عند ابنِ مالك ، حيث يقول :

ولا يَلِي ذي اللامِ ما قَدْ نُفِيَا ولا مِنَ الأفعالِ ما رضِيَا (٢)

وقد أجاز الجمهور: إنّ زيداً لقد قامَ ولشَبَهِ المضارعِ المقرونِ بقَدْ بالمضارع ، لقُربِ زمانه من الحال ، والمضارعُ شبيه بالاسم ، وشَبَهُ المشابه مُشابه (٣) .

على أنّ الأخفشَ والفراءَ وابنَ مالك جوّزوا ، نحو : إنّ زيداً لنِعْمَ الرجل ، وإنّ زيداً لَعَسَى أنْ يقوم (٤) ليسذر الشر" هذا اذا لم تقترن به السين أو سوف (٥) .

فربّما قاس الكسائيّ الفعلَ المتصرف على غيرِ المتصرفِ ، كما يرى الأخفشُ والفراءُ وابنُ مالكٍ ، وقاسوا هُم جميعًا الفعلَ الماضي على المضارع .

على أنّنا - بعد ذلك - نجدُ ما جوّزه الكسائيّ والأخفشُ وابنُ مالك والفراءُ ، مخالفًا للأنماطِ التي وردت في القرآن الكريم في هذا الصدد ، من ذلك .

قوله تعالى : "وإنْ أطَعْتُمُوهُم إنّكُم لَمُشْرِكُون" (الأنعام ١٢١) .
اتّصلت اللامُ بخبر "مُفْرد"

وقوله تعالى : "وإنّه لَمِنَ المُسْرِفين" (يونس ٨٣) .
اتصلت اللامُ بخبر "جار ومجرور"

وقوله تعالى : "وأقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيْمَانِهِم إنّهم لَمَعكُم" (المائدة ٥٤)
اتصلت اللام بخبر "ظرف" .

وقوله تعالى : "وإنّ كثيرًا ليُضِلّون بأهْوائِهم بِغَيرِ عِلْمٍ" (الانعام ١١٩) .
اتصلت اللام بخبر "جُملة فعلية فعلُها مضارع"

وقوله تعالى : "وإنّا لَنَحْنُ نُحْيِي المَوتى" (الحجر ٢٣) .
اتصلت اللامُ بخبر "جُملة اسمية"

وعلى أساسِ هذه الأنماطِ نَرى أنّ ما جوّزه الكسائيُّ والفراءُ والأخفشُ وابنُ مالكٍ مخالفٌ

---

(١) وافق الكسائي في هذا هشام الضرير .
(٢) شرح ابن عقيل ، ١/ ٣٦٧ .
(٣) شرح التصريح ، ١/ ٢٢٣ .
(٤) السابق والصفحة .
(٥) شرح ابن عقيل ، ١/ ٣٧٠ .

لما وردَ في النصِّ الكريم فلا نرى هذا إلا أنه ضربٌ من القياس، أو ربما كان من السماع، وإن لم نرَ نصًا — فيما اطلعنا عليه — يشير إلى سماع الكسائي في هذا .

و — اتصالُ هذه الأحرف بـ " ما "

أجاز الكسائيُّ والأخفشُ عمل " إنَّ " إذا اتصلت بـ " ما " ، نحو : " إنما زيدًا قائمٌ " (١) . يقول ابن عقيل : وقد تعمل قليلًا ، وهذا مذهبُ جماعةٍ من النحويين كالزجّاجي وابن السراج (٢) . يقول سيبويه : اعلم أن كل موضع يصلح فيه أن تقع فيه أنّما وما ابتدئ بعدها صلة لها ، كما أن الذي ابتُدئ بعد الذي صلة له ، ولا تكونُ هي عاملةً فيما بعدها ، كما لا يكونُ الذي عاملًا فيما بعده ... واعلم أنَّ الموضع الذي يجوز فيه إنَّ إنّما فيه مُبتدأةٌ ، وذلك قولك : وجدتُك إنّما أنتَ صاحبُ كلّ خيرٍ ، لأنك لو قلت : وجدتُك أنك صاحبُ كلّ خيرٍ لم يجز لك إذا قلت : أرى أنه منطلقٌ ، فإنما وقع الرأيُ على شيءٍ لا يكونُ الكافُ التي في وجدتُكَ ونحوها من الأسماء (٣) .

ولعل رأيَ الكسائي في .. " إنّما " راجع إلى أنه ورد السماع بـ " ما " مُتّصلة .. بـ " إنّ " لاختصاص " ليت " بالجمل الاسمية . فقاس الكسائيُّ على ذلك ، والذي ورد سماعًا عن " ليت " في هذا قولُ النابغة :

قالتْ ألا ليتما هذا الحمامُ لنا ... إلى حمامتنا أو نصفُه فقدِ

ويُروى بنصب " الحمام " ورفعه :

النصب على إعمال ليت في اسم الإشارة ، ويكون " الحمامُ " بدلًا أو عطفَ بيان ،
الرفع على إهمال ليت (٤)

وينقل صاحبُ كتاب منحة الجليل مع شرح ابن عقيل رأيَ الزجّاج ، وهو استاذُ الزجّاجي — في هذا : وذهب الزجاجُ في كتابه " الجُمل " إلى أنّ جميع هذه الأدواتِ — يقصد إنّ وأخواتِها — بمنزلة واحدةٍ ، وأنها إذا اقترنتْ بها " ما " لم يجبْ إهمالها بل يجوز فيها الإعمال والإهمال ، غير أنَّ الإهمالَ أكثرُ في الجميع ، أمّا الإعمال فعلى اختصاصها الأصلي وذكر الزجاجُ أنّ ذلك مسموعٌ في الجميع ، قال : ومن العرب من يقول : إنّما زيدًا قائمٌ ، ولعلّما بكرًا جالسٌ ، وكذا أخواتها : ينصب بها ، ويُلغى ما " (٥) .

---

(١) انظر ابن عقيل ، ١/ ٣٧٤ـ٣٧٥ .
(٢) السابق ، ص ٣٧٤ .
(٣) الكتاب ، ١/ ٤٦٥ـ٤٦٦ .
(٤) انظر مكتاب منحة الجليل مع شرح ابن عقيل ، ١/ ٣٧٤ .
(٥) السابق ، ص ٣٧٤ـ٣٧٥ـ وانظر ايضا حاشية الصبان ، ١/ ٢٢٥ـ٢٢٦ .

ومن أنماط ذلك في النص الكريم :

قوله تعالى : "قل إنما أنا بشر مثلكم" (الكهف ١١٠) .

وقوله تعالى : "قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد" (الأنبياء ١٠٨) .

وقوله تعالى : "قل إنما هو إله واحد" (الانعام ١٩) .

وقوله تعالى : "إنما هو إله واحد" (النحل ٥١) .

وقوله تعالى : "إنما أنا منذر" (ص ٦٥) .

وقوله تعالى : "قل إنما أنا بشر مثلكم" (فصلت ٦) .

وقوله تعالى : "قل إنما أعظكم بواحدة" (سبأ ٤٦) .

ونحن - فيما أطلعنا عليه من كتب القراءات - لم نستطع تأصيل هذه الظاهرة من نحو هذه النصوص القرآنية الكريمة . وحتى الكتب اللغوية لم تفصل في هذا من خلال هذه النصوص أيضًا . فأبو البقاء العكبري مثلاً في توجيه "آية الأنعام" يقول : في "ما" وجهان : أحدهما - هي كافة لأن عن العمل فعلى هذ "هو" مبتدأ ، وإله خبره ، والثاني - أنها بمعنى الذي في موضع نصب بأن وهو مبتدأ وإله خبر والجملة صلة الذي ، وواحد خبر إن (١) .

وكل ما نستطيع قوله هنا أن هذا يلفت إلى ملاحظة الكسائي لآية المائدة ، في قوله تعالى : "والصابئون .." حيث جعلها معطوفة بالرفع على اسم "إن" ، ومن ثم فالفعل رأيه في إعمال "إن" إن اتصلت بها "ما" هو تسجيل لما يصدر عن اللسان العربي ، ما شاع منه وما ندر .

هـ - ونلحق بهذه النواسخ "لا" التي تعمل عمل "إن"

أجاز الكسائي إعمال "لا" في العلم المفرد ، نحو : لا زيدَ ، وفي المضاف لكنيته ، نحو : لا أبا محمدٍ . وعلى ذلك فإن الكسائي قد وضع قاعدة جوز فيها إعمال "لا" في العلم عمل "إن" (٢) . والمعروف أن البصريين قد أجمعوا على أنها غير عاملة في معرفة ، إذ من شروطها - عملاً - أن يكون مدخولها نكرة (٣) .

يقول سيبويه : إنها "لا تشبه سائر ما ينصب مما يليها اسم ، وهو الفعل وما أجري مجراه لأنها لا تعمل إلا في نكرة" (٤) .

---

(١) العكبري : البيان في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٧٦م ، ١/ ٤٨٦ .

(٢) الهمع ، ١/ ١٤٥ .

(٣) السابق ، ص ١٤٤ .

(٤) الكتاب ، ١/ ٣٤٥ .

ورأيُ الفراءِ في هذا يُفهم منه موافقته لسيبويه والبصريين ، وذلك أنَّه وافق الكسائيَّ في إعمال " لا " في نحو قولنا : " لا عبدَ الله " ، قال الفراء : لأنَّه حرفٌ مُستعمل يُقال لكل أحدٍ عبد الله (١) . ومعنى هذا أنَّ اسم " لا " نكرة ، وهذا مذهبُ البصريين . والذي يدل على أنَّ الفراء وافق البصريين أيضاً ، أنَّه خالف الكسائيَّ في إعمالها في نحوِ : " لا عبدَ اللهِ ويزٌ " والكسائيُّ جوَّز إعمالها في هذه كله (٢) .

على أنَّ الفراءَ يعودُ فيختلفُ مع البصريين في هذا ، فالبصريون لا يوافقون على إعمال " لا " في ضمير الغائب " واسم الإشارة ، نحو : لا هُو ، ولا هِيَ ، ولا هذَيْنِ لك ، ولا هاتَيْن لك ، بينما جوَّز الفراءُ ذلك (٣) .

ويتفق المبردُ مع سيبويه في عَدَم إعمالِها ، يقول المبردُ : ما دخلتْ عليه " لا " لم تُغيره عن حاله ، لأنَّه قد عمل فيه الفعل . فلم يجُز أنْ يعملَ في حَرْفٍ عاملان " (٤) .

ويوضح ابن يعيش هذا الخلاف قائلا : واعلم أنَّ لا النافية على ضَرْبين : عاملةٌ ، وغيرُ عاملةٍ . فالعاملةُ التي لنفي الجنس ، لأنَّها جوابُ ما كان على طريقة : هَلْ من رجلٍ في الدار . فدُخول " مِنْ " في هذا لاستغراق الجنس ، ولذلك تختص بالنكِرات لشمولها ، ألا ترى أنَّك لا يجوز هَلْ مِنْ زيدٍ في الدار ؟ كما يجوز هَلْ زيدٌ في الدار ؟ ... وإنَّما استحقت أنْ تكونَ عاملةً لشبهها بإنَّ الناصبة للاسم ، ووجهُ الشبه بينهما أنَّها داخلةٌ على المبتدأ والخبر ، كما أنَّ " إنَّ " كذلك ، وأنَّها نقيضةُ " إنَّ " ، لأنَّ " لا " للنفي .. وحق النقيضِ أنْ يخرج على حَدِّ نقيضِهِ مِنَ الإعراب (٥) .

إذنْ فابنُ يعيش يُعمل " لا " في الاسم الذي بعدها بشرط أنْ يكون ذلك لاستغراقِ الجنس .

وابنُ هشام يُعمل " لا " عمل " إنَّ " أيضا ، إلاَّ أنَّه يشترط كذلك أنْ يكونَ مُرادًا بها نفي الجنس على سبيلِ التنصيص ، وتُسمى حينئذ تَبْرِئةً ، وإنَّما يظهر نصبُ إسمها اذا كان خافضًا نحو : " لا صاحبَ جُودٍ مَقْوت " وقول أبي الطيب :

فلا ثوبَ مَجْدٍ غيرُ ثَوْبِ ابن أحمدٍ ... على أحدٍ إلاَّ بِلُؤْمٍ مُرقَّعُ

---

(١) أنظر الهمع ، ١/ ١٤٥ .
(٢) السابق والصفحة .
(٣) السابق والصفحة .
(٤) المقتضب ، ٤/ ٣٨٠ .
(٥) شرح المفصل ، ١/ ١٠٥ .

أَوْ زائدا نحو: "لا حَسَنًا فعلُه مَذْمومٌ" أَوْ ناصبًا نحو: "لا طالعًا جَبَلًا حاضرٌ" (١).

وقد وردت أبيات تؤيد إعمال "لا" عمل "إنّ" ولم يتوافر فيها شَرْطُ الإعمال عند الجمهور، وإنْ تعلّل لها النحويون. من ذلك:

١- أَعَدَمُوا بيتَكَ لا أَبالَكَ ... وزَعَمُوا أَنَّكَ لا أَخالَكَ

٢- لا تَمْنَعَنِّي أَشَابَهُ عُسُرٌ ... فلا يدٌ تَلْوِي إلا بمِقْدارِ (٢)

٣- إنّ الشبابَ الذي مَجْدٌ عَواقِبُهُ ... فيهِ نَلَذّ ولا لَذّاتِ للشَّيْبِ (٣)

وورد في الرواية في "لَذّات" بِبِنائِهِ على الكَسْرِ نِيابةً عن الفَتْحةِ، كما كان يُنصب بها لو أنّه مُعْرب (٤). فقيل عنها المبهمة (١)، (٢) - أ - أنّها اسمٌ (أي ما بعد لا) مضافٌ إلى المجرور باللام، واللام زائدةٌ لا اعتدادَ بها، ولا تعلق، والخبر محذوفٌ، والإضافةُ غيرُ مَحْضة. لأنه لم يقصد في "أب"، "أخ" مُعين فلم تعمل "لا" في معرفة (٥). وهو رأي الجمهور.

ب - أنها أسماءٌ مُفردة غيرُ مضافةٍ عُوملت معاملةَ المُضاف في الإعرابِ، والمجرور باللام في موضع الصفةِ لها، وهي متعلّقةٌ بمحذوفٍ، والخبرُ أيضًا محذوفٌ (٦). وهذا رأي هشام وابنِ كَيْسان، واختاره ابن مالك.

وفي قوله تعالى: "لا عاصِمَ اليومَ مِنْ أَمْرِ اللهِ" (هود ٤٣).

يقول أبو حيان: "ولا يجوز أنْ يكونَ اليومُ منصوبًا بقوله: "لا عاصِمَ"، ولا أنْ يكون "من أَمْرِ اللهِ" متعلقا به، لأن اسم "لا" إذا ذاك، كان يكون معمولا، وإذا كان معمولا لزم تنوينُه وإعرابُه، ولا يُبْنى وهو مَبْنِي (٧).

وقوله تعالى: "لا ملجأ" (التوبة ١١٨).

نلاحظ من هاتين الآيتين أنّ اسم "لا" جاءَ مُخالفا لما عليه الكسائي.

ولعل مخالفة النصّ القرآني لرأي الكسائي يدعو إلى القول بأنّ الكسائيَّ ربما جوز ذلك بناءً على ما سمع، حيث قد علِمْنا أنه أكثرُ مِنَ الرحلة.

---

(١) المغني، ١/ ٢٣٧.

(٢) البيتان بالهمع، ١/ ١٤٥.

(٣) البيت بشرح ابن عقيل، ١/ ٣٩٧، وانظر خزانة الأدب، ٢/ ٨٥ وهو لسلامة بن جندل السعدي، وذكر البيت بـ "أودى" بدلا من "إنّ".

(٤) انظر ابن عقيل ١/ ٣٩٨ "هامش".

(٥) الهمع، ١/ ١٤٥.

(٦) السابق والصفحة.

(٧) البحر المحيط، ٥/ ٢٢٧.

٢ — الحروف العاملة عمل لَيْسَ : أ — " إنْ "

أجاز الكسائى اعمال " إنْ " عمل ليس(١)

ونعتقد أن الكسائى بنى رأيه فى هذا على مصدرين : الأول : بعض القراءات الشاذة فقد قرأ سعيد ابنُ جُبير : " إنْ الذين تَدْعون من دُون الله عبادًا أمثالكم " بنون مخففة مكسورة لالتقاء الساكنين ، ونصب عبادا وأمثالكم (٢) .

الثانى : السماع : فقد سمع من أهل العالية : " إنْ أحدٌ خيرًا من أحدٍ إلَّا بالعافية " و " إنْ ذلك نافعَك ولا ضارَّك " (٣) .

وقد أنشد الكسائى بيتا شاهدا على اعمال " إنْ " عمل ليس ، هو :

إنْ هُو مُستوليًا على أحـــدٍ ... إلَّا على أضْعف المَجانِـــين (٤)

و " إنْ " ان دخلت على الجملة الاسمية لا تعمل عند سيبويه والفراء (٥) ، وهذا ما ذكره ابن هشام . وبعد ، فلقد اختلف النحاة فى تخفيف " إنْ " المكسورة الهمزة : فيذهب بعضهم إلى أنَّها لا تخفف مطلقاً ، فاذا قيل : إنْ زيدٌ لمنطلق ، فإنْ نافيةٌ ، واللام بمعنى إلا (٦) . وزعم آخرون أنَّها إنّ دخلت على الاسم كانت مخففةً من المشددة ، وإنْ دخلت على الفعل كانت للنفى ، واللام بمعنى إلَّا . وزعموا أن المخففة بمنزلة " قَدْ " . إلَّا أنَّ " قَدْ " تختص بالافعال ، و " إنْ " تدخلُ عليها وعلى الأسماء (٧) . على أنَّ بعضهم قد اشترط لتخفيفها أنْ يكون اسمها ظاهرًا مع صلوح خبرها للام ، بأن لا يكون مقدما ، ولا متصرفا ، ولا جملة شرطية (٨) ، إلا الخبر المنفى فانَّها تُخفف معه وإنْ لم يصلح للام لعدم الْتِباسِها بإنْ النافية (٩) . وفى هذا يقول سيبويه : واعلم أنَّهم يقولون : إنْ زيدُ لذاهب ، وان عمرو لخيرٌ منك لمَّا خففها جعلها بمنزلةِ لكنْ حين خففها ، وألزمها اللامَ لِئَلَّا تلتبس بإنْ التى هى بمنزلة " ما " التى يُنفى بها ، ومثل ذلك : " إنْ كلّ نَفْسٍ لَمَّا عليها حافظ " (الطارق ٤) انما هى لعليها حافظٌ وقال تعالى : "وإنْ كُلٌّ لَمَّا جميعٌ لَدَيْنَا مُحْضرون " (يس ٣٢) ، وانما هى لَجَمِيع ، و " ما " لفوٌ ... وحدثنا مَنْ نثق به أنَّهُ سمع من العرب من يقول : إنْ عمرا لمنطلق ، وأهل المدينة يقرؤون : " إنْ كُلاًّ لما لَيُوَفِّيَنَّهم ربُّك أعْمالَهم " يُخففون وينصبون (١٠)

(١) مغنى اللبيب ، ١/ ٢٣ــ٢٤ ، وقد وافق المبرد الكسائى فى هذا نقلا عن ابن هشام .
(٢) مغنى اللبيب ، ١/ ٢٤
(٣) السابق والصفحة ، وأنظر أيضا شرح التصريح ، ١/ ٢٠١
(٤) انظر شرح التصريح ، ١/ ٢٠١ .
(٥) المغنى ، ١/ ٢٣
(٦) الانصاف ، ١/ ١٢٣
(٧) انظر الهمع ، ١/ ١٤٢
(٨) ابن عصفور : المقرب ، تحقيق عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى ، رئاسة ديوان الاوقاف ــ أحياء التراث الاسلامى : مطبعة العانى ببغداد ، ط الاولى ، ١٣٩١هـ ، ١/ ١١١
(٩) الهمع ، ١/ ١٤٢
(١٠) الكتاب ، ١/ ٢٨٣

ويقول السيوطى نقلا عن الكسائى : وذهب الكسائى إلى أنها إنْ دخلت على الاسم كانت مخففة من المشددة عاملة كما قال البصريون ، وإنْ دخلت على الفعل كانت للنفى واللام بمعنى "إلا" كما قال الكوفيون (١) . وذهب الفراء : إلى أنها (أى إنْ) بمنزلة "قد" (٢)

ويقول المبرد : وتكون مخففة من الثقيلة ، فاذا كانت كذلك لزمها اللامُ فى خبرها لئلا تلتبس بالنافية . وذلك قولك : إنْ زيدٌ لمنطلق . وقال الله عز وجل : "إنْ كُل نفس لمّا عليها حافظ" . فان نصبتَ بها لم تحتَجْ إلى اللام (٣)

ويعلل المبرد الرفع بعدها — أى بعد إنْ — بأنها أشبهتْ الفعلَ فى اللفظ ، لا فى المعنى . فلما نقصت عمّن ذاك اللفظ الذى شُبّهت به رَجع الكلام إلى أصله (٤)

ويقول ابن عقيل : اذا خُففت "إنّ" فالأكثرُ فى لسان العرب إهمالها ، فتقول : "إنْ زيدٌ لقائمٌ" ، واذا أهملت لزمتها اللامُ فارقةً بينها وبين "إن" النافية (٥) . وبعد ذلك تأتى إلى بيان مدى صحة هذه الآراء على هدى القراءات القرآنية

قوله تعالى : "إنْ هَذانِ لَساحِران" (طه ٦٣)

يذكر أبو حيان أن الأخوين والصاحبين من السبعة قرؤوا بتشديد النون "هذانّ" بألف ، ونونٍ خفيفة لساحران (٦) . وقد ذكر أبو حيان تخريجَ النحاة لهذه القراءة على أنه "حذف ضمير الشأن ، والتقدير : إنّه هذان لساحران وخبرُ "إنّ" الجملة من قوله ، هذان لَساحِران ، واللام فى "لساحران" داخلةٌ على خبر المبتدأ (٧) غير أن أباحيان ضعّف هذا التخريج بأنّ حذف الضمير لا يجىء إلا فى الشعر ، ويشذُّ دخول اللام فى الخبر (٨) ثم ذكر أنّ هذا لغةٌ ، وأنّ الكسائى حكاها عن بنى الحارث بن كعب ، وخثعم وزُبيد ، وأهل تلك الناحية . ويضيف أبو حيان : وقرأ أبو بحرية ، وأبو حيوة ، والزهرى ، وابنُ مُحَيْصِن ، وحميد ، وابنُ سعدان ، وحفصٌ وابنُ كثير : "إنْ" بتخفيف النون ، هذان بالألف ، وشدد نونَ هذان ابنُ كثير . وتخريج هذه القراءة واضح ، وهو على أن "إنّ" هى المخففةُ من الثقيلة ، و"هذان" مبتدأ ، و"لساحران الخبر ، واللام للفرق بين "إنْ" النافية و "ان" المخففة من الثقيلة على رأى البصريين ، والكوفيون يزعمون أنّ "إنْ" نافية واللامُ بمعنى "إلا" (٩) .

---

(١) الهمع ١٤٢/١٠
(٢) السابق والصفحة
(٣) المقتضب : ٥٠/١
(٤) انظر المقتضب ٥٠/١
(٥) شرح ابن عقيل ٣٧٨/١
(٦) البحر المحيط ٢٥٥/٦
(٧) السابق والصفحة
(٨) السابق والصفحة
(٩) السابق والصفحة

وهُنا نلاحظ أنّ قراءة ابن كثير جاءت مؤيدةً لمذهب الكسائى ، وإنْ لم يقرأ بهـا ، ولكنه اختار قراءته باعتبارها لهجةً حكاها هو ، مِمّا يدل على اعتنائه بالسماع الذى يأتـى أحيانًا يُعضّده النصُّ الكريم

ومما يؤيد مذهب الكوفيين — فى أنّ " اللام " بمعنى " إلّا " قراءة " عبدالله : إن ذان إلّا ساحران ، قاله ابنُ خالويه ، وعزاها الزمخشرى لأُبَيّ "(١) . كما يذكـر ابن يُعيش فى كلامه عن الآية السابقة من سورة " طه " : قال الكوفيون : " إن " ههنـا بمعنى النفى ، واللامُ بمعنى " إلّا " والتقدير : ما هذان إلّا ساحرا ، وهو حسن على أصْلِهم .... وأما قراءة الجماعة ... فأمثلُ الأقوال فيها أنْ تكون على لُغة بـنى الحارث .. "(٢)

ومن قوله تعالى : " وإنْ كُلّ لَمّا جميعٌ لَدَيْنَـا مُحْضـرون " (يـس ٣٢)

يقول أبو حيان : وقرأ عاصم وحمزة وابنُ عامر بتثقيل " لَمّا " ، وباقى السبعة بتخْفيفهـا . فمن ثقّلها كانت عِنْده بمعنى " إلّا " ، و " إنْ " نافية ... ومن خَفّف " لَمّا " جعـل " إن " المخففة من الثقيلة ، و " ما " زائدةً ... وهذا على مذهب البصريـين . وأما الكوفيون فإنّ عندهم نافيةٌ ، واللام بمعنى " إلّا " ، و " ما " زائدة ، ولمـّـا المشددة بمعنى الإثبات فى لسان العرب بنقل الثِّقاةِ ، فلا يُلتفت إلى زَعْمِ الكسائى أنـه لا يَعْرف ذلك(٣)

وهنا نلاحظ أنّ قراءة الكسائىّ جاءت مؤيدةً لِمذهبه ، حيثُ إنّه يذهب إلى أن " إنْ " مخففة من الثقيلة عاملةٌ إنْ دخلت على الاسـم

وقوله تعالى : " إنْ كُل نفس لَمّا عليها حافِظٌ " (الطارق ٤)

يقول أبو حيان : قرأ الجمهورُ " إنْ " خفيفة ، " كُلُّ " رفعًا لَمّا خفيفة ، فهى عنـد البصريين مخففةٌ من الثقيلة وكلٌّ مبتدأ ، واللامُ هى الداخلةُ للفرق بين " إنْ " النافيـة و " إنّ " المُخففة ، و " ما " زائدة ، وحافظٌ خبر المبتدأ ، وعليها مُتعلق به ، وعنـد الكوفيين " إنْ " نافية واللامُ بمعنى " إلّا " و " ما " زائدة ، وكل وحافظ مبتـدأ وخبر(٤)

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٥٥
(٢) شرح المفصل : ٣/١٢٩
(٣) البحر المحيط ٧/٣٣٤
(٤) السابق ٨/٤٥٤

وقد عَزا أبو حيان " لَمَّا " مشددة ، إلى هُزيل لغة مشهورة فيها بمعنى " إلَّا " تقول العرب : أقسمتُ عليك " لَمَّا " فعلتَ كذا أى " إلَّا " فعلت ، قاله الأخفش ، فعلى هذه القراءة يتعين أنْ تكون نافيةً ، أى مَا كُلُّ نَفْسٍ إلَّا عليها حافظ (١) . ولعله مما يدل على أنَّ " إنْ " مخففة من الثقيلة ما ذكره أبو حيان عن قراءة " إنَّ " بالتشديد محكية عن هَـرون " (٢)

أما ما حكاه الكسائى عن دخول " إنْ " مخففةً على الجملة الفعلية نافيةً لهـا ، فانه قد قال ذلك مُطلقا ، ولم يُحدد نوعَ الفعلِ ناسخًا أو غير ناسخ ، على أية حال نقد وجدْنا فى النص الكريم ما لا يؤيد هذا الإطلاق عند الكسائى

فمن مثال ذلك قوله تعالى : " وإنْ كانَتْ لكبيرةً إلَّا على الَّذين هَدى الله " (البقرة ١٤٣)

وقوله تعالى : " وإنْ يكادُ الَّذين كَفَرُوا لَيُزْلقُونك بأبْصَارِهم " (القلم ٥١)

وقوله تعالى : " وإنْ وجَدْنا أكْثَرَهم لَفاسقين " (الاعراف ١٠٢)

ومما يؤيد هذا الاطلاق عند الكسائى قول بعض العرب :

" إنْ يَزينـك لنفْسك ، وإنْ يَشينـك لَهيَـهْ "

وقولهـم " إنْ قَتَلْـتَ كاتِبَـكَ لَسَوْطًـا " (٣)

ب ـ " ما " العاملةُ عمل ليس

اذا زِيدت " كانَ " بين اسمِ " ما " وخبرها ، اختُلف فى دخول الباء على الخبر على هذا النحو :

١ ـ البصريون يجيزونَ ذلك

٢ ـ الكسائى يُجيز ذلكَ

٣ ـ منع ذلك الفـــراءُ

فعند الفراء لا يجوز نحو : ما زَيدٌ كان بقائـم (٤)

واذا كان الخبر مثلاً ، نحو : ما زيدٌ بِمِثْلِك ، اختُلف أيضا فى دخول الباء على الخبر

١ ـ جَـوَّز البصريون ذلك

٢ ـ وجوَّزه الكسائـــىُّ

٣ ـ ومنعـــه هشـــامٌ (٥)

---

(١) البحر المحيط ٨ : ٤٥٤

(٢) السابق والصفحة

(٣) انظر ابن عقيل : ١/ ٣٨٢

(٤) انظر الهمع : ١/ ١٢٧

(٥) السابق والصفحة

لا خلاف على أنّ خبر " ما " يقترنُ بالباء في الحالات العادية ، غير ما ذكرْنا ، وربما كان هذا الاتفاقُ في الحالاتِ العاديةِ راجعًا إلى تأييد النصّ الكريم لذلك .
فقد جاء مثلا قوله تعالى : " ماهُنّ أُمّهاتِهم " (المجادلة ٢) فقد قرأ ابن مسعود : " .. بأُمهاتِهم " أمّا الاختلافُ الذي ذكرنا ، فهو راجع إلى القياس والتقدير فيما أظن فتجْويزُ الكسائي والبصريين دخولَ الباءِ على خبر " ما " إذا زيدت كان بين اسمها وخبرها ، ربّما كان راجعًا إلى اعتبار الزيادةِ في " كانَ " فيستوي — إذنْ — وجودُها وعدمُه . هذا رأي .
أما الرأي الثاني ، فإنّ كان لا تَمْنع دخول الباء في خبر " ما " ، لأنّ الباء هذه قد تُزاد في خبرِ فِعْلٍ ناسخٍ .
وقد أيد ذلك كلامُ العرب ، قيل :

وإنْ مُدّت الأيدي إلى الزادِ لَمْ أَكُنْ ... بأعْجَلِهِمْ ، إذْ أَجْشَعُ القومِ أَعْجَلُ

وقيل : فلمّا دَعاني لَمْ يَجِدْني بِقَعْدَدٍ (١)
كما زيدت الباء في خبر " لا " العاملة عمل ليس أيضا
قال الشاعر :

فكُنْ لي شَفيعًا يوم لا ذُو شَفاعةٍ ... بِمُغْنٍ فَتيلاً عن سَوادِ بنِ قارِبِ (٢)

أمّا دخول الباءِ على الخبر إذا كان مثلًا ، فلمّ الكسائي قاسه على دُخولها الخبَر إذا كان الكافُ تشبيها ، فقد حكى ذلك الكسائيُّ نفسه ، ولكن في خَبرِ لَيْسَ ، فقد حكى : لَيْسَ بِكَذلِكَ (٣) فقاس عليها ، إذْ هي الأصل
يقول سيبويه : وتقول : ما زيدٌ كَعَمْرٍو ولا شبيها به ، وما عَمْرٌو كخالدٍ ، ولا مُفْلِحًا ، النصب في هذا جيد ، لأنّك إنّما تريدُ ما هو مثلُ فلانٍ ولا مُفْلحا ، هذا معنى الكلام ، فإنْ أردتَ أن تقول ولا بمنزلةِ مَنْ يُشْبِهه جَرَرْتَ ، نحو قولك : ما أنتَ كزيدٍ ولا شَبيهٍ به ، فانما أردتَ ولا كَشَبيهٍ به . واذا قلتَ : ما أنتَ بزَيدٍ ، ولا قَريبًا منه ، فإنّه ليس ههنا معنى بالباء ... وأنت إذا كرّرت الكاف تمثل ، ويكون قريبا هَهُنا إنْ شئتَ ظَرْفًا ، وإنْ لَمْ تجعل قريبا ظرفًا ، جازفيه الجرُّ على الباء ، والنصبُ على المَوْضِعِ (٤)
وهنا نلاحظ — كما قلنا — أن الكسائيَّ يقيس دخولَ الباءِ في خَبَرِ " ما " إذا كان مثلًا ، على دخولها على خبرِ ليس إذا كان كافَ تشبيه ، ويكون ذلك قريبًا من دخولها على الظرف كما قال سيبويه .

---

(١) انظر الهمع ١/١٢٧
(٢) السابق والصفحة
(٣) السابق والصفحة
(٤) الكتاب : ١/٣٥

٣ - إجراء المُثنَّى بالألِف

قوله تعالى : " إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَان " (طه ٦٣)

هذه الآيةُ الكريمة كانت مثاراً للجدل والخلاف بين النحاةِ ، فكان نصيب الكسائيّ من هذا أنه قال فيها رأيين

الأوّل : أنّها جاءت على لغة بلحارث بن كعب ، خَثْعم ، وزُبيد ، وكِنانة وغيرهم مِمَّن استعمل المُثنى بالألف دائما (١)

الثانى : أنهم لم يَحُطّوا الألف من " هذا " إلى الياء لأنّه من الجزْم المرسل (٢)

أما عن الاراء الأخرى فتشير إليها سريعا .

١ - قيل إنّ الألف فى " هذا " غلبت عليها الفتحةُ التى قبلها ، كما غلبت الفتحة على الألف فى قولهم : رأيت كِلَا الرجُلين ، ومررت بِكِلا الرجلين (٣)

٢ - قيل إنه لما كان الإعرابُ لا يظهر فى الواحدِ وهو " هذا " جُعل كذلك فى التثنية ليكون المثنى كالمفردِ لأنه فرع عليه (٤)

٣ - أنكر بعض البصريين رأى الكسائى الثانى ، وذلك مِنْ قِبَل أنّ الجزم لا يدخل على الاسماءِ (٥) . وُرِدَّ " بأنّه لم يُرد حقيقة الجزم ، وإنّما ذهب إلى أن الياء والواو والألف سواكنُ . فقد شبههن لسكونهن بالحرف ، وسمى الالف التى تسبقها الفتحة ، والواو التى تسبقها الضمة ، والياء التى تسبقها الكسرة حرفًا مُرسلاً ، لان الحروف تجرى على حركاتها وتتبعها ... وسميت الواوُ التى تسبقها الفتحة والياء التى تسبقها الضمة حرفًا مُنبسطا لانفتاحِ ما قبل الحرفين .. (٦)

٤ - ذهب الفراء إلى أنّ ألف " هذا " دعامة ، وليست بلا فعل ، فلما ثُنيت زيدت عليها نون ، ثم تُركت الألفُ ثابتةً على حالها لا تزولُ على كل حال ، كما قالت العرب : " الّذى " ، ثم زادوا نونا تدل على الجمع ، فقالوا : " الذين " فى رفْعِهم ونصبهم وخفضِهم ، كما تركوا " هَذَان " فى رفعه ونصبه وخفضه (٧)

٥ - قيل إنّه لما ثُنى " هذان " قد اجتمع ألفان : ألفُ هذا ، وألفُ التثنية ، فوجب حذف واحدةٍ منها لالتقاءِ الساكنين ، فمن قدّر المحذوفة ألف " هذا " ، والباقية ألف التثنية ، قلبَها فى النصب والجرِ ياءً ، ومَنْ قدّر العكس لم يغير الألف عن لفظها (٨) .

---

(١) البحر المحيط ، ٦/٢٥٥ ، وحاشية الصبان نمعه شرح الشواهد للعينى ١/٧٠

(٢) ابن عطية وآخر مجهول : مقدمتان فى علوم القرآن ، تحقيق آرثر جمفرى ، مكتبة الخانجى بمصر ، والمثنى ببغداد ، ومطبعة السنة المحمدية ، ص : ١٠٩

(٣) السابق ، ص : ١٠٩

(٤) ابن هشام : شرح شذور الذهب ، ص : ٧٠

(٥) مقدمتان فى علوم القرآن ، ص : ١١٠

(٦) السابق والصفحة

(٧) معانى القرآن : ٢/١٨٣ - ١٨٤ (٨) شرح شذور الذهب ، ص : ٧٠

مما تقدم نرانا أمامَ ظاهرةٍ معينةٍ هى إجراء المثنى بالألفِ دائما .

ونحاول الان تأصيلَ هذه الظاهرةَ من خلال القراءات القرآنية ، والكتب اللغوية

ذكر ابن مجاهد : " واختلفوا فى قوله : "إنَّ هذان لساحران " فى تشديد النونين وتخفيفهما فقرأ نافع ، وابنُ عامر ، وحمزة ، والكسائى "إنَّ " مشددة النون "و"هذان" بألفٍ خفيفة النون . وقرأ ابن كثير : "إنْ هذانّ " بتشديد النون ، وتخفيف نون " ان " ، واختُلف عن عاصم ، فروى أبو بكر "إنَّ هذان " نون "إنَّ " مشددة . وروى حفصٌ عن عاصم "إنْ " ساكنة النون ، وهى قراءة ابن كثير ، وهذانِ خفيفة وقرأ أبو عمرو وحده "إنَّ " مشددة النون ، و " هذين " بالياء (١)

وابنُ خالويه (٢) يذهب إلى أن القراء أجمعوا على تشديد نون "إنَّ " إلّا ابنَ كثير وحفصًا عن عاصم فإنّهما خَفّفاها ، وأجمعوا على لفظِ الألف فى قوله : " هذانِ "إلّا أبا عمرو فانه قرأها بالياء ، وأجمعوا على تخفيف النون فى التثنية إلّا ابنَ كثير فإنه شددها . فالحُجّة لِمَنْ شدّد النون فى "إنَّ " وأتى بألف فى " هذان " أنّه احتج بخبر الضحاك عن ابن عباس " أنّ الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كُلّ حى من أحياء العرب " وهذه اللفظة بلغة بلحارث بن كَعْب خاصة ، لأنّهم يجعلون التثنية بالألفِ فى كل وجه لا يقلبونها لنصب ولا خفض ، قال شاعرهم : "إنَّ أباها " فلمّا ثبتت هذه اللغة فى السواد بالألفِ وافقت هذه اللغةَ نقرأوا بها ولم يغيروا ما ثبت فى المصحف .

ويعرض الزمخشرى (٣) لقراءة أُبَىّ : " وإنّ ذانِ إلّا سَاحِران " وقراءة ابن مسعود : " أنْ هَذَان ساحران " بفتح أنْ وتخفيف لام . وذكر فى القراءة المشهورة "إنَّ هذان لَسَاحِران " بأنّها لغة بلحارث ابنِ كَعْب ، حيث جعلوا الاسمَ المُثنّى نحو الاسماء التى آخرها ألف كعصا وسَمْدَى ، فلم يقلبوها ياءً فى الجر والنصب .

ويقول القرطبى (٤) : وذكر أنّها لُغة بنى الحارث بن كعب ، وزبيد ، وخثعم ، وكنانة ، يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالالف ، يقولون : جاء الزيدان ، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وأنشد الفراء لرجل من بنى أسد قال : ما رأيت أفصح منه :

فَأطْرَقَ إطْراقَ الشُّجاع ولو يَرَى مَسَاغًا لِنَابَاه الشجاع لَصَمّا

---

(١) السبعة ، ص : ٤١٩

(٢) الحجة فى القراءات ، ص : ٢٤٢ — ٢٤٣

(٣) الكشاف : ٣/٧٢

(٤) الجامع لاحكام القرآن : ١١/٢١٦ — ٢١٩

ونقل عن أبى جعفر : وهذا القولُ مِنْ أحسنِ ما حُملت عليه الآيةُ ، إذا كانت هذه اللغةُ معروفة وقد حكاها من يُرْتضى بعلمه وأمانته ، منهم أبُوْ زيد الأنْصَارى ، وأبو الخطاب الأخْفش وهو رئيس من رؤساء اللغة ، والكسائىّ والفراء ، كلهم قالوا : هذا على لغة بنى الحارث بن كعب ، وحكى أبو عبيدة عن الخطاب أنّ هذه لغةُ بنى كنانة ، وحكى غيره أنّها لغةُ لخثعم .

وهذا ما يذهب اليه أبو حيان (١) أيضا ، يقول : والذى تَخْتاره فى تخريج هذه القراءة أنّها جاءت على لُغة بعضِ العرب من إجْراءِ المُثنّى بالألف دائمًا وهى لغة كِنانة ، وبنو الحَارِثِ بنِ كَعْب ، وخَثْعَم ، وزُبَيْد ، وأهل تلك الناحية ... وقال أبو زيد : سمعت من العرب من يقلب كل ياء لينفتح ما قبلها .

ويذكر العينى قول أبى النجم منقولا عن الجوهرى :

واهًا لِرِيّا ثُمّ واهًا واهَـــا ... هى المُنَى لو أنّنَا نِلْنَاهـا

يا ليتَ عيناهَا لَنَا وَفَاهَـــا ... بِثَمَنٍ نُرضِى به أبَاهَـــا (٢)

ثم يذكر العينى بعد ذلك أنّ المُبرد أنكرَ ذلك ، غير أنّه مردود بنقلِ الائمة (٣) ، وقد ذكر القطبى هؤلاء الأئمةَ. ويُصوّب العينى ما رُوى عن أبى حنيفة رضى الله عنه من قوله : لا وَلَوْ رَمَاهُ بِأَبَا قُبَيْس (٤) ، وذلك بناءً على هذه اللهجة التى ربما نزعم أنّها كانت منتشرة فى الكوفة على وجه الخصوص ، نقلا عن ابن مسعود ، فقد قال حينما رأى أبا جهلٍ قتيلا : « أنْتَ أبَا جَهْـلٍ » (٥) وقد كان مذهبُ أبى حنيفة خاصةً قائمًا على آراءِ ابنِ مسعود رضى الله عنه .

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٥٥

(٢) المقاصد النحوية وهى على هامش خزانة الادب ٤/ ١٣٣

(٣) السابق ، ص : ١٣٨

(٤) السابق والصفحة

(٥) السابق والصفحة

٤ ــ الموصــولات :

أ ــ " أيّ "

تُضاف " أيّ " وتكون اضافتُها إمّا ظاهرةً ، نحو : اضْرِبْ أيُّهم فى الدارِ ، ومقدرة نحو : لَقِيتُ أيّاً ضَرَبْتَ .

قال الكسائى : يجب أنْ يكون عاملُ " أيّ " مستقبلاً . وقد تُوزع فيه ، فلم يكن لــــه مُستند إلّا أنّه قال : كَذا خُلِقَــتْ (١)

وقد خرّج الكسائى " أى " فى قوله تعالى : " لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَــةٍ أيُّهُــــم أَشَدُّ " (مريم ٧٠) على أنّها استفهامية والمفعول كل شيعه ، و " مِنْ " زائدةٌ على رأيه ورأى الأخفش ، حيث تُزاد فى الايجابِ ، وجملةِ الاستفهام مستأنَفة (٢)

وبعد ــ ما موقف النحويين واللغويين من " أى " هذه ؟

يقول ابن الأنْبارى : إنّهم لمّا حذفوا المبتدأ من صِلتِها دون سائر أخواتِها نقصــــت فبُنِيتْ ، وكان بناؤها على الضمّ أوْلى لأنّها أقوى الحركات ، فبُنِيت على الضم كـ " قَبْلُ " و " بَعْدُ " والذى يدل على أنّهم بَنَوْها لحذف المبتدأ أنّهم لو أظْهروا المبتدأ لقالوا : " ضَرَبْتُ أيُّهم هو فى الدّارِ " لنَصَبوا ولمْ يبنوا ، وذهب الخليلُ إلى أنّ الضمة ضمــــةُ إعراب ، ويرفعه على الحكاية ، وذهب يونسُ إلى الغاء الفعل قبله وتنزيل الفعلِ المؤثــر فى الإلغاءِ منزلةَ أفْعال القلوبِ ، والصحيح ما ذهب إليه سيبويه ، وأمّا قول الخليل إنّــه مرفوع على الحكاية ، فالحكايةُ إنّما تكون بعد خَبَرِىَ الكلام ، فتعود الحكايةُ إليه ، وهــذا الكلام يصح ابتداءً من غير تقدير قولِ قائلٍ قالَه ، وأمّا قول يونس فضعيف جدّاً ، لأنّ الفعل اذا كان مؤثّراً لا يجوز الغاؤه (٣) هذا تفصيل ابن الانبارى لاراءِ النحويين فــى "أى"

أما موقف القُراء من هذا

يقول العُكْبرى : إنّ قراءة النصب شاذةٌ ، والعاملُ لَنَنْزِعَنَّ ، وأيُّ بمعنى الذى ، وأمــــا أيُّ بالضم فانما بُنِيت هُنا ، لأنّ أصلها البناءُ ، لأنّها بمنزلة الذى وهى من الموصــولات إلا أنها أُعْرِبت حملاً على كل أو بعض فإذا وُصلت بجملة تامةٍ ، بقيتْ على الإعْرب ، واذا حُذف العائد عليها بنيت لمُخالفتها بقية الموصولاتِ ، فرجعتْ إلى حقها من البنـــــاء بخروجها عن نظائرها (٤)

---

(١) شرح الكافية الطبعة المصرية ٢/ ٤١ ، وأنظر شرح التصريح

(٢) حاشية الصبان : ١/ ١٣٧

(٣) أسرار العربية : ٣٨٢ ــ ٣٨٣

(٤) العكبرى : املاء ما من به الرحمن فى معيره الاعراب والقراءات فى جميع القــرآن ، مطبوع على هامش الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان الشافعى الشهير بالجمل مع تفسير الجلالين للسيوطى وجلال الدين المحلــى ، مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٧ هـ : ٣/ ٥٦٠ ــ ٥٦٣

ويقول أبو حيان : وقرأ طلحة بن مُصرف ، ومعاذ بن مُسلم الهراء .. عن الأعمش " أيَّهم " بالنصب مفعولا بـ " لَنَنْزِعَنَّ " . وهاتان القراءتان تدلان على أنَّ مذهب سيبويه أنَّه لا يتحتَّم فيها البناءُ إذا أُضيفت وحُذف صدر صِلتها ، وقد نُقل عنه تحتُّم البناء ، وينبغي أن يكون على مذهبه البناءُ والإعراب(١) .

ويقول القرطبي بعد عرضه لآراء الخليل ، ويونس ، والكسائي والأخفش : أمَّا القول الرابع فهو أن " أيُّهم " مرفوع بشيعة لأنَّ معناها تَشَيَّع ، والتقدير : لننزعنَّ من كل فريق أيُّهم وهو على هذا بمعنى الذي وهو قول المُبرد . والخامس : أنَّ نَنْزِعُ عُلِّقت عن العمل لأنَّ معنى الكلام معنى الشرط ، والشرط لا يَعْمَل فيما قبله والتقدير : لَنَنْزِعَنَّهم تشيعوا أو لم يتشيعوا ، أوْ إنْ تشيعوا . ومثلُه لاضربنَّ أيُّهم غَضِب ، أي إنْ غَضِبوا أو لم يغضبوا ، وهو قول يحيى عن الفراء ، وهو أبعدها عن الصواب(٢) .

ثم يضيف القرطبي : إنَّ هذه الاية مشكلة في الإعراب لأنَّ القراء كلهم يقرأون " أيُّهم " بالرفع إلا هارونَ القارئ فإن سيبويه حكى عنه ، ثم لننزعَنَّ " أيَّهم " بالنصب أو وقع على أيهم لننزعن ، ونقل عن الفارسي قوله : انما وجب البناءُ على مذهب سيبويه لأنَّه حُذف منه ما يتعرف به وهو الضمير مع افتقارٍ إليه كما حُذف في " من قَبْلُ ومن بَعْدُ " ما يتعرفان به ، مع افتقار المُضاف إليه لأنَّ الصلة تُبيِّن الموصول وتُوضحه ، كما أنَّ المضاف اليه يبين المُضاف ويخصصه(٣) .

وبعد ذلك أقول : إنَّ سيبويه يتفق مع الكسائي في بناء " أيّ " ، حتى كاد أنَّ يقول مقالة الكسائي " أيّ كذا خُلقت " وهنا يجد ربنا أنْ نعرض قول سيبويه ، يقول : وأرى قولَهم : اضْرِبْ أيُّهم أفضلُ على أنَّهم جعلوا هذه الضمةَ بمَنْزلة الفتحة في خَمْسَة عَشَرَ ، وبمنزلة الفتحة في الانَ ، حين قالوا : من الانَ إلى غد . ثم يقول : ولو قالت العربُ اضرِبْ " أيٌّ " أفضلُ لفَعَلْته ، ولم يكن بُدٌّ من مُتابعتهم "(٤) .

بل إن سيبويه ها يذهب مذهب الكوفة في توسُّعها حين تنقل عن اللسان العربي . على أنَّ ابن السراج يوجه قول الكسائي " أيٌّ كذا خلقت " بما معناه أن " أيًّا " وُضعت على العُموم والإبهام ، فاذا قلت : يُعجبُني أيُّهم يقوم فكأنك قلت : يُعجبني الشخصُ الذي يقع منه القيامُ كائنا مَنْ كان ، ولو قلت : أعْجبني أيُّهم قامَ ، لم يقع إلا على الشخص الذي قام ، فأخرجها ذلك عمَّا وضعت له من العموم(٥) .

---

(١) البحر ٦/٢٠٨ ـ ٢٠٩

(٢) الجامع لاحكام القرآن ١١/١٣٤ ـ ١٣٥ ، واملاء ما من به الرحمن ، ٣/٥٦٣

(٣) السابق والصفحة

(٤) الكتاب : ١/٣٩٨

(٥) انظر شرح التصريح : ١/١٣٦

وبعدُ ، فإنّ رأى الكسائى وسيبويه يبتعدان عن الايغال والتأويل ، ومن ثمّ فلعل الكسائى — وسيبويه فى هذا المقام — يهيئان لنا كيف قام الدرس النحوى عند العرب ، فضلاً عن الاقتراب من الدرس الوصفى الحديث

ب — مَنْ

تأتى زائدةً عند الكسائى ، واستدل على ذلك بيت أنشده لعنترة

يا شاة مَنْ قَنَصٍ لمَنْ حلّت لـه ... حَرُمتْ علىّ وليتَها لم تَحْرُمِ

قال الكسائى : إنه أراد : يا شاةَ قنصٍ . وهذا يعتبر جريًا على قاعدة الكوفيين الذين يجيزون زيادة الأسماء ، والبصريون لا يُسلّمون بذلك (١)

وزعم الكسائى أنّها لا تكون نكرةً إلا فى موضع يخُصُّ النكرات ، وذلك أنْ يقع بعد "رُبَّ" مثلا . ولما رُدَّ عليه بهذين البيتين :

١ — رُبَّ مَنْ أنضجتُ غيظًا قلبَه ... قد تمنّى لىَ موتًا كم يُطيعْ

٢ — إنّنى وإيّاك إذْ حلّت بأرْحُلنا ... كَمَنْ بوادِيه بَعْد المَحْلِ مَمْطُورِ

خرج من فيهما على الزيادة (٢)

والبصريون بعد ذلك يروْون بيت عنترة على أنّه : يا شاة ما قنص (٣) ، ومن ثمّ فإنّه لا يصح أنْ تُزاد ، لانّها تأتى حرفا ، والحروفُ لا بأسَ بزيادتِها للتوكيد والتقوية . على أنّ رواية الكوفيين للبيت "يا شاة مَنْ .. " إنْ صحّت ، فهى ليست زائدةً — أعنى مَنْ — ولكنها نكرةٌ موصوفةٌ بقوله قنص . وهو مصدرٌ فيُؤوّل باسم الفاعل ، وكان أصل الكلام يا شاة رجل قانص (٤)

وذلك يكون موافقا لمَجِىء "مَنْ نكرةً موصوفةً . وأمّا مَجِىء "مَنْ" زائدةً كما حكى الكسائى فربما شبهها بـ "ما" حيث ترِدُ زائدةً للتوكيد "ففى قوله تعالى : مَثَلاً ما يَعُوضَةً" (البقرة ٢٦) قال الزجّاج : ما حرفٌ زائدٌ للتنوكيد عند جميع البصريين "(٥) . ويرى ابنُ هشام أنّ قراءة عبد الله بن مسعود للاية السابقة باسقاطِ "ما" يؤيد مذهب البصريين فى زيادتِها (٦) . وعلى ذلك يكون اعتبار مَنْ عند الكسائى زائدة ، تشبيها لها بـ "ما" .

---

(١) شرح المفصل : ١٢/٤ ، وانظر كذلك المغنى : ٣٢٩/١

(٢) المغنى : ٣٢٨/١

(٣) شرح المفصل ١٢/٤ هامش

(٤) أنظر شرح المفصل ١٢/٤ هامش بتصرف

(٥) المغنى : ٣١٤/١

(٦) السابق والصفحة

أما عن " مَنْ " نكرةً في موضع يخص النكرات كما يزعم الكسائي ، فقد ذكر ابنُ هشام بيتـــا يُردّ قيـول الكسائي ، وهو :

آلُ الزُّبير سَنَامُ المَجْدِ ، قَدْ علمَتْ ذاك القبائلُ والأَثْرُوْن مَنْ عَدَدَا

فقال ابن هشام : وعددا : إمّا صفة لِمَنْ على أنّه اسمٌ وُضِعَ موضعَ المصدر ، وهو العـدد ، أي والأثرون قوما ذوي عدد ، أي قوما ممدودين ، وإمّا معمول لِيَعُدّ محذوفًا صلته أوصفـه ومَنْ بدل من الأثرون (١)

جـ — " مـــا "

ذهب الكسائي الى أنها مصدريةٌ في قوله : " بِما غَفَرَ لي " (يس ٢٧) فقال الكسائـــي معناه : بمغفرة ربي ، مُحتجًا بأنّها لو كانت استفهامية لحُذفت ألفُها لاتصالِها بحـــرف الخفض (٢)

يقول ابن يعيش : وهي على أربعة أضرب ، أحدُها أن تكونَ موصولةً معرفة بمنزلة الـذي والآخر أن تكون منكورةً غيرَ موصولةٍ ، والثالث أنْ تكونَ استفهاميّا ، والرابع أنْ تكون جزاءً (٣)

ويقول ابن هشام : تأتي على وجْهَيْن : اسميةٍ ، وحرفيةٍ ، وكلّ منهما ثلاثةُ أقســـام . فأما أوجه الاسميةِ ، فأحدُها : أنْ تكون معرفةً ، وهي نوعان : ناقصةٌ ، وهي الموصولة نحو " ما عِنْدَكُمْ ينفـدُ وما عِنْدَ اللهِ باق " (٤)

ويقول ابن هشام أيضا عن وتكون نكرة تضمنة معنى الحرف ، وهي نوعان : أحدُهمـــا : الاستفهامية.. ويجب حذفُ ألفِ الاستفهاميةِ إذا جُرّتْ وابقاء الفتحة دليلًا عليهـــا .... وعلة حذف الالف للفرق بين الاستفهام والخبر (٥)

وعن الاية السابقة : يقول الزمخشري : أيْ بالذي غَفَرَه لي من الذّنوب ، ويُحتمل أنْ تكون استفهامية ، يعني بأيّ شيء غَفَرَ لي رَبّي ... بِطَرْحِ الألف أجود وإنْ كان اثباتُهـــا جائزًا (٦)

ويقول أبو حيان : والظاهر أنّ " ما " في قوله : " بِما غَفَرَ لي " مصدريةٌ . جـــوزوا أن يكون بمعنى الذي ، والعائد محذوفٌ تقديره : بالذي غَفَرَه لي رَبّي مِنَ الذنـــوب ،

---

(١) المغني ، ص : ٣٢٩ — ٣٣٠
(٢) ابن الشجري : الامالي الشجرية : دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ٢٣٩/٢
(٣) شرح المفصل : ٢/٤
(٤) المغني : ٢٩٦/١
(٥) السابق ٢٩٨/١ — ٢٩٩
(٦) الكشاف : ١١/٤ — ١٢

وليس هذا بجيد ، إذ يؤول الى تمنّي علمهم بالذنوب . وأجاز الفراء أن تكون ما استفهامية ، وقال الكسائي : لو صحّ هذا ، يعني الاستفهام — لقال بم من غير ألف ، وقال الفراء : يجوز أن يقال بما بالألف وأنشد فيه أبياتاً ... والمشهور أنّ إثبات الألف في " ما " الاستفهامية اذا دخل عليها حرف جر مختص بالضرورة نحو قوله :

على ما قام يَشْتُمُني لَئِيم ... كَخِنْزِير تمرَّغَ في تُرابِ

وحذفها هو المعروف في الكلام ، نحو قوله :

عَلَى مَ يقول الرَّمحُ يَثْقُل كاهِلِي ... إذَا أنَا لم أَطْعَنْ إذا الخيل كَرَّتِ (١)

وهنا أيضا نلاحظ تعليل الكسائي قائما على الوصف ، فهو لم يَرَ الألف في " ما " محذوفة ، فمعنى ذلك عنده أنّ " ما " هنا مصدرية ، وليست استفهاماً

جُمْلة الصِّلة

جوز الكسائي أنْ تكون صلة الموصول جملةً طلبيةً (٢) ، والمعروف أنّ الصلة — جملة فعلية أو اسمية — شرطُها أنْ تكون خبريةً (٣)

والجملة الطلبية هي ما تأخّر معناها عن وجود لفظها ، أمرًا كان أوْ نَهْيا (٤) . فعلى مذهب الكسائي اذاً يجوز نحو : الذي أَضْرِبْه أوْلا يضربْه زيد (٥)

وأما اذا كانت الصلة شبه جملة كظرف زمان مثلاً فالشرط أنْ يكون الظرف قريبا ، نحو : نَزَلْنا المنزلَ الذي أمْس ، أو البارحة ، حكى ذلك الكسائي ، بخلاف نَزَلْنا المنزل الذي يوم الجُمعة ، أو الذي يوم الجمعة (٦)

تأخيرُ الصلة :

أجاز الكسائي تأخيرَ " كي " عن معمول صِلتها ، نحو : جاء زيدُ العلمَ كي يتعلّم . وأجاز الفراء تقديمَ معمول صلة أنْ عليها ، نحو : أعْجَبَني المسلَ أنْ نشرب (٧) . وهنا ينفرد الكسائي والفراء أيضا على تقديم معمول الصلة ، بينما يختلفان فيما تأخّر عنها نحو

---

(١) البحر المحيط : ٧/ ٣٣٠
(٢) الهمع : ١/ ٨٥
(٣) شرح التصريح : ١/ ١٤٠
(٤) السابق ، ص : ١٤١
(٥) الهمع : ١/ ٨٥
(٦) شرح التصريح : ١/ ١٤١ هامش ، والهمع : ١/ ٨٧
(٧) الهمع : ١/ ٨٧ — ٨٨

العائـــد :

الكسائى يحذف العائدَ المجرور • ومذهبه فى هذا التدريجُ ، يعنى يحذف حرفَ الجـرِّ أولاً ، حتى يتصل الضمير بالفعل فيصير منصوبًا فيصح حذفه • وعلى ذلك يكون : "الذى مَرَرْتُ زيْـد " تقديره : مررت به ، وإنْ احتملَ مررتُ معه ، أوله (١)

ويذهب سيبويه والاخفشُ إلى حذفهما معًا ، إذْ ليس حذف حرف الجر قياسًا فى كل موضع وأجاز الكسائى التوكيدَ والعطفَ على العائدِ المحذوف المنصوب بشرطه ، وذلك نجـــو : جَاءَنِى الذى ضربتُه نفسُه ، أوجاءنى الذى ضربت وعمرا • وقد وافق الاخفشُ الكسائىَّ فـــى هـــذا (٢)

٥ ـ اعـراب الأسماء الستـة

ذهب الكسائى الى أنها معربةٌ من مكانين ، بالحركاتِ والحروف ، وهذا رأى الكوفيين أيضا (٣) • ومعنى ذلك أننا إذا قلنا ، هذا أَخُوكَ فهو مرفوع والواو علامةُ الرفع والضمـــةُ التى قبلها • وهكذا بالنسبة لحالتى النصب والجر، وعلينا أن نعرف رأى النحاة فىَ هذا • يقول ابن الأنبارى : " ذهب الكوفيون الى أن الاسماء الستة المعتلة معربة من مكانـــين ، وذهب البصريون إلى أنها معربةٌ من مكان واحد والواو والألف والياء هى حروفُ الإعـراب • واليه ذهب أبو الحسن الأخفش فى أحد القولين • وذهب فى القول الثانى إلى أنهـــا ليست بحروف إعرابٍ ، ولكنها دلائل الإعرابِ ، كالواوِ والألفِ والياءِ فى التثنية والجمـــع ، وليست بلامِ فِعْل

وذهب على بن عيسى الربعى الى أنها اذا كانت مرفوعة ففيها نقلٌ بلا قلب ، واذا كانـــت منصوبةً ففيها قلبٌ بلا نقلٍ ، واذا كانت مجرورةً ففيها نقل وقلب • وذهب أبو عثمان المازنى إلى أنَّ الهاء حرف الاعراب ، وانما الواو والالف والياء نشأت عن إشْباعِ الحركات • وقـــد يحكى عن بعض العرب أنهم يقولون : هذا أبُـك ، ورأيت أبَك ، ومررت بأبك ... كمـــا يقولون فى حالة الافراد من غير إضافة • وقد يحكى أيضا عن بعض العرب أنهم يقولـــون : هذا أباَك ، ورأيت أباَك ، ومررت بأباك .. فيجعلونه اسما مقصورا (٤)

---

(١) انظر شرح التصريح : ١٤٧/١
(٢) انظر الهمع : ٩١/١ ، وحاشية الصبان : ١٤٠/١
(٣) الانصاف : ١٠/١ ، والهمع : ٣٨/١
(٤) السابق ، ١٠/١ ـ ١١

وعلى ذلك فمذهب الكوفيين يتلخص في نقطتين :

الأولى : أنّ الضمةَ والفتحةَ والكسرةَ موجودةٌ أصلاً في حالة الافراد

الثانية : أنّ هذه الحركات باقية على ما هي عليه في حالة الإضافة

ولعل هذا الخلاف راجع الى اختلافهم في حذف لامات هذه الأسماء في حال افرادها ، لأننا إذا قلنا هذا أخٍ فأصله أَخُو (١) ، ويدلك على هذا أنّهم يقولون في التثنية أَخَوان وأبوان ، قال الشاعر :

أَرَى ابنَ نزارٍ قدْ جفانى وقَلَّنى ... على هَنَواتٍ شأنُها مُتَتابِعُ

وكان مُقتضى القياس فيها أنْ تقلب الواو فيها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، إلا أنهم حذفوها تخفيفاً (٢). وجملة الأقوال في هذه الاسماء أنها تأتي على ثلاث لغات

الأولى : الإعراب بالحروف نيابةً عن الحركات

الثانية : أنْ تلزم الألفَ في جميع الحالات ، رفعاً ، ونصباً ، وجرّاً ، وهو ما يصرف بلغة القَصْر ، وعليها البيت المشهور

إنّ أباها وأبا أباها ... قدْ بلغا في المَجْدِ غايتاها

وقد سبق أنْ عرفنا نسبة هذه اللغة لبَنِي الحارثِ وغيرها

الثالثة : الإعرابُ بحركات ظاهرة " هذا أبُك ، رأيتُ أبَكَ " وهكذا

وجاء على هذه اللغة قول الراجز :

بأَبِه اقْتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَمِ ... ومَنْ يُشابه أَبَه فما ظَلَمْ (٣)

على أنها قد تأتي في الموضع الواحد محتملةً لوجهين أو أوجه

ففي قوله تعالى :" إنّ هذا أخِي له تِسْعٌ وتسعون نَعْجَةً " (ص ٢٣)

فيحتمل أخي وجهين : الأول : أنْ يكونَ بدلاً من هذا فيكون منصوبًا فكأنّه قال : إنّ أخي

الثاني : أن يكون خبرًا ، فيكونُ مرفوعا (٤)

وإعراب الاسماء الستة من مكانين كما يزعم الكسائي والكوفيون ، هو - فيما أرى - راجعٌ إلى الوصف أيضاً فهم يَرونَ أنّ الحركاتِ والحروفَ تتعاقب عليها في بَعْضِ المواضع ، فكأنها من لزومها ، فهم في ذلك يُسَجّلون ملاحيظهم ويصفونُها كما هي دون ايغالٍ في الوصف .

---

(١) أنظر شرح المفصل : ٥٢/١

(٢) السابق ، ص : ٥٣

(٣) انظر في هذا شرح شذور الذهب ، ص : ٥٩ " هامش "

(٤) السابق ، ص : ٥٧

٦ ـ التثنيـــة :

جوز الكسائى نحو : قَامَ الزَّيدا بغير نون ، قال أبو حيان : ويشهد له ما سُمع : بَيْضُك ثِنْتَـا وبيضـى مائتا أى ثِنْتان ومِئتان (١)

يقول سيبويه : واعلم أنك إذا ثنّيت الواحد لحقته زيادتان : الأُولى منهما حـــــرفُ المدّ واللين وهو حرف الإعراب ... وتكون الزيادةُ الثانية نونًا كأنّها عِوضٌ لما يمتنع مـــن الحركة والتنوين وهى النونُ وحركتها الكسر (٢)

ويقول المبرد : وإذا ثنّيت الواحدَ ألحقته ألفًا ونونًا فى الرفع . أما الألفُ فإنّها علامةُ الرفع ، وأما النونُ فإنّها بدلٌ من الحركة والتنوين اللذين كانا فى الواحد ، فان كـــان الاسمُ مجرورًا أو منصوبًا ، فعلا منه ياءٌ مكانَ الألفِ وذلك قولك : جاءَنى الرجُلان ، ورأيت الرجلين ، ومررت بالرجلين (٣)

إذن يتفق المبرد وسيبويه على وجودِ النون بعد الألف فهى عندهما لازمةٌ ، وإنْ اختلفـــا فى تعليل وجودِها اختلافًا بعيدا . فالنونُ عند سيبويه عِوَضٌ لما منع من الحركة والتنوين ، وعند المبرد بدلٌ من الحركة والتنوين .

وينقل السيوطى بعضَ الآراءِ فى زيادةِ هذه النون أحدُها أنها عند ابن مالك لرفع توهُّـــم الإضافة فى نحو رأيتُ تهنيـنَ .. والإفرادِ فـى الإشارة والمقصور والمنقوص ، نحو : هذان الخُوزلان ، ومررت بالمُهتديـن ، فلولا النونُ لا التبسَ حالُ الإضافة بعدمها والمفـــردِ بالمُثنى . الثانى أنّها عوضٌ من حركة المفرد ، ونَسَبَهُ أبو حيان للزجاج . الثالث أنّهـــا عوضٌ من تنوين المفرد وعليه ابنُ كَيْسان ، ووجّه بأنّ الحركة عوضٌ منها الحرف ، ولم يعـــوض من التنوين شىءٌ فكانت النونُ عِوضًا عنه ، ولذلك حذفت فى الإضافة كما يحذف التنويـــن وُردَّ بثبوتها مع الألفِ واللام وفيما لا تنوينَ فيه ، نحو يا زَيْدان . الرابعُ أنها عِوضٌ مـــن الحركة والتنوين معًا ، وعليه ابنُ وَلّاد ، وأبو علىٍّ ، وابنُ طاهر ، والجَزُولى . الخامـس أنّها عِوضٌ من الحركة والتنوين فيما وُجدا فى مفرد ، ومن الحركةِ فقط فيما لا تنوينَ فـــى مُفردِه كمُثنَّى ما لا ينصرف ، ومن التنوين فقط فيما لا حركةَ فى مُفردِه ، كعَصَا ، وقَـــاضٍ . السادس أنّها فارقةٌ بين رفعِ المُثنى ، ونصبِ المفرد ، لأنّك اذا قلت زيدًا يلتبس بالمفـــرد المنصوبِ حال الوقف ، ثم حُمل سائر التثنية والجمع على ذلك ، وعليه الفراء . السابع أنها التنوينُ نفسُه ، لأنّ الاصلَ بعد تحقيق العلامة للتثنية والجمع أنْ يُنقل اليه الحركـــة والتنوين ، فامتنعت الحركةُ للإعلال ، ولم يمتنع التنوين (٤)

(١) الهمع : ١/٥٠
(٢) الكتاب : ١/٤
(٣) المقتضب : ١/٥
(٤) الهمع : ١/٤٨ ـ ٤٩

وينقل السيوطى كذلك رأى الأخفش وهشام ، قائلا : وذهب الاخفش وهشام إلى أنها تحذف (أى النون) للطاقة الضمير فى نحو : ضاربك ، وأنه منصوب المحل ، لأن موجب النصب المفعولية ، وهى محققة ، وموجب الجر الإضافة ، وهى غير محققة (١)

ونعرض نماذج لهذا مما ورد فى القراءات

قوله تعالى : " والمقيمى الصلاة " (الحج ٣٥)

يقول أبو حيان : وقرأ الجمهور : والمقيمى الصلاة بالخفض على الإضافة ، وحذفت النون لأجلها ، وقرأ ابن أبى اسحق ، والحسن ، وأبو عمرو فى رواية " الصلاة " بالنصب وحذفت النون لأجلها ، وقرأ ابن مسعود والأعمش " المقيمين " بالنون ، الصلاة بالنصب (٢)

وقوله تعالى : غير معجزى الله " (التوبة ٢)

هذه القراءة يمكن أن يحمل عليها رأى الكسائى فى حذفه النون فى التثنية ، وإن كانت هذه القراءة فى الجمع ومثله قوله تعالى : " إنكم لذائقو العذاب " (الصافات ٣٨)

يقول أبو حيان : وقرأ الجمهور : لذائقو العذاب بحذف النون للإضافة ، وأبو السمال ، وأبان عن عاصم بحذفها لالتقاء لام التعريف ونصب العذاب ، كما حذف بعضهم التنوين لذلك فى قراءة من قرأ " أحد الله " ، ونقل ابن عطية عن أبى السمال أنه قرأ : لذائقٌ منونًا ، العذابَ بالنصب ، ويخرج على أن التقدير جمع وإلا لم يتطابق المفرد وضمير الجمع فى " إنكم " وقول الشاعر :

فألفيته غير مستعتب ولا ذكر الله إلا قليلا

وقرئ لذائقون بالنون ، العذابَ بالنصب (٣)

وعلى هذه القراءات والاختلاف فيها ، نرى أن الكسائى ربما قاس على ذلك فى المثنى ، بل لعلنا نرجح أن تكون هذه لهجة ، ويؤيد ذلك ما سمعه : " بَيْضُك ثِنْتا ... "

---

(١) الهمع ، ص : ٥٥

(٢) البحر : ٦/٣٦٩

(٣) السابق : ٧/٣٥٨

٧ — فى الضَّمائـــــر

أ — ضمير الفصـــل " العِمَـاد "

ذهب الكسائى الى أنَّ محل هذا الضمير هو محل ما بعده ، بينما ذهب الفراءُ إلـى أن محله كمحلِ ما قبله ، ففى " زَيدٌ هو القائمُ " محله رفع عندهما ، وفى " ظننتُ زيـــدًا هو القائمُ " محله نصب عندهما ، وفى " كان زيدٌ هو القائمُ " محله عند الكسائى نصبه وعند الفراء رَفْع (١)

ويذهب الكسائى فى أنَّ محل هذا الضمير هو محل ما بعده ، راجع إلى أنَّه " مع ما بعده كالشىءِ الواحدِ ، فوجب أنْ يكون حكمهُ بمثل حُكْمِه " (٢)

وقد جوز الكسائى الفصل فى مواضـع :

١ — إنْ وقع بعده مشتق رافع للسببى ، وكان الضمير مطابقا للاسم ، نحو : ظننـــت زيدًا هو القائم أبوه ، أو هو القائمة ، أو القائم جاريته (٣)

٢ — ولو وقع الضمير بعد " لا " النافية ، و " انما " نحو : وكان عبد الله لا هو المالـــم والصالح (٤)

٣ — واذا لم يطابق الضمير الاسم ، نحو : كان زيد هى القائمة جاريته ، فالبصريـــون يمنعون هذا التركيب أصلا ، لا يرفع ولا ينصب ، لتقدم الضمير على الظاهر ، بينما يجوزه الكسائى على الفصل (٥)

على أنَّ ضمير الفصل يأتى للتأكيد ولا يكون له محل من الإعراب ، غير أن رأى الكسائى والفراء فى هذا الضمير يبدو أنه يستند الى سماع عن بعض اللهجات ، يدلك على ذلـــك بعض قراءات وردت بهذه اللهجات

قوله تعالى : " إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ من عِنْدك " (الانفال ٣٢)

يقول أبو حيان : وقرأ الجمهور هو الحقَّ بالنصب ، جعلوا " هُوَ " فَصْلًا ، وقـــرأ الأعمش وزيد بن على بالرفع ، وهى جائزة فى العربية ، فالجملة خبر كان ، وهى لغـــة تميم يرفعون بعد هو التى هى فصل فى لغة غيرهم ، كما قال :

وكُنتَ عليها بالمَلا أنْتَ أقْـــدر

---

(١) المغنى : ٤٩٧/٢ ، والهمع : ٨/١

(٢) الانصاف : ٣٧٦/٢

(٣) الهمع : ٦٩/١ — ٧٠

(٤) السابق ، ص : ٦٩

(٥) السابق ، ٧٠

وقال ابن عطية : ويجوز فى العربية رفع الحق على أنّه خبر والجملة خبر كان . قال الزجاج : ولا أعلمُ أحدًا قرأ بهذا الجائز ، وقراءة الناس إنّما هى بنصب الحق (١)

وقوله تعالى : " لَكِن كانُوا هُم الظّالِمِينَ " (الزخرف ٧٦)

يقول أبو حيان : وقرأ الجمهور : والظالمين على أنّ " هم " فَصْل . وقرأ عبد الله وأبو زيد النحويان " الظالمونَ " بالرفع على أنّهم خبر " هُم " ، وهم مبتدأ ، وذكر أبو عُمرو الجرمى أنّ لغة تميم جَعْل ما هُو فصل عند غيرهم مبتدأ ، ويرفعون ما بعده على الخبر . قال أبو زيد : سمعتهم يقرءون : تَجِدُوه عند اللهِ هو خيرٌ وأعظمُ أجْرا ، يعنى برفع خير وأعظم ، وقال قيس بن ذُريح :

نَحِنّ إلى ليلى وأنْتَ تركْتَهَا ... وكنتَ عليها بالمَلا أنْتَ أقْدرُ

قال سيبويه : إن رؤيه كان يقول : أظنّ زيدًا هو خيرٌ منك ، يعنى بالرفع (٢)

وقوله تعالى : " تجدُوه عند الله هو خيرًا وأعظمَ أجْرًا " (المزمل ٢٠)

يقول أبو حيان : وقرأ الجمهور : هو خيرًا وأعظم أجرًا بنصبهما ، واحتمل " هو " أنْ يكون فَصْلا ، وأن يكون تأكيدًا لضمير النصب فى تجدوه . ولم يذكر الزمخشرى والحوفى وابن عطية فى إعراب " هو " إلّا الفَصْلَ . وقال أبو البقاء : هو فَصْلٌ ، أوْ بَدَلٌ ، أو تأكيدٌ . فقوله : أو بدل وَهْمٌ ، لو كان بدلا لطابقَ فى النصب فكانَ يكون إيّاه . وقرأ أبو السمال وابنُ السَّمَيْفَع : هو خيرٌ وأعظم برفعهما على الابتداء أو الخبر . قال أبو زيد : هو لغةُ بنى تميم ، يرفعون ما بعد الفاصلة ، يقولون : كان زيدٌ هو العاقل بالرفع (٣)

ويقول الدكتور عبده الراجحى : لا نستطيع أنّ ننسب اهمال ضمير الفصل إلى لهجة الحجازيين . إذ يدو من هذه النصوص أنّه كان شائعًا عند غير بنى تميم (٤)

ب — ضميرُ الشأن والقصة " المَجْهول "

قال الكسائى فى قوله تعالى : " قل هو الله أحد " (الاخلاص ١) : هو عماد أى " هو " — مثل قوله : " إنَّه أنَا اللّهُ " (النمل ٩) (٥) وقد قال الفراء عن ذلك : وقد قال الكسائى فيه قولا لا أراه شيئًا ... فجعل " أحَدٌ " مرفوعا بالله ، وجعل " هُوَ " بمنزلة الهاء فى " أنَّه " ، ولا يكون العمادُ مُستأنفًا به حتى يكون قبله إنّ أوْ بعض أخواتها ، أو كان أو ظن (٦)

---

(١) البحر : ٤٨٨/٤
(٢) السابق : ٣٢٧/٨
(٣) السابق : ٣٦٧/٨
(٤) اللهجات العربية ، ص : ١٨٤
(٥) أنظر معانى القرآن : ٢٩٩/٣
(٦) السابق والصفحة

وقد ذكروا عن هذا الضمير خمسة أوجـه (١) :

١ ــ لزوم عوده على ما بَعْده ، إذ لا يجوز للجملة المفسّرة له أن تتقدم عليه

٢ ــ لا يُفسره إلا جملةٌ ، وإن أجاز ذلك الكوفيون فقالوا نحو : كانَ قائمًا زيدٌ

٣ ــ لا يُتبع بِتابع ، فلا يُؤكّد ، ولا يُعطف عليه ، ولا يُبدل منه

٤ ــ لا يعمل فيه إلا الابتداء أو أحدُ نواسخه

٥ ــ ملازمته للإفراد ، فلا يُثنى ولا يُجمع ، وإن فُسر بحديثين أو أحاديث

ويقول ابن جنى عن هذا الضمير : وهذا الضمير لا يكون تفسيره إلّا من بعده ، ولـــو تقدم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير ، ولَما سمّاه الكوفيون الضميرَ المجهولَ (٢)

ثم يقول : فإن قلتَ : فقد قال الله تعالى : " فإذا هى شَاخِصَةٌ أبْصَارُ الَّذيـــــنَ كفروا " (الأنبياء ٩٧) فقدم (إذا) وهى منصوبةٌ بـ " شَاخِصة " ، وإنّما يجـــوز وقوع المعمول بحيث يجوزُ وقوعُ العامل ، لأنّه على هذا قال : فإذا هى شاخصةٌ هـــى أبْصارُ الذين كفروا ، فهى " ضمير القصـة (٣) .

وعن قوله تعالى : " قل هُو اللّـه أحَـد "

يقول الزمخشرى : " هو " ضمير الشأن ، و " الله أحد " هو الشأنُ ، كقولك : هـــو زيد منطلق ، كأنه قيل : الشأنُ هذا ، وهو أنّ اللهَ واحدٌ لا ثانى له . فإن قلـت : ما محلُّ هو ؟ قلتُ : الرفع على الابتداء والخبر الجملة . فإن قلت : فالجملة الواقعة خبرًا لا بدّ فيها من راجع إلى المبتدأ ، فأين الراجعُ ؟ قلتُ : حُكم هذه الجملة المفرد فى قولك " زيدٌ غلامُك " فى أنّهَ هو المبتدأ فى المعنى ، وذلك أنّ قوله " الله أحد " هو الشأنُ الذى هو عبارة عنه ، وليس كذلك " زَيْدٌ أبُوه مُنطلق " فإن زيدًا والجملةَ يدلان على معنيين مختلفين ، فلا بد مما يصل بينهما (٤)

وعن قوله تعالى : " فإذا هى شاخصـةٌ .. "

يقول البيضاوى : والضمير للقصة ، أو مُبهم يفسره الأبْصَـار (٥)

وإنْ كان الكسائى قد خلط بين ضميرى الشأنِ والعماد فى آية الاخلاص ، ثم ردَّ الفـراء على هذا الخلط عند الكسائى بما يتّفق ووجوه هذا الضمير التى أوردناها ، فإن الفـراء يعودُ مرّة أخرى ليتفق مع الكسائىّ فى جواز وقوع ضمير الشأنِ فى غير الابتداء والنواسـخ ، فهما يجيزان نحو : ما بَالُ زيد هو القائمُ ، وما شأنُ عمرٌو هو الجالسُ ، ومررت بعبد الله هو السيدَ بنصيب الجميع (٦) .

---

(١) أنظر المغنى : ٢/٤٩٠ ــ ٤٩١

(٢) الخصائص : ٢/٣٩٧

(٣) السابق ، ص : ٣٩٨

(٤) الكشاف : ٤/٨١٧

(٥) أنوار التنزيل ، ص : ٣٢٣

(٦) انظر الهمع : ١/٦٩

جـ - الضمير المتصل :

قد يكون الضميران للغيبة فيجوز الوصل ، من ذلك ما رواه الكسائى من قول بعض العرب : هم أحسنُ الناسِ وُجوها وأنضرُهُموهـا (١)

واذا كان الضمير ضميرَ مُثنى ، أو ضميرَ جماعة الذكور ، يجوز فى هذه الحالة الاتصالُ ، وان كان الانفصالُ فى هذه الحالة أحسن كما ذهب إلى ذلك الفراء ، وذلك نحـو : الدِّرهمان أعطيتُهماكَ ، والقلمان أعطيتهمُوكَ . وقد وافق الكسائىُّ الفراء ، وزاد جواز الاتصال إذا كان الاولُ ضميرَ جماعة الإناثِ ، نحو : الدراهمُ أعطيتُهنَّ كُنَّ . واذا كان الفعل يتعدى لاثنين ليس ثانيهما خبرًا فى الأصلِ ، وجاءا ضميرين مُختلفَىْ الرُّتبـة ، جاز فى الثانى الوصلُ والفصلُ ، نحو : الدرهمُ أعطيتكهِ ، وأعطيتُكَ إيَّاهُ (٢)

وهنا يقول سيبويه (٣) : وأما قول النحويين : قد أعطاهُوك وأعطاهُونى ، فانما هـو شىء قاسوه ، لم تكلَّمْ به العرب ، فوضعوا الكلام فى غير موضعه ... ويدخل على مَـنْ قال هذا أنْ يقول الرجلُ اذا منحته نَفْسَـه : قد مَنَحْتَنِينِى . ألا ترى أنَّ القياس قـد قَبُحَ إذا وضعت " نى " غيرَ موضعها . فان ذكرتَ مفعولين كلاهما غائب فقلتَ: أعطاهُوهَا وأعْطَاهَاهُ ، جاز وهو عربىٌّ ، ولا عليك بأيِّهما بدأتَ من قِبَل أنَّهما كلاهما غائبٌ ، وهـذا أيضا ليس بالكثير فى كلامهم . والأكثر فى كلامهم : أعطاهُ اياه . على أنه قد قال الشاعر:

وقد جُعلتْ نفس تطيب لضَمْـمَـةٍ ... لِضَمْمِها يَقْرعُ العَظْمَ نابُـهـا

وهذا البيت الذى رواه سيبويه قد استشهد به الكسائى على جواز الفصل اذا كان الضميران مُتَّحِدى الرتبـة (٤)

---

(١) حاشية الصبان : ١٠٤/١ هامش
(٢) انظر الهمع : ٦٣/١
(٣) الكتاب : ٣٨٤/١
(٤) حاشية الصبان : ١٠٤/١ هامش

٨ــ تقديم الفاعل اذا كان محصورا بـ " إلّا "

أجاز الكسائي تقديم المحصور بـ " إلّا " فاعلًا كان أو مفعولًا ، لأمن اللبس فيه ، بخلاف " إنّما "(١) وتجويز الكسائي هذا يرجع الى أمرين :

الأول : ظهور المعنى بسبب تقدم " إلّا " معه

الثاني : ورود ه عن العرب ، متمثلا في هذا البيت :

فَلَمْ يَدْرِ إلّا اللهُ ما هَيَّجَتْ لَنَا عَشِيَّةَ آنَاءِ الدِّيارِ وشامُها

فالشاهد في هذا البيت قوله : " فلم يدر إلّا الله ما هيّجت ، حيث قدم الفاعل المحصور " بإلا " ، وهو قوله : " الله " على المفعول ، وهو قوله : " ما هيّجت " وأصل الكلام : فلم يَدْرِ ما هيّجت لنا إلّا اللهُ(٢)

واستدل الكسائي أيضا بهذا البيت:

ما عَابَ إلّا لئيمُ فِعْلَ ذِي كرم ولا جَفَا قطّ إلّا جُبَّأٌ بَطَلا(٣)

وخلاصة هذا أن الكسائي يُجيز تقديم المحصور " بإلّا " مطلقا ، ووافقه في هذا الجمهور البصريين والفراء بشرط أنْ يكون المحصورُ مفعولًا ، فقاس الكسائي الفاعلَ على المفعول فعمّم القاعدة(٤)

وقد شاع في لسان العرب تقديمُ المفعول الملتبس بضمير الفاعل عليه ، نحو : خافَ ربَّه عُمَرُ ، وقوله :

جاءَ الخلافةَ أو كانت له قَدَرًا كما أتَى ربَّه موسى على قَدَرِ(٥)

لأنّ الضمير فيه وإنْ عاد على متأخر في اللفظ الا أنه متقدم في الرتبة(٦)

ومن الأمثلة التي قاس عليها الكسائي في القرآن :

قوله : " فَرِيقًا كَذَّبتُمْ وفَرِيقًا تَقْتُلُونَ " (البقرة ٨٧) قدّم المفعول على الفاعل

وقوله : " ولقد جاءَ آلَ فرعونَ النُّذُرُ " (القمر ٤١) آل فرعون مفعول متوسط بين الفِعل والفاعل

وقوله : " وإذِ ابتلى ابراهيمَ ربُّه " (البقرة ١٢٤) تقدم المفعول على الفاعل

وقوله : " يوم لا يَنْفَعُ الظالمينَ مَعْذِرَتُهم (غافر ٥٢) تقدم المفعولُ على الفاعل

---

(١) الهمع : ١/١٦٠

(٢) شرح الأشموني : ٢/١٤٧

(٣) السابق ، ص : ١٤٩ هامش

(٤) السابق ، ص : ١٥١ ــ ١٥٣

(٥) البيت منسوب الى جرير في شرح التصريح ١/٢٨٣

(٦) شرح الاشموني : ٢/١٥٣

وإنما وجب تقديم المفعول لئلا يعود الضمير على المفعول وهو متأخرٌ لفظاً ورتبة ، ولاجل ذلك لا يُجيز أكثرُ النحويين نحو : " زانَ نَورُه الشَّجر " بتقديم الفاعل على المفعول لا في نثرٍ ، ولا في نظمٍ شِعر ، وأجاز فيهما الاخفشُ وابنُ جنى من البصريين ، وأبو عبد الله الطُوال من الكوفيين ، وابن مالك في التسهيل في باب الضمير ، احتجاجاً في النثر بقولهم ضَرَبُوني وضربتُ قومَك ، بإعمال الثاني ، حكاه سيبويه ، وأجازه البصريون في " ضَرَبتُه زيدًا " بإبدال زيدٍ من الهاء باجماع (١) ، وقد جاء من ذلك شعرا :

جَزَى رَبُّه عنى عَدِيَّ بن حاتِمٍ ... جَزا الكلابِ العاويات وقَدْ فعل (٢)

٩ ــ النائب من الفاعل :

جوَّز الكسائى إقامة الخبر المفرد ، نحو : " كينَ قائمٌ " فى " كانَ زيدٌ قائمًا " كما جوز اقامةَ الفِعْل فى " كان زيدٌ يقوم " ، أوقامَ " ، فيقال : " كينَ يُقام ، أوقِيمَ " وقد اختُلف فى هذا على النحو التالى :

١ ــ منع البصريون مثل هذا التركيب ٢ ــ الكسائىُّ يقدر فى الفعل ضميرَ المجهول

٣ ــ الفراء يذهب الى عدم التقدير فى الفعل (٣)

واذا كان المبنى للمجهول فعلاً لازما ، ففى النائب عن الفاعل أقوال :

١ ــ ضمير المصدر ، وهو رأىُ الزجّاجى وابنِ السيّد ، والمعروف أن المصدرَ مما ينوب عن الفاعل ، وكذلك المفعول به ، والمجرور والظرف

٢ ــ يُجعل فيه اختصاص ، وهو رأىُ أبى حيان " [illegible] "

٣ ــ ضمير المجهول ، وهو رأى الكسائى وهشام (٤)

وينقل الأزهرى بعض الاراء التى تؤيد مذهب الكسائى ، فيذكر : نقل ابن السيد أنهما أجازا ــ يقصد الكسائىَّ وهشاماً ــ جُلس بالبناء للمفعول وفيه ضمير مجهول ، قال ثعلب : أرادَ أنّ فيه ضمير المصدر ، وتبعهما أبو حيان فى النُكتِ الحِسان فقال : وضمير المصدر يُجرى مجرى مَظْهره ، فيجوز أنْ تقول : قِيم ، وقُعِد ، فتضمر المصدر ، كأنك قلت : قِيم القيامُ ، وقُعد القُعود (٥) ، وعلى هذا نستطيع توجيه رأى الكسائى إلا أننا لا نستطيع أنْ نوجه رأيه فى إنابة خبر كان ، إذ هو من أغرب ما نقلنا عن الكسائى ، حتى إنّ كتب النحو ما اطلعنا عليه منها ، لا تكاد تفسر شيئا عن هذا فهى تكتفى بأنْ تذكره دون ما تعليق ومن غرائبه أيضا أنه أجاز نيابة التمييز ، فأجاز فى " امتلأت الدار رجالا " أمتُلئ رجالاً (٦)

---

(١) انظر شرح التصريح : ٢٨٣/١

(٢) البيت بشرح التصريح : ٢٨٣/١

(٣) الهمع : ١٦٤/١ ، وفى شرح التصريح ٢٩٠/١ أن هشاما وافق الكسائى فى " كين قائم "

(٤) السابق والصفحة

(٥) شرح التصريح : ٢٨٩/١

(٦) شرح الاشمونى : ٢٠١/٢

١٠ — الاسم بعد لولا

ذهب الكسائى إلى انَّ الاسمَ بعد لَوْلا مرفوعٌ بفعل مقدر بعدها ، فتقديره فى نحو قولنا : " لولا قيامُ زيد " : لولا .. وُجد "(١) فيكون الاسم بعدها على هذا نائبًا من الفاعل .

وعند سيبويه الاسمُ بعدها مرفوع على الابتداء ، يقول : وذلك قولك : لَوْلا عبدُ اللهِ لكان كذا وكذا . أمَّا لكان كذا وكذا فحديثٌ مُعلَّق بحديثٍ لَوْلا . وأما عبد الله فانَّه من حديث لَوْلا أُوا رتفع بالابتداء .. (٢)

ويذكر ابن الأنبارى فى الإنصاف انَّ الكوفيين احتجوا لرفع " لَوْلا " الاسم بعدها بأنها " نائبةٌ عن الفعل الذى لو ظهر لرفع الاسم ، لانَّ التقدير فى قولك : لولا زيدٌ لاكرمتُك او لَمْ يمنعنى زيدٌ من إكرامك لأكرمتك إلاّ أنَّهم حذفوا الفعلَ تخفيفًا ، وزادوا " لا " على " لَوْ " فصارا بمنزلة حرفٍ واحدٍ ، وصار هذا بمنزلة قولهم : " أمَّا أنتَ منطلقًا انطلقت معك والتقدير فيه : أنْ كنتَ منطلقًا انطلقت معك قال الشاعر :

أَبَا خُراشَةَ أَمَّا أنتَ ذا نَفَرٍ فإنَّ قَومِى لَمْ تأكُلْهُمُ الضَّبُعُ

والتقدير فيه : أن كنت ذا نفر فحذف الفعل وزادوا "ما" والذى يدل على أنَّ الاسم يرتفعُ بها دون الابتداء أنَّ .. " أنَّ " اذا وقعت بعدها كانت مفتوحةً نحو قولك : لولا أن زيدًا ذاهبٌ لأكرمتُك . (٣)

ويذكر الرضى : وقال الكسائى : الاسمُ بعدها فاعلٌ لفعل مقدر كما فى قوله :

" لَوْ ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْنى "(٤)

ثم يعلق الرضى قائلا : وهو قريب من وجه ، وذلك أنَّ الظاهر منها أنَّها " لو " التى تفيد امتناع الأول لامتناع الثانى .(٥)

ويقول ابن هشام : وليس المرفوعُ بعد لولا فاعلاً بفعل محذوف ولا بلولا لِنيابتِهَا عنه ، ولا بِها أَصالةً ، خلافًا لزاعمى ذلك بل رفعُهُ بالابتداء .. (٦)

فابن هشام إذن يتفق مع سيبويه فى أنَّ الاسم بعد لولا مرفوع بالابتداء .

---

١ — الهمع : ١ / ١٠٥
٢ — الكتاب : ١ / ٢٧٩
٣ — الانصاف : ١ / ٥٢ — ٥٤
٤ — شرح الكافية : ١ / ١٠٤
٥ — السابق والصفحة
٦ — المغنى : ١ / ٢٧٣

١١ ـ عَمَلُ اسمِ الفاعـل : " مذهب الكسائى فيـه "

اسم الفاعل يعمل عمل فعله ، وهو نصبُ المفعول إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال هذا هو مذهب البصريين إلاّ أنّ الكسائى كان يُعمل اسم الفاعل ولو كان بمعنى الماضى ، وقد استند فى هذا الى ملاحظة الاية الكريمة " وتَحْسَبُهم ايْقاظاً وهُمْ رُقود ، ونقلّبهم ذاتَ اليمين وذاتَ الشّمالِ وكَلْبُهم باسطٌ ذِراعيه بالوَصِيط " (الكهف ١٨) .

حيث إن " باسط ذراعيه " حكاية حال ماضيه ، لأن اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى الماضى ، واضافته إذا أضيف حقيقة معرفة ، كغلام زيد (١)

وعلى ذلك فانّ الكسائى يُجيز إعمال اسم الفاعل بمعنى الماضى مطلقا ، كما يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، وتمسك بجواز نحو : زيدٌ مُعط عمرًا أمسِ دِرْهما (٢)

وأجاز الكسائى إعمال اسم الفاعل إذا كان موصوفًا أو مصغرا ، وذلك إذا كان اسمُ الفاعل غير صلة لـ " أل " (٣)

سوى الكسائى بين اضافة اسم الفاعل إلى مفعوله ونصب ذلك المفعول ، وذلك نحو : هَدْيًا بالغَ الكَعْبة ، و " إنّك جَامِعُ النّاس " . وفى هذا ذكر السيوطى قول أبى حيان : " وظاهر كلام سيبويه أنّ النصب أولى ، وقال الكسائى هُما سواء " (٤)

يجوز تقديم معمول اسم الفاعل على مبتدئه الذى هو خبرٌ عنه ، نحو : "زيدًا هذا ضاربٌ" وقيل لا يجوز إن كان اسمُ الفاعلِ خَبَرَ مبتدأ سَبَبِى ، أى من سبب المبتدأ ، نحو : "زيدٌ أبُوه ضاربٌ عمرا" ، أو كان المعمول لسببه ، نحو : "زيدٌ ضاربٌ أبو عمرًا" . وقد أجاز ذلك البصريون ووافقهم الكسائى فى الأخيرة . وأجاز الكسائى تقديم صفة اسم الفاعل عليه ، كما أجاز تقديم معمول اسم الفاعل عليه وعلى صفته معا . وذلك نحو : هذا ضاربٌ عاقلٌ زيدًا ، وهذا زيدًا ضاربٌ (٥)

وأما بالنسبة لإضافة اسم الفاعل لمفعوله ، يقول سيبويه : واعلمْ أنّ العربَ يستخفّون فيحذفون النونَ والتنوينَ ولا يتغير من المعنى شىء ، وينجرّ المفعولُ لكفّ التنوين من الاسم فصار عما ، فيه الجر .

---

(١) الكشاف ٢/٧٠٩

(٢) شرح الكافية : ٢/٢٠٠ ، وانظر أيضا شرح شذور الذهب ، حيث وافق هشام وابن مضاء الكسائى ، ص : ٤٦٢

(٣) شرح التصريح : ٢/٦٥

(٤) الهمع : ٢/٩٦

(٥) السابق والصفحة

فمن ذلك قوله عزّ وجل : " مُحِلّي الصّيد " .. ويزيد هذا عندك بيانًا قولُه عز وجل : " هَدْيًا بالغ الكعبة " (المائدة ٩٥) ، وعارضُ مُمْطِرُنا . فلَوْ لم يكن هذا في معنى النكرة والتنوين ، لم توصف به النكرة (١) في حين أنّ قد علمنا آنفا أنّ الكسائي سوّى بين النصب والجر في هذه الحالة .

وأما المبرد فهو لا يُجيز إعمالَ اسم الفاعل في الماضي ، فهو يقول : واعلمْ أنّ اسم الفاعل إذا كان لما مضى فقلتَ : هذا ضاربُ زيدٍ أمسِ وعمرٍو ، وهذا مُعْطِ الدراهمَ أمسِ وعمرٍو — جاز ذلك أنْ تنصبَ عمرًا على المعنى ليُعْدِه من الجار ، فكأنك قلت : وأعْطَى عمرًا (٢)

وذكر أنّ المبرد جوّز اسم الفاعل بمعنى الماضي ، هو وآخرون ، ونسب لهم بيت في شرح الكافية يستدلون به ، هو :

فَبِتُّ والهمُّ يَغْشَانِي طوارقُه ... مِنْ خَوْفِ رِحْلةِ بين الظاعنين غَدًا (٣)

إلا أنّ اسم الفاعل في هذا البيت ليس نصًا عليه خلافٌ ، لأنّه من ذي اللام

ويقول ابن يعيش : فأمّا إذا كان بمعنى الماضي فإنّك لا تُعمله ، إذْ لا مضارعة بينه وبين الماضي . ألا ترى أنّ ضاربًا ليس على عدد ضَرَبَ ولا مثله في حركاته وسكناته ، فلذلك لا تقول : زيدٌ ضاربٌ عمرا أمْسِ ، ولا حَسْبي قاتلٌ حمزةَ يَوْمَ أُحُد ... وذهب الكسائي من الكوفيين إلى جواز إعمال اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي . (٤)

وذكر ابنُ يعيش أنّ الكسائي احتج لرأيه بأمور منها :

١ — الآية السابقة من سورة الكهف .

٢ — ما سمعه الكسائي من العرب من نحو قولهم : هذا مارٌّ بزيد أمس ، فأعملوه في الجار والمجرور .

٣ — قوله تعالى " فالِقُ الإصْباحِ " وجاعلُ اللّيلَ سَكَنًا ، والشّمسَ والقمرَ حُسْبانًا " (٥) (الانعام ٩٦) .

ويُخرج ابنُ يعيش ما احتجّ به الكسائي على أنّ آيه الكهف .. حكايةُ حال ماضية وأما قولهم : هذا مارٌّ بزيد أمس ، فإنّما أعمله في الجار والمجرور ، ولم يُعمله فيمس بفصول صريح ، والجار والمجرور يجري مَجْرى الظرف ، والظروف يعمل فيها رواتحُ الأفعال (٦)

---

١ — الكتاب : ١ / ٨٣ — ٨٤
٢ — المقتضب : ٤ / ١٥٤
٣ — شرح الكافية : ١ / ١٠١
٤ — شرح المفصل : ٦ / ٧٦ / ٧٧
٥ — انظر السابق ص : ٧٧
٦ — السابق والصفحة .

وفي ذلك من خلال النص القرآني :

في آية الكهف ، يقول أبو حيان بعد أن ذكر رأي الزمخشري ، وقوله : لأنّ اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضيّ ليس إجماعياً ، بل ذهب الكسائيّ وهشام ، ومِمَّن أصحابنا أبو جعفر ابن مضاء إلى أنّه يجوز أن يعمل(١)

وفي قوله تعالى : " فالقُ الإصباح .. الآية "

يقول ابو حيان : وقرأ الحسنُ وعيسى وأبو رجاء : الأَصْباح بفتح الهمزة ... وقرأت فرقةٌ بنصب الإصباحَ وحذف التنوين فالق. وسيبويه إنّما يُجوّز هذا في الشعر ، نحو قوله :

" ولا ذاكرَ اللّهَ إلّا قليلا "

والمبرد يُجوّز في الكلام ، ثم يقول وقرأ الكوفيون : "وجَعَل الليلَ" فعلاً ماضياً لمّا كان " فالِق " بمعنى المُضيّ حَسُنَ عطفُ "وجعل" عليهِ ، وانتصبَ "والشمس والقمرَ" .. وقرأ باقي السبعة : وجاعِل باسم الفاعل مضافا إلى الليل ، والظاهر أنّه اسمُ فاعل ماضٍ ولا يعمل عند البصريين ، فانتصابُ "سكَناً" على إضمار فعل لا باسم الفاعل. هذا مذهب أبي علي فيما انتصب مفعولاً ثابتا بعد اسم فاعلٍ ماضٍ .. وذهب السيرافي الى انه ينتصب باسم الفاعل وإنْ كان ماضيا ، لأنّه لمّا وجبت اضافته إلى الأول لم تكنْ أنْ يُضاف الى الثاني فعمل فيه النصب وإن كان ماضيًا .. وأما من أجاز إعمال اسم الفاعل الماضي وهو الكسائي وهشامٌ "فسَكَناً" منصوبٌ به .. وأمّا قراءة النصب وهي قراءة الجمهور فعلى قراءة وجاعل الليلَ ينتصبان على إضمار فِعْل ، أي وجَعَل الشمسَ. (٢)

وفي قوله تعالى " ربّنا إنّك جامعُ الناس " (آل عمران ٩)

يقول ابو حيان : فهو اسم فاعل بمعنى الاستقبال ، ويدل على أنّه مستقبل قراءة أبي حاتم جامعُ الناسَ بالتنوين ونصبِ الناس. وقيل معنى الجمع هنا أنّه يجمعهم في القبور وكأن اللام تكون بمعنى إلى للغاية ، أي جامعهم في القبور إلى يوم القيامة. ويكون اسم الفاعل هنا لَمْ يُلحظ فيه الزمان إذْ من الناس من مات ومنهم من لم يمت. (٣)

مما مضى يتبين لنا أنّ الكوفيين أعملوا اسم الفاعل في الماضي ، يدلنا على ذلك أنّهم قرأوا " جَعَلَ " في الماضي معطوفا على " فالق " لأنّه بمعنى المُضيّ ، ولذلك يكون رأي الكسائي له ما يدعمه من خلال القراءات القرآنية.

---

١ ـ البحر المحيط : ٦ / ١٠٩
٢ ـ البحر المحيط : ٤ / ١٨٥ ـ ١٨٦
٣ ـ البحر المحيط : ٢ / ٣٨٧

في قوله تعالى : " هَدْيًا بالِغَ الكعبة " (المائدة ٩)
يقول الزمخشري : ووصف هديًا بـ " بالغَ الكعبة " لأنَّ اضافتَهُ غيرُ حقيقية ... وقُرِئَ: أَوْ كفارةَ طعامِ مَساكينَ على الإضافة وهذه الإضافةُ مُبيِّنة ، كأنه قيل : أو كفارة من طعام مساكين . (١)

ولعل هذا ايضا يؤيد مذهب الكسائي في التسوية بين إضافة اسم الفاعل الى مفعوله ونصب ذلك المفعول .

---

(١) الكشاف : ٦٧٩/١

ثالثا : الجملة الفعلية :

الفعل المضارع قبل أن يُنصب بنواصبه ، هو عند الكسائي مرفوع بالزوائد ، أي أنه مرفوع بحروف المضارعة ، الهمزة والنون والياء والتاء (١).

ورأي الكسائي هذا يدل على فهمه فهما طيبا للوظيفة التي تؤديها هذه الحروف إذ أثبت الدرس اللغوي الحديث أن حروف المضارعة هي "morphemes" وهي التي تؤدي وظيفة الفعل لهذه الصيغة ، فضلا عما توجده من "العناصر الصوتية المحددة لكون الكلمة فعلا أو اسما ، والمحددة كذلك لفصيلتها النحوية من حيث النوع (مذكر أو مؤنث) ومن حيث العدد (مفرد — مثنى — جمع) ومن حيث الشخص (متكلم — مخاطب — غائب)" (٢). وعلى ذلك فحروف المضارعة (الهمزة — النون — الياء — التاء) عناصر صوتية "مورفيمات" فاذا نظرنا مثلا إلى الفعل "أضرب" نجد أن "الهمزة" مورفيم يحدد أن "أضرب" فعل أسند إلى المفرد المتكلم .

و "نضرب" "النون" مورفيم يحدد إسناد الفعل إلى جماعة المتكلمين .
و "يضرب" "الياء" مورفيم يحدد إسناد الفعل الى المفرد الغائب .
و "تضرب" ("التاء" مورفيم يحدد إسناد الفعل الى المفردة الغائبة .

١ — نواصب المضارع :

أ — "لن"

هي عند الكسائي مركبة من : "لا أن" وهو مذهب الخليل أيضا ، ولكنهم حذفوا الكثرته في كلامهم" (٣). وهي عند الفراء أصلها "لا" فأبدل الألف نونا (٤).

أما بالنسبة لعملها فقد أجاز الكسائي الفصل بين "لن" والفعل بالقسم ومفعول الفعل (٥). وهو على ذلك يجيز نحو : لن والله أكرم زيدا ، ولن زيدا أكرم . ووافقه الفراء على القسم ، وقيل إن الفراء زاد الفصل "بظن" (٦).

ولن عند سيبويه "بمنزله لم في حروف الجزم ، في أنه ليس واحد من الحرفين زائدا ولو كانت على ما يقول الخليل لما قلت : أما زيدا فلن أضرب ، لأن هذا اسم ، والفعل

١ — الهمع : ١ / ١٦٥ . دار بحوث للعلوم والنشر بيروت
٢ — الدكتور السعران / علم اللغة ، ص : ٢٢٧ — ٢٣٨ .
٣ — الكتاب : ١ / ٤٠٧ .
٤ — شرح الكافية : طبعة القاهرة ، ٢ / ٢٣٥ .
٥ — الهمع : ٤١٢ ، وانظر حاشية الصبان : ٣ / ٢٠٩ .
٦ — حاشية الصبان : ٣ / ٢٠٩ .

صِلَتُه ، فكأنّه قال : أما زيدًا فلا الضَّرْبُ فيه (١) . يُفهم من هذا أنّها غيرُ مركبةٍ عند سيبويه .

وابنُ هِشام لا يتّفق مع الكسائيّ ، أيضا في أصْل " لَنْ " فهو يقول : المعروفُ إنّما هو إبدالُ النونِ ألفًا لا العكسُ ، نحو " لَنَشْفَعًا " و " لتكُونًا " ولا أصلُ لَنْ " لا أنْ " فحُذفت الهمزةُ تخفيفا والألفُ الساكنين (٢) . ثم يذكرُ ابنُ هشام رأيَه ورأيَ بعضِ النحويين في جوازِ الفصْلِ بينَها وبين الفعْل ، فيرى أنّها غيرُ مركبة " بدليل جوازِ تقْديم معْمولِها عليها نحو " زيدًا لَنْ أضْرِبَ " خلافًا للأخْفش الصغير ، وامتناع نحو " زيدًا يُعجبني أنه لَنْ يَضْرِبَ " خلافًا للفرّاء ، ولأنّ الموصولَ وصلتَه نحو " لَنْ أفْعَلَ " كلامٌ تامٌ وقول المبرد أنه مبتدأ حُذف خبرُه ، أي أنّ الفعلَ واقعٌ بعْدَ لَنْ بأنّه لم يُنطق به مع أنّه لم يَسُدّ شيء مسدّه بخلافه نحو " لولا زيدٌ لأكْرمتك " بأن الكلامَ تامٌ بدون المُقدّر (٣)

ومن ذلك لم نرَ أحدًا من النحويين يتفقُ مع الكسائيّ إلا الفراءَ في حالةٍ واحدةٍ وهي جوازُ الفصْل بالقسم ويُفهم من هذا ايضا إقامةُ الكُوفيين لآرائهم على السّماع .

ب — " إذَنْ "

جمهورُ النحاة على أنّها حرْفٌ . وهي ناصبةٌ للمُضارع " بشرط تصْديرها واستقبالِها واتصالِها أوانفصالِها بالقسم ، أو بلا النافية (٤) .

أمّا بالنسبة لشرْطِ تصديرها ، فلا خلافَ على أنّها لا تنصبُ متأخرةً " لأنّ الفعلَ المنصوبَ لا يجوزُ تقديمُه على ناصبه " (٥) . ولكن الخلاف عند ما تكونُ متوسّطة في مواضعَ منها " أنْ يكونَ ما بعدَها خبرًا لِما قبلَها ، نحو أنا إذَنْ أكرمك (٦) . وفي هذا الموضع أجازَ الكسائيّ النصبَ في مَوْضعين :

الأول : بعد اسم " إنّ " ، نحو :

لا تَتْرُكَنّي فيهم شَطِيرًا ... إنّي إذًا أهْلَكُ أو أطيرا

الثاني : بعد اسم كانَ ، نحو : كانَ زيدٌ إذَنْ يُكرمَك (٧) .

---

١ — الكتاب : ١ / ٤٠٧ .
٢ — المغني : ١ / ٢٨٤ .
٣ — السابق والصفحة .
٤ — المغني : ١ / ٢١ .
٥ — الهمع : ٢ / ٧ .
٦ — حاشية الصبان : ٣ / ٢١٦ .
٧ — الهمع : ١ / ٢٧ ، حاشية الصبان : ٣ / ٢١٦ .

وبالنسبة لفصل الفعل بين إذنْ وضارعها المستقبل ، أجاز الكسائيّ الفصل بينهما " بمعمول الفعل ، والاختيار عند الكسائيّ حينئذ النصب " (١) نحو : إذنْ فيك أرغبَ وأرغبَ ، وإذنْ صاحبك أكرمُ وأكرمَ فلو قدمت معمول الفعل على " إذنْ " نحو : زيداً إذنْ أكرمُ ذهب الفراء إلى أنه يبطل عملها ، وأجاز الكسائيّ إذ ذاك الرفع والنصب (٢)

وأما " إذنْ " عند سيبويه ، فهي حرف جواب وجزاء (٣) ، فإنْ "كانت بين الفعل ، وبين شيء الفعل معتمدٌ عليه ، فإنها ملغاة لا تنصب البتة ، كما لا تنصب " أرى " اذا كانت بين الفعل والاسم في قولك : كان أرى زيداً ذاهباً ، وكما لا تعمل في قولك : إنّي أرى ذاهبٌ ، فإذنْ لا تصل في ذا الموضع إلى أنْ تنصب ، كما لا تصل أرى هنا إلى أنْ تنصب فهذا تفسير الخليل ، وذلك قولك : أنا إذنْ آتيكَ ، وهي هنا بمنزلة " أرى " ، حيث لا تكون إلا ملغاة (٤) . ويرى ابن جني أنّ " إذنْ "إذا اعتمد الفعل عليها فإنها تنصبه ... فإنْ اعترضت حشوًا ، واعتمد الفعل على ما قبلها سقط عملها (٥) .

وهنا نلاحظ :

أ ـ " الفاء" إذنْ " عند سيبويه إذا ما وقعتْ بين خبر ومخبر عنه ، لأنه منع عملها في نحو : أنا إذنْ أتيك ، فهي على هذا بين الفعل وبين شيء الفعل ومعتمد عليه ، بينما أجاز الكسائيّ النصب في نحو هذا .

ب ـ اختيار الكسائي النصبَ حين الفصلِ بين " إذنْ والفعل بمعمول الفعل ، يبدو أنه رأيٌ تفرد به الكسائيّ ، فلم يؤثر عن واحد من البصريين ، يؤكد هذا ما قاله ابو حيان : ولا نعلم احفظه عن البصريين في ذلك (٦) .

جـ ـ تقديم معمول الفعل على إذنْ " لم يقله واحدٌ من البصريين على ما يبدو ، إذ الذي ردّ رأي الكسائيّ وهو جواز الرفع ، الفراءُ ، مبطلاً عمل " إذنْ " في هذه الحالة .

---

١ ـ المغني : ١ / ٢٢ ، الهمع : ٢ / ٧ .
٢ ـ الهمع : ٢ / ٧ .
٣ ـ شرح التصريح : ٢ / ٢٣٤ .
٤ ـ الكتاب : ١ / ٤١١ .
٥ ـ ابن جني : اللمع تحقيق الدكتور حسين محمد شرف ، الطبعة الاولى ، ص: ٢٠٨ .
٦ ـ حاشية الصبان : ٣ / ٢١٧ .

جـ — " كـــى "

جَوَّزَ الكسائيُّ الفَصْلَ بين " كَىْ " وبين مَعْمُولِها مُطلقاً بغير " ما " و " لا " الزائدتين اللتين أجاز الفصلَ بهما هشامٌ ، ومن تابعه مِنَ الكُوفيين (١).

فهو يُجيز الفَصْل بمعمول الفعل الذى دخلتْ عليه ، وبالقسم وبالشَّرط (٢). وعلى ذلك يجوز نحو : أَزُورُكَ كَىْ واللهِ تَزُورَنى ، وأُكْرِمُكَ كَى غُلَامَى تُكْرِم ، وأَزُورُك أَنْ تُكافِئَنى أكرمك وفى هذه الحالة يَبْطُل عملُها (٣) وهى عند الكوفيين حرفٌ ، ناصبةٌ فى جميع استعمالاتها (٤) أمَّا عن سيبويه والبصريين ، فهى ناصبةٌ بنفسها كأَنْ ، وجارةٌ مُضْمَرةٌ بعدَها " أَنْ " يقول سيبويه : ومِمَّا العرب يَجْعل " كَى " بمنزلة حتى ، وذلك أنَّهم يقولون : كَيْمَه فى الاستفهام فيُعْمِلونها فى الأسماء كما قالوا : حَتَّامَه ، وحَتَّى مَتَى ، ولمَه بمنزلة " أَنْ " وتدخل عليها اللامُ ، كما تدخُل على " أَنْ " ومن قال كَمْهَ " جعلها بمنزلة اللَّام (٥) ويذهب الكسائىّ فى " كَى " هو نفسُه ما مَرَّ بنا فى " أَنْ ".

د — حَـــتَّى

ذهب الكسائىُّ إلى أنَّها ناصبةٌ بنفسها ، وأنَّها جارة بإضمار " إلى ... ثم انه جوز إظهار " إلى " بعدها قال : الجر بحتى حتى يكون بإلى مَظْهَرةً ومُضمرةً (٦).

وعلى ذلك يكونُ " إلى " الذى بعدها فى نحو : " حتى مطلع الفجر " بتقدير إلى اى حتى انتهى الى مطلع الفجر (٧). وأجاز الكسائى رفع المستقبل اذا كان غير مسبب نحو : سرت حتى تطلع الشمس ، ونصب الحال اذا كان مسببا عما قبل ، وجوزه فى قول حسان :

بغشُون حتى ما تهِرّ كلابهُم (٨)

وحتى عند سيبويه حرف جر بمنزلة اللام (٩).

وخفض ما بعدها باضمار إلى عند الكسائى ، لأنها نفسها نصٌّ على ذلك ، مستشهدا على ذلك بقوله تعالى " حتى مطلع الفجر " ويقول ابن جنى : اعلم ان حتى فى الكلام على اربعة أضرب : تكون غاية ، فتجر الاسماء على معنى " إلى " وتكون عاطفة

---

١ — الدكتور / شوقى ضيف : المدارس النحوية ، ص: ١٨٢
١ — الهمع : ٢ / ٥٠ [illegible]
٣ — السابق ، شرح التصريح : ١ / ٢٣٦.
٤ — شرح الكافية : ٢ / ٢٣٩.
٥ — الكتاب : ١ / ٤٠٨.
٦ — الهمع : ٢/ ٨٠
٧ — شرح الكافية : ٢ / ٢٤١.
٨ — الهمع : ٢ / ٩٠
٩ — انظر الكتاب : ١ / ٤٠٨.

كالواو ، ويُبتدأ بها الكلامُ ، ويُضمر بعدها " أنْ " فتنصب الفعل المستقبل على أحدِ معنيين معنى كَي ، ومعنى إلى أنْ (١) .

فابن جنى يختلف مع الكسائى، الأنَّ حتَّى عند الكسائىّ ناصبةٌ بنفسها

قوله تعالى : " سَلامٌ هِى حتَّى مطلَعِ الفجر " (القدر)

فلعلَّ الكسائىّ لاحظ أنَّ ما بعد " حتى " مَجرورٌ فلذلك هو يقدِّر حَرْفَ جَرّ .

هـ — أو

مذهبُ الكسائى انَّ الفعلَ يُنْصَبُ بـ " أوْ " نفسِها (٢) أمَّا الفرّاء فعلى أنَّ الفعلَ بعد أوْ " منْتَصِبٌ عَلَى الخِلاف أى أنَّ المعطوفَ بها صار مُخالفًا للمعْطُوفِ عليه فى المَعْنى ، مُخالفًا فى الإعراب ، بينما ذهبَ الجُرْمِى إلى أنَّ هذه الحروف (يقصد أو ، الفاء ، الواو) ناصِبةٌ بنفسها (٣) فهو بذلك مُتَّفِقٌ مع الكسائى .

أما مذهبُ سيبويه فى هذا فهو يتضح حين يقول : إعْلَمْ أنَّ ما انتصبَ بَعْد أوْ فإنَّه يَنْتَصِبُ على إضمارِ " أنْ " كما انتصبَ فى الفاءِ والواوِ على إضمارها ولا يُسْتعملُ إظْهارُها كما لا يُستعمل فى الفاءِ والواوِ (٤) .

ويقول ابنُ جنى : إنَّما أصْلُ وضْعِها لاحدِ الشَّيئيْنِ أين كانتْ وكيفَ تصرَّفت . فهى عند نا على ذلك ، وإنْ كان بعضُهم قد خَفِىَ عليه هذا من حَالِها فى بَعْضِ الأحْوالِ ، حتى دَعاهُ إلى أنْ نقلها من أصْلِ بابِها . وذلك أنَّ الفرّاء قال : إنَّها قد تأتى بمعْنى بَلْ ، وأنشد بيْتَ ذى الرمة :

بَدَتْ مثل قَرْنِ الشَّمسِ فى رَوْنَقِ الضُّحى وصُورتِها أوْ أنتَ فى العَيْنِ أمْلَحُ

وقال : معناه بَلْ أنتَ فى العَيْنِ أمْلَح . وإذا ما أرينا أنَّها فى مَوْضِعِها وعلى بابِها (٥) .

وبعد ذلك يتبيَّن لنا أنَّ الكسائى يَبْدو وقد سَارَ على مَنْهج واحدٍ فى إعْمال الحُروف النَّاصِبة ، وهو أنَّ هذه الحروف عاملةٌ بنفسها .

---

١ — اللمع : ص : ١٦٢ .
٢ — الهمع : ٢ / ١٠ .
٣ — شرح الكافية : ٢ / ٢٤٠ .
٤ — الكتاب : ١/ ٤٢٧ .
٥ — الخصائص : ٢ / ٤٥٧ — ٤٥٨ .

و - الفـــاء

جَوّز الكسائى قياسًا : حَسْبُك الحديثُ فينامَ الناسُ ، وَصَهْ فأحدّثك (١) من ذلـــك نستنتج :

أ - الكسائى يجيز النصبَ بعد الفاء ، إذا كان قبلها أمرٌ بصيغة الطلـب .

ب- وان يكون بلفظِ اسم الفعل (٢)

يقوم ابن جنى : فأما الفاءُ فاذا كانت جوابًا لأحد سبعة أشياء : الأمر ، والنهـــى ، والاستفهام ، والنفى ، والتمنى ، والدعاء ، والعرض ، فانّ الفعل يُنصب بعدها بـــأنْ مُضمرة (٣) .

ويتفق ابن جنى وابن عصفور مع الكسائى فيما إذا كان بلفظ اسم الفعل بشرط أنْ يكـون اسمُ الفعل مُشْتقًا (٤) . وذلك بناءً على أنّ اسم الفعل مطرد كالأمر ، على ما هو مذهـب سيبويـه (٥) .

وجاء فى شرح الكافية : والكسائى والفراء جوّزا نصب الدعاء المدلول عليه بالخبر أيضا ، نحو : غفر الله لك فيدخلَكَ الجَنّـة (٦) .

وجوّز الكسائى النصب بالفاء ، اذا كان قبلها أمر ، وهذا الأمر :

١ - إما أنْ يكون صريحًا ، نحو : ائْتِنى فأشـكرَك

٢ - أو يكون غير صحيح ، وذلك بأن يكون مدلولاً عليه بالخبر ، نحو : اتّقى اللهَ امـــرؤٌ وَعَمِلَ خيرًا فيثابَ عليه ، وحسبك الكلامُ فينامَ الناسُ .

٣ - أنْ يكون الامرُ مقدرا كالأسَدَ الأسدَ فتنجـوَ

فالكسائى يجرى جميع ذلك مجرى صريح الأمر (٧)

---

(١) الهمع ٢/ ١١

(٢) شذور الذهب ، ص : ٣٧٢

(٣) اللمع ، ص : ٢٠٩

(٤) الهمع ٢/ ١١

(٥) شرح الكافية " الطبعة المصرية " : ٢/ ٢٤٤

(٦) السابق ، ص : ٢/ ٢٤٤

(٧) السابق ، ص : ٢٤٤

٢ — الأفعال غير المتصرفة :

"نِعْم" و "بِئْس" عند الكسائي فعلان ، ويدل على ذلك عنده :

أ — أنك تضمر فيها : فتقول : نعم رجلاً زيدٌ ، ونِعْم غلاماً غلامُك ، لا تُضمر إلا في الفعل وربما برز ذلك الضمير واتصل بالفعل ، قالوا : نِعْما رجلين ، ونِعْموا رجالاً ، كما تقول : ضَرَبا ، وضربوا . كل هذا حكاه الكسائي عن العرب (١)

ب — بناءُ آخرهما على الفتح من غير عارضٍ عرض لهما ، كما تكون الأفعال الماضية ، غير أنهما لا يتصرفان . وعلّة ذلك أنهما تضمّنا ما ليس لهما في الأصل ، وذلك أنهما نقلا من الخبر إلى نفس المدح والذم فأفادت فائدة الحروف التي هي تفيد المعاني أصلاً ، وبذلك خرجت عن باب الحروف ، ومُنعت التصرف ، كما تُمنع عَسَى وليس . وهذا مذهب البصريين أيضاً (٢)

وقد ذهب الكسائي أيضاً الى أنّ نِعْم الرجل ، وبِئْس الرجل اسمان محكيان بمنزلة تأبَّطَ شرًّا . وعلى ذلك فنِعْم الرجلُ ، وبِئْس الرجلُ ، هما عند الكسائي اسمان للممدوح والمذموم على التوالي (٣) وهذا يُشير الى فهم الكسائي فهما طيبا لما يُعرف بالمسكوكات اللغوية idiams وهي تعبيرات تقال في مواقف معينة . وقيل في قوله عز وجل "بِئْسما قَدَّمت لَهُم أنفُسُهم" (المائدة ٨٠) أن الكسائي قال : بِئْسَ الذي قدّمت لهم السخط ، وكان بِئْس الشيءُ ما قدّمت لهم أنفسهم (٤)

غير أننا نجد الفراء يذهب في "نِعْم" الرجل زيد" و "بِئْس الرجل عمرو" الى أنهما في الأصل : رجلٌ نِعْم الرجلُ زيد ، ورجلٌ بِئْس الرجلُ عمرٌو ، فحُذف الموصوف الذي هو رجلٌ وأقيمت الصفةُ التي هي الجملةُ من نِعْم وبِئْس ، وفاعلاهما (٥)

ويظهر لنا من هذا أنّ نعم ، وبئس ، وفاعلاهما يأتيان فيما يأتيان — اسما عند الكسائي والفراء — بمعنى المفرد — إلاّ أنّ الاسمية عند الكسائيّ بطريقة الإحالة وعند الفراءِ من قبيل أسماء الأجناس (٦) .

---

(١) شرح المفصل : ١٢٧/٧
(٢) انظر شرح المفصل : ١٢٧/٧
(٣) انظر شرح التصريح : ٩٤/٢
(٤) مجالس ثعلب : ٧٨/٢
(٥) شرح التصريح : ٩٤/٢
(٦) الهمع : ٨٥/٢

كما يظهر أنّ " ما " في الآية الكريمة مَعْرِفَةٌ تامة بمعنى الشيء ، فهي على ذلك فاعل ، لكونها بمعنى ذي الكلام . وهذا رأي سيبويه والكسائي . (١)

وقد جَوَّز الكسائي الفصلَ بين نِعْم وفاعلها بمفعول الفاعل ، نحو : نِعْم فيك الراغبُ قال ابو حيان : وفي الشعر ما يدل له ، قال :

ونِعْمَ مَنَ الفتيانِ المبذولُ

قال : وبيد الفصل بإذَنْ ، وبالقسم في قوله :

بئسَ إذَنْ راعِي المودةِ والوصلِ

وقوله : بئسَ عَمْرُ اللهِ قومٌ طَرَقُوا (٢)

ومنع الكسائيُّ أنْ يكون فاعلُ نِعْم وبِئْس ضميرًا مستترًا ، قال في نحو : نِعْم رجلًا زيدٌ الفاعلُ هو زيدٌ ، والمنصوب حال .. وقال الفراء : تمييز مُحوَّل عن الفاعل . (٣)

ونعم وبِئْس عند سيبويه فِعْلان أيضًا ، يقول : وأمّا قولهم : نِعْم الرجلُ عبدُ الله نهو بمنزلة : ذهب أخوه عبدُ الله ، فعلٌ نِعْم في الرجل ، ولم يعمل في عبدِ الله . (٣)

وعند الكسائي أنه ربّما يظهر الضمير ويتصل بهما ، وعند سيبويه " أنّك لا تظهر علامة المضمرين في نِعْم ، لا تقول : نِعْموا رجالاً ، يكتفون بالذي يُفسِّره " (٤)

---

١ ـ انظر شرح الكافية : ٢ / ١١٦ .
٢ ـ الهمع : ٢ / ٨٥ .
٣ ـ الهمع : ٢ / ٨٥ .
٤ ـ الكتاب : ١ / ٣٠٠ .
٥ ـ السابق والصفحة .

٣ ـ الجـــزم :

جوّز الكسائى حذف لام الأمر بعد قول أمر ، مستشهدا بالآيه الكريمة : "قُلْ لِعِبادِيَ الذين آمنوا يُقيمُوا الصَّلاةَ" أى "ليقيموا" (١)

ويضعّف البصريّون حذف اللام وإبقاء عملها فى الشعر ... وهذا الذى ذمّه المبرد فى الشعر أجازه الكسائىّ فى الكلام ، ولكن بشرط تقدم قُلْ ... ووافقه ابنُ مالك فى شرح الكافية ، وزاد عليه أنّ ذلك يقع فى النثر قليلاً بعد القول الخبرى" (٢)

وهنا ايضا يُجوز الكسائى الفصل والتقديم على عادته ، فهو يُجوّز الفصل بين فعل الشرط وأداته بمعمول فعل الشرط ، أو الجواب على الأداة ، نحو : خَيْرًا إنْ تَفْعل يُثِبْك اللـه ، وخَيْرًا إنْ ائْتِنى تُصِبْ. قال أبو حيان : وتحتاج إجازة هذا التركيب إلى سماع من العرب. (٤) فصّل الكسائىّ كذلك بين "مَنْ" وأخواتها والفصل بمعطف وتركيد ، بينما منع ذلك الفرّاء. (٥) . وجوّز الكسائى أنْ يسبق الجواب الجازم معمولة ، نحو : إنْ تأتنى خَيْرًا تُصِبْ وجوزه سيبويه أيضًا . (٦)

٤ ـ أفعل فى التعجب والتفضيل :

ذهب الكسائى الى أنّ أفعل فى التعجّب فعلٌ ماض ، وهذا مذهب البصريين. بينما ذهب الكوفيون إلى أنّه أسم. (٧)

ومن صيغ التعجب "ما أفعلَه" و "ما" هذه أُجمع على اسميتها وابتدائيتها ، بعد أنّ الكسائى قد رُوى عنه أنه لا موضع لها من الإعراب. (٨) . وجوز الكسائى ، وهشام والأخفش ، من الماهات ، نحو : ما أعوره ، وزاد الكسائىّ وهشامٌ : والألوان أيضًا نحو : ما أحمرَه ، غير أنّ الأخفش منع ذلك كسائر البصريين. (٩) ويقول الدكتور تمام حسّان خالفَ التعجب ويسميها النحاة صيغة التعجب وليس هناك من دليل على تسليتها ، بل إن هناك ما يدعو إلى الظنّ أن خالفة التعجب ليست الا أفعَلَ تفضيل تنوسى فيه هذا المعنى وأُدخل فى تركيب جديد لإفادة معنى جديد يمتّ الى المعنى الأول بصله وليس المنصوب بعده الا الفضّل الذى نراه هنا بعد صيغة التفضيل ولكنه فى تركيب جديد ومعنى جديد (١٠)

---

١ ـ الهمع : ٢ / ٥٥
٢ ـ المغنى : ١ / ١١٥
٣ ـ الهمع : ٢ / ٥٩
٤ ـ السابق ص : ٦١
٥ ـ السابق ص : ٥٩
٦ ـ السابق والصفحة
٧ ـ الانصاف : ١ / ٧٤ ، وشرح التصريح : ١ / ٨٧
٨ ـ شرح التصريح : ١ / ٨٧
٩ ـ الهمع : ٢ / ١٦٦
١٠ ـ اللغة العربية معناها ومبناها ص : ١١٤

٥ ـ أسماء الأفعال :

استشهد الكسائي على أنّ "وَيْك" مختصر ويلك ، والكافُ مجرورة بالإضافة . (١)
واسم الفاعل سواءٌ أكان مُرتجلاً أم منقولاً . والمنقول إمّا منقولٌ عن ظرفٍ أو جارٍ ومجرور ، نحو : عَلَيْكَ ، بمعنى "الْزَمْ" ومنه "عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم" ، أي الزموا شأنَ أنفسكم . ودُونَكَ زيداً ، بمعنى خُذْهُ ، ومكانك بمعنى اثبتْ ، وأمامك بمعنى تقدّمْ ، ووراءَكَ بمعنى تأخّرْ ، وإليكَ بمعنى تنحّ . فأمّا الظروف ، فإنّ الكسائيّ يتيسر عليها ، ولا يقتصر فيها على السماع بينما نجدُ البابَ كلّهُ سماعاً عند البصريين . (٢)

يقول سيبويه : وأمّا تعدّي المنهي الى مَنْهِيٍّ عنه ، فنحو قولك : حَذَرَكَ زيداً وحَذارِكَ زيداً سمعناهما من العرب . (٣)

وقد اشترط ان هذا القياس الذي عند الكسائي ، يكون في الخطاب ، نحو : عليك . وهذه الكاف المتصلة بـ "عَلَيْك" وأخواته ، اختُلف في إعرابها :

قال الكسائي : نصبٌ على المفعولية .
وقال الفراء : رفع على الفاعلية .
وقال البصريون : جرّ (٤)

فعلى رأي الكسائي يكون الفاعل مستترا ، ويكون التقدير : الزمْ انت نفسك من الإلزام .

---

١ ـ حاشية الصبان : ٣ / ١٥٠ حاشية
٢ ـ السابق : ١٥١ ـ ١٥٢ حاشية
٣ ـ الكتاب : ١ / ١١٦
٤ ـ شرح التصريح : ٢ / ١٩٨ ، وحاشية الصبان : ٣ / ١٥٣ هامش

٦ — التنازع :

اتفق الكوفيون والبصريون على جواز إعمال المتنازعين ، أيهما شئت ، ولكن اختلفوا : الكوفيون يعملون الأول لتقدمه ، والبصريون يعملون الثاني لمجاورته المعمول . (١) غير أن الكسائي يحذف من الأول ضمير الرفع . (٢)

في موضع اخر : " الكسائي ، وهشام الضرير ، والسهيلي من الكوفيين يوجبون الحذف للضمير المرفوع على الفاعلية ، هربا من الإضمار " . (٣) وذلك استنادا إلى قول القتيبة :

تعشق بالأرطى لها وأرادها رجال فبذت نبلهم وكليب (٤)

وقال الفراء : إن اتفق العاملان في طلب المرفوع فالعمل لهما : ولا إضمار ، نحو : يحسن ويسيء انباكا ، وان اختلفا أضمرته مؤخرا ، نحو : ضربني وضربت زيدا هو (٥)

والبيت السابق يشهد للكسائي ومن ذهب مذهبه من ناحيتين :

١ — من قبل أنه أعمل العامل الثاني من العاملين المتقدمين في المفعول المتأخر عنهما فهنا يجب حذف ضميره من العامل الأول ، حيث لو ذكر ، كان عائدا إلى متأخر لفظا ورتبة .

٢ — كلمة رجال في البيت فاعل بأرادَ ، وضمير الرجال لم يذكر مع " تعشق " إذ لو ذكر لقال : " تعشقوا " بالأرطى لها و " أرادها " رجال . ولو أنه أعمل العامل الأول في لفظ المعمول المتأخر ، وأعمل العامل الثاني في ضميره لقال : تعشق بالأرطى وأرادها رجال ، فيكون قوله " رجال " فاعلا بتعشق " فلما لم يقل الشاعر واحدة من هاتين العبارتين ، علمنا أنه أعمل العامل الثاني في لفظ المعمول وحذف من العامل الأول ما يقتضيه " . (٦)

---

١ — شذور الذهب ص : ٥٠٢
٢ — حاشية الصبان : ٢ / ٧٥
٣ — شرح التصريح : ١ / ٣٢٠
٤ — السابق : ١ / ٣٢٠ — ٣٢١
٥ — حاشية الصبان : ٢ / ٧٦ هامش
٦ — شرح الاشمونى : ٢ / ٢٩٢

٧ — حَـــذْفُ الفاعـــل :

ذهب الكسائى إلى جواز حذف الفاعل للدليل كالمبتدأ والخبر (١) وقد تمسك بنحو قولـــه :

فَإِنْ كَانَ لا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِـي ... إِلَى قَطَرِيٍّ إِخَالُـكَ رَاضِيَـا (٢)

فإنَّ الكسائىَّ ذهب فيه إلى أنَّ اسم كان على تقدير كونها ناقصةً ، أو فاعلها على تقدير كونها تامةً محذوفٌ ، وتمسك بهذا ونحوه فأجاز حذف الفاعل (٣)

وسيبويه لا يوافق على هذا ، فقد نصَّ على أنَّه " لا يجوز أن تقول : يُضْرَبْ ، ولا يُضْرَبَـانِ وتَسْكُتْ ، لأنَّهم بَدَأُوا بالإضمار على شريطة التفسير ، وإنَّما هو إضمارٌ مقدَّم قبل الاسم ، والإضمار الذى يجوز عليه السكوت ، نحو : زَيْدٌ ضربتُه ، إنَّما أضمر بعد ما ذكر الاسم مُظْهرًا (٤) وابـن جنِّى لا يوافق أيضًا على حذف الفاعل ، فهو يقول : ولا يَجُوز تقديمُ الفاعلِ على الفعل فـإن لم يكنْ مُظْهرًا بعده ، فهو مضمرٌ فيه لا محالة (٥)

ويُورد ابنُ هشام أراءَ بعضِ العلماءِ فى هذا يقول : وقال الكسائىُّ ، وهشامٌ ، والهمذانىُّ فى نحو : " ضَرَبَنِى وضربتُ زيدًا " : إنَّ الفاعل محذوفٌ لا مُضمر ، وقال ابن عطية فى " بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الذين كَذَّبُوا " : إنَّ التقدير بِئْسَ المَثَلُ مَثَلُ القوم ، فإنْ أراد أنَّ الفاعل لفـــظ المثلِ محذوفا فمردود ، وإنْ أراد تفسير المعنى وأنَّ فى بِئْسَ ضميرُ المثلِ مستترًا فأين تفسيره ، وهذا لازم للزمخشرى فإنَّه قال فى تقديره : بِئْسَ مَثَلاً (٦) . ونحن بعد ذلك لا نكادُ نَمَلُّ الإشارةَ إلى صفة الوصفية التى تُميِّز آراءَ الكسائى غالبا ، فإنَّ ما رآه من نماذج لغويةٍ أمامه ، تجعل الواصف — فقط — يذهب إلى مثلِ ما ذهب اليـــه الكسائى دون محاولة للتفسير ، فالكسائى هنا ربما ذهب إلى جواز حذف الفاعل لملاحظته مثلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يَزْنِى الزانى وهُو مؤمنٌ ، ولا يشربُ الخمرَ حـــين يشربُها وهو مؤمـــن (٧)

وهو أيضا قارئ صادق فيه مثل هذا ، ومن نحو قوله : "كَلَّا إِذَا بلغت التَّرَاقِى "(القيامة ٢٦) وهو مَمَّنْ يحرف أمثالَ العرب كذلك لكثرة رحلته ، فالعرب تقول : " إِذَا كان غدًا فأتـــنى " " بنصـــب غـــدًا " (٨)

---

(١) شرح الكافية : ١/٧٧ ، والهمع : ١/١٥٩
(٢) وهو لسواد بن المضرب السعدى
(٣) شرح الاشمونى : ٢/١٠٢
(٤) الكتاب : ١/٣٠٠
(٥) ابن جنى : اللمع ، ص : ١١٥
(٦) المغنى : ٢/٦٠٨
(٧) الحديث فى شرح التصريح : ١/٢٧١
(٨) انظر السابق ، ص : ٢٧٢

فضلاً عن تخريجات النحويين للبيت الذى تمسك به الكسائى ، وما جئنا به من نصوص نحوية ، فإن الكسائى لم يذهب إلى هذه التخريجات ، لأن نظرته إلى التركيب اللغوى تخالف نظرة النحويين معظمهم .

على أن بعض النحويين لم يمنع حذف الفاعل باعتباره عمدة ، فقد ذهب بعض المتأخرين منهم إلى جواز حذفه فى مواضع منها :

١ ـ باب النائب عن الفاعل .

٢ ـ الاستثناء المفرغ ، نحو : ما قام إلا هند .

٣ ـ فى أفعل بكسر العين فى التعجب إذا دل عليه متقدم ، نحو : أسمع بهم وأبصر ، وفى المصدر نحو : أوطعام فى يوم ذى مسغبة . (١)

ولعل من المفيد أن نرى أمثلة لذلك من خلال النص الكريم ، ربما قاس عليها الكسائى .

قال تعالى : " كلا إذا بلغت التراقى " (القيامة ٢٦)

يقول الزمخشرى : والضمير فى بلغت للنفس وإن لم يجر بها ذكر : لأن الكلام الذى تضمنت فيه يدل عليها ، كما قال حاتم :

أما وى ما يغنى الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب :

أرسلت ، يريدون : جاء المطر . ولا تكاد تتمهم يذكرون السماء (٢)

---

١ ـ السابق : ١ / ٢٧٢

٢ ـ الكشاف : ٤ / ٦٦٣

رابعـــا : من المُكَـمِّلات :

١ ـ : الاستثنـــاء :

اختُلف فـي عامل النَّصب في المستثنى ، فقال الكسائيّ وهو منصوبٌ ، إذا انتصـب بأنَّ مُقدرة بعد " إلاَّ " مَحْذُوفة الخبر ، فتقدير قـام القوم إلاَّ ان زيدا لم يقم (١) وحُكي عن الكسائيّ أيضا أنَّه قال : ينتصب المستثنى لأنَّه شُبِّه بالفضْـول (١)

وذَهب الفراءُ ومن تابعه من الكوفيين إلى أنَّ " إلاّ " مركبةٌ من " إنَّ " و " لا " ، ثم خُففت إنَّ وأُدغمت في (لا) فنصبوا بها في الإيجاب اعتبارًا بأنَّ ، وعطفوا بها في النفي اعتبارًا بـ " لا " (٢)

ورأى سيبويه في هذا " أنْ يكون الاسمُ بعدها خارجًا مما دخل فيه ما قَبْلَه عاملاً فيـه ما قَبْلَه من الكلام ، كما فَعَل عشرون فيما بعدها ، إذا قلت : عِشْرُون درهمًا (٤) ويقـول أيضًا : هذا بابٌ لا يكون المُستثنى فيه إلاَّ نَصْبًا ، لأنَّه مُخْرج مِمَّا أدْخلتَ فيه غـيرَه فصار فيه ما قَبْله ، كما عمل العشرون في الدِّرْهم حين قلت : له عشرون دِرْهمًا ، وهـذا قول الخليل ، وذلك قولُك : أتاني القومُ إلا أباكَ ، ومررت بالقوم إلا أباك .. وانتصـب الأبُ إذا لم يكن داخلاً فيما قَبْلـه .. وكان العاملُ فيه ما قبله مِنَ الكلام . (٥)

اذنْ فالمُستثنى عند سيبويه لا يكون عاملاً فيه إلا ما قبلـه

ويقول المبرد : ... وذلك لأنَّك لمَّا قُلت : جاءني القومُ ، وقع عِنْدَ السَّامع أنَّ زيدًا فيهم ، فلما قلتَ : إلاَّ زيدًا ، كانت " إلاّ " بدلاً من قولك : أعْنِي زيدًا ، واستثـنى فيمن جاءني زيدًا ، فكانت بدلاً من الفِعْـل (٦)

وهنا نلاحظ أنَّ المبرد يكاد يقترب من قول الكوفيين ، لأنَّهم حينما احتجّوا لعَمَـل إلاَّ في المُستثنى قالوا : الدليل على أنَّ " إلاّ " هي العاملُ أنَّها قامت مَقام اسْتَثْنى (٧)

على أنَّ من البصريين من ذهبَ مَذْهب الكوفيين في هذا ، أي إلى إعْمال " إلا " النصبَ فمنهم أبُو العبَّاس محمد بن يزيد المُبرّد وأبُو إسحق الزَّجّاج . هذا ما نصَّ عليـه ابنُ الأنبـاري . (٨)

١ ـ شرح الكافيـة : ١ / ٢٢٦ ، والانصاف : ١ / ١٦٧
٢ ـ الانصاف : ١ / ١٦٧
٣ ـ السابـق والصفحـة
٤ ـ الكتاب : ١ / ٣٦٠
٥ ـ الكتاب : ١ / ٣٦٩
٦ ـ المقتضب : ٤ / ٣٩٠
٧ ـ الانصاف : ١ / ١٦٧
٨ ـ السابـق والصفحـة

وابنُ يعيش يذهب الى انَّ (إلَّا) لم تعمل فى الاسم الذى بعدها : " لأن العامل ينبغى ان يكون له اختصاص بما يعمل فيه ، فلما لم يكن لـ " إلَّا " اختصاص بالاسم لـــم يجزْ لها أن تعمل فيه (١) ويقول ابن هشام فى تقسيم وجوه " الا " : أنَّ تكون للاستثناء نحو : "فشربُوا منه إلَّا قليلا" (البقرة ٢٤٩) وانتصاب ما بعدها فى هذه الآيـــة ونحوها على الصحيح . (٢)

اذن فابن هشام يرى انها — أى لا — هى الناصبة بنفسها . ويرى ذلك من خلال النص القـرآنـى :

قولـه تعالـى : " اللَّهُ لا اله الا هو الحيُّ القيومُ " (البقرة ١٢٥)

يقول ابو حيان : وجوزوا رفع الحيّ على أنه صفةٌ للمبتدأ الذى هو الله ، أو علـى أنَّه خبر بعد خبر ، أوْ على أنهَ يَدَلْ مِنْ هُو ، أو من الله تعالى ، أو على أنَّه خـبر مبتدأ محذوف ، أى هو ، أو على أنَّه مبتدأ والخبر لا تأخـذه . وجودها الوصف ويدل عليه قراءة من قرأ : " الحيَّ القيوم " بالنصب فقطع على إضمار أمْدح ، فلو لم يكن وصفـا ما جاز فيه القطع . (٣)

وهذه القراءة تؤيد ما حُكى عن الكسائى أنه ينصب المستثنى لأنه شبه بالمفعول وهذا وهذا إنْ صحتْ هذه الرواية عنـه .

وفى قوله تعالى : " فشربُوا منه إلَّا قليلاً مِنهم " (البقرة ٢٤٩)

يقول ابو حيان : " واختلفوا فى إعرابه — أى الاسم بعد إلَّا — فقيل : هو تابع علـى أنَّه بعت لما قبله ، فمنهم من حمل هذا على ظاهر الصناعة وقال يُنْعَتُ بِمَا بعد إلَّا الظاهر والمضمرُ . ومنهم من قال : لا يُنعت به إلَّا نكرة ، أو المُعَرَّف بلام الجنس ، فان كان معرفة بالاضافةِ ، نحو : قام اخوك ، أو للالف واللامَ للعهد ، أو بغير ذلك من وجـوه التعاريف غير لام الجنس ، فلا يجوز الاتباع ، ويلزم النصبُ على الاستثناء . ومنهم من قال : إنَّ النحويين يمنعون بالنعت هنا عطفَ البيـان . (٤)

ولعل ذلك يتفق مع ما جوزه الكسائى والفراء من جعلها إلا عطفا لأنَّ البدل والمبدل منه فى كلام واحد ، والمُستثنى من حيثُ المعنى فى كلام ، المستثنى منه فى آخـر ، وذلك لأنَّ معنى : ما قام القومُ إلَّا زيـدٌ : ما قام القومُ ، وقام زيـدٌ . (٥)

---

١ — شرح المفصل : ٢ / ٧٦
٢ — المغنى : ١ / ٧٠
٣ — البحر المحيط : ٢ / ١٧٧
٤ — البحر المحيط : ١ / ٦٦٧
٥ — شرح الكافية : ١ / ٢٢٢

تَقْدِيمُ الْمُسْتَثْنَى :

جوز الكسائى تقديم المستثنى ، بل جوز تقديمه على حرف النفى أيضا (١) وقد استشهد الكسائى على وجه نظره هذه بهذا البيت :

خلا اللّه لا أَرْجُو سِوَاكَ وإنّما أُعِدّ عِيالِى شُعْبَةً من عِيالِكَا

وفهم أنّ أداة الاستثناء فى البيت " خلا " فأن رأيه شمل الباب كله ، وهذا توسع فى القياس ملحوظ على أنّ ابا اسحق الزجاج ذهب إلى هذا فى بعض المواضع . (٢)

مذهب الكسائى فى الاستثناء اذا تكرر :

وذلك بتوسيط المؤكد فى نحو : له على عشرة الا تسعة الا ثمانية ، الا سبعة .

فيستثنى الأخير من الذى قبله ، والذى قبله يُستثنى من الذى قبله ، إلى ان ينتهى إلى الأول . فإلّا سبعةً مستثنى من ثمانية ، يبقى واحدٌ يُسْتَثْنى من تسعه ، وهى من عشره (٣) وهذا مذهب البصريين أيضا . وينقل السيوطى عن أبى حيان : ولا يكاد يُوجد استثناءٌ من عدد فى شىء من كلام العرب ، إلّا فى هذه الآية الكريمة : " فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا " (العنكبوت ١٤) . ومن هذه الآيه يقول أبو حيان : والاستثناء من الألف استدل به على جواز الاستثناء من العدد وفى كونه ثابتًا فى لسان العرب .. وقد عمل الفقهاء المسائل على جواز ذلك . وغاير بين تمييز المُستثنى منه وتمييز المُستثنى ، لأنّ التكرار فى الكلام الواحد مجتنب فى البلاغة ، إلّا إذا كان لغرض من تفخيم أو تهويل ، أو تنويه ، ولأنّ التمييز عن العدد المذكور بما عبر به ، لأنّ ذكر رأس العدد الذى لا رأس أكبر منه أرفع وأوصل إلى الغرض .. ولإزالة التوهم الذى يجىء مع قوله : تسعمائة وخمسون عاما ، بأنّ ذلك على سبيل المُبالغة ، لا التمام ، والاستثناء يرفع ذلك التوهم المجازى . (٤)

فكلام أبى حيان هنا يدل أولًا : على أنّ ما نقله الكسائى إنّما كان سماعا عن العرب .

تأخير المعمول فى جملة الاستثناء :

أجاز الكسائى تأخير المعمول مرفوعا كان او منصوبا أو مجرورًا واستدل بقوله :

فما زادنى إلّا غرامًا كلامُها

---

١ ـ الهمع : ١ / ١٢٦ .
٢ ـ الانصاف : ١ / ١٥٨ .
٣ ـ الهمع : ١ / ١٢٨ ، وشرح التصريح : ١ / ٣٦٠
٤ ـ البحر : ٧ / ١٤٥ .

وكذلك قوله تعالى : " وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالاً ... الى قوله : " بالبينات والزبر (النحل ٤٣ ، ٤٤) ووافقه ابن الانباري في المرفوع فقط ، ووافقه الاخفش في الظرف والمجرور والحال ، نحو : ما جاءني الا زيد عندك ، وما مر الا عمرو بك ، وما جاء الا زيد راكبا (١) ونرى ذلك على هدى النص القرآني :

في آية النحل السابقة ، ينقل أبو حيان : وقال الزمخشري ، وابن عطية وغيرهما : وقد يتعلق بقوله : وَما أَرْسَلْنا هذا فيه وجهان : أحدهما : أن النية فيه التقديم قبل أداة الاستثناء ، والتقدير : وما أرسلنا من قبل بالبينات والزبر ، الا رجالا ، حتى لا يكون ما بعد " الا " معمولين متأخرين لفظا ورتبة داخلين تحت الحصر لما قبلها ، وهذه حكاية ابن عطية عن فرقه . والوجه الثاني : أن لا ينوى به التقديم بل وقعا بعد " الا " في نية الحصر ، وهذا قاله الحوفي والزمخشري ، وبدأ به قال : تتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع " رجالا " أي وما أرسلنا الا رجالا بالبينات ، كقولك : ما ضربت الا زيدا بالسوط ، لان أصله ضربت زيدا بالسوط . وقال أبو البقاء : وفيه ضعف لان ما قبل " الا " لا يعمل فيما بعدها اذا تم الكلام على " الا " وما يليها . الا أنه قد جاء في الشعر ، قال الشاعر :

ليتهم عَذَّبوا بالنّار جارَهم ... ولا يُعذّب الا اللهُ بالنّارِ

ويقول : وهذا الذي أجازه الحوفي والزمخشري لا يجوز على مذهب جمهور البصريين لانهم لا يجيزون أن يقع بعد " الا " إلّا مستثنى أو مستثنى منه ، أو تابعا ، وما ظُنَّ من غير الثلاثة معمولا لما قبل " إلّا " قدر له عامل ، وأجاز الكسائي أن تقع معمولا لما قبلها منصوب نحو : ما ضرب الا زيد عمرا ، ومخفوض ، نحو : ما مر الا زيد بعمرو مرفوع ، نحو : ما ضرب الا زيدا عمرو ، ووافقه ابن الانباري في المرفوع ، والاخفش في الظرف والجار والحال . فالقول الذي قاله الحوفي والزمخشري يتمشى على مذهب الكسائي والاخفش (٢)

وعلى ذلك فان رأي الكسائي — تبعا لبعض التأويلات فيما نقلنا — يكون له ما يدعمه من خلال النص القرآني :

دخول " إلّا على " حاشا " :

ذهب الكسائي الى جواز دخول " الا " على " حاشا " اذا جرت ، وحكى : قام القوم إلّا حاشا زيد (٣)

---

(١) الهمع : ١/ ٢٣٠
(٢) البحر المحيط : ٥/ ٤٩٤
(٣) الهمع ، ص : ١/ ٢٣٣

وهذا الذى ذهب اليه الكسائى ، لم ينص عليه سيبويه فى حديثه عن " حاشا " قال سيبويه : وأما حاشا ، فليس باسم ، ولكنه حرف يجر ما بعده ، كما تجر حتى ما بعدها وفيه معنى الاستثناء . وبعض العرب يقول : ما أتانى القوم خلا عبد الله ، فجعلوا خلا بمنزلة حاشا (١) الى آخر كلامه عنها ، مما لم ينص فيه على شئ مما أجازه الكسائى .

ويخطئ السيوطى الكسائى فيما ذهب اليه ، محتجا بأنه " جمع بين أداتين لمعنى واحد ، والحكاية شاذة لا يقاس عليها " (٢)

وكل ما نستطيع قوله فى هذا الصدد أن دخول " الا " على حاشا ، ربما جاز من قبل أن " الا " عند الكوفيين وخاصة الكسائى والفراء ، لإفادة العطف ، فيكون مثال الكسائى الذى أتى به بمعنى : قام القوم وحاشا القيام لزيد . ويقول الرضى : جعل الكسائى والفراء " الا " عاطفا ، لان البدل والمبدل منه فى كلام واحد ، والمستثنى من حيث المعنى فى كلام ، والمستثنى منه فى آخر ، وذلك لان معنى : ما قام القوم الا زيد : ما قام القوم ، وما قام زيد (٣) .

جر المستثنى بعد " ما خلا " عند الكسائى :

زعم الكسائى — وكذلك الجرمى والزيدى والفارسى وابن جنى — أنه يجوز جر المستثنى بعد " ما خلا " على تقدير " ما " زائدة .

وسيبويه يمنع ذلك ، يقول : وتقول : أتانى القوم ما عدا زيدا ، وأتونى ما خلا زيدا ، "ما" هنا اسم ، وخلا وعدا صلة له ، كأنه قال : أتونى ما جاوز بعضهم زيدا ، وما هم فيهما ما عدا زيدا (٤)

اذن رأى الكسائى قائم على زيادة " ما " وسيبويه على انها اسم .

ويقول المبرد : فاذا قلت : ما عدا ، وما خلا — لم يكن الا النصب ، وذلك لان " ما " اسم فلا توصل الا بالفعل ، نحو : بلغنى ما صنعت ، أى صنعك اذا أردت بها المصدر فصلتها الفعل لا غير ، وكأنه قال مجاوزتهم زيدا (٥)

ومفهوم كلام سيبويه والمبرد أن " ما " تؤول مع الفعل باسم ، ومن ثم فهى فى هذا المكان لا تكون زائدة .

---

(١) الكتاب : ١/٣٧٧
(٢) الهمع : ١/٢٣٣
(٣) شرح الكافية ١/٢٣٢
(٤) الكتاب : ١/٣٧٧
(٥) المقتضب: ٤/٤٢٧

ويعلق ابن هشام على رأى الكسائى قائلا : فان قالوا ذلك " يعنى الكسائى ومن تابعه " بالقياس ففاسد ؟ لأنَّ " ما " لا تُزاد قبل الجار والمجرور ، بل بعده ، نحو: "ما قليلا" (المؤمنون ٤٠) ، " فَبِما رَحْمَة" (آل عمران ١٥٩)
وإن قالوه بالسَّماع فهو من الشذوذ بحيث لا يُقاس عليه . (١)

---

١ ـ الغنى : ١ / ١٣٤

٢ ـ الحـــال :

الحال عند الكسائى مضارعةٌ للوقت والوقت مفعول فيه. (١)

هذا هو مفهوم الحال عند الكسائى ، أما رأيه فى مجيئها ، فانه أجاز ، ووافقه هشام أنْ تجىء مجموعةً من مُضاف وضاف إليه نحو : لقيت صاحب الناقة طليحين ، على أنّ طليحين حالٌ من الصاحب والناقة. (٢)

ومفهوم الحال عند سيبويه لا يختلف عنه عند الكسائى ، يقول سيبويه : وذلك قولك هذان رجلان وعبد الله منطلقين. وإنّما نصبت المنطلقين ، لأنه لا سبيل إلى أنْ تكون صفةً لعبد الله ، ولا أنْ يكون صفة للاثنين فَلَمّا كان ذلك مُحالاً جعلته حالاً صاروا فيها. (٣)

ويقول المبرّد : وكذلك الحال هى مفعول فيها . نقول : جاءنى زيدٌ الطويلُ فالطويل نعت ، وكذلك مررت بأخيك الكريم. إنّما معناه بأخيك الموصوف بالكرم المعروف به. فاذا قلت : جاءنى زيدٌ ماشيًا ـ لم يكن نعتًا ، لأنّك لو قلت : جاءنى زيد الماشى لكان معناه المعروف بالمشى ... فاذا قلت : جاءنى زيدٌ ماشيًا ـ لم تُرد انه يعرف بأنه ماشٍ ، ولكن خبرت بأنّ مجيئه وقع فى هذه الحال ، ولم يَدُلّ كلامك على ما هو فيه قبل هذه الحالة أوْ بعدها. (٤)

ويذكر ابن يعيش : ولا يكون العامل فيها إلا فعلاً ، وما هو جارٍ مجرى الفعل من الأسماء ، أو شيئًا فى معنى الفعل ، لأنّها كالمفعول فيها. (٥)

إذنْ لا يختلف الكسائى مع ما أوردنا من نصوص ، ولكن من طريق غير مباشر. فالحال عند البصريين مفعول فيها ، والوقت مفعول فيه (٦)

الاخبار عن الحال

ومما كان قريبًا من ذلك قولهم : رأيتُ زيدًا مُصعدًا منحدرًا ، يقول ابن يعيش : فأما قولهم : رأيت زيدًا مصعدًا منحدرًا ، ورأيت زيدًا ماشيا راكبًا اذا كان احدهما مصعدًا والآخر مُنحدرا ، واحدهما ماشيًا والآخر راكبًا ، فالمُراد أنْ تكون أنت المُصعد

---

١ ـ الزجاجى : الايضاح فى علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، دار العروبة ، مطبعة المدنى بالقاهرة ١٩٥٩ م ص : ٤٩ ـ ٥٠

٢ ـ الهمع : ١ / ٢٤٤

٣ ـ الكتاب : ١ / ٢٥٨

٤ ـ المقتضب : ٤ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠

٥ ـ شرح المفصل : ٢ / ٥٧

٦ ـ الايضاح : ص : ٤٩ ـ ٥٠

وزيد المنحدر ، فيكون مصمدا حالا للتاء ومنحدرا حالا لزيد ، وكيف قدرت بمـــد أن يعلم المخاطب المصمد من المنحدر ، فانه لا بأس بتقديم أي الحالين (١)

وقياسا على ذلك ، فلعل ما ذهب اليه السيوطي في تخريجه لما ذهب اليـــه الكسائي يكون صحيحا ، يقول السيوطي : وتخريجه عندنا على أن حال من صاحب الناقة ومن المعطوف المقدر ، أي والناقة ، لان الحال كالخبر (٢) . وفيما أرى ، لا أحسب هناك فرقا بين رأي الكسائي ، وتخريج السيوطي ، لان الحال في المثال تضمر مباشرة بأنها من صاحب الناقة والناقة .

تقديم الحال :

أجاز الكسائي تقديم الحال على صاحبها ، فيقال : زيد شجاعا مثلك ، وزيـــد طالعـــه الشمس (٣)

والمعروف أن الحال يصلح تقديمها وتأخيرها ، اذا كان العامل فيها فعـــلا وذلك لتصرف العامل فيها (٤)

أما اذا كان العامل غير فعل لم تكن الحال الا بعده ، وذلك قولك : زيد فـــي الدار قائما ، وفي الدار قائما زيد (٥) وقد مر تعرض سيبويه الذي يشير الى هذا .

هذه هي الاصول عند سيبويه والمبرد ، أو قل هو الفصيح عندهما . فاذا كان هذا هو الفصيح فان سيبويه يعرد فيذكر ما يوافق رأي الكسائي يقول : هذا باب ما ينتصـــب ، لانه قبـــح أن يوصف بما بعده ، ويبنى على ما قبله ، وذلك قولك : هذا قائما رجل وفيهـــا قائما رجل لما لم يجز . أن توصف الصفة بالاسم . وقبح أن تقول فيها قائم فتضع الصفـــة موضع الاسم .. قال ذو الرمة

وتحت العوالي في القنا مستظلة ظباء أعارتها العيون الجآذر

وقال كثير :

لعـــزة موحشا طلـــل

وهذا كلام أكثره يكون في الشعر ، وأقل ما يكون في الكلام ، واعلم أنه لا يقال قائمـــا فيها رجل ، فان قال قائل : أجعله بمنزلة راكبا مر زيد .. قيل له : فانه مثله في القيـــاس

---

(١) شرح المفصـــل : ٢/ ٥٦
(٢) الهمـــــع : ١/ ٢٤٤
(٣) الهمـــــع : ١/ ٢٤٢
(٤) أنظر المقتضب : ٤/ ٣٠٠
(٥) السابق والصفحـــة

لأنَّ فيها بمنزله مرّت ، ولكنهم كَرِهوا ذلكَ فيما لم يكن مِنَ الفعل ، لأنَّ فيها وأَخواتِها لا ينصرفُ تصرفَ الفِعْل. (١)

فهذا الذي يجيز في الشعر جوزه الكسائي في الكلام ، لأنَّ المُهم عنده السماع به، وأيدا ذلك عند ذي الرمة وكُثير.

ويذهب ابن يعيش مذهب سيبويه والمبرد حيث يقول : فإن كان العامل في الحال معنى فعل لم يجزْ تقديمها على العامل . تقول : فيها زيدٌ قائمًا ، وعندك عمرو جالسًا فزيدٌ مرتفع بالابتداء وفيها الخبر وقائما حالٌ من المضمر في فيها ، والعامل فيها الجار والمجرور. (٢)

ويقول ابن هشام : الحالُ تتقدم على عاملها إذا كان فعلاً متصرفا ، أو وصفا يُشبهه نحو " خاشعا أبصارُهم يَخْرُجون " وقوله :

عَدَسْ ما لعبّادٍ عليكِ إمارةٌ نَجَوْتِ وهذا تَحْملين طليقُ

أي وهذا طليق محمولاً لك (٣)

بعد ، ما موقف النص القرآني من هذا

في قوله تعالى " خُشَّعًا أبصارُهم يَخْرُجون من الأَجْداث " (القمر ٧)

يقول ابو حيان : وانتصب خُشَّعا على الحالِ من ضمير يخرجون ، والعامل فيه يخرجون ، لأنّه فعلٌ متصرفٌ. وفي هذا دليلٌ على بُطلان مذهب الجرمي ، لأنه لا يُجوز تقدّم الحالِ على الفعل وإنْ كان مُتصرّفًا . وقد قالت العرب : شتى تؤوب الحلبة ، فشتى حالٌ وقد تقدمت على عاملها وهو تؤوب .. وقيل حالٌ من الضمير المجرور في عنهم من قوله : " فتولَّ عَنْهم " (٤)

وقوله تعالى : " حِكْمةٌ بالغةٌ " (القمر ٥).

يقول أبوحيان : وقرأ اليمانيّ : حكمةً بالغة . بالنصب فيهما حالاً من " ما " سواء كانت " ما " موصولةً أم موصوفةً تخصصت بالصفة (٥).

اذن ليس ما أوردنا من نصوص قرآنية يدعم رأي الكسائي ، بل انه قائم على السماع على النحو الذي مر بنا .

---

(١) الكتاب ١/٢٧٧
(١) ابن يعيش : شرح المفصل : ٢/٥٧
(٣) المغني ٢/٤٠٢
(٤) البحر ٨/١٧٩
(٥) السابق ، ص: ١٧٤

٣- التمييز :

جَوَّز الكسائى تقديم التمييز على عامله ، محتجًا بقول الشاعر، وهو رجل من طيء :

أنفسًا تطيبُ بنيل المُنى وداعى المَنُون يُنادى جهارا (١)

يقول سيبويه : وقد جاء من الفعل ما أنفد إلى مفعول ، ولم يَقْوَ قوة غيره متعد تعدّى إلى مفعول ، وذلك قولك : امتلأتُ ماءً ، وتفقأت شَحْمًا ، ولا تقول : امتلأتُه ولا تفقأتُه ، ولا يعمل فى غيره من المعارف ، ولا يُقدم المفعول فيه ، فتقول ماءً امتلأت ، كما لا يُقدّم المفعول فيه فى الصفات المشبهة ، ولا فى هذه الأسماء ، لأنها ليست كالفاعل ، وذلك لأنه فعل لا يتعدى إلى مفعول ، وإنما هو بمنزلة الانفعال ، وإنما أصله : امتلأت من الماء ، وتفقأت من الشحم (٢) . ومعنى ذلك أن سيبويه لا يجيز تقديم التمييز على العامل .

أما المبرد فيجيزه ، يقول : واعلم أنّ التمييز إذا كان عاملاً فيه فِعْلٌ جاز تقديمه ، وإن تصرف الفعل ، فقلت : تفقأتْ شحمًا ، وتصببت عرقًا ، فإنْ شئتَ قدّمت ، فقلت : شحمًا تفقأت ، وعرقا تصببت (٣) .

والمبرد يعلل عدم موافقة سيبويه بقوله : لأنه يراه كقولك : عشرون درهمًا ، وهذا أفضلهم عبدًا . ثم يرى المبرد نفسه أن ذلك أن سيبويه أخطأ القياس ، " لأنّ " عشرين درهمًا " انما عمل فى الدرهم لما لم يؤخذ من الفعل . ألا ترى أنه يقول : هذا زيد قائمًا ، ولا يجيز قائمًا هذا زيد ، لأنّ العامل غير الفعل . وتقول : راكبًا جاء زيد ، لأنّ العامل فعلٌ ، فلذلك أجَزْنا تقديم التمييز إذا كان العامل فعلاً . وهذا رأى أبى عثمان المازنى (٤) .

وابن جنى - أيضا - يرد وأنه لا يوافق الكسائى والمبردَ والمازنىَ ، يقول : فأما ما أنشده أبو عثمان وتلاه فيه أبو العباس من قول المخبل :

أتَهْجُر ليلى للفراق حَبِيبَها وما كان نفسًا بالفراقِ تَطِيبُ

فتقابله برواية الزجاجى وإسماعيل بن نصر وأبى اسحق أيضا :

وما كان نَفسِى بالفراقِ تَطيبُ

فرواية برواية ، والقياس من بعد حكم (٥) .

ورواية ابن جنى للبيت هى نفسها التى احتجّ بها ابنُ الأنبارى فى الإنصاف ، حيث يقول : فان الروايةَ الصحيحةَ :

وما كَانَ نَفسِى بالفراق تَطِيبُ

---

(١) شرح التصريح ، ١/٤٠٠ .
(٢) الكتاب ، ١/١٠٥ .
(٣) المقتضب ، ٣/٣٦ .
(٤) السابق والصفحة
(٥) الخصائص ، ٢/٣٨٤ .

ولئن سلمنا صحة ما رويتموه فنقول : نصب " نفسًا " بفعل مقدر، كأنه قال أعني نفسًا ، لا على التمييز ، ولو قدرنا ما ذكرتموه فإنما جاء في الشعر قليلاً على طريق الشذوذ فلا يكون فيه حجـــة (١).

ولعل ما قاله ابن الانباري ليس بشيء ، لأن الشاذ كثيرا ما أقام عليه الكوفيون آراءهم ، وقد مر بنا في ثنايا البحث أن ابن جني أوصل سند الشاذ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك رأيناه يقول منذ قليل " فرواية بُرواية والقياس من بعدُ حكم " هذا هو الكلام الصحيح ، فيما أرى .

وابن يعيش لا يوافق أيضًا على تقديم التمييز ، يقول : فأنت إذا قلت : جـــاء زيدٌ راكبًا ، نصبت راكبًا . على الحال ، وجاز لك تقديمه فتقول : راكبًا جاء زيدٌ ، والمنصوب هنا هو المرفوع في المعنى فما الفرق بينهما ؟ قيل : نحن إذا قلنا : جاء زيدٌ راكبـــًا فقد استوفى الفعل فاعله لفظًا ومعنىً وبقي المنصوبُ فضلةً فجاز تقديمه . وأما إذا قلنـــا طاب زيدٌ نفسًا فقد استوفى الفعل فاعله لفظًا ، ولم يستوفه من جهة المعنى ، فلذلـــك لم يجز تقديم المنصوب (٢).

ومن كل النصوص السابقة ، والتي عارضنا بعضها رأي الكسائي ، لا نستطيع أن نرد شيئًا من هذا إلا إلى السماع والقياس . اللذين يوشكان أن ينتظما مذهب الكوفيين .

اضـــافةُ المِئين وأخواته إلى التمييز :

قال الكسائي : من العرب من يضيف العشرين وأخواته إلى التمييز نكرةً ومعرفـــة ، فيقول : عشرو درهم ، وأربعو ثوب . وإن كان مائة فأضافوها يُميز بمفرد مجرور بالإضافـــة ، نحو : مائةُ رجلٍ ، ومائتا عام ، وألف إنسان ، وجمعه مع المائة ضرورة ، وجوزه الفـــراء في السعة ، وخرج عليه قراءة الكسائي : "ثلاثمائة سنينَ " (الكهف ٢٥) بإضافة مائة (٣).

ومن ذلك في القرآن الكريم : قوله تعالى : " ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين " (الكهف ٢٥) . يقول أبو حيان : وقرأ الجمهور " مائةٌ " بالتنوين . قال ابن عطيـــة : على البدل ، أو عطف البيان ، وقيل على التفسير والتمييز ، وقال الزمخشري : عطف بيـان لثلاثمائة ، وحكى أبو البقاء أن قوما أجازوا أن يكون بدلاً من مائة ، لأن مائة في معـــنى مئات ، فأما عطف البيان فلا يجوز على مذهب البصريين ، وأما نصبه على التمييز ، فالمحفوظ

---

(١) الانصاف ، ٢/٤٩٦ .
(١) شرح المفصل ، ١/٧٤ .
(٣) الهمـــع ، ١/٢٥١ .

من لسان العرب المشهور أن مائة لا يفسر إلا بمفرد مجرور ، وأن قوله : اذا عاش الفتى مائتين عاماً ، من الضرورات ، ولا سيما وقد انضاف إلى ذلك كون سنين جمعاً . وقرأ حمزة والكسائيّ ، وطلحة ، ويحيى ، والأعمش ، والحسنُ ، وابن أبي ليلى ، وخلف ، وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني ، وابن جبير الانطاكي : مائة بغير تنوين مضافاً إلى سنين . أوقع الجمع موقع المفرد . وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ، ولا يجوز له ذلك . وقال أبو علي : هذه تضافُ في المشهور الى المفرد ، وقد تضاف الى الجمع (١) .

وهنا يستند رأي الكسائي الى سند قوي ، وهو القراءات القرآنية .

تمييز "كأيّن" :

إذا جر مميز "كأيّن" مع فقد "مِنْ" فان الكسائيّ يوجه الجر على إضمار "مِنْ" ، وهذا مذهب الخليل أيضا (٢) يقول سيبويه : كأين رجلاً قد رأيت ، زعم ذلك يونسُ ، وكأيّن قد أتاني رجلاً ، إلا أنّ أكثر العرب إنّما يتكلمون بها مع "مِنْ" قال عز وجل : "وكأيّن من قرية" (الحج ٤٨) .. فانما ألزموها "مِنْ" لأنّها توكيد ، فجعلت كأنها شيء يتم بها الكلام (٣) .

اذن فالكسائي يقدر "مِنْ" ، لأنه يدرك — وهو القارئ — أنّ القرآن الكريم استعمل "كأين" بعدها "مِنْ" . ومع ذلك فهو لم يغفل اختلاف السنة العرب ، فربما سمعها على النحو الذي زعم يونس ، وقد تلمذ له ، وينقل السيوطي : وزعم ابنُ عصفور أنّ جره — أي مميز "كأين" — غيرُ لازم ، وأنه لا ينصب .. ويجوز جرّه مع فقد "مِنْ" . قال أبوحيان : إلا أنه لا يحفظ فإن جاء ، كان على إضمار "مِنْ" ... وقد قال سيبويه : إنْ جرّها أحد من العرب فعسى أنْ يجرّها باضمار "مِنْ" ... وقال ابن خروف : يكون في ميزها النصب ، ويجوز الجر بـ "مِنْ" ، وبغير "مِنْ" بفصل وبغير فصل (٤) .

وفي قوله تعالى "وكأيّنْ مِن قَرْيَة" (الحج ٤٨) .

يقول أبوحيان : و "مِنْ قرية" تمييز لكأيّن (٥) . ولم يذكر شيئا أكثر من ذلك

والمهم بعد ذلك أنّ النص القرآني لم يأتِ بغير هذا التركيب ، ومن ثم فان الكسائي مبنية على تقدير "مِنْ" إذا فقد . ويبدو أن هذا كان أصلاً من أصول الكسائي فيما حذف منه خافض ، يدلنا على هذا ما قاله الفراء في معانيه : وكل شيء في القرآن حذفت منه خافضا فإنّ الكسائيّ كان يقول : هو خفضٌ على حاله (٦) .

---

(١) البحر المحيط ، ٦/ ١١٧ .
(٢) الهمع ، ١/ ٢٥٥ .
(٣) الكتاب ، ١/ ٢٩٧ — ٢٩٨ .
(٤) الهمع ، ١/ ٢٥٥ .
(٥) البحر المحيط ، ٦/ ٣٧٧ .
(٦) معاني القرآن ، ٢/ ٢٣٨ .

خامسا : الاضافـــــة :

جوز الكسائي تقديم معمول مضاف اليه على المضاف ،وذلك اذا كان على " أفعل " نحو : أنت أخانا أولَ ضارب (١)

وسيبويه لا يوافق على هذا ،يقول : ولا يُقدَّم المفعول فيه فتقول ماً امثلات ،كما لا يقدَّم المفعول فيه في الصفات المشبهة ولا في هذه الاسماء ،لأنَّها ليست كالفاعل وذلك لانه فعل لا يتعدى الى مفهول ، وانما هو بمنزلة الانفعال (٢) .

والمبرد أيضا لا يوافق ،يقول : واعلم أنَّ هذه الصفة لا يجوز أن يتقدمها مفعولها ، وذلك أنَّها ليست كالفاعل في الحقيقة ، ألا ترى أنك اذا قلت : زيدٌ ضاربٌ عمرا ، وزيدًا ضاربٌ عمرو ، وزيدا عمرو ضارب — أن الثاني عمل في الأول ،وأن ضاربا صار بمنزلة يضرب في المعنى (٣) .

وينقل السيوطي : قال أبوحيان : فهلْ هو مُختصٌ بلفظ أوَّل : أو عام في كل أفعـــل التفضيل ، يحتاجُ الى تحرير النقل في ذلك ،ولا يظهر فرق بين " أول " وغيره ، فيجوز " هذا بالله أفضلُ عارف " والصحيح أنه لا يجوزُ شيءٌ من ذلك لعدم سماع ذلك مـــن كلامهم ،ولمخالفة الأُصول . وجوز الزمخشري وابن مالك التقديم على غير النافية مطلقـــا نحو : زيدًا عمرٌ غير ضارب ، قال :

فتىً هو حقًا غيرُ ملغٍ فريضـــةً ولا تتَّخذْ يومًا سواه خليـــلا

قال أبوحيان : والصحيح أنه لا يجوز ذلك ،والبيت نادر لا يقاس عليه . وجـــوزه قوم على غير ،إنْ كان المعمولُ ظرفًا ،أو مجرورا ،لتوسعهم فيه ،كقوله :

إنَّ امرأً خصَّني يومًا مودَّتـــه على التَّنائي لعند غير مكفور

قال أبوحيان : والصحيح المنع لاتحاد العلة في ذلك في المفعول ،أما غير الـــتي لم يردْ بها نفيٌ ،فلا يجوز التقديم عليها باتفاق ،فلا يقال : أكرم القومَ زيدًا غيرَ شاتم .. (٤)

وقد أردنا أن ننقل هذا كله ، لان أبا حيان يرى أن الشذوذ لا يقاس عليه ، بـــل إنه يرى أنه يلزم " تحرير النقل ،والمعروف أن الكسائي كان يقيس ما يذهب اليه — في غالبه — على ما هو شاذ ، وما هو مسموع ، فمن ثمَّ لا نستبعد أنه سمع ما نقل البنا في هذا الصدد .

(١) الهمـــع ، ٢/ ٤٩ ، وتسهيل الفوائد ،ص ١٥٦ .
(٢) الكتاب ، ١/ ١٠٥
(٣) المقتضب ، ٤/ ١٦٤ .
(٤) الهمع ، ٢/ ٤٩ .

الفَصْلُ بين المُضاف والمضافِ إليه :

جَوَّز الكسائيُّ الفصلَ بين المضاف والمضاف إليه بالقسم ، وذلك كقولهم : هـــذا غلامُ واللهِ زيدٍ بجر زيد بإضافة الغلام إليه (١) .

وقد حكى الفصل بينهما بالشرط ، نحو : هذا غلامُ — إنْ شاء الله — ابنِ أخيك ، بجرّ " ابن " ، وزاد ابن مالك الفصل بـ " إنّما " كقول تأبط شرا

هما خطّتا إمّا إسارٌ ومِنّـــةٌ وإمّا دمٌ والقتلُ بالحُرِّ أجْدَرُ

في رواية الجر (٢) . والذي جوز به الكسائيُّ الفصلَ بين المُضاف والمضافِ إليـــه ، لَمْ يَنُصَّ عليه سيبويه ولا المبرد .

يقول سيبويه : وتقول : لايَفْرَيَنِّ بِها لك ، ولا يومين اليوم لكَ . إثباتُ النون أحسن وهو الوجه ، وذلك أنّك إذا قلت : لايدي لك ، ولا أبالكَ فالاسمُ بمنزلة اسم ليس بينـــه وبين المُضافِ إليه شيء ، نحو : لامثل زيد ، فكما قبُح أنْ تقولَ : لامثل بِها زيد ، فتفصل قبُح أنْ تقول : لايدي بها لكَ ولكن تقول : لايَفْرَيَنِّ بِها لكَ ، ولا أب يوم الجمعة لـكَ ، كأنك قلتَ : لايفرين بها ولا أب يومَ الجُمعة ، ثم جعلت لَكَ خبرهم جعلت لك خبرًا فـــرارا من القبـــح (٣) .

ويقولُ المبرد : وتقول : لامُسلمين هذين اليَوْمين لك ، ولا مسلمين اليومَ لـــكَ ، لأنّهُ لا يُفصل بين المُضاف والمضافِ إليه ، إلّا أن يضطرّ شاعر ، فيفصلَ بالظرفِ وما أشبهها لأنّ الظرف لا يفصل بين العامل والمعمولِ فيه (٤) .

ومما جاء في الشعر ضرورة قوله :

كأنّ أصواتَ مِن إيغالِهِنَّ بِنا أواخِرِ الميْسِ أصواتُ الفَرارِيجِ

فهذا البيت استدلّ به سيبويه والمبرد على الفصل بين المضاف والمضاف اليـــه للضرورة (٥) .

وابن يعيش يرى الفصل بينهما قبيح ، " لأنّهما كالشيء الواحد ، فالمضافُ اليـــه من تمام المُضاف يقومُ مقامَ التنوين ويُعاقبه ، فكما لا يحسن الفصلُ بين التنوين والنُّـــون ، كذلك لا يحسن الفصلُ بينهما . وقد فُصِلَ بينهما بالظرف في الشعر ضرورة " قال عمرو بـــن قَمِيئَـــة :

لَمّا رأتْ ساتِيدَ ما اسْتَعْبَرتْ لله دَرُّ اليومَ مَنْ لامَهَـــا (٦)

---

(١) شرح التصريح ، ٢/ ٥٨ .
(٢) السابق والصفحة .
(٣) الكتاب ، ١/ ٣٤٦ـ٣٤٧ .
(٤) المقتضب ، ٤/ ٣٧٦ .
(٥) انظر سيبويه ، ١/ ٢٤٦ ، ٣٤٧ ، والمقتضب ، ٤/ ٣٧٦ .
(٦) شرح المفصل ، ٣/ ١٩ـ٢٠ .

إذن هذا هو المشهور عن العرب في الفصل بين المضاف والمضاف اليه ، وإذا كان قد حُكي عن العرب الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالشرط ، أو بـ " إنما " فربما قاس الكسائي على ذلك ، أو سمع الفصل بالقسم . يعود إلى مصدر

الإضافة ذو :

منع الكسائي إضافة " ذو " إلى ضمير ، إلا في الشعر ، بينما يمنع الجمهور ذلك ، استنادًا الى قوله :

إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه (١)

وقد نقل السيوطي عن الجوهري جزمه بإضافة " ذو " إلى ضمير (٢) .

حذف المضاف إليه :

حكى الكسائي : أفوق تنام أم أسفل ، حذف المضاف ولم يبن ، وسمع أيضا : " لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ " فحذف ولم يبن (٣) .

ورواية ابن جنّي بكسر اللام والدال في " قبل " ، " بعد " .

ولكن الفراء يذكر أن الكسائي سمع " بعض بني أسد يقرأ : " لله الأمرُ من قَبْلُ ومن بَعْدُ " (الروم ٤) يخفض قبل ويرفع بعد على ما نوى .

وأنشد هو — يعني الكسائي — :

أكابدها حتى أعرّ بمَعْدَها يكون سُحْرًا أو بُعَيْدَ فأهجَعَا

أراد بُعيدَ السحر فأضمر ، ولو لم يُرد ضمير الإضافة لرفع (٤) .

ويذكر الفراء (٥) أيضا قولَ الشاعر وهو معن بن أوس المزني :

لَعَمْرَكَ ما أدري وإني لأوْجَلُ على أيّنا تعدو المنيّة أوّلُ

رُفعت " أول " لأنه غاية ، فالاترى أنها مسندةٌ إلى شيء هو أوله ، كما تعرف أن " قبل " لا يكون إلا قبلَ شيءٍ ، وأنّ " بَعْد " كذلك . ولو ألقتهما بالعربية فنوّنتَ وفيهما معنى الإضافة فخفضت في الخفض ونونت في النصب والرفع لكان صواباً ، وقد سمع ذلك من العرب ، وجاء في أشعارها ، فقال بعضهم :

---

(١) الهمع ٢/ ٥٠ ، وتابع الكسائي في رأيه " النحاس والزبيدي " .
(٢) الهمع ٢/ ٥٠ .
(٣) الخصائص ٢/ ٣٦٥ .
(٤) معاني القرآن : ٢/ ٣٢٠ .
(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٢٠ — ٣٢١ .

وساغ لي الشَّرابُ وكنتُ قَبْلاً أكاد أغَصُّ بالماءِ الحميم

فنون وكذلك تقول : جئتك مِنْ قبل فرأيتك ، وكذلك قوله :

كِكَرِّ مِفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معـًا كجلمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السيلُ من عَلِ
(لامرئ القيس)

فهذا مخفوض . وإنْ شئت نوّنت وإنْ شئت لم تُنون على نِيَّتِك ، وقال الاخر فرفع :

كأنَّ مِحَطًّا فوقَ صَعْدةِ مَعْرِشٍ صناعٍ عَتْ منّي بها الجِلدَ من عَلُ

وأما قول الاخر :

هتكْتُ به بيوتَ بَني عَريفٍ على ما كانَ قَبْلُ من عِتاب

فنوّن ورفع فانّ ذلك لضرورة الشعر ، كما يُضطر اليه الشاعر :

وأنشدني بعض بني عقيل :

ونحن قَتَلْنا الأُسْدَ أُسْدَ شَرُوبَةٍ فَما شَرِبُوا بَعْدُ على لَذَّةٍ خَمْرا

ولوردَّه الى النصب إذْ نوّن كان وجهًا ، كما قال :

وساغ لي الشَّرابَ وكنت قبلاً أكاد أغَصُّ بالماءِ الحميم

ثم يقول الفراء : ولاتنكرنَّ أنّ تضيف قبل وبعد وأشباههما وإنْ لم يظهر فقد قال — يعني الأعشى :

إلّا بَداهةَ أوْ غَلالَةَ سابِحٍ تَهْدِي الجَوازِ (١)

ويقول ابنُ جنّي : وقد حُذف المضاف اليه ، نحو قوله تعالى : لِلّه الأمْرُ من قَبْل ومِنْ بعد ، أي من قبلِ ذلك ومن بعدِه ، وقولهم : ابدأ بهذا أوّلُ ، أي أوّلَ ما تفْعَل . وان شئت كان تقديره : أوّلُ من غيره ، ثم شبّه الجارَ والمجرور هنا بالمُضاف إليه لمُعاقبة المضاف اليه إيّاهما . وكذلك قولهم : جئتُ مِنْ عَلُ ، أي من أعْلَى كذا (٢) .

ولكن ابن جني يرى أنّ قول الشاعر : .. حطّه السيل من علِ .. البيت ....

لا حذف فيه ، لأنّه نكرة . ولذلك أعربَه ، كأنّه قال : حطّه السيل من مكانٍ عالٍ ، لكن قول المجلي :

أقَبَّ مِنْ تَحْتِ عِرِنٍّ من عَسَلِ

هو محذوفُ المضاف إليه ، لأنه معرفة وفي موضع المَبْنِيّ على الضم (٣) .

ويقول ابن جني أيضًا : ومنه يَوْمَئِذٍ وحينئذٍ ونحو ذلك : أيْ إذْ ذاكَ كذلك ، فحذفت الجملة المضاف اليها (٤) .

---

(١) معاني القرآن ، ٣٢١ .
(٢) الخصائص ، ٢/ ٣٦٣ .
(٣) السابق ، ص ٣٦٣ — ٣٦٤ .
(٤) السابق ، ص ٣٦٥ .

ويشير ابن يعيش أيضا الى حذف المضاف اليه ، الا أنه يرى حذفه أبعد قياسا من حذف المضاف ، يقول : أعلم أنه قد جاء منهم حذف المضاف اليه ، وهو أقل من حذف المضاف ، وأبعد قياسا وذلك لان الغرض من المضاف اليه التعريف والتخصيص ، واذ كان الغرض منه ذلك وحذف كان نقضا ، للغرض ، وتراجعا عن المقصود ، فمن ذلك قولهم : اذ ، وحينئذ ، وأصله أن " اذ " تكون مضافة الى جملة اما ابتدائية ، واما فعلية (١) .

فما موقف القرآن من هذا ؟

في قوله تعالى : " لله الامر من قبل ومن بعد " (الروم ٤)

يقول الفراء : القراءة بالرفع بغير تنوين ، لانهما في المعنى يراد بهما الاضافة الى شئ لا محاله . فلما أدتا عن معنى ما أضيفتا اليه وسموها بالرفع وهما مخفوضتان ، ليكون الرفع دليلا على ما سقط مما أضفتهما اليه (٢) .

ويقول الزمخشري : وقرئ : من قبل ومن بعد ، على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه ، كأنه قيل : قبلا وبعدا (٣) . وبعد ، فلعل شخصية الكسائي النحوية لم تبرز لنا حتى الان .

ولكن تبرز هذه الشخصية ، فأرى أنه من الواجب التركيز على نقطتين هامتين :

الاولى : بيان ما اتفق فيه الكسائي مع البصريين ، وما اتفق فيه مع أصحابه الكوفيين ، وما انفرد به .

الثانية : خصائص منهجه في هذا الشطر النحوي .

---

(١) شرح المفصل ، ٣/ ٢٩

(٢) معاني القرآن ، ٢/ ٣١٩

(٣) الكتاب ، ٣/ ٤٦٧

ونلخص حديثنا عن النقطة الاولى فى الجدول الاتى :

	الكسائى	
ما انفرد به	ما اتفق فيه مع الكوفيين	ما اتفق فيه مع البصريين
١ـ كسر وفتح همزة "انّ" : اختار الفتح اذا كانت جوابا ليمين وليس فى خبرها اللام ، وجوز الكسر .	مع الفراء فى اختيار الفتح إذا كان جوابًا ليمين ، ولهيجوّز الكسر . ومع هشام الضرير فى الكسر اذا تقدم عليها فعل القلب .	مع سيبوية فى كسرها إذا استقبلتها اللام ، واذا كانت قبلها "إلّا" مع سيبوية فى فتحها إذا كان ماقبلها يقع عليها بشرط ألا تقع اللام فى خبرها .
٢ـ العطف على "إنّ واسمها" : أجاز العطف على إنّ واسمها قبل مجىء الخبر .	وافقه الفراء فى ذلك بشرط عدم ظهور عمل "إنّ" وكذلك باقى الكوفيين .	
٣ـ "إنْ" المخففه :	اذا دخلت على الفعل كانت للنفى ، واللام بمعنى "إلّا"	عاملة إنْ دخلت على الاسم
٤ـ نصب الاسمين بالنواسخ المشبهة بالفعل : "ليت" : تنصب الخبر باضمار كان .	وافقه الفراء ، ولكن باضمار "تمنّيت"	
٥ـ اتصال اللام بأخبار هذه النواسخ : دخول اللام على الخبر الجملة الفعلية ذات الفعل الماضى "إنّ زيدا لَرَكِبَ"		
٦ـ اتصال هذه الأحرف بـ "ما" .		مع الأخفش فى إعمال "إنّ" ، اذا اتصلت بـ "ما" وكذلك الزجاجى وابن السراج ، إلّا أن الزجاج استاذ الزجاجى يَرَى أنّ الإهمال أكثر .
٧ـ "لا" العاملة عمل "إنّ" : أجاز اعمالها فى العلم المفرد ، وفى المضاف لكنية .		

الكسائي		
ما انفرد به	ما اتفق فيه مع الكوفيين	ما اتفق فيه مع البصريين
٨ـ الحروف العاملة عمل "ليس" : أجاز إعمال "إنْ" عمل ليس .		
٩ـ ما العاملة عمل "ليس" :		أ ـ دخول الباء على خبر "ما" إذا زيدت كان بين اسم "ما" وخبرها "مازيدٌ كان بقائم" . ب ـ دخول الباء على خبرها اذا كان مثلا "مازيدٌ بمثلك" .
١٠ـ اجراء المثنى بالالف ألف "هذا" في "إنّ هَذَانِ" من الجزء المرسل .		
١١ـ الموصولات : أ ـ (أى) : عاملها يكون مستقبلا . ب ـ (من) : ١ـ تُزاد عنده ٢ـ لا تكون نكرة إلا في موضع يخص النكرة . جـ ـ (ما) : مصدرية في قوله : "بِمَا غَفَرَ لِي" .	تُزاد عندهم أيضا	
١٢ـ إعراب الأسماء الستة : مُعْرَبة من مكانين ، بالحركات والحروف .	معربة من مكانين ، بالحركات والحروف	
١٣ـ التثنية : حذف نون المثنى "قَامَ الزيدَا"		
١٤ـ الضمائر : أ ـ ضمير الفصل "العماد" : محله محلّ ما بعده ، لأنهما كالشيء الواحد . ب ـ الضمير المتصل : ١ـ إذا كان الضميران للغيبة جَوّز الوصل . ٢ـ اذا كان الضمير للمثنى أو جماعة الذكور	ملاحظة : اتفق الكسائي والكوفيون جميعا في بِنْية الضمير .	وافقه الفراء في جواز الاتصال .

الكسائي		
ماانفرد به	ماوافق فيه الكوفيين	ماوافق فيه البصريين
١٥ـ تقديم الفاعل المحصور بإلاّ	وافقه الفراء بشرط أن يكون المحصورُ مفعولاً	بشرط أن يكون المحصور مفعولاً .
١٦ـ النائب عن الفاعل : جوز اقامة الخبر المفرد "كيمُنَ قائم"		
١٧ـ الاسم بعد لولا : مرفوع بعدها بفعل مُقدَّر		
١٨ـ أسم الفاعل : أ ـ جوز اعماله بمعنى الماضي ، واذا كان موصوفًا ، أومصغّرا . ب ـ سوّى بين اضافة اسم الفاعل الى مفعوله ونصب ذلك المفعول .		
١٩ـ الفعل المضارع : مرفوع عنده بالزوائد .		
٢٠ـ لَنْ : مركبة عنده من "لا" ، "أنْ"		وافقه الخليل
٢١ـ إذَنْ : أ ـ اذا توسّطت أجاز النصبَ بعد اسم انَّ ، وبعد اسم كانَ . ب ـ أجاز الفصل بينها ، وبين مضارعها المستقبل بمعمول الفعل "إذَنْ فيكَ أرغب" .		
٢٢ـ كي : أجاز الفصل بينها وبين معمولها مطلقا بغير "ما" ، و "لا" .		
٢٣ـ حتى : ناصبه بنفسها جارة باضمار إلى		

الكسائي		
ماانفرد به	ماوافق فيه الكوفيين	ماوافق فيه البصريين
٢٤ـ أوْ : الفعل منتصب بها		وافقه الجُرْمي
٢٥ـ الفاء : جوز النصب بعدها اذا سبقها أمرٌ بصيغة الطلب .		وافقه ابن جني وابن عصفور اذا كان ماقبلها بلفظ اسم الفعل المشتق .
٢٦ـ الأفعال غير المتصرفه : نِعْمَ الرجل وبِئْسَ الرجل اسماء من قبيل الأصالة .	وافقه الفراء في انهما اسمان ولكن من قبيل أسماء الأجناس	بِئْسَ ونِعْمَ فِعْلان
٢٧ـ أسماء الافعال المنقولة عن الظروف : الكسائي يقيس عليها ، ولا يقتصر على السماع		
٢٨ـ التنازع :	وافقه هشام والسهيلي على حذف الضمير المرفوع على الفاعلية من الفعل الأول .	إعمال المتنازعين
٢٩ـ حذف الفاعل :	وافقه هشام والسهيلي على جواز حذف الفاعل .	
٣٠ـ المكمّلات : المستثنى بإلاّ : منصوب عنده بأن مقدرة	يكاد الكوفيون يوافقونه ، لانه منصوب على أساس أن "إلا" مركبة من "ان" ، "لا" .	
٣١ـ الحال : جواز تقديم الحال مطلقا	وافقه هشام في أنها تأتي مجموعة من مضاف ومضاف اليه .	اتفقوا معه في أن الحال مفعول فيها ، فهي مضارعة للوقت .
٣٢ـ التمييز :	مع الفراء في اضافة العشرين وأخواته الى التمييز ، نكره ومعرفة .	أ ـ مع المبرد في جواز تقديم التمييز على عامله . ب ـ مع الخليل في اضمار "من" جارة للمميز كأين اذا فقدت منه .
٣٣ـ الاضافة : أ ـ جواز تقديم معمول مضاف اليه على المضاف . ب ـ جواز الفصل بين المتضايفين بالقسم . جـ ـ منع اضافة "ذو" . د ـ حذف المضاف اليه .		

ولعلنا بعد ذلك رأينا كيف أنَّ الكسائيَّ كان ينفرد بآراء كثيرة لم يوافقه فيهـــا أصحابُه الكوفيون ، ولا البصريون ، مما يبين لنا شخصيته النَّحْوية المُميزة ، التي سنرى بعد قليل خصائصَ منهجِها .

والجدول السابق يبين لنا إحصائيةً بالمواضع النَّحْوية التي درست في الشطر النحوي من هذا الباب . وبناءً عليها ، وجدنا يأتي :

١ــ أنَّ نسبة ما تفرَّد به الكسائي يمثل لنا (٤٣,٧٥٪) ، حيث تفرد في (١٤ موضعا)

٢ــ ونسبة اتفاقه مع الكوفيين تمثل لنا هذه النسبة أيضا (٤٣,٧٥٪) .

٣ــ ونسبة اتفاقِه مع البصريين تُمثِّل لنا نسبة (٣٤,٣٧٪) ، حيث اتَّفق معهم في (١١ موضعا) . وننتقل الآن الى الحديث عن النقطة الثانية وهي :

خصائص المنهج النحوي عند الكسائي :

ربما نصف منهج الكسائي النحويَّ جُملة بأنَّه منهج وصفيٌّ سماعيٌّ قياسيٌّ ، وذلك لما يأتي :

١ــ اعتمد الكسائي في آرائه النحوية على النقل والرواية ، ومن ثَمَّ فهي تُشبه منهج القراءات القرآنية .

٢ــ كما تملاحظ تطلترا كيب اللغوية بعيدةً عن التفلسف والتعاليل ، فكانت القاعدةُ النحوية عنده تأتي مطابقةً لهذه الدقة .

٣ــ رأينا الكسائي يذهب إلى التقدير احيانا ، لكن هذا التقدير ــ فيما اعتقد ــ ليس مردَّه إلى العَقْل ، وانما هو صادرٌ عن الاستعمال .

٤ــ وقد كان القياسُ في منهج الكسائي يشكل عُنصرًا هاما ، إذْ كان في بعض الأحيان سبيلاً الى تعميم القاعدة . فقد رأيناه مثلا ينفرد بذكر " لكنّ " ناصبةً للاسمين ، وقد اعتلها النحاة ، كما رأيناه يُجيز دخول اللام على خبر " إنَّ " إذا كان متصرفا غيرَ مقرون بقدْ ... وهكذا .

٥ــ وكان منهج الكسائي في النحو ينتظم بَعْضا من القراءات الشاذة ، حيث أقام منهجه على اساسها .

٦ــ كما كان منهجُ الكسائي يقوم على السماع ، وقد رأينا بعضَ ما سمع يقدم لنا لهجة من لهجات العرب بمعزل عن تأويلات النحويين ، على نحو ما رأينا في قوله : " إنَّ هَذان لساحران "

وبعد ، فلعلنا وُفِّقنا في أنْ نُغيِّر بعضاً من سوء الظنّ بالمدرسة الكوفية في النحو ، بتناولنا للكسائي ، مؤسس هذه المدرسة ــ تناولاً يوضح الدعائم التي قامت عليها هذه المدرسة ، وهي دعائم رأينا أنها تستند كثيرًا إلى النص القرآني الكريم ، لأنَّ الكسائي اتصل بدءًا بهذا النص ، واتصل تلاميذُه به أيضا . من هنا وجب أنْ نُعيد نظرتنا للنحو الكوفي ، فلعل الكسائي يكون قد أضاف شيئا .

الخاتمـــــة

بعد هذه المحاولة مع الكسائي ـ اما ما للنحو الكوفي ـ فاننا نستطيع أن نخلص الى أن الكسائي من أهم الشخصيات العلمية المؤثرة في بعض العلوم المتصلة بالنص القرآني .

ولعلنا رأينا من خلال البحث أن أهمية الكسائي ترجع الى كونه قارئا نحويا ، ويعني ذلك أن الدرس النحوي عنده اعتمد على أسانيد أصيلة ، تتمثل في الرواية والنقل ، اللذين كانا منهجا في تكوين العلوم الاسلامية في نشأتها الباكرة ، مما يجعلني أذهب الى أصالة الدرس النحوي عند الكسائي من هذه الناحية .

فأنت ترى أننا درسنا الكسائي ـ أولا ـ قارئا للقرآن الكريم ، فعرفنا أسانيده وطرقه ، فتبين لنا أنه نشأ أكثر ارتباطا بالنص الكريم ، وبالثقافة الاسلامية ، ثم تناولنا الدرس النحوي عنده ـ ثانيا ـ فرأيناه ينهج فيه نهجا لا يكاد يبتعد عن واقع المنهج الاسلامي القديم .

من هنا قلنا ان الدرس النحوي عند الكسائي اعتمد على أسانيد أصيلة ، ومن ثم لا ينبغي أن ننكر عليه بعض آرائه النحوية ، ولا على الكوفيين عامة فيما ينسب اليهم من آراء ، بدعوى أنها لا تمثل لنا النحو البصري ، لان النحو البصري نفسه ، لم يعرف الطريق الا على أساس هذا المنهج ، لكنه لم يترخص حسب ، كما فعل الكوفيون .

وبعد ، فلعل أهم ما في هذه المحاولة من جديد أننا ربما استطعنا أن نعطي تصورا للواقع الذي قامت عليه المدرسة الكوفية في النحو ، لاننا رأينا الكسائي ـ مؤسس هذه المدرسة ـ كان يتوقف عند بعض النصوص القرآنية يلاحظها ، ثم يسجل آراءه بناء على تصوره لما كان يتوقف عنده ، مما يبين لنا خصائص الاراء النحوية الكوفية بعد ذلك .

فاذا كان هذا التصور حقيقيا ، فانه جدير لا ينبغي أن يهون أمره ، لانه ـ أولا ـ قد يغير من نظرة المحدثين لمدرسة الكوفة ، ثم هو ـ ثانيا ـ يضيف الى النحو العربي ما كان مستبعدا منه يوما .

على أن أهم النتائج اللغوية عند الكسائي ، تتمثل لنا في المستويات الثلاثة التي درسناها عنده ، صوتية ، وصرفية ، ونحوية . فوجدنا المستوى الصوتي عنده ، يبين لنا أنه كان يذهب الى الصائت الاخف ، فيما بين الضم والكسر ، وهي لغة حجازية ، بينما كان يذهب الى الصائت الاثقل ، فيما بين الضم والفتح ، وهي لغة تميمية . وكذلك فيما بين

الفتح والكسر ، كان يذهب أيضا الى الصائت الاثقل • وقد رأينا الكسائى ذا نظـــر بمخارج الحروف ، عند ما أجاز فتح عين المضارع ، اذ كان حرفا حلقيا ، وذلك من قبَـلِ أنَّ تحريك الصوت الحلقى — باعتبار مخرجه — أخفُّ فى النطق ، فاذا كان تحريكه بالفتح كان أكثر خفوفا • ومن هذا القبيل أيضا أن الكسائى نقل لنا إبدال الهمزة لامـــا ، لصعوبة نطق صوت الهمز • كما كان الإدغام والترخيم من خصائص الدرس الصوتى عنـــد الكسائى • وفى المستوى الصرفى ، رأينا الكسائى يذهب الى أن الالف الموقوف عليهـــا فى الاسم المقصور ، هى الالف المنقلبة فى الحالات جميعا — رفعا ونصبا وجرا — وذلك أنه لما حذف التنوين فى هذه الحالات ، عادت الالف مرة أخرى • وفى هذا الاســـم المقصور أجاز الكسائى تثنيه "رضى" مثلا من ذوات الواو ، وكان هذا نتيجة للسماع عن العرب ، حيث رأينا الفراء ينقل لنا ذلك عن الكسائى عن العرب • وفى المصادر رأينـــا الكسائى يذهب الى أنَّ فَعَلان فُعَال وفُعُـول ، نحو رَوَحَ رُوحا ورُوَاحا • وقد رجحنـــا أنْ يكون ذلك لهجة لبنى أسـد •

كما رأينا الكسائى يذهب أيضا الى أن "مَفْعُل" بين التأنيث والتذكير يكـــون نادرا ، فضلا عن أننا عزوناها لهجةً لاهل الحجاز •

وقد نقل لنا الكسائى أن "مَفْعَل" ، "مَفْعِل" من الفعل الثلاثى المثـــال يستويان اسما ومصدرا • ومن الصيغ رجحنا أن "فَعْلى" فى الجمع ، ربما كانـــت متأصله فى الكوفة ، نقلا عن ابن مسعود ، وقد رأينا الكسائى يقرأ بها •

وفى الميزان الصرفى للاسماء وجدنا أن الكسائى يذهب الى زيادة الحرف الاخـير فى غير الثلاثى • وفى الافعال ، وضع لنا الكسائى قاعدة ، وهى أن ما جاء على أفْعـل وفعلاء من غير ذوات التضعيف ، فانه يقال فيه فَعِل يفْعَل ، ما خلا حروفا ستة مرت بنـــا فى أثناء البحث ذكرها هـو • ومن أهم آراء الكسائى فى الميزان الصرفى للافعـــال أننا رأيناه يذهب الى أن "كان" وزنها "فعل" بالضم ، مخالفا بذلك عـــرف النحويين عامة ، اذ لم نجد واحدا منهم قد روى هذا ، أو وافقه فى رأيه •

أما عن النتائج النحوية عند الكسائى فنلخصها فى النقاط التاليـة :

١ — اذا وقع على "إنَّ" شىء فانها منصوبة دائما ، ان لم تقع اللام فى خبر "إنَّ"

٢ — اختار الكسائى فتح "انَّ" إنْ وقعت جواب قسم ، وليس فى خبرها اللام •

٣ — أجاز الكسائى العطف على "إنَّ" واسمها قبل تمام الخبر •

٤ — ذهب الكسائى الى أن نصب خبر "ليت" انما يكون باضمار "كان"

٥ ــ ذهب الكسائى الى جواز دخول اللام على خبر "إنّ" المتصرف ، غير المقرون بـ "قد" . وقد رأينا ذلك نوط من القياس عند الكسائى وهو ما أخذ به فى بناء آرائه النحوية ، فهو يرى أنه ليس هناك فرق بين الفعل المتصرف وغير المتصرف .

٦ ــ جوز الكسائى عمل "إنّ" "إنْ" اتصلت بـ "ما"

٧ ــ أجاز الكسائى اعمال "لا" فى العلم المفرد ، وفى المضاف الكُنية

٨ ــ أجاز الكسائى اعمال "إنْ" عمل ليس

٩ ــ أجاز الكسائى دخول الباء على خبر "ما" العاملة عمل ليس ، اذا زيدت كان بين اسمها وخبرها .

١٠ ــ نقل لنا الكسائى أن الألف فى "إنّ هذان .." لهجة من لهجات العرب ، أو أنّ ذلك من الجزم المرسل .

١١ ــ جوز الكسائى حذف نون المثنى ، وقد رأينا ذلك يمثل لنا لهجة من لهجات العرب أيضا ، وان كانت غير شائعة ، مما يجعلنا نقف أمام ما ينقل الكسائى من آراء فى النحو موقفا متأملا يُعيد النظر فى الحكم على النحو الكوفى عامة .

١٢ ــ قام الكسائى الفاعل على المفعول ، فأجاز تقديم المحصور بـ "إلا" فاعلا كان أو مفعولا .

١٣ ــ ذهب الكسائى الى أن الاسم بعد لولا مرفوع بفعل مقدر .

١٤ ــ ذهب الكسائى إلى إعمال اسم الفاعل ولو كان بمعنى الماضى . وقد رأينا أن رأيه فى هذا الموضع كان قائماً على ملاحظته لبعض الايات القرآنية .

١٥ ــ ومن أهم النتائج النحوية عند الكسائى أنّ ذهابه إلى أنّ الفعل المضارع مرفوع بالزوائد ، جاء متفقا مع وجهة نظر الدرس الحديث ، حيث أثبت أن المورفيمات تؤدى وظيفة الفعل .

١٦ ــ وجوز الكسائى حذف لام الأمر بعد قول أمر ، مستشهدا على ذلك ببعض الايات القرآنية .

١٧ ــ ذهب الكسائى الى جواز حذف الفاعل للدليل ، كالمبتدأ والخبر .

١٨ ــ ذهب الكسائى الى أنّ ضم الرجل ه ويُسمى الرجل ، يكونان مما يُسميه الملم الحديث بالمسكوكات اللغوية "ididims"

١٩ ــ المستثنى بإلا عند الكسائى منصوب بـ "أنّ" مقدرة ، كما جوز تقديمه ، مستشهدا ببعض ما ورد عن العرب من أشعار .

٢٠ — الحال عند الكسائى مضارعة للوقت
٢١ — أجاز الكسائى تقديم التمييز على عامله

هذه هى أهم النتائج التى تعتقد أن هذا البحث قد آل اليها ، ولعل هذه النتائج تحدد لنا موقفا واضحا من المدرسة الكوفية فى النحو ، بعد أن عرفنا أن هذه النتائج — معظمها — كانت صادرة عن الملاحظة والاستعمال اللغوى ، بعيدا عن المنطق والتفلسف .

والله الموفق

مصادر ومراجع البحث

القـــرآن الكريـــم .

١ـ ابراهيم أنيس (الدكتور) : الاصوات اللغوية ، الطبعة الخامسة ١٩٧٥ ـ مكتبة الانجلـو المصرية بالقاهرة .

٢ـ ـــــــــــــ : اللهجات العربية ، دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالـة بالقاهرة .

٣ـ ـــــــــــــ : في اللهجات العربية ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة ١٩٥٢ .

٤ـ ابراهيم مصطفـــى : احياء النحو ، مطبعة لجنه التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ ، "القاهرة" .

٥ـ ابن أبي أصيبعة " أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفه ت ٦٦٨هـ " : عيون الانباء فـي طبقات الاطباء ، الطبعة الاولى بالمطبعة الوهبية ١٢٩٩ هـ .

٦ـ ابن الاثير " أبو الحسن علي بن أبي الكرم ت ٦٣٠ هـ " : الكامل في التاريخ ، دار الطباعة المنيرية بمصر ١٣٥٧ هـ .

٧ـ ابن الاثير " عز الدين أبو الحسن بن محمد بن عبد الكريم الجزري ت ٦٣٠هـ " : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، جمعية المعارف بمصر ١٢٨٦هـ .

٨ـ أحمد محمود صبحي (الدكتور) : في علم الكلام ، دار الكتب الجامعية ، مطابع رويـــال بالاسكندرية ١٩٦٩ .

٩ـ أحمد مختار عمر (الدكتور) : البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٧٢ .

١٠ـ أحمد مكي الانصاري (الدكتور) : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، مطبوعات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ١٩٦٤

١١ـ الازهـري " أبو منصور ت ٣٧٠ هـ " : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٩٦٦ .

١٢ـ الازهـري " خالد بن عبد الله الازهري " : شرح التصريح على التوضيح ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٣٥٨ هـ .

١٣ـ الأشموني " أبو الحسين علي بن محمد ت ٩٢٩ هـ " : شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ، دار احياء الكتب العربية بمصر .

١٤ـ الاصبهاني " محمد باقر الموسوي الاصبهاني ت ١٣١٣ " : روضات الجنان ، مكتبـــة اسماعيليان ، طهران .

١٥ــ الالوسى " السيد محمد شكرى البغدادى " : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ، مكتبة دار البيان ببغداد ، ودار صعب ببيروت .

١٦ــ أمين على السيد (الدكتور) : دراسات فى علم النحو ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ، دار المعارف بمصر .

١٧ــ ابن الانبارى " أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧ هـ " : الانصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ١٩٤٥ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

١٨ــ ــــــــــــ : أسرار العربية : تحقيق محمد بهجة البيطار طبع المجمع العلمى بدمشق ١٣٧٧ هـ .

١٩ــ ــــــــــــ : نزهة الالباء فى طبقات الادباء تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة ١٩٦٧ .

٢٠ــ ــــــــــــ : البيان فى غريب القرآن ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٩٧٠ .

٢١ــ ابن الانبارى " محمد بن القاسم بن محمد ت ٣٢٨ هـ " : الاضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة الكويت ١٩٦٠

٢٢ــ بدوى طبانة (الدكتور) : البيان العربى ، دراسة فى تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، الطبعة الرابعة ١٩٦٨ ــ مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

٢٣ــ البغدادى " عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادى ت ٤٢٩ هـ " : الفرق بين الفرق ، مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤ .

٢٤ــ ــــــــــــ : كتاب أصول الدين ، الطبعة الاولى ١٩٢٨ مطبعة الدولة باستانبول .

٢٥ــ البغدادى " عبد القادر بن عمر البغدادى ت ١٠٩٣ هـ " : خزانة الادب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية للرضى وبهامشه كتاب المقاصد النحوية النحوية للعينى ، الطبعة الاولى ، مطبعة بولاق مصر

٢٦ــ البلاذرى " أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ " : فتوح البلدان ، الطبعة الاولى ، مطبعة الموسوعات بمصر ١٩٠١ .

٢٧ــ البنا الدمياطى " أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطى ت ١١١٧ هـ ، اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربعة عشر ، المطبعة العامرة بمصر ١٢٨٥ هـ .

٢٨ــ البيضاوى " ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازى " : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الطبعة الاولى بالمطبعة البهية بمصر ١٩٢٢ .

٢٩ـ تمام حسان (الدكتور) : اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٣ .

٣٠ـ ـــــــــــ : مناهج البحث في اللغة ، مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٩٥٥ .

٣١ـ ثعلب " أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب ت ٢٩١ هـ " : مجالس ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٤٨ .

٣٢ـ الجاحظ " ابو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ " : البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبي ، الطبعة الثانية ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢ م .

٣٣ـ ابن الجزري " الحافظ أبو الخير محمد بن محمد ت ٨٣٣ هـ " : غاية النهاية في طبقات القراء ، نشره ، برجستراسر ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٢ .

٣٤ـ ـــــــــــ : منجد المقرئين ، مكتبة القدسي ١٣٥٠ هـ .

٣٥ـ ـــــــــــ : النشر في القراءات العشر ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٣٦ـ ابن جني " ابو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢ هـ " : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥٥ .

٣٧ـ ـــــــــــ : سر صناعة الاعراب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الاولى ١٩٥٤ ، البابي الحلبي بمصر .

٣٨ـ ـــــــــــ : اللمع ، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف ، الطبعة الاولى ١٩٧٩ .

٣٩ـ ـــــــــــ : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٦ هـ .

٤٠ـ الجهشياري " أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ت ٣٣١ هـ " : كتاب الوزراء والملوك ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الاولى ، الحلبي بالقاهرة ١٩٣٨ .

٤١ـ ابن حجر " الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ " : الاصابة في تمييز الصحابة ، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ ، السعادة بالقاهرة .

٤٢ـ ـــــــــــ : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة البهية بمصر ١٣٤٨ هـ .

٤٣ـ ـــــــــــ : هدى الساري ، مقدمة فتح الباري ، ادارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٤٧ هـ .

٤٤- حسين نصار (الدكتور) : المعجم العربي ، نشأته وتطوره ، مطابع دار الكتاب بمصر ١٩٥٦ .

٤٥- ابوحيان " أثير الدين أبوعبد الله محمد بن يوسف ت ٧٥٤هـ " : البحر المحيط ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .

٤٦- ابن خالوية " الحسين بن أحمد بن خالوية بن حمدان ت ٣٧٠هـ " : اعراب ثلاثين سورة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤١ .

٤٧- ـــــــــــــ : الحجة في القراءات السبع ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ببيروت ، ١٩٧١ .

٤٨- ـــــــــــــ : كتاب ليس في كلام العرب ، تصحيح وشرح أحمد بن الامين الشنقيطي ، السعادة بمصر .

٤٩- الخطيب البغدادي : أبوبكر احمد بن علي ت ٤٦٣ هـ " : تاريخ بغداد ، السعادة بمصر .

٥٠- ابن خلدون : المقدمة ، طبعة دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٠ .

٥١- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، مطبعة الرجاء بالقاهرة ١٣٤٦ هـ .

٥٢- الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن بن احمد البصري الفرهودي ت ١٧٠هـ " : العين ، تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، بغداد ١٩٦٧ .

٥٣- الداني " أبوعمرو عثمان بن سعيد ت ٤٤٤ هـ " : التيسير في القراءات السبع ، مطبعة الدولة باستانبول ١٩٣٠ .

٥٤- ـــــــــــــ : المقنع في مرسوم مصاحف أهل الامصار ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٠ .

٥٥- ابن دريد : " أبو بكر محمد ابن دريد ت ٣١١ هـ " : جمهرة اللغة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ١٣٤٤ هـ .

٥٦- الذهبي " شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ " : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مكتبة القدس بالقاهرة ١٣٦٨ هـ .

٥٧- ـــــــــــــ : سير أعلام النبلاء ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد دار المعارف بمصر ، ١٩٥٦ .

٥٨- الرضي " رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت ٦٨٦ هـ " : شرح الكافية ، طبعة البهنوي بالقاهرة ١٣٠٥ هـ ، وطبعة دار الكتب العلمية ببيروت .

٥٩ـ رمضان عبد التواب (الدكتور) : لحن العامة والتطور اللغوى، الطبعة الاولى ١٩٦٧ دار المعارف بمصر.

٦٠ـ الزجـــاج : الايضاح فى علل النحو، تحقيق مازن المبارك ، دار العروبة، بالقاهرة ١٩٥٩.

٦١ـ الزركـــشى : " بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ت ٧٩٤ هـ " : البرهـــان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الاولى ١٩٥٧ ، دار احياء الكتب العربية بمصر.

٦٢ـ الزركلـــى : خير الدين الزركلى " : الاعلام ، المطبعة العربية بمصر ١٩٢٢ .

٦٣ـ الزمخشـرى " جار الله محمد بن عمر الزمخشرى ت ٥٢٨ هـ " : الكشاف عن حقائـــق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل ، دار الكتاب العربى ببيروت.

٦٤ـ ـــــــــــــ : المفصل فى علم العربية ، تحقيق محمد محيى الديـــن عبد الحميد ، مطبعة حجازى بالقاهرة

٦٥ـ السجستانـــــى : كتاب المصاحف ، صححه ووقف على طبعه الدكتور آرثـــر جفـرى ، المطبعة الرحمانية بمصر .

٦٦ـ ابـــن الســـراج " أبو بكر محمد بن السراج ٣١٦ هـ " : الموجز فى النحـــو ، تحقيق مصطفى الشويمى ، وابن سالم دامرجى ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، ببيروت ١٩٦٥

٦٧ـ ابن سعد " محمد بن سعد " : الطبقات الكبير ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٢٥هـ

٦٨ـ ابن سميد التونسى " أبو عبد الله محمد بن على بن سميد التونسى" : الحاشيـــة الموسعة بظواهر الكواكب لجواهر المواكب على شرح الاشمونى لالفية ابن مالك ، الطبعة الاولى ، تونس ١٢٩٠ هـ

٦٩ـ ابن السكيت " أبو يوسف يعقوب بن اسحق ت ٢٤٤ هـ " : اصلاح المنطـــق ، شرح وتحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، الطبعـــة الثانية ١٩٥٦ ، دار المعارف بمصر .

٧٠ـ ابن سلام " محمد بن سلام الجمحى ت ٢٣١ هـ " : طبقات فحول الشعراء ، شرح محمود شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر بالقاهـــرة ١٩٥٢

٧١ـ السمعانـــى : الانساب ، نشرد . س مرجليوث ، طبعة لاكتنة المثنى بالاوفست ١٩٧٠ .

٧٢ـ سيبويه "أبو بشر عمرو ت ١٨٨ هـ" : الكتاب ، طبعة بولاق مصر ، جـ ١ ١٣١٦ هـ ، جـ ٢ ١٣١٧ هـ

٧٣ـ سيد أحمد خليل (الدكتور) : دراسات في القرآن ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢

٧٤ـ ابن سيده "أبو الحسن علي بن اسماعيل ت ٤٥٨ هـ" : المخصص ، الطبعة الاولى ، مطبعة بولاق مصر ١٣٢٠ هـ

٧٥ـ السيرافي : أخبار النحويين البصريين ، تحقيق طه محمد الزيني ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ، الباب الحلبي بمصر ١٩٥٥

٧٦ـ ابن سينا : منطق المشرقيين ، المطبعة السلفية بمصر

٧٧ـ السيوطي "جلال الدين ت ٩١١ هـ" : الاتقان في علوم القرآن ، الطبعة الثانية ١٩٣٥ ، مطبعة المعاهد بمصر .

٧٨ـ ـــــــــ : الاشباه والنظائر ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر آباد ١٣١٧ هـ

٧٩ـ ـــــــــ : بغية الوعاة ، الطبعة الاولى ١٣٢٦ هـ ، الخانجي بمصر .

٨٠ـ ـــــــــ : تزيين الممالك بمناقب الامام مالك ، ومعه كتاب مناقب الامام مالك للزواوي ، الطبعة الاولى ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٢٥ هـ

٨١ـ ـــــــــ : تنوير الحوالك ، شرح على موطأ مالك ، البابي الحلبي بمصر .

٨٢ـ ـــــــــ : المزهر في علوم العربية وأنواعها ، شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار احياء الكتب العربية ، البابي الحلبي بمصر

٨٣ـ ـــــــــ : همع الهوامع ، شرح جمع الجوامع ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت

٨٤ـ الشاطبي "أبو اسحق ابراهيم بن موسى اللخمي ت ٧٩٠ هـ" : الموافقات في أصول الاحكام ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١ هـ

٨٥ـ الشافعي "محمد بن ادريس الشافعي ت ٢٠٤ هـ" : الرسالة ، تحقيق أحمد شاكر ، الطبعة الاولى ١٩٤٠ ، البابي الحلبي بمصر

٨٦ـ ابن الشجري : الامالي الشجرية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .

٨٧ـ الشهرستاني " أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ " : نهاية الاقدام في علم الكلام ، مكتبة المثنى ببغداد

٨٨ـ ـــــــــــ : الملل والنحل ، تخريج محمد فتح الله بدران ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة مخيمر بالقاهرة .

٨٩ـ شوقي ضيف (الدكتور) : المدارس النحوية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨

٩٠ـ الصبان " محمد بن علي " : حاشية الصبان على شرح الاشموني لالفية ابن مالك ، ومعها شرح الاشموني مع بعض تقريرات الشيخ أحمد الرفاعي ، المكتبة التجارية بمصر ١٣٥٥ هـ

٩١ـ ـــــــــــ : " حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، دار احياء الكتب العربية بمصر

٩٢ـ صبحي الصالح (الدكتور) : مباحث في علوم القرآن ، الطبعة الرابعة ١٩٦٥ ، دار العلم ببيروت .

٩٣ـ الطبري " أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ " : تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦

٩٤ـ ـــــــــــ : جامع البيان من تأويل آي القرآن ، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر ، وأحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٧

٩٥ـ ابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، المطبعة الرحمانية بالقاهرة .

٩٦ـ أبو الطيب اللغوي " عبد الواحد بن علي ت ٣٥١ هـ " : مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة .

٩٧ـ عباس حسن : اللغة والنحو ، الطبعة الثانية ، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٧١

٩٨ـ عبد الجبار " القاضي أبو الحسن عبد الجبار ت ٤١٥ هـ " : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تحقيق أمين الخولي ، الطبعة الاولى ١٩٦٠

٩٩ـ عبده الراجحي (الدكتور) : فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة الحديثة ببيروت ١٩٧٤

١٠٠ــ عبد الراجحي (الدكتور) : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩

١٠١ــ ــــــــــــــ : النحو العربي والدرس الحديث ، مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية ١٩٧٧

١٠٢ــ عبد الرحمن أيوب (الدكتور) : محاضرات في اللغة ، القسم الاول ، مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦٦

١٠٣ــ عبد الرحمن بدوي (الدكتور) : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٦

١٠٤ــ عبد الصبور شاهين (الدكتور) : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، مطابع دار القلم بالقاهرة ١٩٦٦

١٠٥ــ عبد الفتاح القاضي : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، الطبعة الاولى ، الحلبي بمصر ١٩٥٥

١٠٦ــ ــــــــــــــ : الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة وبيروت

١٠٧ــ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ، الطبعة الثانية ، مطبعة المنار بالقاهرة ١٣٣١ هـ

١٠٨ــ عبد المتعال الصعيدي : بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، الطبعة السادسة ، مكتبة الاداب ومطبعتها بالقاهرة .

١٠٩ــ ابن عصفور " علي بن مؤمن " : المقرب ، تحقيق عبد الستار الجواري ، وعبد الله الجبوري ، الطبعة الاولى ، رئاسة ديوان الاوقاف ، مطبعة المعاني ببغداد ١٣٩١ هـ

١١٠ــ ابن عطية وآخر مجهول : مقدمتان في علوم القرآن ، تحقيق آرثر جفري ، مكتبة الخانجي بمصر ، والمثنى ببغداد ، ومطبعة السنة المحمدية

١١١ــ ابن عقيل " عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ت ٧٦٩ هـ " : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة عشرة ، مطبعة السعادة بمصر ٦٤ ــ ٦٥

١١٢ــ العكبري " أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ٦١٦ هـ " : املاء ما من به الرحمن في وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن . مطبوع على هامش الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان الشافعي الشهير بالجمل ، مع تفسير الجلالين للسيوطي ، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٧ هـ

١١٣ــ العكبرى " أبو البقاء .. " : التبيان فى اعراب القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، البابى الحلبى بالقاهرة ١٩٧٦

١١٤ــ على سامى النشار (الدكتور) : مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥

١١٥ــ ابن فارس " أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ " : الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العربية فى كلامها ، تحقيق الدكتور مصطفى الشويمى بيروت ١٩٦٣

١١٦ــ الفارسى " أبو على الفارسى ٣٧٧ هـ " : الحجة فى علل القراءات السبع ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥

١١٧ــ الفراء " أبو زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ " : معانى القرآن ، جـ ٢ تحقيق ومراجعة الاستاذ محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بالقاهرة ١٩٦٦ ، جـ ٣ تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى ، مراجعة على النجدى ناصف ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٣ .

١١٨ــ ــــــــــــ : المقصور والممدود ، تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧

١١٩ــ ابن الفقيه : البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٢ هـ

١٢٠ــ الفيروزبادى " مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ " : القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ١٩٥٢ ــ البابى الحلبى بمصر .

١٢١ــ الفيومى " أحمد بن محمد بن على ت ٧٧٠ هـ " : المصباح المنير ، الطبعة الثانية ، بولاق مصر ١٩٣٩

١٢٢ــ ابن قتيبة " أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ " : أدب الكاتب ، ليدن ، دار صادر ببيروت ١٩٦٧

١٢٣ــ ــــــــــــ : تأويل مشكل القرآن ، الحلبى بمصر ١٩٥٤

١٢٤ــ القرطبى " أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى ت ٦٧١ هـ : الجامع لاحكام القرآن ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب المصرية ١٩٦٧

١٢٥ــ القفطى " جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف ت ٦٤٦ هـ " : انباه الرواه على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية جـ ١ ١٩٥١ ، جـ ٢ ١٩٥٢ ، جـ ٣ ١٩٥٥ .

١٢٦ــ القلقشندى " أبو العباس أحمد " : صبح الاعشى ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٨

١٢٧ــ الكسائى " على بن حمزة ١٨٩ هـ " : ما تلحن فيه العوام ، نشر عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٤ هـ

١٢٨ــ كمال محمد بشر (الدكتور) : علم اللغة العام ، القسم الثانى (الاصوات) ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠

١٢٩ــ لاس أولبرى (الدكتور) : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ترجمة الدكتور وهيب كامل ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة ١٩٦٢

١٣٠ــ مازن المبارك (الدكتور) : النحو العربى ــ الملة النحوية ، نشأتها وتطورها ، الطبعة الاولى ١٩٦٥ ، المكتبة الحديثة .

١٣١ــ ابن مالك " أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائى ت ٦٧٢ هـ " : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق محمد كامل بركات دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧

١٣٢ــ مالك بن أنس " أبو عبد الله مالك بن أنس الاصبحى ١٧٩ هـ " : موطأ مالك ، رواية الامام محمد بن الحسن الشيبانى ت ١٨٩ هـ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، الطبى بمصر ١٩٦٢

١٣٣ــ المبرد " أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ " : المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٦ هـ

١٣٤ــ ابن مجاهد " أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ت ٣٢٤ هـ " : كتاب السبعة فى القراءات ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢

١٣٥ــ محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون ، الطبعة الاولى ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦١

١٣٦ــ محمد الطنطاوى : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، تعليق عبد العظيم الشناوى ومحمد عبد الرحمن الكردى ، الطبعة الاولى ١٩٦٨ السعادة بمصر

١٣٧ـ محمود السمران (الدكتور) : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢

١٣٨ـ المسعودى " أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ت ٣٤٦ هـ " : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الرجاء للطبع والنشر بمصر .

١٣٩ـ مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية بمصر ١٩٤٠

١٤٠ـ مكى أبو طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، تحقيق الدكتور محيى الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤

١٤١ـ الميدانى " أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى " : مجمع الامثال ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣

١٤٢ـ ابن منظور " أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم ت ٧١١ هـ " : لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ـ دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٦

١٤٣ـ ابن نباته " جمال الدين بن نباته المصرى ت ٧٦٨ هـ " : سرح العيون فى شرح رسالة بن زيدون ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٦٤

١٤٤ـ ابن النديم " محمد ابن اسحق ت ٣٨٥ هـ " : الفهرست ، المطبعة الرحمانية بمصر .

١٤٥ـ النووى " أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووى ت ٦٧٦ هـ " : تهذيب الاسماء واللغات ، القسم الثانى ، دار الطباعة المنيرية بمصر .

١٤٦ـ ابن هشام " أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصارى المصرى ٧٦١ هـ " : شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الحادية عشرة ، المكتبة التجارية بمصر ١٩٦٨

١٤٧ـ ـــــــــــ : مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح بالقاهرة .

١٤٨- ياقـــوت : معجم الادباء ، الطبعة الاخيرة ، مطبعة دار المأمون بالقاهرة

١٤٩- اليعقوبي " أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ت بعد ٢٩٢ هـ " : تاريخ اليعقوبي ، مطبعة الغري ، النجف ١٣٥٨ هـ

١٥٠- ابن يعيش " موفق الدين يعيش بن علي النحوي ت ٦٤٣ هـ " : شرح المفصل تصحيح وتعليق جماعة من العلماء بمشيخة الازهر ، طبع ونشر المنيرية بمصر

١٥١- يوهان فـــك : العربية ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، مكتبة الخانجي بمصر ، مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥١

المراجـــع الاجنبيـــة :

1 - Hyman Larry, M : Phonology Theory and Analysis New-York, London, 1975 - Halt, Rinhart and Winston

2 - Sadanand Singh, Ph.D : Distinctive features theory and validation . University Park Press, 1976 Baltimore. London. Tokyo .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ — جـ
الباب الاول : الكسائى وعصره	١ — ٥٥
الفصل الاول : فترته الزمنية سياسيا وعقليا ويشمل :	١ — ٣٣
١ — اسمه وأصله ونشأته	١ — ٢
٢ — وفاته	٢ — ٣
٣ — الفترة الزمنية : أهم ما فيها سياسيا وعقليا	٣ — ١٤
٤ — حركة الترجمة	١٤ — ١٧
٥ — الكسائى مؤسس مدرسة " شيوخه فى القراءة وتلاميذه "	١٧ — ٢٩
٦ — شيوخه فى النحو واللغة وتلاميذه "	٢٩ — ٣٠
٧ — طرائق حصول الكسائى على العلم	٣٠ — ٣٣
٧ — آثاره العلمية	٣٤ — ٥٥
الفصل الثانى : النحو العربى قبل الكسائى ويشمل :	٣٤ — ٤٥
١ — التاريخ النحوى قبل الكسائى	٤٦ — ٥١
٢ — الروافد التى أثرت فى تكوين النحو العربى	٤٦ — ٤٩
أ — علم الكلام	٤٩ — ٥١
ب — علم أصول الفقه	٥٢ — ٥٤
٣ — ازدهار النحو أيام الخليل وسيبويه	٥٤ — ٥٥
٤ — الكسائى وبدء المدرسة الكوفية	
الباب الثانى : الكسائى والقراءات	٥٦ — ١٢١
الفصل الاول : الكسائى أحد القراء السبعة	٥٦ — ٦٤
١ — نشأة القراءات والاختلاف فيها	٥٦ — ٦٠
٢ — فكرة القراءات السبع ومتى نشأت ، وادراج الكسائى فى السبعة	٦٠ — ٦٢
٣ — رواه الكسائى وطرقه	٦٢ — ٦٤

تابع الفهرست

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : قراءات الكسائي ويشمل :	٦٥ - ١٢١
١- الهمز	٦٥ - ٧٠
٢- الإمالة	٧١ - ٨٩
٣- التخفيف والتثقيل	٩٠ - ٩٤
٤- الإدغام	٩٤ - ١٠٣
٥- الوقف والابتداء	١٠٤ - ١٠٧
٦- القراءات المتصلة ببنية الكلمة	١٠٨ - ١١٤
٧- القراءات المتصلة بالألفاظ	١١٥ - ١١٦
٨- القراءات المتصلة ببنية الجملة	١١٧ - ١٢١
الباب الثالث : الكسائي والدرس اللغوي	١٢٢ - ٢٥٥
الفصل الأول : المادة الصوتية	١٢٢ - ١٣٩
الفصل الثاني : المادة الصرفية	١٤٠ - ١٦٨
الفصل الثالث : المادة النحوية	١٦٩ - ٢٥١
الخاتمة	٢٥٢ - ٢٥٥
المصادر والمراجع	٢٥٦ - ٢٦٧
الفهرست	٢٦٨ - ٢٦٩